المرأة المسلمة

وفقه الدعوة إلى الله

الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

٤



المرأة المسلمة
وفقه الدعوة إلى الله

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٧١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٢٠

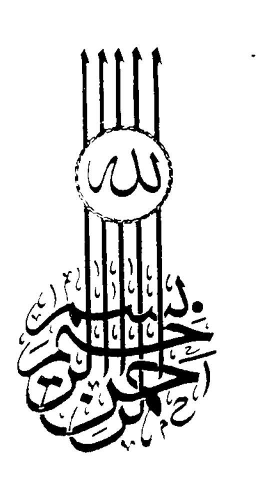
المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004 .

المرأة المسلمة

وفقه الدعوة إلى الله

الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م



إهـــداء

* إلى كل امرأة مسلمة شرفها الله بالانتماء إلى الإسلام ، وأعزها به ، فاسترعاها بيتها وأولادها ، وجعلها مسئولة بين يديه عن هذه الرعية .

* إلى المرأة المسلمة بنتا وأختا وزوجا وأمّا ، وشريكة للرجل في الدعوة إلى الله ؛ لإقامة الناس على الحق والميزان .

* إلى المرأة المسلمة وهى تفسر لأخواتها منهج الله فى الحياة ، وتشجعهن على الالتزام به فى طريق الحق والخير والهدى .

* إليها .. أقدم هذا الكتاب راجيا الله تعالى أن يضىء لها به بعض معالم الدين ومنهجه فى الحياة ، وأن يبدد به بعض ظلمات الضلال ، إنه على مايشاء قدير .

تقديم ...

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله خيرة الداعين ، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله إمام الدعاة المتقين ، وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته إلى يوم الدين .

وبعـد :

فهذه دراسة علمية منهجية ، توخيت فيها أسلوب البحث العلمى ما وسعنى وضممت إليها خبرة عملية ميدانية فى مجال الدعوة إلى الله ، أرجو أن تكون يوم كانت خالصة لوجهه الكريم ، فإنها خبرة سنوات طوال فى الجامعات والندوات والدورات والمساجد ، أحاول اليوم أن أصوغها منهج عمل للمرأة المسلمة الراغبة فى أن تؤدى واجبها فى الدعوة إلى الله .

وإنما أوجه هذا الكتاب للمرأة المسلمة ؛ لأزيل لبسا ران على أذهان كثير من المسلمين ، إذ حسبوا أن المرأة المسلمة ليس عليها فى مجال الدعوة إلى الله واجب ، ناسين أن الله سبحانه أمر خاتم رسله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على الناس قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (١) فكل من اتبع محمدا ﷺ من ذكر أو أنثى فسبيله الدعوة إلى الله على بصيرة ، وليس فى الآية ما يدل أبدا على أن المكلف بالدعوة إلى الله هم الرجال وحدهم . فعسى أن يزيل بهذا الكتاب هذا اللبس لينطلق المجتمع المسلم كله ، رجاله ونساؤه ، فى مجال الدعوة إلى الله ، فيهدون ضالاً ويحببون فى طاعة الله عاصيا ، ويرغبون فى الحق بعض أنصار الضلال .

وليس كالإسلام نظام أو منهج أعطى للمرأة من الحقوق ما يحفظ عليها كل أنواع كرامتها وتكريمها ، وليس كمثله نظام أو منهج ألزم المرأة بالواجبات التى تستقيم معها الحياة الإنسانية فى أكرم صورة وأرضاها لله ، فكان ذلك شرفا لها وتشريفا ، إذ لاتتبين مكانة الإنسان ، رجلا أو امرأة ، ولا يعرف على وجه الدقة مكانه فى الحياة ومكانته ، ولا يبلغ

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

بحال درجة التكريم التى كرمه بها ربه سبحانه وتعالى إلا إذا كانت له حقوق فتمسك بها ، وكانت عليه واجبات فالتزم بأدائها ، لأن السكوت عن الحقوق أو القعود عن ممارستها ضعف وذلة وضياع ، والتخلى عن أداء الواجبات خسة ومعصية وضياع كذلك .

وإن النظام أو المنهج الذى يسرف فى إعطاء الحقوق دون قصد واعتدال إنما يسىء إلى أصحاب هذه الحقوق ، إذ يصيبهم بالرخاوة والترف والغرور والأنانية ، كما أن المنهج الذى يقتر فى هذه الحقوق ويحرم أصحابها من متعة ممارسة الحقوق ، إنما يحرمهم من الحياة الكريمة الجديرة بالإنسان الذى كرمه ربه وفضله على كثير من خلقه .

وإن المنهج الذى يهمل فى فرض الواجبات وإلزام الناس بها ، يسىء كذلك إلى الناس ، إذ يعودهم على التواكل فالخمول ، فضياع مصالحهم ومصالح المجتمع كله ، كما أن المنهج الذى يشتط فى فرض الواجبات يسىء إلى الناس ، إذ يربيهم على الذلة والخضوع ، ثم الضيق بالحياة نفسها ، بعد أن فوتوا على أنفسهم مصالحهم ومصالح غيرهم من الناس .

وقد يقع فى هذا الخلل ـ عدم الاعتدال فى الالتزام بالواجبات وممارسة الحقوق ـ أى منهج من المناهج الوضعية التى يتعارف عليها حكماء الناس فى أى زمان وأى مكان ؛ لأن شأن أى منهج وضعى أن يعتريه القصور ، وأن يغشاه عدم التوازن وأن تحركه بعض الأهواء ، وأن يشتمل على بعض الظلم وبعض المحاباة ؛ لأن الذين وضعوه وارتضوا به بشر من الناس ، مفطورون على القصور والعجز النسبى من التوازن والاعتدال ، ولن يخلوا من الهوى ، ولن يعصموا من الظلم أو المحاباة ، والتاريخ قديمه ووسيطه وحديثه على ذلك من الشاهدين .

أما أن يكون المنهج من صنع الله فلا مظنة لكل هذه العيوب ؛ لأن الله سبحانه يعلم تمام العلم ما يصلح معاش عباده ومعادهم ، حاشاه أن يحابى منهم أحدا على حساب أحد ، وكذب الذين زعموا أنهم أنصار الله وأحباؤه ، إلا أن يكون ذلك بالعمل الصالح وطاعة الرسول ﷺ .

فإذا وضع الله لحياة الناس منهجا ونظاما ، فإنه وحده المنهج ، لا يساويه ولا يضاهيه منهج أو نظام .

وقد منّ الله على الإنسانية بأن اصطفى لها محمدا ﷺ ، وأنزل عليه أتم منهج وأكمل نظام ، يوم أوحى إليه هذا الدين الخاتم العظيم المكمل المتمم لكل دين سبقه ، المغنى

عن دين سواه ، الناسخ لسائر الشرائع التى سبقته .

هذا هو شأن المنهج ، لا يمارى فيه إلا من كان فى ضلال .

فما شأن من جاءه هذا المنهج من الناس ؟

إنه لشأن عظيم وتكريم كبير لأنه خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، ويخطئ من يظن أن المنهج خاص بالرجال دون النساء ، أو أن للرجال فيه نصيبا أوفى من نصيب النساء ، فإن الله تبارك وتعالى ساوى بين الرجل والمرأة فى التكاليف والواجبات ، كما ساوى بينهم فى الحقوق والامتيازات ، اللهم إلا ما يترتب على اختلاف الطبيعة أو الوضع الاجتماعى بينهما .

إن الله كلفهما كلاهما بالمنهج فى حدود طاقة كل منهما ، وتوعد من يقصر منهما بالعقاب ، فقال سبحانه : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[٢] وقال سبحانه : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾[٣] ، وبعضكم من بعض تعنى أن الذكر من الأنثى وأن الأنثى من الذكر ، لقوله سبحانه : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾[٤] ، وتوعد الله العصاة من الجنسين فقال سبحانه : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾[٥] .

ومادام المنهج للمرأة كما هو للرجل ، ينظم لكل منهما حياته على النحو الذى فطره الله عليه ، فلابد ـ وهو من عند الله ـ أن يراعى ما بين الرجل والمرأة من فروق جسدية وعضوية ، فإن تنوعا مًّا لا بد أن يحدث فيما يكلف به الرجل وما تكلف به المرأة ، وإن واجبات بعينها سوف تخص الرجل ، وأخرى سوف تخص المرأة ، وإن حقوقا لكل منهما لابد أن يكون بينها تنوع واختلاف ، غير أنه التنوع والاختلاف الذى يحقق لكل منهما ولهما معا ما يصلح دنياهما وأخراهما ، وما يقيم بينهما أكرم علاقة وأوثق مودة .

وإن هذا الكتاب الذى أقدمه للمرأة المسلمة ليركز على حقوق المرأة المسلمة وواجباتها ، ويفصل فى هذه الحقوق والواجبات ، بما يتسع له مجال الحديث عن المرأة

---

(٢) سورة النحل : ٩٧ .

(٣) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٤) سورة النساء : ١ .

(٥) سورة الجن : ٢٣ .

المسلمة والدعوة إلى الله .

وإن حقوق المرأة فى الإسلام لا تتضح فى صورتها الجيدة الدالة إلا فى ضوء معرفة ما كانت عليه المرأة قبل الإسلام من مكانة ، وما كان لها فى ظل تلك الحضارات والنظم والأديان التى سبقت الإسلام من حقوق .

ومن أجل توضيح تلك الحقوق ومقارنتها بما جاء به الإسلام للمرأة من حقوق كان الباب الأول من هذا الكتاب : « المرأة بعيدا عن الإسلام قديما وحديثا » .

وإن واجبات المرأة المسلمة التى تدعم مكانتها فى المجتمع المسلم ، وما كفل لها الإسلام وما ألزمها به من واجبات ، سواء أكانت المرأة بنتا أم أختا أم زوجة أم أمًّا ، فإن لها فى الإسلام من الحقوق والواجبات ما يميزها عن سواها من النساء فى ظل أى حضارة أو نظام غير الإسلام ، بل إن الإسلام أوجب لها حقوقا على المجتمع نفسه ، وألزمها بواجبات نحوه ، ومن أجل توضيح ذلك وتأكيده كان الباب الثانى من هذا الكتاب وهو : « حقوق المرأة وواجباتها فى الإسلام » .

وإن واجبها فى الدعوة إلى الله واجب غير منكور ، يتوفر عليه هذا الكتاب على نحو لم يعالج بهذا التفصيل فى كتاب آخر ـ فيما أعلم ، وما أوتيت من العلم إلا قليلا ـ إن واجبها ذلك يحتم عليها فقه الدعوة إلى الله ،،ويوضح لها مجالات عملها وأنشطتها فى تلك الدعوة ، وينير لها الطريق بنتف من سير السابقات من المؤمنات ممن عايشن رسول الله ﷺ من الصحابيات رضوان الله عليهن ، من أجل بيان ذلك كان الباب الثالث من هذا الكتاب : « المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله » وهو أوسع أبواب الكتاب وأكثرها تفصيلا ، ولذلك اختير عنوانا للكتاب كله .

وإن المرأة المسلمة المعاصرة قد أثيرت من حولها قضايا هامة ، أثارها الناس أحيانا باسم المعاصرة والحداثة ، وأحيانا باسم العلمانية البعيدة عن الدين ، وأحيانا عن جهل أو تجاهل ، والمرأة تسمع وترى ، وتتأثر وتنفعل ، وتستجيب أو تحجم ، وتستمسك بدينها أو تضعف أمام لحن القول ومعسول الكلام . وكان لابد من طرح هذه القضايا وإبداء وجه الحق والصواب فيها ، والرد على دعاة انحراف المرأة المسلمة وانجرافها فى تيارات معادية لهذا الدين ، من أجل ذلك كان الباب الرابع والأخير من هذا الكتاب : « قضايا المرأة المسلمة المعاصرة وموقف الإسلام منها » .

وأدعو الله تبارك وتعالى أن يجعل من هذا الكتاب ـ إذا أراد ـ نبراسا للمرأة

المسلمة ، تتعرف من خلاله على مكانتها ومكانة غيرها ، وأن يبصرها بحقوقها ويعينها على أداء واجباتها ، وأن يرسم لها طريق الدعوة إلى الله ، وأن يوضح أنشطتها من أجل الدعوة فى بيتها ، وفى قريباتها ، وصديقاتها ، وجاراتها ، وفى المسجد القريب من بيتها ، وفى المجتمع الذى تعيش فيه ، وفى المدرسة أو الجامعة التى تتعلم فيها ، وفى العمل المناسب للمسلمة الذى تقوم به فى المجتمع إذا كانت فى حاجة إلى العمل .

وعلى الله قصد السبيل ، وإن أريد إلا الإصلاح مااستطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الباب الأول

المرأة بعيدا عن الإسلام قديما وحديثا

ويتنـــاول :

التمهـيد :

الفصل الأول : المرأة فى الحضارات والأديان القديمة .

والفصل الثانى : المـرأة فى الحضـــارات الحديثـــة .

التمهيد:

لابد لنا في التمهيد لهذا الباب من أن نوضح مكانة المرأة بعيدا عن الإسلام في ظل الحضارات والأديان قديما وحديثا ، موجزين ذلك مااستطعنا ، دون أن نخل بالصورة التي نرغب أن ترتسم في ذهن من يقرأ .

فلن تستبين مكانة المرأة في الإسلام إلا بمقارنتها بمكانتها بعيدا عن الإسلام ، إذ المقارنة وحدها قادرة على توضيح الفروق الحادة بين هذه وتلك ، بين امرأة لها كل التكريم في الإسلام وامرأة توشك أن تكون ــ بل قد كانت ــ سلعة تباع وتشترى ، وتسام كل إهانة بعيدا عن الإسلام ، كما أن المقارنة قادرة على أن تبعث في نفس كل امرأة مسلمة اعتزازا بانتمائها لهذا الدين العظيم ، وحمدا لله وثناء عليه أن منَّ عليها بنعمة الإسلام .

إن هذا الباب بفصليه : المرأة في الحضارات القديمة والمرأة في الحضارات الحديثة كليهما ؛ لا يستهدف أكثر من أن تعتني المرأة المسلمة بدينها ، وأن يولد هذا الاعتزاز في نفسها تمسكا بآداب هذا الدين وأخلاقه ، ومنهجه في الحياة ونظامه .

إن هذا الباب إن استطاع أن يحقق هذا الهدف فالحمد لله على التوفيق ، وإن لم يصل إلى هذا فعسى أن تستطيع ذلك الأبواب التالية .

إن آفة هذا العصر الذي تعيشه المرأة المسلمة اليوم ، أنها لا تعتز بانتمائها إلى الإسلام متصورة ــ عن غفلة منها أو خداع لها ــ أن بعض الأنظمة والمناهج الوضعية قد تحقق لها شيئا من صالحها ، سواء أكانت تلك الأنظمة والمناهج وافدة عليها من الغرب أم الشرق .

وإنما اعتبرت تلك آفة لما أدت إليه من أضرار ، وما جرته على المرأة من أخطار ، وذلك شأن كل أمر قام على الخطأ في التصوير ، فأدى بالقطع إلى خطأ في العمل والممارسة .

إن من تمام الغفلة أن تتصور امرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن منهجا أو نظاما في ظل أي حضارة بشرية يستطيع أن يقدم لها حياة لائقة بها ، فضلا عن حياة أفضل من الحياة الكريمة التي كفلها لها منهج الإسلام ونظامه ، وهيأ لها عندما تلتزم أن تحقق سعادة

الدنيا والآخرة .

إن الفصل الأول من هذا الباب يحاول أن يعرف بحياة المرأة فى ظل الحضارات والأديان القديمة ، فى مصر ، وبابل ، وآشور ، والهند ، والصين ، واليابان ، وفارس ، وعند اليونان والرومان ، وعند اليهود والنصارى ، وفى الجزيرة العربية قبل الإسلام .

وإنه لتعريف وجيز فى لمحات خاطفة ، حسبنا منها أن تحدث الفروق بين مكانة المرأة بعيدا عن الإسلام ومكانتها فى الإسلام .

وإن الفصل الثانى حاول أن يعرف بمكانة المرأة فى الحضارات الحديثة ، غربيها وشرقيها ، تلك الحضارات ذات البريق الذى جذب إليه المرأة راغبة واهمة ، أو كارهة مرغمة .

وإنه لتعريف وجيز كذلك ، حسبنا منه أن يزيل عن المرأة وهمها ، وأن يجعلها تملك إرادة الرفض لما تساق إليه من فساد .

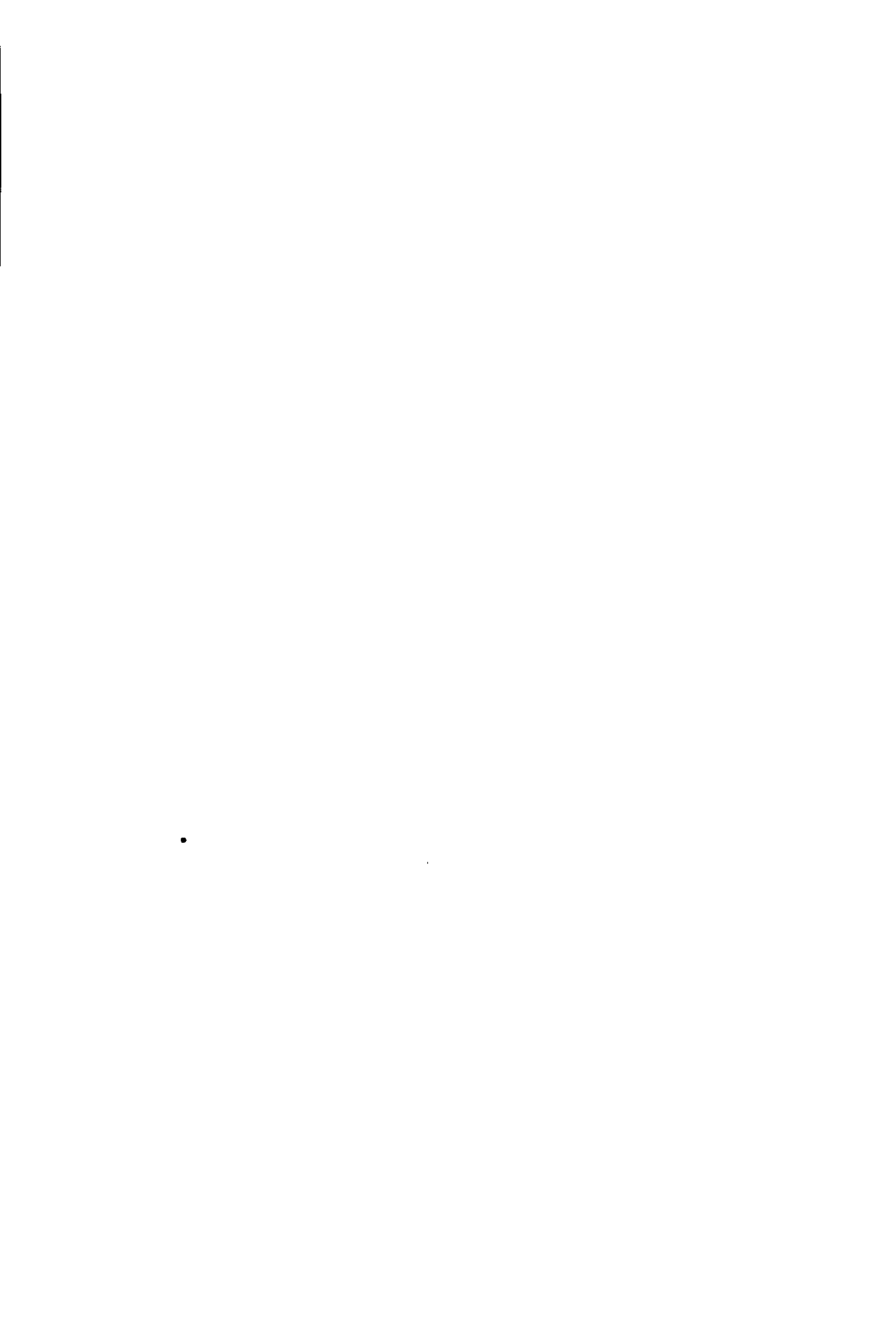
إننا بهذين الفصلين نحاول أن نوضح مكانة المرأة بعيدا عن الإسلام ، ليكون ذلك مدخلا للحديث عن مكانتها فى الإسلام .

وكان بوسعنا أن نسبق بحديث عن المرأة فى العصور البدائية ، حيث كانت تباع كما يباع المتاع ، وتمتهن إلى حد أنها لا تستطيع رد رجل يريدها لقضاء أربه منها ، دون زواج أو ارتباط مّا ، ويوم كانت توأد ــ قبل أن يعرف عرب الجاهلية وأد البنات بألوف السنين ــ ويوم كانت تجبر على تعدد الأزواج ، تجبرها الأعراف والتقاليد الاجتماعية الظالمة ، ويوم كان دافع الرجل إلى الزواج ــ إن تزوج ــ هو الرغبة فى استرقاق المرأة بأرخص الأثمان ، ويوم كانت المرأة والرجل كلاهما يعيشان فى فوضى جنسية لا تختلف كثيرا عن ممارسات بعض الحيوان ، وكانت المرأة فى هذه الفوضى هى الخاسرة دائما ، لا بيت ، ولا أمن ، ولا تأمين لطعام أو شراب أو لباس ، أو مأوى .

كان بوسعنا أن نتحدث عن ذلك فنفيض فيه ، فإنه معروف وفيه من التسلية وإثارة الدهشة ما فيه ، ولكنا آثرنا تركه لأنه لا يمثل تحديا لمكانة المرأة فى الإسلام كما هو الشأن فى تلك الحضارات والأديان قديمها ووسيطها وحديثها .

إن هذا التحدى الذى تمثله تلك الحضارات والأديان هو الجدير بالمواجهة والمقارنة لتستبين سبيل المؤمنات ، ولئلا تتفرق بهن السبل عن الحق والخير والهدى .

وإن مكانة المرأة فى ظل الحضارة الإسلامية ـ كما سنوضح ـ لتوجب على المرأة المسلمة ـ بعد أن تعتز بانتمائها لهذا الدين ـ أن تدعو غيرها إليه وأن تبلغه لكل امرأة مسلمة أو غير مسلمة ؛ لأن ذلك واجبها الذى عليها أن تؤديه ، لا تخشى فى أدائه لومة لائم .



الفصل الأول

المرأة فى الحضارات القديمة

كلمة فى الحضارة :

الحضارة فى العربية سكنى الحضر أى المدن والقرى ، فى مقابل البداوة وهى سكنى البادية .

وهى فى مفهومها الشامل تعنى كل ما ينشئه الإنسان فى حياته ، من أفكار وأشياء تتصل بأى جانب من جوانب حياته المتعددة ، أى الروحية والعقلية والجسمية والمادية والمعنوية والمدنية والعسكرية .

وهى بهذا المفهوم تعد مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى ، وشاهدة على مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى .

والحضارة الإنسانية تبدأ ثم تزدهر بعد أن ينتهى الإنسان من الإحساس بالاضطراب والقلق ؛ لأن القلق أو الخوف يحول بين الإنسان وبين التطلع إلى حياة أحسن ، وهذا التطلع هو الذى يدعو إلى الإبداع فى مختلف مظاهر الحضارة .

وبالتالى فإن للحضارة أسبابا تؤثر فيها ، وأسبابا تقضى عليها وتصيبها بالانهيار ، وما نريد أن نتوسع فى ذلك ؛ فإن له مظانه من البحوث والدراسات ، ولكننا نشير إلى بعض هذه الأسباب المؤثرة فى الحضارة مثل الظروف الخاصة بطبيعة الأرض التى تنشأ عليها الحضارة ، وهل هى أرض مستقرة أو تنتابها الزلازل والبراكين والعواصف ، فإن استقرت تحضرت ، وإن زلزلت طمر كل شئ .

ومثلها ظروف الحرارة والبرودة فى الجو ، وما تعكسه من صفات فى الإنسان نفسه ، وما تصيب به الأرض من طفيليات وأمراض ، فكلما كانت الطبيعة قاسية كلما صرفت الإنسان عن الإبداع وحملته على الاكتفاء بتحقيق مطالب بدنه فحسب ، ومثلها ظروف المياة العذبة أو المالحة وما يترتب على ذلك من زراعة أو تصحر أو صيد ، ومثلها الظروف

الاقتصادية لبقعة من بقاع الأرض . كما يهمنا الحديث عن الظروف النفسية لصناع الحضارة من حيث الأمن والخوف ومايترتب على ذلك من قدرة على الأبداع .

هذه الظروف كلها إن واتت على نحو جيد مفيد ترعرعت الحضارة وازدهرت ، وإن لم توات انهارت الحضارة بعد وجودها أو لم توجد أصلا .

تلك كلمة كان لابد منها قبل الحديث عن المرأة فى ظل الحضارات المتعددة .

أولا : المرأة فى حضارة مصر القديمة

حضارة مصر القديمة من أقدم حضارات العالم ، ويرى معظم الباحثين أنها كانت حضارة على جانب ضخم من التقدم والرقى ، وقد كان من المتوقع مع هذا التقدم أن تكون للمرأة مكانة موازية أو مواكبة لهذا التقدم ، فهل كانت مكانة المرأة كذلك ؟

هذا ما سنحاول توضيحه فى هذه الصفحات .

فإذا بدأنا بمكانة المرأة فى القصور وعند الملوك ، وجدنا الملك يتزوج أخته وأحيانا ابنته ، كما كان يضاجع قريباته ، وكان له إلى جانب ذلك عدد كبير من بنات الأعيان اللاتى تقدمن إليه هدية ، وله عدد من أسيرات الحرب ، ومع استمتاع الملك بكل هذا العدد من النساء ، هل يتوقع أن يكون للمرأة مكانة وسط هذا الجمع الحاشد من الموقوفات على رغبات الملك الجنسية ؟ كيف يكون لها مكانة وهى لا تكاد تعرف بين هذه المئات من النساء ؟

ولم يكن هذا شأن الملوك وحدهم ، وإنما الناس دائما على دين ملوكهم ـ حيث قد انتقلت عادة الزواج بالأخوات إلى النبلاء والأمراء ، فأسرفوا فى اتخاذ النساء ، ثم انتقل ذلك إلى القادرين من الناس .

ولكى نعرف مركز المرأة فى ظل حضارة مصر القديمة التى اعترف لها المؤرخون بأنه « ليس ثمة شعب قديم أو حديث قد رفع منزلة المرأة مثل ما رفعها سكان وادى النيل »[٥] ويعلق ول ديورانت على تأكيد ذلك قائلا : « فالنقوش تصور النساء يأكلن ويشربن بين الناس ويقضين ما يحتجنه من المهام فى الشوارع من غير رقيب عليهم ولا سلاح بأيديهن ، ويمارسن الأعمال الصناعية والتجارية بكامل حريتهن »[٦] .

ويكتب بعض رجال الأخلاق الأقدمين محذرا من المرأة فيقول : « احذر المرأة التى تأتيك من الخارج ، والتى لا يعرفها أهل مدينتها فلا ترفع بصرك إليها إذا أتت ، ولا تعرفها ، فهى كالدردور فى الماء العميق ، لا تستطيع أن تسبر غورها ، وإن المرأة التى غاب عنها

(٥) ماكس ملر نقلا عن : ول ديورانت : قصة الحضارة : ٩٦/٢ . ترجمة زكى نجيب محمود .

(٦) ول ديورانت : قصة الحضارة : ٩٦/٢ .

زوجها لتكتب إليك فى كل يوم ، وإذا لم يكن معها شاهد عليها قامت ونشرت حولك شباكها ، وما أشنعها من جريمة إذا أصغى إليها الإنسان »[٧] .

فعلى الرغم مما قاله المؤرخون عن مكانة المرأة فى الحضارة المصرية ، فإنه يؤخذ على تلك الحضارة ما يلى :

١ ـ أن المرأة كانت هى التى تخطب الرجل ، كما دلت على ذلك قصائد الغزل ورسائل الحب التى بقيت شاهدة على ذلك ، فهى التى تطلب من الرجل تحديد موعد للقاء ، وهى التى تعرض عليه الزواج صراحة .

٢ ـ وكان الحديث فى الشئون الجنسية فى ظل تلك الحضارة صريحا غاية الصراحة .

٣ ـ وكانوا يقدمون لموتاهم من الأدب الفاحش شيئا كثيرا بقصد تسليتهم فى قبورهم .

٤ ـ وكان اتصال الفتيان بالفتيات قبل الزواج حرا ميسرا .

٥ ـ وكانت الراقصات العاريات يقبلن فى أرقى طبقات المجتمع دون غضاضة .

٦ ـ وكان تقديم المتعة الجنسية فى بعض الحفلات مما لا مؤاخذة فيه .

٧ ـ وكان هناك فسوق باسم الدين يباركه رجال الدين .

٨ ـ وكانت المرأة تحمر وجهها وشفتيها ، وتلون أظافرها ، وتمشى عارية أحيانا ، ومغطية ما تحت السرة إلى الركبة أحيانا أخرى .

كل هذا المآخذ تغض من مكانة المرأة فى ظل الحضارة المصرية القديمة ، وتجعلها بغير الحياء الفطرى فى المرأة ، وإن أعطتها حق التملك والإرث والتوريث والسيطرة على البيت والزوج فى بعض الأحيان ، وحسبها من المكانة والاحترام أن تمضى إلى السوق تشترى حاجاتها دون رقيب عليهن ولا سلاح فى أيديهن !!!

إن حضارة المصريين القدماء فى نظر مؤرخ غربى مثل : ول ديورانت كانت تعنى بالمرأة وتحترم مكانتها بأحسن ما تفعل الحضارة الغربية اليوم ، يقول « ول ديورانت » : « وكان النساء يقصصن شعورهن كأحسن ما يقصصنه فى هذه الأيام » .

ثم يقول : « وظهرت الأثواب المطرزة ذات الأهداب المختلفة ، التى لا يحصى

(٧) السابق : ٢/٩٧ .

عددها ، وتسربت الأنماط والطرز الحديثة إلى البيوت تسرب الأفاعى لتفسد على أصحابها جنة العرى البدائية»[8] .

ثم يعود فيقول : « وملاك القول أن نساء مصر القديمة لن يتعلمن منا شيئا عن أدهان الشعر والوجه والجواهر لو أنهن بعثن بيننا هذه الأيام »[9] .

وبعد : فتلك صورة مجملة عن المرأة ومكانتها فى ظل حضارة مصر القديمة ، تسهم فى الإقناع بما أصبحت عليه المرأة المسلمة بعد مجىء الإسلام من مكانة محترمة ومركز مرموق ، سوف نوضحه فيما بعد بإذن الله .

---

(٨) السابق : ٢ / ١٠٤ .

(٩) السابق : ٢ / ١٠٤ .

ثانيا : المرأة فى حضارة بابل وآشور

كانت الحضارة البابلية كغيرها من الحضارات التى تلت الحضارة المصرية ، قد تأثرت ونقلت عن الحضارة المصرية شيئا كثيرا من التحضر ، فى مجالات الزراعة والصناعة والهندسة والطب ، والكتابة والأدب والفنون وغيرها ، ولكن حضارة بابل كان لها فضل عظيم على علم الفلك وتقدم الطب وعلم اللغة وصياغة القانون ، وهى التى علمت اليونان مبادئ الحساب ، وأمدت اليهود بالأساطير التى أورثوها العالم .

هكذا كانت حضارة البابليين ، كما سجل ذلك المؤرخون القدامى ، فماذا كان مركز المرأة فى هذه الحضارة ؟

يقول هيرودوت مصورا هذا المركز للمرأة : « ينبغى لكل امرأة بابليةأن تجلس فى هيكل الزهرة مرة فى حياتها ، وأن تضاجع رجلا غريبا ، ومنهن كثيرات يترفعن عن الاختلاط بسائر النساء لكبريائهن الناشئ من ثرائهن وهؤلاء يأتين فى عربات مقفلة ويجلسن فى الهيكل ومن حولهن عدد كبير من الحاشية والخدم .

أما الكثرة الغالبة منهن فيتبعن الطريقة الآتية :

تجلس الكثيرات منهن فى هيكل الزهرة وعلى رءوسهن تيجان من الحبال بين الغاديات والرائحات اللاتى لا ينقطع دخولهن وخروجهن ، وتخترق جميع النساء ممرات مستقيمة متجهة فى كل الجهات ، ثم يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون ، فإذا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة فى حجرها ويضاجعها فى خارج المعبد ... ومهما يكن من صغر القطعة الفضية فإن المرأة لا يجوز لها أن ترفضها ، فهذا الرفض يحرمه القانون ... وتسير المرأة وراء أول رجل يلقيها إليها ، وليس من حقها أن ترفضه أيا كان ، فإذا ما ضاجعته وتحللت مما عليها للآلهة والزهرة ، عادت إلى منزلها ... ومن كانت من النساء ذات جمال وتناسب فى الأعضاء لا تلبث أن تعود إلى دارها ، أما المشوهات ، فيبقين فى الهيكل زمنا طويلا وذلك لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه عليهن القانون ، ومنهن من ينتظرن ثلاث سنين أو أربعا »[١٠]

---

(١٠) السابق : ٢/ ٢٣٠ .

وظلت الدعارة المقدسة عادة متبعة فى بلاد بابل حتى ألغاها قسطنطين حوالى ٢٥٠ ق . م ، وكان إلى جانب هذه الدعارة المقدسة عهر مدنى منتشر فى حانات الشراب التى يديرها النساء .

وكان يسمح للبابليين فى العادة بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج ، كما كان معروفا لديهم ومرخصا ذلك الزواج التجريبى الذى ينهيه أحد الطرفين متى شاء (١١) .

وكانت المرأة تباع بيعا كالسلعة ، يحكى هيرودروت قائلا : « إن من كانت لهم بنات فى سن الزواج يأتون بهن مرة كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال ، ثم يَصفُّهن دلاّل عام ويبيعهن جميعا واحدة فى إثر واحدة فينادى على أجملهن أولا ، وبعد أن يقبض ثمنها عاليا ينادى على من تليها فى الجمال ..... »(١٢) .

وكان من أنظمة البابليين أن الزوج إذا غاب عن زوجته فى عمل أو حرب زمنا ، ولم يترك لها ما تعيش به ، كان لها أن تعيش مع رجل آخر ، دون أن يحول ذلك من الوجهة القانونية بينها وبين عودتها مرة أخرى إلى زوجها الأول بعد عودته .

وكان الطلاق من حق الزوج ، أما المرأة إذا قالت لزوجها : « لست زوجى » فقد وجب قتلها غرقا ، وأسباب الطلاق المتاح للرجل هى كما أوضحها قانون حمورابى : « إذا لم تكن سيدة حريصة على أداء واجبها ، بل كانت دوارة غير مستقرة فى منزلها ، مهملة لشئون بيتها ، مستخفة بأطفالها ، وجب أن تلقى فى الماء »(١٣) .

وكان على المرأة من أجل أن تعيش فى ظل زوج أن تؤدى أعمالا كثيرة ، بعضها شاق مثل : نقل الماء من النهر أو الآبار العامة ، وطحن الحبوب ، والطهو ، وغزل الخيوط ونسجها إلى جانب تنظيف دارها ، وما تعانيه فى الحمل والولادة والحضانة وتربية الأبناء .

وبعض النساء كن يدفعن أو يدفع لهن أولياؤهن بائنات لمن يتزوج بهن من الرجال ، وكانت تستردها أحيانا إذا طلقت لغير سبب موجب للطلاق ، وكانت الأسباب التى تبيح الطلاق هى العقم والزنا وعدم الاتفاق مع الزوج ، وسوء تدبير المنزل .

والمرأة التى كانت تعجز عن دفع البائنة لمن يتزوج بها كانت تعامل معاملة الأمَة .

ومن العجيب المذهل أن يخنق الزوج زوجته فى ظروف قلة الطعام ، يقول

---

(١١) لا يزال هذا الزواج معمولا به فى أوربا حتى اليوم ، بل هو الغالب

(١٢) ول ديورانت : قصة الحضارة : ٥/٢٣٢ .

(١٣) [illegible] سابق : ٢/٢٣٢ .

هيرودوت : « إن البابليين كانوا إذا حوصروا يخنقون زوجاتهم حتى لا يستهلكن ما عندهم من الطعام »[١٤] .

وكانت نساء الأسر الكبيرة لا يرين حرجا فى أن تظهر الواحدة منهن محاسنها أيا كانت هذه المحاسن حتى يستمتع بها أكبر عدد من الرجال ، بل تعتبرن هذا من قبيل المجاملة الاجتماعية .

وأما آشور فكانت ذات حضارة عسكرية شاقة ألجأتهم إليها القبائل الجبلية التى كانت تحيط بهم وتكثر من مهاجمتهم ، ولكن الآشوريين بما فرضوه على أنفسهم من حياة عسكرية متوجسة مستعرة ، استطاعت أن تتغلب على هذه القبائل ، وأن تستولى على كثير من المدن المجاورة لهم مثل : عيلام وسومر وبابل وأكد ، بل تغلبوا على فينيقية ومصر .

وتقع آشور إلى الشمال من بابل ، وعلى بعد ثلاثمائة ميل منها ، وقد ظلت مايقرب من مائتى عام تسيطر على بلاد الشرق الأدنى .

وتتكون آشور القوية القاسية من مدن أربعة ، ترويها مياه دجلة وروافده وهى .

١ ـ آشور ، ومكانها اليوم قلعة شرفات ،

٢ ـ وأربلا ، وهى إربل الحالية ،

٣ ـ والكلخ ، وهى الآن نمرود ،

٤ ـ ونينوى ، وهى قوير نجك على الضفة المقابلة لمدينة الموصل حاليا . وهى قرية سيدنا يونس عليه السلام ، وقد ظلت عاصمة الآشوريين حتى سقطت الدولة .

أما مكانة المرأة فى ظل نظام آشور فلم يكن يختلف كثيرا عن مكانتها فى بابل ، إلا فى أن منزلة المرأة فى آشور أقل من بابل ، ويمكن أن نشير إلى مكانتها فى الأمور التالية :

١ ـ كانت تفرض على المرأة عقوبات صارمة إذا هى ضربت زوجها .

٢ ـ وكانت تفرض على المتزوجة فروض صارمة فى المحافظة على عرضها بينما كان ذلك غير مشروط على الزوج .

٣ ـ ولم يكن يسمح للمتزوجة أن تخرج إلى الطريق العام بغير حجاب .

---

(١٤) السابق : ٢ / ٢٣٤ .

٤ ـ وكان البغاء ـ لغير المتزوجات طبعا ـ يعد أمرا ضروريا تصدر من أجله القوانين التى تنظمه .

٥ ـ وكان الإجهاض جريمة يعاقب عليها بالإعدام ، وكانت المرأة التى تموت وهى تجهض نفسها تخذق بعد موتها .

٦ ـ وكانت الزوجة تعيش فى منزل أبيها ، وكان على الزوج أن يزورها ما بين آن وآخر .

وماذا كان ينتظر للمرأة من مكانة فى ظل حضارة يفاخر فيها أحد ملوكها « آشور بانيبال » بأنه حرق ثلاثة آلاف أسير بالنار[١٥] ، ثم يقول مفاخرا : « أما أولئك الذين أذنبوا فى حق آشور وائتمروا بالشر علىّ ...فقد انتزعت ألسنتهم من أفواههم المعادية وأهلكتهم ، ومن بقى منهم على قيد الحياة قدمتهم قرابين جنائزية ، وأطعمت بأشلائهم المقطعة الكلاب والخنازير والذئاب ... »[١٦] .

ماذا ينتظر للمرأة من مكانة فى ظل هذا النظام غير تلك المكانة المزرية التى تحدثنا عنها آنفا ؟

إنها لم تعد أن تكون المخلوق الأقل من بنى الإنسان ، وإن ما فرض عليها من واجبات لأكثر بكثير مما أتيح لها من حقوق ، وإن الدعارة المقدسة أو غير المقدسة التى مارستها أو حملها المجتمع على ممارستها لتلحقها بأنثى الحيوان ، كان سواء فى ذلك وضعها فى حضارة البابليين المتقدمة الراقية علميا وأدبيا وفنيا أو وضعها فى حضارة الآشوريين العسكرية القاسية المتوحشة !!!

وكل ذلك كان إجحافا بها ، وافتياتا على حقوق لها ، منحها إياها خالقها سبحانه وتعالى ، كما منح الرجال ، ولكن أهل الحضارتين قوم لا يعدلون !!!

---

(١٥) افتخر مرة طاغية مصر « جمال عبد الناصر » بأنه اعتقل فى ليلة واحدة ثمانية عشر ألفا من المسلمين . !!! وكلاهما حاكم عسكرى مستبد متوحش .

(١٦) ول ديورانت : قصة الحضارة : ٢ / ٢٨٢ .

ثالثا : المرأة فى ظل حضارة الهند

إن حضارة الهند تقوم على النظم الأخلاقية « ذارما » ، وإن هذه النظم مرتبطة أوثق الارتباط بنظام الطبقات فى المجتمع ، وعلى كل طبقة أن تلتزم تماما بقانون الأخلاق الخاص بها ، وإلى جانب هذا كان هناك قانون أخلاقى عام يؤكد على أمور هامة فى المجتمع الهندى هى :

١ ـ احترام البراهمة ،

٢ ـ وتقديس البقر ،

٣ ـ واجب زيادة النسل ،

٤ ـ اعتبار الإجهاض جريمة تساوى فى فداحتها قتل برهمى ،

٥ ـ زواج الأطفال إجبارى للجميع ،

٦ ـ الرجل الأعزب طريد المجتمع ،

وفى وسط هذه المقدسات ، ماذا نتوقع أن تكون مكانة المرأة فى ظل تلك الحضارة ؟

لقد حاولت أن أتعرف على هذا من خلال ما قرأت ، فعددت نقاطا عشرا ، رأيت فيها توضيحا لمكانة المرأة فى هذه الحضارة ، وتلك النقاط هى :

١ ـ لم يكن للمرأة حق اختيار الزوج ، فضلا عن حقها فى رفضه عند وجود الأسباب التى تستلزم الرفض ؛ لأن الآباء كانوا يزوجون بناتهم وهن أطفال بحجة أن الزواج ما ينبغى أن يترك للعواطف ، ولا للمصادفات ، بل ولا للأقدار ، كما يقولون ، فقد عاب الهنود أى زواج ينشأ بين زوجين ويكون نتيجة لاتفاق بينهما وسموه زواج الشهوة وأدانوه بشدة .

وسواء أكان نظام زواج الأطفال مبررا بمنع الزواج بين أهل الطبقات المختلفة ، أم بمنع زواج الشهوة ، أم بمنع العلاقات الجنسية قبل الزواج أم بحمل البنت على الوفاء لزوجها ـ فإن المرأة قد حرمت فى ظل هذا النظام أبسط حقوقها الإنسانية فى قبول الزوج أو رفضه

عند وجود الأسباب . إنها بذلك النظام قد سُلبت إرادتها تماما .

٢ ـ فرض على بعض النساء فى ظل هذه الحضارة أن يكن « خادمات الله » أو خادمات المعبد ، ومقتضى ذلك أن يمارس هؤلاء النسوة الدعارة علنا ، وتسمى عند الناس دعارة مقدسة ؛ لأنها تحقق المتعة لرجال الدين « الكهنة » البراهمة ، ثم لكل من يدفع أجرا من الناس .

وكان يشترط على هؤلاء الداعرات أن تدفع كل منهم جزءا من هذا الأجر إلى رجال الدين .

ولم يكن المجتمع ينظر إلى هؤلاء الداعرات بأى ازدراء ، وإنما كان يحترمهن ، بدليل أن بعض النساء المحترمات كن يدفعن ببناتهن إلى هذه الدعارة المقدسة فى المعابد ، وهن راضيات عن ذلك .

٣ ـ كان على بعض النساء واجبات رسمية فى المعابد تتكون هذه الواجبات من الرقص والغناء داخل المعبد مرتين كل يوم ، وكن يؤدين الرقص بطريقة تثير الشهوات ، كما كان الغناء لابد أن يشتمل على أشعار فاحشة تصف ما مرّ فى تاريخهم وتاريخ آلهتهم من حوادث الإباحية الجنسية .

٤ ـ أباح نظام الحضارة الهندية ثمانية أصناف من الزواج ، كلها لا تضمن للمرأة احتراما ولا مكانة ، وهذه الأصناف من الزواج من أشهرها لديهم :

أ ـ الزواج بالاغتصاب ،

ب ـ والزواج بالحب ،

جـ ـ والزواج بالشراء ،

د ـ والزواج فى الطفولة بأمر الوالدين ،

هـ ـ والزواج بأكثر من واحدة على أن تتسيدهن من كانت من نفس طبقة الرجل .

٥ ـ وكانت المرأة خاضعة ذليلة لرجل دائما ، سواء أكان الأب وهى بنت أم الزوج وهى زوجة أم الابن وهى أمٌّ ، أو الكاهن البرهمى وهى ترفه عنه بالعهر المقدس ، فهى مخلوق أقل من الرجل على كل حال وتقول أساطيرهم : إن الخالق ـ عندهم ـ عندما

أراد أن يخلق المرأة وجد أن مادة الخلق كلها قد استنفذت فى خلق الرجل ، فصاغ امرأة من جذاذات وقصاصات تناثرت من عمليات الخلق .

٦ ـ وكان على الزوجة أن تتفانى فى حب زوجها وخدمته وطاعته ، والصبر على المكاره معه ، بل إن عليها أن تخدم زوجها كما لو كان إلها ، يقول فى ذلك مانو : « إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها كما لو كان إلها ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه مهما تكن حالته ، حتى إن خلا من كل الفضائل ، أما الزوجة التى تعصى زوجها فمآلها أن تتقمص روحُها جسد ابن آدى فى خلقها التالى » .

وكانت الزوجة تخاطب زوجهافى خشوع قائلة له : يا مولاى أو ياسيدى أو يا إلهى ، ولابد أن تمشى خلفه بمسافة بعيدة .

٧ ـ وكان التعليم محرما على المرأة ، وما كان يسمح بتعلم القراءة وحدها فضلا عن سائر العلوم إلا لسيدات الطبقات الراقية ، أو لزانيات المعبد لأن هذه الحضارة ترى أن التعليم ينقص من فتنة المرأة ويقلل قدرتها على إثارة شهوة الرجل ، والأصل فيها أن تكون متفرغة لإثارة شهوة الرجل ، حتى يكون النسل العظيم الذى يرونه ضروريا .

٨ ـ وكانت المرأة إذا كانت زوجة لبرهمى يحال بينها وبين دراسة الفلسفة ، اعتقادا منهم أن المرأة إذا درست الفلسفة استطاعت أن تنظر إلى اللذة والألم والحياة والموت نظرة فلسفية ، فإن فعلت أصابها مَسٌّ من الجنون أو رفضت الاستمرار فى خضوعها لزوجها .

٩ ـ وليس للمرأة بحال من الأحوال أن تطلب الطلاق من زوجها مهما تكن الأسباب ، وكان للزوج الحق فى أن يتزوج عليها ما شاء من النساء دون رغبتها ودون طلاقها ، فإذا شربت امرأة خمرا ، أو مرضت ، أو كانت مسرفة فى بيتها ، أو لا تحسن إدارته ، أو كانت شكسة ، فإن للزوج أن يتزوج عليها لهذه الأسباب .

فإذا مارست المرأة الخيانة الزوجية كان له أن يطلقها ، والمجتمع كله ينبذها وينظر إليها باحتقار .

١٠ ـ ومن واجب المرأة أن تلقى بنفسها فى النار لتحترق ـ فوق الكومة التى تعد لتحرق فيها جثة زوجها بعد موته ـ فإن كان الذى مات متزوجا بأكثر من واحدة ، فإن عليهن جميعا أن يمتن على محرقته ، ويسمون هذه العادة عندهم « السوتى » ويقولون إن

ذلك دليل على أبدية الرابطة الزوجية .

وبعد : فتلك مكانة المرأة فى ظل الحضارة الهندية ، فهل حصلت فيها على حقوق الإنسان وكرامته ، أم أنها فعلا لا تستحق ذلك لأنها خلقت من جذاذات وبقايا بعد أن استنفد الرجل مادة الخلق ؟ كما تدعى أساطيرهم ؟

رابعا : المرأة فى حضارة الصين واليابان

تتميز الحضارة الصينية ـ على وجه العموم ـ بأنها حضارة قديمة إذا قورنت بحضارة بابل وآشور واليونان ، ولكنها فى القدم لا تقارن بحضارة مصر القديمة .

كما تمتاز هذه الحضارة بأن قد برغ فيها الشعر وفن الخزف وفن النقش ، وأنها قامت على أخلاق قوية نسبيا ،ونظام اجتماعى ضم أكبر عدد من البشر ، نظام استمر دون تغيير أطول فترة من الزمان ، حتى إنه لم يتغير إلا فى قيام ثورة الصين الشيوعية فى هذا القرن الذى نعيشه ١٩٤٩ م بقيادة ماوتسى تونج . ولكن حديثنا موجه إلى الحضارة الصينية القديمة .

ولا يعيب هذه الحضارة شىء مثل ما يعيبها أن أهلها مغرورون يعتبرون أنفسهم أعظم الأمم وأرقاهم طباعا ، وربما يكونون كذلك ، ولكن أن يدعوا هم ذلك فهو دليل على أنهم ليسوا كذلك .

فما مكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة ؟

نستطيع أن نستخلص تلك المكانة من خلال ما قرأناه عن الحضارة الصينية فى النقاط التالية :

١ ـ كانت الأسرة التى تنجب عددا يفوق حاجاتها من البنات ، وتضيق بهن أو بإعالتهن ، تتركهن فى الحقول ليقضى عليهن الصقيع أو تقتلهن الحيوانات الضارية ، تفعل ذلك الأسرة دون أن تشعر بأى ندم أو أسف ، كأنها تخلصت من شر أو مرض !!!

٢ ـ وكانت النظم الاجتماعية الصينية ـ منذ زمن بعيد ـ تعد النساء للقيام بإشباع الشهوات الجنسية عند الرجال عن طريق الزنا ، وتضع لذلك تشريعات تعترف للرجل والمرأة كلاهما بالحق فى ممارسة الزنا ، وقد ذكر « ماركو بولو » أنه شاهد فى عاصمة كوبلاى خان من العاهرات مالا يحصى عددهن ، وهؤلاء البغايا مرخص لهن بمزاولة الزنا .

• كانت الحكومة تشرف عليهن صحيا ، وتقدم الجميلات منهن إلى أعضاء السفارات

الأجنبية لقضاء أوطارهم منهن .

٣ ـ ولم يكن يسمح للبنت بأن ترى من سيتزوجها إلا ليلة الزفاف ، وكان النظام الاجتماعى يقضى بأن تعيش الزوجة مع زوجها فى بيت أبيه أو بالقرب منه ، حتى تساعد فى خدمة زوجها وأم زوجها ، وتظل كذلك خادمة أبدا حتى يحررها الموت من هذه الخدمة .

٤ ـ وكان النظام الاجتماعى يقضى بحق الرجل فى بَيْع زوجته إذا ألجأته إلى ذلك ضرورة ، وكثيرا ما كانت الضرورات وكثيرا ما كانت الزوجات تباع كما تباع الإماء ، وكأن عقد الزواج والحالة كذلك عقد رق وعبودية ، وكأن التى قبلت الزواج قد ملكته رقبتها وحريتها !!!

٥ ـ وكانت المرأة لا تستطيع أن تشارك زوجها طعامه ،وإنما يأكل وحده ، وتقوم هى على خدمته أثناء الطعام ، ولاتأكل إلا ما يتبقى منه من طعام ، ترى ماذا كانت تأكل المسكينة لو أن زوجها من نوع النهم ، أو لو كان الطعام قليلا فلم يبق لها شيئا ؟

٦ ـ وكان من عادة الصينيين ـ رغبة منهم فى كثرة النسل ـ اتخاذ السرارى وتعدد الزوجات ، يفعلون ذلك دون أدنى مراعاة لرضا الزوجة ، بل كثيرا ما كانت الزوجة تتخذ كثيرا من المحظيات وتقدمهن هى لزوجها طلبا لرضاه عنها ، وكان هؤلاء السرارى أو المحظيات زوجات من الدرجة الثانية ، أى يقربن كثيرا من الإماء ، وكانت الزوجة الأولى تعد رئيسة لهؤلاء إذا رغب زوجها فى ذلك .

٧ ـ وكان من أسباب مذلة المرأة الصينية ألاتلد ذكورا ، ورُبما أدى ذلك إلى طلاقها ؛ لأن الصينيين يرون إنجاب الذكور بل إنجاب عدد كبير منهم واجبا دينيا ليقربوا القرابين بعد وفاة أبيهم ، لأبيهم ولأسلافه الماضين ، إذ لا يجوز عندهم أن يقرب القرابين إلا الذكور ، فضلا عن قوة الذكور على العمل ، وعلى خوض المعارك فى القتال .

٨ ـ ولم يكن من حق المرأة أن تتزوج رجلا تحبه أو يحبها ، وإنما الشرط الوحيد أن يكونا صحيحى الجسد ، لينشئا أسرة كبيرة صحيحة الأجساد ، ولأنهم يرون ارتباط الزوجين نتيجة للعواطف أمرا يقوم على غير أساس من العقل ، ويؤدى بالضرورة إلى أضرار بالغة ، إذ يحتمل أن يجمع الحب بين اثنين أحدهما ليس صحيح الجسد .

٩ ـ ولم يكن يسمح للرجل بأن يمتنع عن الزواج ، لأن العزوبة جريمة تحرم

الأسلاف من واجب تقريب القرابين ، وتحرم الدولة من المحاربين وكان رجال الدين فى هذا متساوين مع عامة الناس ، فليس لأحد أن يمتنع عن الزواج ، فإن فعل اتهم بأنه معيب خلقيًا ، نفسيا أو بدنيا .

١٠ ـ ولم تكن المرأة لتكرم أو تحترم أوتقدر من زوجها لجمالها أو لثقافتها أو لتفانيها فى خدمة زوجها وأمه ، وإنما تكرم أو تحترم لسبب واحد وهو أن تكون كثيرة ولادة البنين .

١١ ـ ولم يكن للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها ، وإنما كان ذلك من حق الرجل بسبب ؛ كعقمها أو ثرثرتها أو لغير سبب ، وكانت المطلقة تلقى أسوأ مصير ينتظره إنسان على وجه الأرض ، حيث تعاد إلى بيت أبيها مزدراة لتعيش على الآلام والأحزان .

١٢ ـ أصدق ما يمثل مكانة المرأة فى ظل الحضارة الصينية مالخصته إحدى بنات الطبقة العليا فى رسالة ذائعة الصيت فى الأدب الصينى تقول فيها :

« نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال ، وما أعدل ما يقول فى حقنا كتاب قوانين الجنسين وأصدقه : إذا كان للمرأة زوج يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه طيلة حياتها وإذا كان للمرأة زوج لا يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه أيضا طيلة حياتها » .

وقد عبر عن مكانتها كذلك شاعرهم « نوشوان » إذ يغنى قائلا :

« ألا ما أتعس حظ المرأة .

ليس فى العالم أى شئ أقل قيمة منها .

أما البنت فإن أحدا لا يسر بمولدها ،

ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها ،

وهى تطأطئ رأسها وتجمل وجهها وتعض بأسنانها على شفتيها ، وتنحنى مرارا يخطئها الحصر »[١٧] .

وأما فى ظل الحضارة اليابانية فإن مكانة المرأة فيها شديدة الشبه بمكانتها فى ظل

---

(١٧) ول ديورانت : قصة الحضارة : ٤ / ٢٧٤ .

الحضارة الصينية ، بحيث نستطيع أن نقول : إن هذه كتلك ، مع بعض الفروق الطفيفة التى نذكرها فيما يلى :

١ ـ كانت الزوجات يسبقن أزواجهن فى عالم الزنا بحيث كانت الواحدة منهن تفرط فى عفتها بكلمة جميلة [١٨] .

٢ ـ وكان من حق الزوج أن يقتل زوجته وعشيقها إذا ضبطهما متلبسين بجريمة الزنا ، فإن قتل الزوجة دون عشيقها استحق هو الموت !!!

٣ ـ وكان للرجل أن يطلق زوجته إذا كثر كلامها أو ارتفع صوتها ، أما إذا كان الرجل سيّئ الطباع حوشى الكلام وجب على زوجته أن تضاعف له الرحمة والتسامح والدعة .

٤ ـ وقد رخص بالزنا لطائفة من الفتيات المسميات فتيات « الجيشا » أى البارعات فى الفن ؛ لأن الكلمة « جيشا » مركبة من مقطعتين : جي بمعنى : بارع فى الأداء الفنى ، وشا : بمعنى شخص . وكانت لهن مدارس يتعلمن فيها هذا .

والعجيب المدهش أن بعض الآباء كانوا يدفعون ببناتهم إلى تلك المدارس دون خجل ، لتتخرج من هذه المدارس تمارس الزنا المرخّص فيه من قبل الدولة !!!

---

(١٨) لا يزال هذا شأن كثير من فتيات الغرب حتى اليوم .

خامسا : المرأة فى الحضارة الفارسية

قامت الحضارة الفارسية على الاهتمام بالسياسة والحرب اهتماما شديدا ، وكان للملك فى ظل هذه الحضارة نفوذ ضخم ، فقد كان يستطيع أن يأمر بقتل أى إنسان دون إبداء الأسباب ، ولذلك كان ملوكهم فى الغالب طغاة ، وكانوا هم القانون .

وجانب هام فى الحضارة الفارسية هو أنها تقوم على الصراع بين الخير والشر ويرمزون للخير بأهورا مزدا وللشر بأهرمان ، والذى لا شك فيه أن هذه الحضارة كانت تنطوى على مزيد من القسوة والوحشية ، بدليل ما قاله دارا الأول أعظم ملوكهم فى نقش بهستون : « وقبض على فراقارتس وجىء به إلىّ فجدعت أنفه وصممت أذنيه وقطعت لسانه وفقأت عينيه وأبقيته فى بلاطى مقيدا بالأغلال يراه الناس كل يوم ، ثم صلبته بعد ذلك ... » .

وهى حضارة تضم إلى هذه القسوة والضراوة كثيرا من الدعوة إلى التطهير والحذر من القذارة ، وعقاب الجسد على خطاياه بصرامة ، فكان الاستمناء بالكف يعاقب عليه بالجلد ، وكات عقاب من يرتكب جريمة الزنا أو اللواط أو السحاق القتل سواء أكان مرتكب الجريمة رجلا أم امرأة .

وعلى الرغم من هذا الحرص على العفة ومقاومة جريمة الزنا ، فإن المرأة فى ظل هذه الحضارة لم تنل مكانة حسنة ، ولا احتلت فى المجتمع مكانا حسنا ، ولم تعد المرأة فيها أن تكون متاعا ، وأن تحرم من كثير من حقوقها .

ونستطيع أن نتبين مكان المرأة فى ظل هذه الحضارة فى النقاط التالية ــ التى استخرجتها من القيم السائدة فى هذه الحضارة ــ وهى :

١ ــ كان الفرس يرون أن خطف النساء بالقوة عمل لا يأتيه إلا الأشرار ، ولكن لا يجوز للإنسان أن ينشغل بالثأر لهن إذا اختطفن وإلا اعتبر من الحمقى ، لأن الحكمة تقضى بإهمالهن إذا اختطفن ؛ لأنهن مالم يكن راغبات فى الخطف لما اختطفن .

٢ ــ وكان الآباء ينظمون شئون الزواج لمن لم يبلغ الحلم من أبنائهم وبناتهم ، وكان مجال

الاختيار واسعا أمام الراغب فى الزواج ، فقد كان الأخ يتزوج أخته ، والأب يتزوج ابنته ، والابن يتزوج أمه .

٣ ـ وكان القانون الفارسى يشجع البنات على أن لا يظللن عذارى ، كما يشجع الرجال على أن لا يبقوا عزابا ـ بغير زواج ـ وذلك أن الدولة دولة حرب ، والحرب تحتاج المقاتلين ، فلابد من تشجيع النسل والتوالد . وقد جاء فى قانونهم « الأبستان » : « إن الرجل الذى له زوجة يفضل كثيرا من لازوجة له ، والرجل الذى يعول أسرة يفضل كثيرا من لا أسرة له ، والذى له أبناء يفضل كثيرا من لا أبناء له ، والرجل ذو الثراء أفضل كثيرا ممن لا ثروة له » .

٤ ـ ومن أجل كثرة الأبناء أباح القانون التسرى ، وكان صفة عامة فى الأغنياء والأشراف ، حتى كانوا لا يخرجون إلى الحرب إلا ومعهم سراريهم .

أما الملك والأمراء فقد كانت قصورهم تعج بالسرارى ، حتى كان قصر الملك يضم عددا من السرارى يساوى عدد أيام السنة فقد كانت عادة الملك ألا يضاجع امرأة مرتين إلا إذا كانت رائعة الجمال .

ولنا أن نتساءل قائلين : ما مكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة مع تلك الجيوش من السرارى ؟ أتنال حقها الإنسانى فى الحياة ؟ أم لابد أن تكون رائعة الجمال حتى يتصل بها سيدها مرتين ؟

٥ ـ وكانت العزلة مفروضة على المرأة فى أيام حيضها ، عزلة تتناول كل أمر فى حياتها الاجتماعية كلها ، فلا تخرج ولا يراها أحد ولا ترى أحدا ولا تؤاكل ولا تجالس .

وفى الظروف العادية للمرأة ـ أى فى غير أيام الحيض ـ كان نساء الطبقات الغنية لا يخرجن إلا فى هوادج مسجفة ، ولم يكن يسمح لهن بالاختلاط بالرجال علنا .

أما الفقيرات من النساء فقد كان يسمح لها بالخروج والتنقل من أجل العمل وحصولها على القوت .

٦ ـ وكانت المرأة المتزوجة تمنع من رؤية أى رجل ، حتى لو كان هذا الرجل أباها أو أخاها ، فضلا عما سواهم من الأعمام والأخوال وسائر الأقارب الأكثر قربا منها .

ولا ندرى هل كان ذلك للمحافظة عليها أم لفقد الثقة فيها وفى هؤلاء الأقارب ؟

٧ ــ وكان القانون هناك يجعل الحمل من الزنا سواء أكانت الحامل زانية متزوجة أم غير ذات زوج ، عملا لا عقاب عليه بل يغتفر دائما ، أما إذا أجهضت الحامل فإنها تعاقب أشد أنواع العقاب الذى كان يصل فى الغالب إلى عقوبة الإعدام .

٨ ــ ولم يكن أحد من الفرس يرحب بأن يرزق البنات ، لأنهن ينشأن لغير بيوتهن ، ويستفيد منهن غير آبائهن » ومن أقوالهم المشهورة فى ذلك : « إن الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات ، والملائكة لا تحسبن من النعم التى أنعم بها على بنى الإنسان » .

٩ ــ وكان المتبع فى ظل هذه الحضارة أن السرارى يقدمن للضيوف للمتعة والتسلية .

ولنا أن نقول : هل زادت السرارى عن أن تكن من الرقيق فى ظل هذا النظام .

وهكذا نرى المرأة ومكانتها فى ظل الحضارة الفارسية على هذا النحو المهين الذى لا يعطيها من حقوقها الإنسانية قليلا أو كثيرا ، فضلا عن أن يكرمها ويصونها ويرفع قدرها ــ كما فعل الإسلام ــ .

سادسا : المرأة فى الحضارة اليونانية

ربما كان عهد الأخيين بين عهود اليونان ــ وهى المسمى بعهد الأبطال ــ هو الذى يشير إلى ما كانت عليه المرأة من مكانة ، أكثر مما يشير إلى مكانتها العهد الكريتى أو العهد الذى سبق عهد أجمنون .

ففى عهد الأبطال هذا نستطيع أن نتبين مكانة المرأة على النحو التالى :

١ ــ كانت المرأة لا تعرف الحجاب ولا القرار فى البيت ، وإنما كانت تتاح لها الحرية الكاملة فى أن تخالط الرجال وتجالسهم ، بل تشترك معهم فى مناقشات حادة ، وربما كانت إلى حدتها جدلية فقط .

٢ ــ وكان الزواج فى هذا العهد يتم عن طريق الشراء ، وكان الثمن عددا من الأثوار ــ أو مايساويها من مال ــ يؤدى إلى والد الفتاة ، وكانت الفتاة تؤدى بائنة كبيرة قيمة .

وكانت حفلة الزفاف حفلة اجتماعية تمتلئ دائما بالكثير من الطعام والشراب والرقص والمرح والغناء .

٣ ــ وعندما تتزوج المرأة تصبح ربة البيت وتنال من المكانة بمقدار ما تنجب من الأبناء الذكور .

ولنا أن نتخيل مكانة هذه المرأة إذا لم تنجب إطلاقا ، أو أنجبت عددا قليلا من الأبناء الذكور ، أو تنجب بنات فحسب !!!

٤ ــ وكان الزنا فى هذا العهد قليلا نسبيا ، حتى إن هومر الذى سجل حضارة الأخيين « عهد الأبطال » لم يذكر من الزانيات الشهيرات فى هذا العهد سوى ثلاثة فقط .

أما العصر الذهبى للحضارة اليونانية وهو العهد الذى غص بالفلاسفة المشاهير أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، فإن مكانة المرأة فيه كانت أقل منزلة ، ونستطيع أن نتبين ذلك فى النقاط التالية :

١ ــ كانت القيم الخلقية السائدة فى العصر الذهبى للحضارة اليونانية تعترف بصراحة للرجال والنساء بأن العلاقات الجنسية هى أساس الحب ، ومعنى ذلك أن العفة لم تكن

مطلوبة من المرأة حتى قبل أن تتزوج ، إلا من بعض النساء المحترمات .

٢ ـ وكانت الأعياد الدينية الكبرى فرصة لتحرر الناس جميعا من القيود فى العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء ، لاعتقادهم أن هذه الحرية الجنسية فى هذه المناسبات تيسر للرجال فيما بقى من العام أن يقتصر كل منهم على زوجة واحدة .

٣ ـ وكان القانون يبيح للناس الاتصال بالخليلات ، ولا يرى الناس فى ذلك شيئا من العار والخليلة عشيقة ينعم بها الضال من غير زواج ـ وكانت المرأة ـ الزوجة ـ لا تلوم زوجها على اتخاذ خليلات .

٤ ـ وكانت الدولة تعترف بالبغاء رسميا ، وتفرض على البغايا ضريبة تؤدى للدولة ، مما جعل العهر مهنة تجد رواجا بين النساء وتحقق أرباحا وتعتبر موردا اقتصاديا هاما ـ كما هى الحال اليوم فى الغرب ـ .

وكانت مهنة العهارة ـ الزنا ـ درجات ، بعضها فى نظر أرقى من بعض ، فكانت أرقاها عندهم : طبقة الرفيقات « الهتايرى » HETAIRAI ، وتتكون من بنات اليونان اللاتى فررن من العزلة التى كانت تفرض أحيانا على العذارى أو النساء الأثينيات.

وكانت هذه الطبقة تمارس عهرها فى بيوتها وتستقبل فيها من تستطيع أن تغويه من العشاق . وكان القانون يفرض عليهن ثيابا منقوشة بالورود ، ولهذه الطبقة حظ من الثقافة وقدرة على تسلية العشيق بالفكاهات والنوادر الأدبية .

ثم طبقة : العازفات على القيثارة ، وهؤلاء يفترض عليهن الرقص والغناء والعزف مع الزنا بأى رجل يرغب فى إحداهن ، وكان لهذه الطبقة مدرسات ومدارس تديرها كبار السن منهن ممن أصبحن غير مطلوبات للرجال .

ثم الطبقة الأخيرة وهى طبقة : العاهرات « البرناى » PORNAI ، ولهن مساكن خاصة ، عليها علامات وقحة تدل عليها ، وكان الزناة من الرجال يقصدون هذه الأماكن نظير أجور زهيدة إذ كانت بعملة ذلك الزمان « أدبلة واحدة » وكانت هذه الطبقة تسمى العاريات لأنهن لم يكن يسترن أجسامهن إلا بأثواب تشف عما تحتها .

وكان النساء من هذه الطبقات الثلاثة محرومات من حقوقهن المدنية ، ولا يجوز لهن أن يدخلن هيكلا من الهياكل إلا هيكل أفردوت إلههن ، وكان الفلاسفة

يتبارون فى كسب ود هؤلاء العاهرات مما حفظ كثيرا من أسمائهن وطرفا غير قليل من أخبارهن .

٥ ـ وكان من حق الرجل أن يطلق امرأته لغير سبب ، بل كان بوسعه أن يطردها من بيته لغير سبب كذلك ، فى حين لم يكن للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها أو تتركه متى شاءت .

٦ ـ وكان الرجل العقيم له الحق فى أن يستعين بأحد أقاربه ليجامع زوجته ، فإذا جاءت بولد نسبه الزوج إلى نفسه ، أما المرأة العقيم فكان لابد أن تطلق .

٧ ـ أوضح ما يعرفنا بمكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة ما قاله : دمستين معبرا عن ذلك : « إنا نتخذ العاهرات للذة ، والخليلات لصحة أجسامنا اليومية ، والزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين ، ويعتنين ببيوتنا عناية تنطوى على الأمانة والإخلاص » .

هكذا كانت مكانة المرأة فى ظل الحضارة اليونانية ، دون أن نعلق على ذلك حتى لا نؤذى المفتونين بهذه الحضارة ، الذين يجعلونها فى مقدمة الحضارات ، حتى إنهم يعتبرونها أفضل من الحضارة المصرية القديمة التى فاقت كل حضارة باعتراف معظم المؤرخين .

سابعا : المرأة فى حضارة الرومان

الحضارة الرومانية قامت على تقديس القوة فى كل شىء : القوة فى العمل ، والقوة فى الحرب ، وفى الزراعة والاقتصاد ، بل وفى الإقبال على الدين .

واستمرت ظاهرة تقديس القوة فى عهود كثيرة من عهود هذه الحضارة ، كعهد الجمهورية الأولى ، وعهد الرواقيين ، وعهد الأبيقوريين وعهد الكنيسة ، كل تلك العهود اعتمدت القوة ركيزة أساسية تقوم عليها هذه الحضارة .

وربما أدى الإحساس بالقوة لدى الرومان إلى قوة الإحساس بالملكية عندهم وشدة التمسك بها ، وهو أمر انعكس على ما نحن بصدده فى الحديث عن المرأة ، إذ تطلب ذلك أن تكون المرأة فى عمومها قوية الأخلاق محافظة على بكارتها ، وإن كان لم يمنع الرجل من ممارسة الزنا والتخلى عن العفة ــ وكان هذا شأن الرجل دائما فى ظل جميع الأنظمة البشرية يباح له مالا يليق بعفته ، وما لا يباح للمرأة ــ .

وإذا كان لنا أن نتعرف على مكانة المرأة فى ظل الحضارة الرومانية ، فإن ذلك يستوجب علينا أن ننظر إليها فى ظل عهد الجمهورية الأولى وعهد الرواقيين ، ثم فى عهد الأبيقوريين ؛ لأن الأمور اختلفت بالنسة للمرأة اختلافا يستحق أن نفصل فيه الحديث بعضه عن بعض .

أما مكانة المرأة فى عهد الجمهورية الأولى وعهد الرواقيين ، فإننا نستطيع أن نتبينها من خلال النقاط التالية :

١ ــ كانت المرأة محرومة من كل حقوقها المدنية فى عهد الجمهورية الأولى ، إذ كانت كل تلك الحقوق للزوج وحده ، فهو الذى يملك ويشترى ويبيع ، حتى بائنة زوجته كانت ملكا له .

٢ ــ ولم تكن العاهرات كثيرات فى ذلك العهد ، وكان يحظر عليهن لبس مئزر الأمهات ــ وهو شعار الزوجة المحترمة ــ وكُنَّ يحصرن فى الأركان المظلمة من مدينة روما ومن المجتمع نفسه .

٣ ـ وكان الزواج أنواعا ثلاثة هى :

أ ـ زواج يتبعه وضع العروس وما تملك تحت سلطان زوجها أو والده ، وكان هذا الزواج بإحدى طريقتين ، إما المعاشرة مدة عام وإما بالشراء ، ويسمون هذا الزواج كم مانو CUMMANU .

ب ـ وزواج بأكل كعكة معا ، ويسمونه الكنفرياشو CONFARREATIO ، ويتطلب هذا النوع من الزواج حفلا دينيا ، ولا يتم إلا بين الأشراف .

جـ ـ وزواج برضى العروسين فقط ، ويسمونه سن مانو SIN MANU ، ولا يحتاج هذا الزواج إلى حفل دينى .

٤ ـ وكانت المرأة يمكن أن تتعرض لأن يحكم عليها بالإعدام إذا أتت إحدى جريمتين أو إحداهما معا وهما : جريمة الزنا وجريمة سرقة مفتاح خزينة الزوج ، والعجيب أن الذى كان يحكم عليها بالإعدام ويتولى تنفيذ الحكم هو الزوج .

٥ ـ وكان يحرم على المرأة أن تظهر فى المحكمة عند القاضى بأى حال ، حتى لو كانت شاهدة إثبات أو نفى ؛ لأنها فى نظرهم أقل وأهون من أن تتواجد فى دار المحكمة .

٦ ـ وكانت المرأة إذا مات عنها زوجها لم ترث عنه شيئا من ماله ، ولا يحق لها بحال أن تطالب بشىء منه ، فى حين لو ماتت هى آل إليه كل شىء لها ، وقد يسمح الزوج لها فى حياته أن ترثه بعد موته وقد لا يسمح .

٧ ـ وكانت المرأة فى كل أطوار حياتها تحت رقابة رجل ، فإذا كانت بنتا ففى رقابة أبيها أو أخيها ، وإذا كانت زوجة ففى رقابة زوجها أو ابنها بعد وفاة الزوج ، ولم يكن لها الحق فى التصرف فى أموالها بغير رضى هذا الولى أو الرقيب .

٨ ـ وكان لها فى بعض الأحيان شأن ومكانة ولكنها أحيان قليلة ، تنحصر فى أن لها حق التملك والميراث إن ورّثها زوجها ، وأنها سيدة المنزل ولها على أبنائها احترام .

فإذا كانت المرأة زوجة لكاهن ثم ماتت فإن هذا الكاهن يحرم من منصبه الدينى .

ومعنى ذلك أن المرأة فى الحضارة الرومانية فى عهد الجمهورية الأولى وعهد الرواقيين ، لم تكن تختلف عن المرأة فى ظل الحضارة اليونانية إلا اختلافا قليلا ، وأنها على وجه العموم كانت المخلوق الأقل والأذل الذى يباع ويشترى كما يباع المتاع ويشترى .

وأما مكانة المرأة فى عهد الأبيقوريين ، فيمكن أن نتعرف عليها من خلال النقاط التالية :

١ ــ كان من حق الزوج إذا ولدت له أنثى أن يقتلها ، وكذلك إن ولد له طفل مشوه ، وكان الأب صاحب السلطة فى الأسرة وحده ، ولا تشاركه زوجته فى شىء من هذه السلطة .

٢ ــ وكان من حق الأب أن يبيع أبناءه بيع الرقيق ، وبخاصة البنات منهم لسبب أو لغير سبب ، وكثيرا ما كان ينتقل هذا الحق فى السيادة على الأسرة من الوالد ــ بعد موته ــ إلى أكبر ذكر من أبنائه سنا .

٣ ــ وكانت النظم الاجتماعية تتغاضى عن اتصال الرجال بالعاهرات ، وكانت العهارة مهنة ينظمها القانون ؛ فهناك تسجيل لأسماء العاهرات وهناك التزام بأجور زهيدة على العهارة حتى لا يعجز عنها أحد مهما كان من طبقة فقيرة .

٤ ــ وكان دون العهارة عمل طائفة من النساء وتختص بإنشاد الشعر والغناء والموسيقى والرقص والأحاديث المسلية ــ تشبه طائفة الرفيقات فى اليونان ــ وكان الشباب يلتقون مع هؤلاء النساء عند المعابد ، أو فى حلبات المصارعة ، فيتسلون بما تقدمه هذه الطائفة من النساء .

ولم يكن عدد هذه الطائفة قليلا ، فقد قال أحد مؤرخيهم عن هذه الطائفة : « لسن أقل عددا من النجوم » .

٥ ــ وكان اللواط شائعا بين الذكور ولا يرى المجتمع فى ذلك عارا ولا مسبة ، وقد ترتب على إباحة اللواط قصور فى الزواج ومنافسة بينه وبين اللواط ، فكان من نتيجة ذلك أن أعطى المجتمع للفتاة الحق فى أن تحصل على زوج مؤقت ولا لوم عليها فى ذلك .

٦ ــ وكان الزنا شائعا فى المجتمع ، وهناك تهاون فى الخيانة الزوجية ، حتى انتشر الزنا بين المتزوجات على نطاق واسع وأصبح للزوجة عدد من العشاق مع استمرارها فى حياتها الزوجية ، حتى إن بعضهم كان يقول : « إن المرأة التى تقنع بعاشقين اثنين فقط مع زوجها تعد آية فى الإخلاص لزوجها » .

وكان العرف السائد أن الرجل الذى يغضبه أن تكون لزوجته صلات غرامية بعشاقها ، يعد متخلفا غير متحضر .

٧ ـ وكانت المرأة على الرغم من كل ذلك تتمتع بشيء من الحرية فى ممارسة كثير من الأعمال ، كممارسة العهارة إن كانت بنتا ، وممارسة الزنا إن كانت زوجة ، وممارسة الغناء والرقص للشبان إن كانت دون هذه المنزلة ، وممارسة الزواج المؤقت ، كل ذلك من الناحية الأخلاقية .

ومن غير ذلك من النواحى كانت أحيانا ترث زوجها ولها حق البيع والشراء فى بعض الأحيان .

أما روما النصرانية فسوف نتحدث عنها ونحن نتحدث عن المرأة فى ظل الحضارة المسيحية بإذن الله .

ثامنا : المرأة فى ظل حضارة اليهود

ليس لليهود حضارة تقارب فضلا عن أن تساوى الحضارات التى سبقتها فى الزمان ولا التى لحقتها بعد ذلك ، فمن الصعوبة مقارنة حضارتهم بحضارة مصر القديمة ولا بحضارة بابل ولا آشور ولا اليونان ولا الرومان ، وربما كان السبب فى ذلك أن تلك الحضارات كان لها رقعة فسيحة من الأرض ولها استقرار على هذه الرقعة ، بينما اليهود عاشوا يوم عاشوا فى بقعة ضيقة من الأرض لا تزيد مساحتها عن مائة وخمسين ميلا فى الطول وتتراوح ما بين خمسة وعشرين إلى ثمانين ميلا فى العرض ، ولم يستقروا فيها وإنما تعرضوا ــ لأسباب عديدة ــ للطرد والتشتيت ، وربما كان من الأسباب أنهم رغبوا فى أن يذوبوا فى الحضارات المجاورة لهم .

والأصل فى القيم السائدة عند اليهود أن تكون نابعة من التوراة وهى كتاب الله الذى أوحى به إلى موسى عليه الصلاة والسلام ، ولكن اليهود حرفوا هذه التوراة يقينا ، بدليل ما فيها من أوصاف لا تليق بالرب ولا تليق بالأنبياء ــ أنبيائهم هم ــ وما فيها من قيم أخلاقية لا يمكن أن تكون من عند الله لما تتضمنه من إضمار الشر لغير اليهود .

وقد سمينا ما عندهم حضارة على سبيل التجاوز والمقاربة ، وقد حاولت أن ألتمس موقف هذه الحضارة من المرأة فى النقاط التالية :

١ ــ نظرت هذه الحضارة إلى الأسرة على أنها نظام اقتصادى وسياسى أكثر من كونه نظامًا اجتماعيا .

وقد تمثلت هذه النظرة فى أن يكون أكبر رجل متزوج فى الأسرة هو سيدها ويتبعه ويخضع لسيادته زوجته أو زوجاته ، وأبناؤه المتزوجون وزوجاتهم وأبناؤه غير المتزوجين وأحفاده ، وعبيده إن كان له عبيد . والنظرة الاقتصادية تتمثل فى أن كل هذا العدد يعمل بزراعة الأرض ، والنظرة السياسية للأسرة تمثلت فى اعتبار هذه الوحدة الأسرية كيانا متكاملا أغنى الدولة ، فقد كان رب الأسرة هو الدولة المصغرة ، وكان أى واحد من أبنائه لا يستطيع أن يبقى على قيد الحياة إلا إذا أطاعه ، وكان له حق بيع ابنته قبل أن تبلغ مبلغ الفساد لتصير جارية .

٢ - وكان الأب يزوج ابنته لمن يشاء دون رضاها ، وفى أحيان قليلة كان يطلب منها أن ترضى بزوج مّا ، فلا يسعها إلا الطاعة أو تفقد حياتها إن عصته .

٣ _ وكانت الزوجة خاضعة للزوج ، كما جاء فى توراتهم : « ستكون رغبتك لزوجك ، وسيكون له الحكم عليك » فى خطاب الرب للزوجة ، وكان النظام أولا أن ينتقل الزوج إلى بيت زوجته ، ثم تغير فأعطى للزوج كل هذه السيطرة على الزوجة .

٤ _ وكانت العزوبة جريمة وخطيئة ، والزواج إجباريا بعد سن العشرين ، وكان هذا النظام مطبقا على الكهنة أيضا .

٥ _ والمرأة العاقر أو المرأة العذراء تزدرى أشد أنواع الازدراء ، إذ كيف تبلغ مبلغ النساء ولا تتزوج ، وكيف تتزوج ولا تلد !!!

٦ _ وكان الإجهاض كتحديد النسل من أبشع الجرائم بل من أفعال الكفرة التى تغضب الرب .

وقد ورد ذلك كله فى الوصية الخامسة من وصايا النبى موسى عليه الصلاة والسلام [١٩] .

٧ _ وكان على الفتاة أن تثبت عذريتها يوم زواجها وإلا رجمت حتى الموت .

٨ _ وكان الزنا منتشر بين اليهود ، وكذلك انتشر اللواط بينهم .

٩ _ ولم يكن القانون يحرم الاتصال بالعاهرات الأجنبيّات .

١٠_ وكان عدد العاهرات كبيرا حتى كان الهيكل نفسه أيام المكابيين ماخورا للفسق والفجور ، كما جاء ذلك فى أوصاف بعض المصلحين .

١١_ وكان الزواج فى غالب الأحيان يتم عن طريق الشراء ، وأحيانا عن طريق الخطف .

١٢_ وكان الزواج من السبايا أمرا شائعا .

١٣_ وكان يطلق على المرأة المتزوجة اسم « بولة » أى المملوكة لزوجها يفعل بها ما يشاء .

١٤_ وكان من المحتم على الأخ أن يتزوّج أرملة أخيه إذا مات عنها زوجها ، مهما كان عدد زوجاته ، فإن لم يكن للميت أخ كان ذلك محتما على أقرب أقربائه إليه .

---

(١٩) ول ديورانت : قصة الحضارة : ٢ / ٣٧٤ .

١٥ ـ وكان الطلاق من حق الرجل وحده ، كما كان من اشق الامور على المرأة .

١٦ ـ وكانت نظرة اليهود العامة للمرأة على أنها متاع للرجل وملك له .

وقد جاء وصف المرأة المثالية فى التوراة ـ أى الزوجة ـ التى بأيديهم اليوم ، وعلى الرغم من أنهم يعتبرونها مثالية فإنها مهضومة الحق لا تعدو مكانتها أن تكون كمكانة الخادم .

تقول التوراة فى ذلك : « امرأة فاضلة من يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ ،

بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة ،

تصنع له خيرا لا شرا كل أيام حياتها ،

تطلب صوفا وكتانا وتشتغل بيدين راضيتين ،

هى كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد ،

وتقوم إذ الليل بَعْدُ وتعطى أكلا لأهل بيتها وفريضة لفتياتها ،

تتأمل حقلا فتأخذه ، وبثمر يديها تغرس كرما ،

تُنطّق حقويها بالقوة وتشدّد ذراعيها ،

تشعر أن تجارتها جيدة ،

سراجها لا ينطفئ فى الليل ،

تمد يديها إلى المغزل ، وتمسك كفاها بالفَلْكة ،

تبسط كفيها للفقير ، وتمد يديها إلى المسكين ،

لا تخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لا بسون حُللا ،

تعمل لنفسها موشيات لبسها بوص وأرجوان ،

زوجها معروف فى الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض ،

تصنع قمصانا وتبيعها ، وتعرض مناطق على الكنعانى ،

العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتى ،

تفتح فمها بالحكمة ، وفى لسانها سُنَّة المعروف ،

تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل ،

يقوم أولادها ويطوبونها ، زوجها أيضا فيمدحها ،

بنات كثيرات عملن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعا ،

الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح ،

أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب »[٢٠]

---

(٢٠) العهد القديم : سفر الأمثال : الإصحاح الحادى والثلاثون ، ط العربية ١٩٥٠ م القاهرة .

تاسعا : المرأة فى الحضارة المسيحية

تأثرت الحضارة المسيحية بما سبقها من الحضارات تأثراً شديدا وأحيانا تأثراً مباشرا ، حتى إن تلك الحضارات الوثنية قد استطاعت أن تنفذ بوثنيتها إلى الحضارة المسيحية ، وذلك مثل عقيدة الخطيئة الأولى فى اللاهوت المسيحى ، فهى ليست بعيدة كثيرا عن النظرية الهندية الوثنية التى تقول : « إن الصالحين يقاسون الآلام فى هذه الحياة ؛ لأن أسلافهم ارتكبوا الإثم » .

والمسيحية تقول : « كل آدمى ولد نتيجة لاتصال الرجل بالمرأة يولد ملوثا بالخطيئة الأولى ، معرضا للعقوق والموت ، ولهذا فهو طفل مغضوب عليه ... ولا ينقذ الإنسان من العنف والشهوة والشر وينجيه هو والمجتمع الذى يعيش فيه من الهلاك إلا المثل الذى ضربه المسيح الشهيد فى الوداعة ودماثة الخلق » .

تلك مقولة جراتيان فى كتاب القرار الذى اتخذته الكنيسة سنة ١١٥٠ م بصفة غير رسمية جزءا من تعاليمها .

ونستطيع أن نتبين مكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة من خلال تلك النقاط التى جمعناها من قراءتنا فى هذه الحضارة فى أكثر من كتاب وإن كان أهمها كتاب قصة الحضارة الذى أكثرنا من الاطلاع عليه ومن الوقوف طويلا أمام ما سجله هذا الكاتب الأمريكى المعاصر .

وتلك النقاط هى :

١ ـ كانت العلاقات الجنسية غير المشروعة قبل الزواج منتشرة بين الناس انتشارها فى أى وقت آخر ، دون تأثر بأن المسيحية حرمت الزنا .

٢ ـ وكان بعض النساء يعتقدن أن التقوى والتورع آخر يوم فى الأسبوع يكفى فى غسل أخطاء جميع أيام الأسبوع بل يكفر عن كل ما قمن به من أعمال غير مقبولة .

٣ ـ وكان اغتصاب النساء شائعا وكان المغتصبون مسيحيين وكذلك المغتصبات ، ولم تكن عملية الاغتصاب من الجرائم التى تستوجب تعقب المغتصب ، وإنما كانت تقابل

بعدم الاهتمام من جانب أولياء المغتصبة .

٤ ـ وكان الفرسان يخدمون النساء أو الفتيات الكريمات المولد والعائلة نظير قبلة أو لمسة من أيديهن ، ولكن هؤلاء الفرسان لم يكونوا يكتفون بالقبلة واللمسة ، وإنما كانوا يسلون أنفسهم بعلاقات جنسية مع خادمات هؤلاء السيدات ، بل كانت هذه الفتيات والسيدات الكريمات لا يستطعن أن ينمن مستريحات إلا إذا هيأن بأنفسهن هذا اللقاء مع فرسانهن وخادماتهن !!!

٥ ـ وكان الفسق شائعا حتى فى الكنائس ، بل على المذبح نفسه يحكى ذلك أحد الكتاب ، فيقول آسفا : « إن ملكتين استمتعتا ببهجتهن الآثمة وبلذتهن داخل الكنيسة فى أثناء الصلاة المقدسة فى يوم خميس الصعود أثناء الصيام » .

ويصف كاتب آخر هو « وليام المالمزبرى »WILLIAM OF MOLMSBURY أشراف النومان بأنهم منهمكون فى البطنة والدعارة وأنهم يتبادلون العشيقات خشية أن يضعف الوفاء حدة الشهوة !!!

٦ ـ وكان الأطفال غير الشرعيين منتشرين فى جميع أنحاء العالم المسيحى ، وكان أبناء الزنا أبطال عدد من القصص مثل : كوشولان ، وآرثر ، وجادبن ورولان ، ووليم الفاتح وكثيرون غيرهم .

٧ ـ وكان بعض النساء الذاهبات إلى الحج يكسبن نفقة الطريق ـ كما يقول الأسقف بنيغاس ـ ببيع أجسادهن فى المدن القائمة فى طريقهن ، وكان كل جيش يتجه إلى مكان حرب يتعقبه جيش آخر من العاهرات ؛ سجل ذلك القديس أوغسطين حيث يقول : «إذا منعت العاهرات والمواخير اضطربت الدنيا من شدة الشبق » وقد وافقه على ذلك القديس « توماس أكونياس » توما الأكوينى كما ننطقه نحن أبناء اللغة العربية .

وكانت الكنيسة تظهر مزيدا من العطف على العاهرات ، وتقيم ملاجئ خاصة للتائبات منهن .

٨ ـ وكان الزواج يعتبر عملا من الأعمال المالية ، وكانت الكنيسة ترى أن رضا الوالدين أو الأوصياء غير ضرورى لصحة الزواج مادام الزوجان قد بلغا سن الرشد ، كان ذلك فى فترة غير قصيرة من الزمن ثم غيرت الكنيسة موقفها من الزواج فيما بعد

على النحو الذى نبينه فى النقطة التالية .

٩ ـ رفعت الكنيسة من شأن الزواج فأوصلته إلى مقام القداسة وجعلته ميثاقا مقدسا بين الرجل والمرأة والله ، ووضعت له قانونا يجرم الزواج فى الحالات التالية :

أ ـ إذا كان أحد الزوجين مقيدا برباط زواج سابق .

ب ـ وإذا كان أحد الزوجين قد نذر أن يظل بغير زواج .

جـ ـ وإذا كان أحد الزوجين لم يُعمَّد .

د ـ وإذا كان بين الزوجين قرابة تصل إلى الدرجة الرابعة ، بمعنى ألا يكون بين الزوجين جد مشترك حتى أربعة أجيال .

كما وضعت الكنيسة للطلاق قانونا فمنعته إلا فى ظروف الزنا من الزوجة ، فإن زنت حق لزوجها أن يطلقها وأخذت الكنيسة على ذلك أجرا .

١٠ـ وكان اللقطاء كثيرين ـ تبعا لكل هذا الخلل فى العلاقات الجنسية ـ وكانت الكنيسة ترعى هؤلاء اللقطاء ليكونوا عبيدا فى الأرض التى تمكلها الكنيسة ـ وما أكثر ما كانت تملك ـ .

كما أصدر « شارلمان » قانونا ، يقضى بأن الأطفال الذين يتخلص منهم ذووهم بإلقائهم فى الخلاء يكونون ملكا لمن ينقذهم ويربيهم ملكية رق وعبودية .

١١ـ وكانت المرأة فى نظر القساوسة ورجال الدين عندهم كما يقولون : « شرا لا بد منه ، وإغواء طبيعياً ، وكارثة مرغوبا فيها ، وخطرا منزلياً ، وفتنة مهلكة ، وشرا عليه طلاء » إلى آخر ما وصفت به من أوصاف لا تخرج إلا من عقول تافهة ونفوس عاجزة مريضة ، إذ كيف توصف بذلك وهى شقيقة للرجل وطرف رئيسى فى إعمار الكون كله !!!

١٢ـ وكانت القوانين المدنية أشد قسوة وضراوة على المرأة من قانون الكنيسة ، إذ كانت تلك القوانين جائرة بالنسبة للمرأة تجيز فى حقها ما يلى مما هو انتقاص لحريتها وكرامتها بل ولآدميتها نفسها ، وعلى سبيل المثال فقد أقر القانون المدنى بالنسبة للمرأة ما يلى :

أ ـ يجوز ضربها وعقابها من الزوج حسب تقديره هو .

ب - ولا يجوز أن تحضر إلى المحكمة ولا أن تقول فيها كلمة ، ولا أن تسمع إطلاقا أو يؤخذ بما قالت لأى سبب .

جـ - ولايجوز للمرأة - مهما كانت من أرقى النساء مولدا - أن تمثل ضياعها - لو كانت لها ضيعة أو ضياع - فى برلمان انجلترا ، أو فى الجمعية العامة للطبقات فى فرنسا .

د - والزواج يعطى الزوج كامل الحق فى الانتفاع بكل ما لزوجته من متاع أو مال أو غيره فى وقت الزواج ، وله أن يتصرف فى ربعه كما يحلو له ، رضيت بذلك أو لم ترض - وذلك يعد إهدارا لملكيتها ولحقها فى التصرف فيها مادامت زوجة !!!

هـ - وكان النظام يحتم على المرأة أن تقوم وحدها بكافة الأعمال المنزلية على وجه الإلزام ، حتى إن تقصيرها فى ذلك كان يعد من مبررات الطلاق أحيانا .

و - وكان النظام ينتقص حق المرأة فى الأجر عن العمل عندما تعمل نفس العمل الذى يقوم به الرجل .

١٣ - وكان تمييز الرجل على المرأة بغير مقتض هو الأصل المعمول به فى ظل القانون المدنى المسيحى ، يعبر عن ذلك توماس أكونياس فى قوله :

« إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معا .

والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاه .

وقد فرض الخضوع على المرأة عملا بقانون الطبيعة ، أما العبد فليس كذلك .

ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم » .

هذه كلمات قديس منهم له مكانته الدينية والإصلاحية .

هكذا كانت مكانة المرأة فى ظل الحضارة المسيحية ، وهى مكانة تغنينا عن أى تعليق وبخاصة إذا تذكرنا كلمة واحدة فقط من كلمات الإسلام التى جاءت على لسان المعصوم ﷺ عندما يقول : « هن شقائق الرجال » وسوف نشرح مكانتها فى الإسلام فيما بعد بإذن الله .

عاشرا : المرأة فى حضارة الجزيرة العربية « قبل الإسلام »

كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام مجتمعا له كل مقومات المجتمع من نظم وعادات وأعراف ومظاهر حضارية متعددة ، أقول هذا لأرد على أولئك الذين يتهمون المجتمع الجاهلى بأنه مجتمع بداوة وتوحش ممن يريدون بذلك أن يسيئوا إلى المجتمع الجاهلى أو إلى الإسلام الذى نزل كتابه على هذا المجتمع وبلغته ، ليتخذ من هذا المجتمع ومن لغته دعاة إلى الإسلام يتحركون فى كل مكان .

هذا المجتمع الجاهلى كانت الأسرة فيه نواة له ، ثم تتسع هذه النواة فتسمى العشيرة ثم القبيلة وهكذا .

وكان العرب يعيشون حياة فيها تقدير شديد للعلاقات الاجتماعية سلبا أو إيجابا ، حربا وتحالفا ، ووأداً للبنات واعتزازاً بالذرية .

وكان للمرأة فى ظل هذه الحضارة مكانة مختلفة بعض الاختلاف عن مكانتها فى الحضارات الأخرى ومختلفة تماما عن مكانة المرأة فى ظل الحضارة الإسلامية ـ على نحو ما سوف نبينه بإذن الله فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

ونستطيع أن نتبين فى حضارة العرب مكانة المرأة فى النقاط التالية :

١ ـ كان للمرأة عند العرب مكانة تناسب ما يسود المجتمع من قيم ، فهم كانوا يعزون المرأة إذا كانت أمّا فيرتفع قدرها ، حتى ينتسب الرجال إلى أمهاتهم وبخاصة إذا كن من عظيمات النساء ، فكم من قبيلة كانت تنسب إلى امرأة مثل :

* باهلة نسبة إلى أمهم باهلة بنت ضب بن سعد العشيرة .

* وخندف نسبة إلى أمهم خندف واسمها ليلى بنت حلوان من قضاعة وزوجة إلياس بن مضر .

* وكذلك الشأن فى : بجيلة ، وطهية وغير ذلك ، وكله تكريم للمرأة المنجبة واعتزاز بشأنها .

٢ ـ وكان بعض قبائل العرب يضيق بالبنات ويئدهن ـ كما فعل أقوام غير العرب كما أوضحنا آنفا ـ ولم يكن الوأد شائعا فى العرب وإنما كان مقصورا على قبائل بعينها .

٣ ـ وكان كثير من العرب يقتصر فى زواجه على زوجة واحدة ، بل كان بعض الآباء يشرطون على من يتزوج بناتهم ألا يجمع معها زوجة أخرى ، ولكن كان منهم من كان يعدد الزوجات ، حتى أن عروة بن مسعود كان عنده عشر نساء قبل إسلامه ، فلما أسلم أمسك أربعا ونزل عن ست منهن .

٤ ـ وكان للزواج نظام فى الجاهلية خاص بهم ، حدثت عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنواع :

أ ـ فنكاح منها : نكاح الناس اليوم ـ فى الإسلام ـ يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

ب ـ ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ، فإذا تبين حملها أصابها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ـ إذ غالبا ما يكون الرجل المستبضع منه ذا صفات جيدة ـ .

جـ ـ ونكاح آخر : يجتمع الرهط من الرجال دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم ، إننى ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، وتسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع الرجل .

د ـ والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما لمن أرادهن ليدخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودَعَوْا لها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون ، فالتاطته به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم »[٢١] .

---

(٢١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى : ٤ / ١٥٨ .

٥ ـ وكان أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام يحرمون الزواج من الأم والبنت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت إلى آخر ما حرم الدين الإسلامى ، باستثناء نوعين من الزواج حرمهما الإسلام وأباحهما عرب الجاهلية وهما :

أ ـ زواج امرأة الأب بعد وفاته ،

ب ـ والجمع بين الأختين .

٦ ـ وكان الطلاق معروفا عندهم ، بل كان الإسراف فى الطلاق ظاهرة ليست بالقليلة ، فقد كانوا يطلقون ويراجعون مرات ومرات ، حتى عدّل الإسلام هذه الإضرار بالمرأة على النحو الذى تتحدث عنه الآية الكريمة : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾(٢٢) مما سنبينه فى الباب الثانى من هذا الكتاب بإذن الله .

٧ ـ وكان بعض العرب يعضلون المرأة أو يمنعونها من العودة إلى زوجها ، فحرم الإسلام ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾(٢٣) وكان الابن يعضل زوجة أبيه بعد موت أبيه .

٨ ـ وكان من نساء العرب من يغنين ويرقصن فى بيوتهن ، وأحيانا يغنين فى المعارك تشجيعاً للمقاتلين على القتال .

وفى هذا إضرار بالمرأة بالغ ، منعه الإسلام ونها عنه ؛ لأنه مما حرم .

وكانت بعض النساء تحترف الغناء والرقص ،

وكان بعضهن يحترفن البغاء .

وكانت المغنية تسمى قَيْنَة ، وكان ذلك فى الغالب من عمل الإماء لا الحرائر ، كما كان البغاء معظمه فى الإماء كذلك .

تلك مكانة المرأة فى ظل الحضارة العربية قبل الإسلام وهى مكانة أقل كثيرا مما تمتعت به المرأة فى الإسلام على نحو ما سنبين بإذن الله تعالى .

---

(٢٢) سورة البقرة : ٢٩٩ .

(٢٣) سورة البقرة : ٢٣٢ .

الفصل الثانى

المرأة فى الحضارات الحديثة

أولا : المرأة فى ظل الحضارة الغربية

تقوم الحضارة الغربية المعاصرة على فلسفة ، بعضها دهرى إلحادى ، وبعضها مادى حسى ، وبعضها إباحى لا أخلاقى ، وكل ما فيها نفعى يبرر أى وسيلة للحصول على المنفعة ، وذلك منذ أكثر من خمسة قرون مضت ، أى منذ القرن الخامس عشر الميلادى .

ليس هذا قولنا نحن المسلمين ، ولا هى دعوانا ضدهم ، وإنما تلك مقولة كتب التاريخ التى سجلت حضارة الغرب بأقلام الغربيين أنفسهم من مؤرخين واجتماعيين وسياسيين واقتصاديين .

ولعل كتاب قصة الحضارة الذى ألفه الغربى الأمريكى « ول ديورانت » ـ وهو أوسع كتب الحضارة ـ خير كتاب يؤكد ما قدمناه .

والحضارة الغربية بهذه الفلسفة التى ذكرنا ، كان لا بد لها أن تصطدم مع الكنيسة ، بل مع كل دين يرفض الإلحاد والإباحية ـ وبغض النظر عن أن الكنيسة نفسها قد انحرفت عن صحيح الدين وأساءت استغلال الناس باسمه ـ فإن هذه الفلسفة كان لابد أن تصطدم مع الكنيسة ، حتى لو بقيت الكنيسة متمسكة بصحيح الدين ، وغير مستغلة للناس باسمه ، وغير متجرة فى صكوك الغفران وصكوك الحرمان ، وغير متحولة إلى إقطاع يملك الأرض ويحول من عليها من بشر إلى عبيد لهذه الأرض .

كان لابد من هذا الصراع وهذا التعادى لأسباب كثيرة ليس هنا مجال تفصيل الكلام فيها .

وقد بدأ الصراع أولا بين دعاة الحرية ـ حرية الفكر ـ وقادة الكنيسة ، وكان يمكن أن تخبو حدة هـذا الصراع لولا أن الكنيسة تشبثت تمامـا بالتعامل بقسوة مع كل مخالف لها ، بل مع كل صاحب فكر جديد حتى ولو كان فكره صحيحا ، خوفا على نفسها من أن تجرفها موجة الجديد ، الأمر الذى جعل الدين نفسه لا الكنيسة وحدها رمزا للقهر

والقمع ومعاداة الحرية فى نظر معظم الناس إن لم نقل جميع الناس .

ولقد كان من نتيجة ذلك أن أخذ المفكرون يشقون لأفكارهم طرقا ، أهم ما يشترط فيها أن تكون بعيدة تماما عن الدين وآدابه وقيمه ، إذ أساءت الكنيسة إلى الدين نفسه فى مواقفها تلك من الناس .

ولعل ذلك هو الذى جعل فلسفة الحضارة الغربية فى تلك القرون الخمسة تتجه إلى الإلحادية الدهرية والمادية والإباحية ضيقا بالدين وبالكنيسة معا ورجال الكنيسة .

وليس هذا الذى نقول دعوى ينقصها الدليل والبرهان ، وإنما نستطيع أن نؤكد أن هذه الحضارة فى تلك الحقبة قامت فلسفتها على نفى وجود الله سبحانه ، بسرد أسماء عدد من كبار ومشاهير مفكرى القرن الثامن عشر الميلادى ، وهم :

١ ـ داود هارتلى (DAVID HARTLEY) ،

٢ ـ وفولتير (VOLTAIR) ،

٣ ـ وروسو (ROUSSEO) ،

٤ ـ ومونتسكو (MONTESQUIEU) ،

٥ ـ وديدينس ديدرو (DENIS DIDERO) ،

وغيرهم من الأقل شهرة ، وقد أدى هذا إلى شيوع الفكر الملحد الذى ينفى وجود الخالق سبحانه ولا يؤمن إلا بما هو مادى ملموس .

فلما كان القرن التاسع عشر الميلادى زادت موجة الإلحاد عنفا ، وملأت عقول الناس خللاً واضطرابا ، وبلغت هذه الموجة منتهاها حينما أنكر مفكرو هذا القرن كل شىء خلا المادة .

ونستطيع أن نذكر من كبار المفكرين ومشاهيرهم فى هذا القرن عددا آخر ، زاد خطرهم عمن سبقوهم ، وهم :

١ ـ فوجت (VOGT) ،

٢ ـ وبوخنر (BOCHNER) ،

٣ ـ ووزلبى (CXALBI) ،

٤ ـ ومل (MILL) ،

٥ ـ وسبنسر (SPENCER) ،

الذى زعم أن هذا الكون لا خالق له ، وأن الحياة ظهرت تلقائيا .

٦ ـ وداروِن (DARWIN) ،

صاحب نظرية أصل الأنواع التى قامت أساسا على فكرة نفى الخالق وأن الكون حدث تلقائيا كذلك .

وإذا كان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر هما قرنا الدهرية والإلحاد فى الجانب الفكرى ، فإنهما فى الجانب السياسى كانا قرنى التسلط وبسط نفوذ هذا الغرب الدهرى الملحد بقوته وعتاده على دول المسلمين وممالكهم فى العالم الإسلامى كله ، أى أن هذين القرنين من وجهة نظر المسلمين هما قرنا التراجع الحضارى والانتكاس السياسى ، والوقوع فى براثن الدول الغربية المحتلة لبلاد المسلمين احتلالا عسكريا أو فكريا ثقافيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا .

فلقد احتل الغرب معظم بلاد المسلمين شرقا وغربا وشدد قبضته عليها ، وفرض سيطرته العسكرية والسياسية والفكرية والثقافية ، مما أفسد على أبناء العالم الإسلامى أسلوب تعليمهم ، وحمل كثيرين منهم على أن يذهبوا للغرب أويحضر إليهم نظام التعليم فى الغرب فى بلادهم فيفتتنوا بهذا التعليم لوقوعهم فى أسر أصحابه ، وكان من نتيجة هذا الافتتان أن تبنوا الأفكار الغربية فيما يتصل بالدين نفسه ، فرددوا ـ ذاهلين عن الحق ـ ما يردده الغرب بالنسبة للدين المسيحى ، من قولهم : إن الدين لا يتفق مع العلم والفكر ...

فأخذوا يهاجمون الإسلام كما هوجمت المسيحية والكنيسة ورجالها هناك ، وإن أدنى تأمل فى الإسلام ، مبادئه وقيمه ، فضلا عن منهجه ونظامه ليؤكد لكل ذى بصر أنه دين العلم والمعرفة وحرية الفكر ، وأنه دين ليس فيه كنيسة تتحكم باسمه فى رقاب الناس ، وليس فيه رجال كهنوت يسيئون استغلال الدين فى ظلم الناس أو بيع صكوك الغفران لهم .

إن الذين رأوا فى الإسلام مثل مارأى بعض المسيحيين فى المسيحية غافلون منبهرون بحضارة المحتل الغالب المتحكم فى بلاد المسلمين ، حتى إن هؤلاء المهاجمين ـ على غير علم بالإسلام ـ أصبحوا اليوم ظاهرة من الظواهر جديرة بالتأمل والدراسة إذ يهاجمون

الإسلام ـ دين التقدم والرقى ـ باسم التقدم العلمى وحرية الفكر ، كأن الإسلام دين رجعية وقهر للفكر !!!

وإن الحركات الإسلامية الإصلاحية المعاصرة ، لتجعل من بين أهم أهدافها أن يكون من بين المسلمين علماء أفذاذ فى كل مجال من مجالات العلم والمعرفة ، حتى يستعيد المسلمون المعاصرون مكانهم الحضارى فى الحياة ويأخذوا طريقهم نحو التخلص من الفتنة بالغرب وحضارته ، لا بالزراية بهذه الحضارة ـ وإن كان كثير مما فيها مما يتصل بالقيم الأخلاقية يستحق الزراية ـ ولكن بالاستفادة مما هو جيد من تلك الحضارة ـ فى غير مجالات العقيدة والفكر والأخلاق والآداب ـ ثم الانطلاق من حيث انتهت هذه الحضارة ، كما فعل أهل الغرب أنفسهم مع حضارتنا الإسلامية فى موجة مدها التى استمرت عددا من القرون ، إذ أخذوا ما فيها من العلم وبنوا عليه ، وذلك أمر لا يعيب أحدا ولا يعاب على أحد ، لأن التراث الإنسانى ملك للإنسانية كلها وبخاصة فى مجال العلم .

كما أن الحركات الإصلاحية الإسلامية المعاصرة ترى أن يتحرر علماء المسلمين ومفكروهم فى هذا العصر من أن تسيطر عليهم اجتهادات المسلمين الأوائل فى عصور وبيئات تختلف كثيرا ـ بل تماما ـ عن العصر والبيئة اليوم ، لأن الاجتهادات أيا من كان القائمون بها إنما تلزم بيئة من اجتهد وعصره ، وقلما تصلح فى بيئات وعصور أخرى .

فإذا تحرر علماء الإسلام ومفكروه من ذلك ، وجب عليهم أن يجتهدوا فيما لانص فيه ليرسموا لعصرهم وبيئاتهم تصورات إسلامية صحيحة ونافعة لهم فى دنياهم وآخرتهم .

ومن فضل الله على الإسلام والمسلمين أن جعل باب الاجتهاد مفتوحا لأهل القدرة عليه إلى يوم الدين فى كل أمر ليس فيه نص من نصوص الإسلام ، وإن ذلك ليمثل للمسلمين اليوم فرصة جيدة لانتشال بعض الناس الذين سقطوا فى إلحاد الحضارة الغربية وحربها للدين وإباحيتها . . .

ونعود إلى صميم موضوعنا فى الحديث عن الحضارة الغربية المعاصرة وهو مكان المرأة فى هذه الحضارة ، إذ لابد أن يكون لها فى هذه الحضارة مكان ومكانة .

إن المرأة فى ظل الحضارة الغربية نالها ما نال الرجل من إلحاد ودهرية ومادية وإباحية ، فى كل مكان تحتله المرأة فى المجتمع بنتا أو أختا أو زوجة أو أمّا أو غير ذلك من مواقعها فى المجتمع .

وسوف نحاول أن نرصد فى الكلمات التالية ما أصاب المرأة فى كل هذه الحضارة على النحو التالى :

١ ـ مكانها من الإلحاد :

الإلحاد ميل عن الحق ، وهو يعنى الشرك بالله سبحانه ، ومن أشرك مع الله معبودا آخر من أى نوع إنسانا كان أو شيئا أو هوى ، فقد عرض نفسه وأخلاقه وسلوكه لخلل بالغ واضطراب كبير ؛ لأن التوحيد يهدى النفس والسلوك الإنسانى إلى أقوم الطرق وأحسن الأخلاق .

وهكذا كانت المرأة الغربية فى ظل تلك الحضارة ، أشركت بالله فاتخذت معه آلهة أخرى فهى ـ إذا أحسنا بها الظن ـ قد عبدت المال والجاه والشهرة فانطلقت من عقالها وانعتقت بذلك من إنسانيتها إلى حيوانية تشبع البطن والفرج ولا تلوى على شىء ، فما بالنا بها وهى فى الواقع لا تعبد الله إطلاقا بل ولا تعترف بوجوده ؟

٢ ـ ومكانها من الدهرية :

الدهرية تعنى نسبة كل الأحداث إلى الدهر ـ أي الزمن ـ ونفى وجود الخالق سبحانه ، فضلا عن نفى خلقه للعالم ، وذلك ما نادى به : سبنسر وأمثاله كما ذكرنا آنفا .

ولم تكن هذه الدهرية مقصورة على الرجال وإنما كانت قسمة بين الرجال والنساء ، فالمرأة التى نفت وجود الله الخالق الآمر الناهى المحاسب المعاقب ، ماذا ننتظر منها أن تفعل ؟

إنها تفعل ما يحلو لها دون توجس من عقاب !!!

وإن الذى يحلو لها ـ وفيها فطرة الإنسان وحبه للملذات والشهوات ـ لكثير ، إنها انطلقت كذلك لتشبع شهوات البطن والفرج دون رادع ودون خوف من حساب ، وفى ظل حضارة تزين لها ذلك وتشجعها عليه ، وتصدر القانون الذى يحمى ممارستها لتلك الشهوات دون قيد من خلق أو دين .

والذين يزورون بلاد الغرب يرون هذا رأى العين .

٣ ـ ومكانها من الإباحية :

والإباحية تعنى أن يبيح الإنسان لنفسه أن يفعل ما يريد مادام ذلك يحقق له إشباعا لحاجة من حاجاته . أى أنها تعنى الفسق والفجور عن الأخلاق والقيم والآداب التى تهذب

تحقيق هذه الحاجات وتسن لها من النظم والقوانين ما يفرض عليها نوعا من الانضباط .

والمرأة فى ظل هذه الحضارة لا ينبغى أن تقل عن الرجل فى هذه الإباحية ، لذلك انطلقت تمارس من هذه الإباحية ما تشاء ، ابتداء من العرى ، ومرورا بشرب الخمور وتعاطى المخدرات ، وانتهاء بالزنا والشذوذ ، ومن وراء كل هذه الإباحية قوانين تساند وتعين ، وحكومات تحمى هذا الفسق والفجور ، وتعالج أهم ما ينتج عنه من مشكلات !!!

٤ ـ ومكانها من المادية :

وهذه المادية تعنى تفسير التاريخ والحياة تفسيرا ماديا ، كما تعنى أن المادة هى كل شىء فى الوجود ، وتعنى عدم الاعتراف بغير ما هو مادى فى كل ما يتصل بحياة الإنسان .

ومعنى ذلك أن تتجاهل جانبا هاما من جوانب الإنسان ومكوناته وهو : روحه !!!

ولابد أن نتساءل قائلين : كيف يعيش من لا عناية له بروحه ؟ كيف يعيش من تحرم روحه لذة الإيمان ومن لا تجد غذاء بهذا الإيمان يعينها على الإشراق والصفاء ؟

إن تجاهل المرأة لمتطلبات حياتها الروحية جعلها تعيش أسوأ عيش وقتل فيها معانى البر والولاء والعواطف النبيلة ، وحولها إلى إنسان جاف مادى تستغلق عليه المعنويات والجماليات فى الحياة .

إن المرأة فى الغرب بهذه المادية فقدت عواطف الأمومة والبنوة بل والزوجية ، فكثيرا ما تتجاهل أمها أو ابنتها فى أبسط ما تكلفها الأمومة والبنوة من شىء ، وكثيرا ما تجد الزوج والزوجة يتناولان العشاء فى مطعم فيدفع كل منهما حساب طعامه مع أنهما زوجان !!!

٥ ـ ومكانها فى المجتمع :

إن مكان المرأة فى المجتمع فى ظل هذه الحضارة يمكن أن نلخصه فى كلمات وجيزة :

إذا عملت أكلت ، وإذا لم تعمل جاعت .

وإذا عجزت عن العمل أدخلت دار الإيواء ، مهما يكن لها من زوج أو ولد أوبنت أو حفيد ، فإن أحدا من هؤلاء ليس على استعداد لأن يتحمل الإنفاق على امرأة عاجزة عن العمل .

هى هى المرأة فى ظل حضارة الغرب المعاصرة ، ليست نقلا عن كتاب وإنما هى نقل عن مشاهدة .

ثانيا : المرأة فى الحضارة الشرقية

نعنى بالحضارة الشرقية المعاصرة حضارة الشيوعيين أو الاشتراكيين ، أو أولئك الذين انشقوا على حضارة الغرب ، وعلى الكنيسة غربية أو شرقية وعلى كل دين ، بل حاربوا الأديان والأخلاق ، ولم يروا فى حياة الناس إلا صراعا بين الطبقات وحتميات تأتى نتيجة لهذا الصراع .

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن الشيوعية من حيث العقيدة والمبدأ ، لا تحترم دينا أى دين ولا تعترف به ، بل تحاربه وتحارب أتباعه وتتعقبهم حتى تقضى عليهم ، إن العالم كله شهد إغلاق المساجد والكنائس فى الاتحاد السوفيتى ، الدولة التى تكونت من دول وجنسيات مقهورة مغتصبة مكرهة على أن تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى وأن تكون لبنة فى بنائه ، وإن العالم كله شهد إبادة جماعية فى بعض الأحيان لأعداد كبيرة من أهل الأديان ، ولم يكن ذلك مستغربا من الثورة للشيوعية عام ١٩١٧ م ، فإن من شعاراتها المعادية للأديان : أن الدين أفيون الشعوب وأنه مخدر لها ، هذا هو موقف الشيوعية من حيث العقائد الدينية [٢٤] .

وأما من الناحية الاجتماعية ، فإن الشيوعية تقوم على أساس إلغاء الوحدة الأولى للمجتمع وهى الأسرة ، وتحرير المرأة من أمومتها بإعطائها حق الإجهاض فى مقابل أن الرجل لا يتقيد بمتاعب الحمل ، وحرروها من أنوثتها بإلزامها بالعمل مهما كان شاقا كالرجل سواء بسواء ، وحرروها من أخلاقها بأن اعتبروا ممارستها للزنا حقا تعبر به عن شهواتها الجنسية ، فتحررت بذلك من الزوجية والأمومة ، ثم رعت الدولة أبناء السفاح فحرروا البنين والبنات من رعاية الأسرة وحنو الأبوين .

وأما من الناحية الاقتصادية فإن الشيوعية تقوم على أن ملكية الأرض ومختلف وسائل الإنتاج ليست للأفراد بحال ، وإنما هى للمجتمع أو الدولة أى الحزب الحاكم ورجاله المنتفعين بالحكم على حساب الشعب المطحون فكريا وماديا ومعنويا ، الشعب الذى لا

---

(٢٤) أكتب هذا عن الشيوعية وقد تراجعت اليوم عن مبادئها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وانحسرت عن عديد من بلدانها حتى فى الاتحاد السوفيتى نفسه ، فضلا عن أوربا الشرقية وغيرها من البلاد .

يستطيع أن يعبر عن شيء مما يريد وإلا اعتبر ثورة مضادة وطاردته كلاب الحزب ثم صفى أو رمى بـه فى مجاهل سيبيريا ، لأن الحريـة أو ممارستها حق الحاكم و [illegible] وحـق المنافقيـن له [٢٥] .

الشيوعية تقوم على مبدأ ظالم يناقض الفطرة البشرية ، ويقضى على روح التنافس وعلى الإنتاج والإبداع وهو : « من كلّ بقدر قوته ، ولكل بقدر حاجته » .

وإذا كان الشق الأول من هذا المبدأ « من كل بقدر طاقته أو قوته » مقبولا فى مجال حمل الناس على العمل ليعيشوا ، فإنه يتجاهل تماما أولئك الذين عجزوا عن العمل لأسباب خارجة عن إرادتهم ، فإن الشق الثانى من هذا المبدأ وهو : « لكل بقدر حاجته » ظالم وغير منطقى ومناقض للفطرة البشرية ومتجاهل لأمر جوهرى فى فطرة الإنسان وهو غريزة التملك ، والرغبة فى أن يكون لكل إنسان غَدٌ خير من يومه ، حتى يتفتح أمامه باب الأمل ويبذل من الوقت والجهد والإتقان ما يحقق له هذهِ الرغبة المشروعة .

وأما من الناحية السياسية ، فإن الشيوعية تقوم على نظام « دكتاتورى » استبدادى هو نظام الحزب الواحد الذى بيده كل السلطات ، مهما طنطنوا بأن الحكم للشعب ، إذ الواقع يكذبهم ، ويؤكد أنهم أعداء حرية الرأى وأعداء الرأى المخالف لهم مهما كان صوابا ، بل اعتبار الرأى الآخر جريمة فى حق النظام ، وهو أسلوب فى سياسة الدولة جرها من فشل إلى فشل فى كل مجال من مجالات الحياة ، وأعلن عن فشله بنفسه فى الوقت الذى نعيشه ، العقد الأخير من القرن العشرين .

وإن معظم الدول التى مُنِيَتْ بحكام من الأتباع والأذناب الذين أخذوا بنظام الحزب الواحد تراجعوا فى استخذاء مهين عن هذا الأسلوب الفاشل فى سياسة الناس [٢٦] .

وإذا كانت الشيوعية تقوم على عدد من الأصول أو الشعارات البراقة مثل :

الصراع الحتمى بين الطبقات ،

---

(٢٥) كان عبد الناصر يمارس هذا فى سجونه ومعتقلاته ، وإن عدد الذين قتلوا فى التعذيب لأكثر بكثير ممن حكم عليهم بالإعدام ، وكثيرا ما كان يردد هذا الطاغية أن الحرية للشعب ــ أى الحاكم وأذنابه ــ ولا حرية لأعداء الشعب ، أى كل من كان له رأى من الناس أو عبر عن رأى يخالف شيئا مما يراه الطاغية مشئوم مصر ومبدد ثرواتها ومذل كبرياء رجالها ومدمر القيم الأخلاقية فيها .

(٢٦) كما حدث ذلك فى معظم دول أوربا الشرقية ، وفى بعض بلدان العالم العربى والعالم الإسلامى ، التى كانت قد ارتمت فى أحضان نظام الحزب الواحد المستبد .

والتفسير المادى للتاريخ ،

وملكية الدولة لوسائل الإنتاج ،

وفائض القيمة ،

ومكاسب الشعب ،

والدين مخدر أو أفيون للشعوب ، وغيرها ، فإنها جميعا مبادئ أو شعارات مغلوطة مضللة أثبتت الأيام فشلها وعجزها فى كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية .

وإن الذى يعنينا هنا ـ فى هذا الكتاب ـ هو ما اشتملت عليه الشيوعية من أخلاق وقيم لنعرف من خلاله مكان المرأة ومكانتها فى هذا النظام الشيوعى المتهاوى .

للشيوعية فى الأخلاق مذهب يخصها ، فهى ترى أن المجتمع هو الذى ينشئ الأخلاق لخدمة مصالح الطبقة التى تملك زمام الثروة وتسيطر على وسائل الإنتاج ، وليس عند الشيوعية من خير أو شر إلا ما يرتبط بمصلحة الطبقة الكادحة أو يعارض مصلحتها ، وما عدا ذلك فهو مورد ثابت من مجتمعات دينية كانت تقوم على تسخير الطبقة الأجيرة .

وأوضح ما نعرف به الأخلاق عند الشيوعيين هو ما كتبه لينين عن الأخلاق فى مؤتمر الشباب الذى انعقد فى عام ١٩٢٠ م إذ قال :

« إننى سأعرض هنا قبل كل شيء لمسألة الأخلاق والشيوعية ...

ويسأل السائل : أهناك شيء يسمى آدابا شيوعية ؟

أهناك شيء يسمى دستورا أخلاقيا للشيوعية ؟

والجواب : نعم ولا ريب .

وربما حاول بعضهم أن يصورنا كأننا قوم لا نعرف لنا دستورا معلوما للأخلاق والآداب .

وكثيرا ما يقول البرجوازيون : إننا معشر الشيوعيين أناس نخرج على جميع الأخلاق والآداب ....

وهو أسلوب من أساليب الإدراك المتبلبل ووسيلة من وسائل إثارة الغبار على أعين العمال والفلاحين .

فبأى معنى يقال : إننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب ؟

بمعنى واحد ، هو المعنى الذي يدين به البرجوازيون ، إذ يستمدون الأخلاق والآداب من الإله .

فنحن نخرج على جميع الأخلاق والآداب التى تنفصل عن المجتمع البشرى وطبقاته ، ولهذا نقول : إنه لا يوجد شيء يسمى الأخلاق بمعزل عن المجتمع البشرى .

وإن تلك الأخلاق المستمدة من أوامر الإله تزييف وتزوير .

ولا أخلاق عندنا إلا الأخلاق التى تستمد من صراع طبقات الصعاليك » .

وهو كلام رأس من الرؤوس الثلاثة الكبيرة فى الشيوعية التى انتابها ما يشبه الحمى فى القضاء على الأديان والأخلاق التى جاءت بها الأديان ، والرأسان الأولان ـ كما هو معروف ـ هما :

١ ـ فردريك انجلز ١٨٢٠ ـ ١٨٩٥ م وهو من أصل ألمانى .

٢ ـ وكارل ماركس ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م وهو من أصل يهودى ألمانى .

فإذا كانت تلك مكانة الأديان والأخلاق عند الشيوعيين ، فماذا ينتظر أن تكون عليه مكانة المرأة ؟

ماذا يكون موقف هذه الحضارة المادية الشرقية منها ؟

إن ذلك سوف يتضح من خلال التأمل فى النقاط التالية :

١ ـ كان أتباع ماركس ـ بعد أن استولوا على السلطة بعد الحرب العالمية الأولى حيث تمكنوا من ذلك سنة ١٩١٧ م ، كانوا قد أعلنوا مساواة الرجل والمرأة فى جميع الحقوق والمزايا دون تفريق ، مما أوقعهم فى أخطاء شائنة لا يتقبلها عقل عاقل مثل :

أ ـ فرضوا نفقة الأبناء على الزوجات كما تفرض على الأزواج .

ب ـ أعطوا المرأة الحق فى الإجهاض بحجة أنها لا ينبغى أن تتقيد بالحمل كرها ، لأن الرجل لا يتقيد بهذا القيد .

ثم عادوا فتراجعوا عن هذه المساواة ؛ لأنهم تبينوا خطأ هذه الفلسفة إذ اكتشفوا أن الإجهاض إزهاق نفس وليس للرجل الحق فى إزهاق حياة أبنائه ، فعدلوا

عن هذه المساواة فى هذا الجانب .

٢ ـ قامت فلسفة مؤسسى الفكر الشيوعى ماركس وانجلز على أساس محاربة الأسرة ، إذ هى عندهم من الأنظمة التى تقوم على رأس المال ، فيجب القضاء عليها وهدم نظامها فى المجتمع ؛ لأن كل ماله علاقة برأس المال يجب أن يهدم ، وكذلك كل ماله علاقة بالملكية .

وإذا هدمت الأسرة فأين مكان المرأة أو مكانتها ، فقدت المرأة بالقضاء على الأسرة زوجيتها المشروعة وأصبحت تمارس علاقاتها الجنسية مع من تشاء أو يشاء ، وفقدت أمومتها وما تضفيه الأمومة على المرأة من صبر وتحمل للمسئولية وتجاوب مع الفطرة السوية فى المرأة ، كما فقدت جو الأسرة المملوء بالرعاية والاهتمام والحنان والحب الفطرى بين أفرادها ، فأصبحت المرأة وهى متخلية عن الزوجية والأمومة كأنها شىء من الأشياء لا سكن عندها ولا راحة لزوج أو ولد !!!

٣ ـ وأصرت الشيوعية على أن تعمل المرأة كما يعمل الرجل حتى تأكل لتعيش ، دون النظر إلى نوع العمل الملائم لها ولما فطرها الله عليه ، فعملت فى المصانع والمزارع والمناجم ، ولبست ملابس العمال وتخلقت بأخلاقهم ، وأعطاها هذا العمل غلظة وفظاظة وباعد بينها وبين الأنوثة وما تتميز به من رقة وجمال وهدوء وحياء ، فكانت بالرجال أشبه ، وحرمت الأسرة مرة ثانية من أم لها صفات الأم الفطرية أو زوجة لها صفات الزوجة الطبيعية ، وكان ذلك على حساب المرأة أولا وعلى حساب الأبناء والأسرة ثانيا ، ثم على حساب المجتمع والإنتاج أخيرا ... وهاهم يتراجعون اليوم عن معظم ذلك .

٤ ـ وقد أباحت الشيوعية الزنا للمرأة والرجل على السواء ، بل شجعت المرأة على الزنا ، إذ زينت لها بذلك التخلص من العناية بالأبناء ، لأن أبناء الزنا لا يعيشون فى ظل أسرة ، وإنما تتكفل بهم الدولة ، أباحوا ذلك الزنا بشكل أساسى للمرأة التى لا زوج لها ، ومعظم النساء بغير أزواج ، إذ من ذلك الأحمق الذى يقدم فى ظل هذا النظام على الزواج واتخاذ الأسرة ؟ كيف يبنى أسرة والأسرة فى نظر هذه الحضارة هى التى تسول للناس حب الملكية وتهيّئ لهم الوراثة ، وهاتان جريمتان قد يرتدان بالمجتمع إلى عهد الرأسمالية الرجعى المتهرئ ـ كما يقولون .

إن النظم الشيوعية لم تضع أي قيد على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، لأن

تلك الضوابط عندهم اعتساف من الأديان أو الكهانات التى سبقت الأديان .

٥ ــ وأباحت هذه الحضارة الإجهاض ليس مساواة للمرأة بالرجل إذ قد اكتشفوا أن هذه المساواة ليست تامة أو مطلقة ، وإنما أباحوه لأنه يهدم الأسرة ، ويحول بين الناس وبين اللجوء إلى الأسرة ، وكل ما يقضى على الأسرة عندهم فهو من صميم ما يرون أنه الأصوب والأمثل والأقدر على القضاء على رأس المال والملكية والإرث .

وليس من اللازم بعد ذلك أن نعلق على مكانة المرأة فى ظل هذه الحضارة الشرقية المادية ، لأن ما قدمناه من تلك النقاط والإشارات العابرة يغنى عن التعليق .

وحسب المتأمل لمكانة المرأة عندهم أن يرى أن من أهدافهم هدم الأسرة ، وأن يرى من أهدافهم تلك المساواة بين الزنا والزواج بل جعل الزنا أيسر مئونة من الزواج .

إن المرأة فى ظل هذه الحضارة نزلت من منزلة الإنسان إلى منزلة أقرب ما تكون فيها إلى الحيوان ، تعمل وتأكل وتمارس رغباتها الجنسية دون نظام فضلا عن قيود وآداب وأخلاق .

ولقد انتقلت العدوى من المرأة فى هذه المجتمعات الشيوعية أو الاشتراكية أو المنكرة للخالق إلى المرأة المسلمة فى مجتمعات المسلمين ، فزلزلت كيانها ، فلم تستح كثير من النساء المسلمات أن تكون سافرات تعرض على الرجال ما أمر الله بستره عنهم من جسمها ، ولم يستح بعض الكتاب وبعض الكاتبات من أن تتندر بالحجاب والوقار .

نعم ، انتقلت هذه العدوى عبر جراثيم الفكر ومكروباته من الكتاب الغافلين حيث يقول أحدهم ــ فى جاهليته ــ : « هل صحيح أن الغيرة على الفضيلة والتقاليد هى التى تحفزنا إلى مقاومة التطور ، والكيد للمرأة ؟

إن يكن ذلك فما أحوجنا إذن إلى تحديد معنى الفضيلة والرذيلة ومعرفة مدى ما يجب على الأمم أن تقدمه للتقاليد من طاعة وولاء .

إن الفضائل الاجتماعية والقيم العليا التى تنظم حولها حياة المجتمع وتناط بها وجهته ليست التى يرتضيها فرد أو جماعة من الناس وتلائم تفكيرهم وإحساسهم ، بل هى التى تنسجم مع القاعدة وتسمو عن الشذوذ .

والقاعدة هنا هى التطور ،

والشذوذ هو الرجعية والانتكاس .

فكل زحف إلى الوراء مهما يتسم بحسن النية وسذاجة القصد ليس سوى رذيلة فى ثوب تنكرى خداع .

وليس هناك إثم أشد ولا خطيئة أفحش من مقاومة التطور ، وإخضاع مستقبل الأمم لجهلها القديم » .

ومن عجب أن كاتب هذا الكلام أحد المسلمين بل أحد من تعلموا فى الأزهر ، وكان بوسعنا أن نرد على كل فرية من هذه المفتريات وندحض كل ما اشتملت عليه هذه الكلمة من باطل وبهتان ، لولا أن المؤلف نفسه ــ أمد الله فى عمره ونفع بعلمه ــ كفانا تلك المؤونة إذ تراجع هو عن كل هذا الباطل وسلك طريق الحق وصار من دعاته ، وفاء إلى دينه ومنهجه ونظامه وأعطى المكتبة الإسلامية فى هذا المجال عطاء كبيرا نسأل الله أن يجزل له الثواب على ماقدم [٢٧] .

وكاتب آخر من المسلمين يقول : « والخير والشر خضعا لناموس التطور ، فتغيرت معانى الرذيلة ومعانى الفضيلة ، كانت المرأة رمزا للشيطان وكانت الغريزة الجنسية خطيئة تحمل أوزارها المرأة وحدها ، فأصبحت المرأة نصفا مكملا للرجل ، وأصبحت الغريزة الجنسية حالة « فسيولوجية » تنظم لصالح المجتمع ومسرة أفراده » .

وهذا الكلام حافل بالأخطاء والمغالطات وكان بوسعى أن أرد عليه ولكن صاحبه ــ أمد الله فى عمره كذلك ونفع به وبعلمه ــ جنبنى هذه المؤونة إذ تراجع هو من زمن باكر عن كل هذه الترهات والأباطيل وآب إلى حصنه ودينه ومنهجه ونظامه ، وأخذ يدافع عن الحق ويهاجم هذه الحضارة الشيوعية هجوم العليم ببواطن الفساد فيها لأنه كان فى صفوفها ، وأغنى المكتبة الإسلامية كذلك بعدد كبير من الكتب الجليلة النافعة الملتزمة بالخط الفكرى والحضارى للإسلام ، نسأل الله أن يجزيه عن ذلك خير الجزاء [٢٨] .

وإنما تعمدت الاستشهاد بما كتبه رجلان معروفان لهما تأثيرهما فى الناس اعتنقا الشيوعية حينا من الدهر فدافعا عنها بحرارة ، ثم بدت لهما سوءاتها فهاجماها بنفس الحرارة ، ثم فاءا إلى رحاب الحق فكانا من خير أنصاره ــ ولا نزكى على الله أحدا وإنما أحسبهما كذلك ــ إنما تعمدت ذلك الاستشهاد لأؤكد أن فكر الإنسان مالم يرشد بمنهج

(٢٧) ذلك الكاتب هو الأستاذ خالد محمد خالد ، فى كتابه الدابر : من هنا نبدأ .

(٢٨) ذلك الكاتب هو الدكتور مصطفى محمود ، فى أكثر من كتاب له من تلك الكتب التى عاصرت فترة الضلال وتضبيب الرؤية .

الله ونظامه فسوف يضل صاحبه وقد يهوى به والعياذ بالله إلى حيث ما يغضب الله ، فإن رُشِّد هذا الفكر بمنهج الله وارتوى من معين الكتاب والسنة والسيرة فإنه يفيء إلى الحق ، ويدافع عنه لا يخشى فى ذلك لومة لائم ، وذلك من فضل الله على الناس .

وبعد : فليس خافيا على أحد ممن يعرفون عن الحضارة الشرقية أو الشيوعية معرفة معقولة ، أن المرأة فى ظل هذه الحضارة قد انحدرت إلى أدنى مكانة لها ، إذ فقدت كثيرا من ذاتيتها ، وليس خافيا عليه كذلك أن المساواة المزعومة بينها وبين الرجل قد جحدتها حقوقها وأكسبت الرجل حقوقا لم تكن له ، وذلك ظلم وقع على المرأة باسم المساواة !!!

إن المساواة حرمتها حقها فى زوجية آمنة وفى أمومة مرعية وفى تجاوب مع الفطرة التى فطرها الله عليها .

وإن هذه المساواة ألزمتها بالعمل فى المصانع والمزارع والمناجم ، فحملتها مالا تطيق ولا تطيق فطرتها ، وأوجبت عليها الإنفاق على الأبناء ، فضلا عن إنفاقها على نفسها .

إن هذه المساواة حرمتها رقتها وأنوثتها وكل ما فيها من جميل الصفات .

وفى الوقت نفسه ، فإن هذه المساواة أعطت للرجل مزيدا من الحقوق التى لم تكن له ، وأراحته من كثير من الواجبات التى كانت عليه .

أعطت للرجل الحق فى أن تشاركه المرأة زوجة أو غير زوجة فى العمل والمعاناة من أجل القوت ، فأضافت بذلك إلى المرأة عبئا فوق أعبائها الطبيعية الزوجية والأمومة .

وأعفت الرجل من واجب الإنفاق على الزوجة وتوفير الملبس والمأكل والمأوى لها ، نتيجة للقوامة التى فضل الله بها بعض الناس على بعض وبما ينفق الرجل على المرأة .

إن هذه المساواة ظالمة جائرة متجاهلة لفطرة المرأة واستعدادها ، ومحملة لها فوق طاقاتها ، مع أن المفهوم الذى يتبادر إلى العقل بسرعة عند سماع « المساواة » هو العدل ، فأى عدل ذلك الذى حققته المساواة بين الرجل والمرأة فى ظل الحضارة الشرقية ؟

إن المساواة المزعومة جعلت المرأة مكدودة بالعمل مثقلة بأعبائها الطبيعية الفطرية إن كانت زوجة أو أما ، فكيف يكون من العدل أن تعانى تلك المكدودة أعباء الحمل والولادة والإرضاع والحضانة والتربية ؟ إن أعباء الأمومة تحتاج إلى امرأة تتفرغ لها فى كثير من الأحيان ، فكيف تجمع بين هذا وبين العمل والإنفاق على الأبناء ؟

إن المرأة التى حرمت الأمومة فى ظل الحضارة الشرقية وسمح لها بممارسة الجنس فى

الحرام إنما حرمت من جانب هام من فطرتها وتنازلت عنها فى ظل هذه الحضارة ، فاهمة أو واهمة لما أعدته الدولة من دور لرعاية أبناء السفاح .

إن هذه المساواة المزعومة أصابت المرأة بالشقاء فى حاضرها بهذا الكد وذلك العناء فى العمل من أجل الطعام ، وأصابتها بالابتذال والمهانة فى ذاتها ، إذ أصبح عليها أن تطلب الرجل وأن ترجوه لقضاء دواعى غريزتها الجنسية بعيدا عن الزواج والأسرة والاحترام ، وأصابتها بكارثة حرمانها من جو الأسرة والقرابات الوشيجة الحانية التى تعرف الحب والإيثار وهى تنبت فى ظل نظام الأسرة ، كما أصابتها هذه المساواة بالضياع فى مستقبلها يوم تتقدم بها السن فيقل عطاؤها فى العمل أو تعجز عنه ، فلا تجد حولها والد ولا ولد ولا زوجا ولا عما ولا خالا ولا أخا ولا أختا يرعى حق شيخوختها وضعفها !!!

ومع ذلك يقولون : المساواة .

هذه هى المرأة فى ظل الحضارة الشرقية أو الشيوعية أوجزنا القول فيها إلى أقصى حد مستطاع ، لنشير ولا نحيط ونجمل ولا نفصل ، ونرجو أن نكون بفضل الله قد بلغنا ماأردنا من هذا وذاك .

وبعد هذه الجولة ، فإننى قد قدمت صورة مجملة عن المرأة فى الحضارات المعاصرة لنا فى هذا العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى ـ العقد العاشر من القرن العشرين الميلادى ـ .

فإذا ضمت هذه الصورة إلى صورة المرأة فى الحضارات القديمة تبين لنا من الصو
معا أن المرأة إنسان وقع عليه من الظلم شىء كثير فى الماضى ، وأنه قد بلغ بها الهو
حد أن أصبحت متاعا يباع ويوهب من أصحابه لمتعة الآخرين .

وأنه قد تفاقم هذا الظلم حتى اعتبرت المرأة رجسا ونجسا وشيطانا وشـ
وعورة يجب أن توارى التراب ، كان ذلك قديما على النحو الذى تحدثنا عنا
به ظروف الكتاب .

وأن الحضارات المعاصرة غربية أو شرقية زادت المرأة هوانا ، حـ
دعوى المساواة ـ على نحو ما بينا فى هذه المساواة من سلبيات ـ .

إن المرأة فى ظل الحضارات المعاصرة شرقية أو غربية لا تزال
من حقوقها المدنية حينا ، ومن حقوقها الطبيعية حينا آخر .

وإن الذين حاولوا أو ادعوا أنهم ينصفونها باسم التقدم والتطور والمدنية . إذ يعطونها من الحرية قدرا كبيرا ... إنهم واهمون ؛ لأن هذه الحرية التى لا تخضع لمنهج ولا نظام أفسدت المرأة وأفسدت بها ، لقد أصبح مفهوم الحرية فى الغرب أن تمشى المرأة فى الطريق عارية تماما عن كل ما يستر جسمها أو سوأتها ، وفى هذا ما فيه من الضرر والشر .

إنها الحرية التى مارستها المرأة فكان من حقها الزنا والشذوذ ، وكان من حقها أن تعاقر الخمر وأن تتعاطى المخدرات ، بل كان من حقها أن تكون ممارسة للقتل والإجرام ، وأن ترأس عصابات السطو المسلح ، وأن تهجر بيتها وأبناءها وأن تحرم أمومتها ورعايتها لأبنائها.

إنها الحرية التى جعلتها في الغرب لا تحمل من زوج وإنما عشيق ، وأن تعاشر من الرجال عددا تعجز فى كثير من الأحيان عن أن تنسب وليدها إلى أبيه .

إنها الحرية التى جعلت المرأة الزانية التى حملت من سفاح تذهب لتضع فى إحدى مستشفيات الحكومة ، وهى جميعا ترعى أبناء السفاح ولا تسأل الأم من والد طفلها وإنما تتلطف فتسألها عن شريكها فى هذا الوليد لأنه ليس زوجا ، تلك هى الحضارة المعاصرة التى ترعى أبناء السفاح وتتعهدهم ، وكثير منهم يحملون أسماء عوائل أمهاتهم إن كانت الأم معروفة لعائلة .

ثم يشب هؤلاء الأبناء في المجتمع ويتعلمون ويتصدرون ويصبحون علماء وأدباء وكتابا ومفكرين وقضاة ومحامين وحكاما وسياسيين ، وحسبك بهم أن وصلوا إلى ذلك من دهاقين فى الفساد والإفساد ، كل ذلك يحدث فى ظل الحضارات المعاصرة ولا تثريب على أحد .

إنها الحضارة التى تسن القوانين للشذوذ الجنسى وتبيح للرجل أن يتزوج زواجا كاملا برجل مثله ، وللمرأة أن تتزوج امرأة مثلها !!!

إنها الحضارة التى تتحدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

فأين هذا كله من مكانة المرأة فى الإسلام ؟

هذا ما سنحاول بإذن الله أن نوضحه فى الباب الثانى من هذا الكتاب ، سائلين الله التوفيق والسداد .

الباب الثانى

المرأة فى الإسلام ، حقوقها وواجباتها

ويتنـــاول :

التمهـــيد .

الفصل الأول : مكانة المرأة بنتا وأختا .

والفصل الثانى : مكانة المرأة زوجة وأما .

التمهيـــد ...

سوف نحاول فى هذا الباب الثانى من الكتاب أن نلقى ضوءا على مكانة المرأة فى الإسلام بنتا وأختا وزوجة وأما ، ونوضح ما أحاط بهذه المكانة من حقوق وواجبات ، ليتضح الفارق بين مكانة المرأة بعيدا عن الإسلام ـ كما تحدثنا فى الباب الأول ـ ومكانتها فى الإسلام .

ولقد كان الباب الأول بفصليه لمحات وإشارات أوضحت مكانة المرأة بعيدا عن الإسلام فى ظل الحضارات والنظم والأديان التى سبقت ظهور الإسلام أو لحقته .

وقد خرجنا منه بتصور لمكانة المرأة بعيدا عن الإسلام ، كانت محصلته أنها مكانة متدنية لا تليق بكرامة الإنسان ، وسوف لا تتضح أبعاد هذه المكانة المهينة للمرأة إلا بعد أن نوضح مكانتها فى الإسلام فى هذا الباب الثانى من الكتاب .

وإن أبرز ما تمتعت به المرأة فى الإسلام من مكانة يمكن أن نشير إليه فى هذا التمهيد للباب الثانى فيما يلى :

أولا : ساوى الإسلام بين جميع النساء فى الحقوق والواجبات ، فلم يسمح لامرأة أن تتميز على أخرى فى حق من الحقوق لأنها من طبقة اجتماعية أعلى من سواها ، كما لم يضاعف عليها واجبا لأنها من طبقة اجتماعية أدنى ، وذلك أن نظرة الإسلام إلى الناس عموما لا النساء وحدهن أن الناس جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات وأن أكرمهم عند الله أتقاهم .

ثانيا : ساوى الإسلام بين المرأة والرجل فيما من شأنه أن تكون فيه مساواة كالحقوق والواجبات التكليفية فكل المؤمنين أمام الله سواء يكلفهم ويحاسبهم على أداء ما كلفوا به .

وكان من نتيجة ذلك أن أعطى الإسلام للمرأة مكانة لم تحظ بها فى ظل أى حضارة أخرى قبل الإسلام أو بعده ، وإن هذه المكانة تمثلت فى تلك الحقوق التى أعطاها الإسلام للمرأة فى مختلف أطوار حياتها .

فمنذ مولدها أوصى الإسلام بألا يضيق الآباء بالبنات إذا رزقوا بهن ـ فإن ضاقوا بهن فقد صاروا آثمين متمردين على قضاء الله وأصبحوا بالجاهلين أشبه .

وحين تدرج فى البيت طفلة وتشب فى جو الأسرة المسلمة المفعمة بالحب والحنان والرعاية يوصي الإسلام الآباء بأن يحسنوا تربية الأبناء عموما ، ويشجع على رعاية البنات بوجه خاص ، ويجعل الجنة جزاء إحسان تربية ثلاث بنات أو اثنتين أو واحدة .

وعندما تكبر وتصبح فى سن التعليم يوجب على أبيها أن يعلمها ماهى فى حاجة إليه وما هو ملائم لفطرتها ، ويحقق لها سعادة الدنيا والآخرة .

فإذا بلغت مبلغ النساء وجاء من يرغب فى الزواج منها أوجب الإسلام أن تستؤذن ، وجعل إذنها صماتها ـ مادامت بكرا ـ ولم يسمح لوليها أبا كان أو غير أب أن يكرهها على الزواج ممن لا ترغب فى الزواج منه . فإن كانت ثيبا صرحت بقبولها أو رفضها أى استؤمرت .

ثم أعطاها الإسلام الحق فى ممارسة حياتها كاملة غير منقوصة فهى تملك وترث وتُورِّث ، وتبيع وتشترى وتوكل وتمارس كل أنواع العقود التى أقرتها الشريعة الإسلامية ، إذ لها ذمتها المالية الكاملة ، ولا تثريب عليها فى ممارسة أى شىء من ذلك بنفسها أو بتوكيل غيرها أو تأجيره للقيام عنها بهذه الأعمال .

فإذا تزوجت فقد أعطاها الإسلام الحق فى المهر والصداق ، وجعله خالصا لها تفعل فيه ما تشاء ، وأعطاها حقوقها الكاملة مع زوجها ؛ فمن حقها ـ مادام قد اتخذها زوجة ـ المطعم والمشرب والملبس والمأوى فى حدود ما أتاح الله لزوجها من رزق ، دون إسراف ولا تقتير ، وجعل من حقها على زوجها ألا يعنفها ولا يوجه إليها لفظا نابيا ولا يعيرها بشىء تضيق به ، بل طالب الإسلام الزوج بأن يصبر على زوجته حتى عندما تكون فيها بعض الهنات أو العيوب ، فلعله إن ساءه منها خلق أن يسره منها خلق آخر ، ولم يبح للزوج شيئا من ذلك التأنيب أو العقاب إلا لأسباب معروفة .

فإذا ما صارت المرأة أمّا ، فقد أعطاها الإسلام من الحقوق على أبنائها ما لم تعط مثله فى ظل حضارة من الحضارات ، وحسبها أن جعل الإسلام بر أبنائها بها مقدما على برهم بأبيهم ، وجعل مفاتيح الجنة تحت أقدامها ، وحسبها فخرا أن يتعجب الرسول الكريم ﷺ من إنسان أدرك أبويه أو أحدهما حيا ثم لم يدخل به الجنة .

وكل حق ينبغى أن يقابله واجب ، ولذلك أوجب الإسلام على المرأة مثل ما أوجب على الرجل فى العبادات مع نوع من الترخص مع المرأة فى حالات الحيض والنفاس والحمل والإرضاع .

وأوجب عليها البر بأبويها كما أوجب ذلك على الرجل ،

وأوجب عليها طاعة الزوج ورعاية بيته كما أوجب عليه إكرامها ،

وأوجب عليها رعاية الأبناء كما أوجبها على الأب ،

وأوجب عليها الدعوة إلى الله كما أوجبها على الرجل ، فهى مطالبة فى هذا المجال بما يلى :

- أن تدعو إلى الله وإلى الحق الذى جاء به محمد ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، والصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وعدم اليأس من العمل من أجل الدعوة مهما عارضها أو عاندها كثير من المدعوات ، بل عدم الضيق بهذا التحدى إذ هى مطالبة دائما وهى تدعو إلى الله بأن تتذكر وتلتزم بقوله سبحانه : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ فالتقوى والإحسان صفتان لازمتان لها عموما وفى مجال الدعوة إلى الله على وجه الخصوص .
- وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فى حدود طاقتها وما تسمح به ظروفها ، وفى إطار ما شرع الله فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلاصة الرأى فيه ألا يؤدى أمرها بالمعروف إلى منكر ، وألا يؤدى نهيها عن المنكر إلى منكر أشد مما كانت تنهى عنه .
- وأن تجاهد فى سبيل الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلا كل أنواع الجهاد ، تجاهد بالكلمة الطيبة والحوار الهادف ، وتجاهد بالعمل فى كل مجال توجد فيه ، فى مدرستها ، وفى المسجد الذى يجاور بيتها ، وفى الحى الذى تسكن فيه ، ومع قريباتها وصديقاتها وجاراتها ، والجهاد فى ميدان الجهاد وعندما تكون معركة بين المسلمين وأعدائهم ، فإن كان الجهاد فرض كفاية استأذنت زوجها أو وليها لتقوم بما تستطيع وبما يلائم استعدادها فى هذه المعركة ، فإن كان الجهاد فرض عين خرجت مادامت من أهل الاستطاعة دون إذن زوجها أو الولى ، متقربة بهذا

الجهاد إلى الله وهى تؤدى ما فرض عليها .

هذه الحقوق وتلك الواجبات هى ما سنحاول أن نؤصله ونفصله فى هذا الباب بإذن الله وعونه .

الفصل الأول

مكانة المرأة بنتاً وأختاً

« أى حقوقها وواجباتها »

كلمة فى الحقوق والواجبات عموماً :

إذا كان المقصود بالحقوق مصالح أو حريات يتوقعها الفرد أو الجماعة من المجتمع وفق ما يسود هذا المجتمع من معايير وقيم ، فإن الفرد عموما والمرأة على وجه الخصوص لها فى الإسلام من الحقوق ما يتلاءم مع مصالحها وحرياتها وفق شريعة الله ومنهجه ونظامه .

وإذا كان الحق نوعين ـ كما يرى علماء الاجتماع ـ حق طبيعى وهو اللازم للإنسان بحكم كونه إنسانا ، وحق وضعى تقرره القوانين والنظم الاجتماعية مثل حق الإنسان فى التعلم والرعاية الصحية والعمل والتأمين ضد العجز والبطالة والشيخوخة والعدالة الاجتماعية .

إذا كان الحق على هذا التنوع فإن الإسلام كفل للإنسان عموما وللمرأة هذين الحقين كاملين ، حقها الطبيعى بحكم كونها إنسانا ، وحقها الاجتماعى فى التعلم والرعاية والعمل والتأمين ضد العجز والبطالة والشيخوخة والعدالة الاجتماعية ، كفل لها ذلك من خلال منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، منهج يحقق لها كافة مصالحها فى الدنيا والآخرة ، وكافة حرياتها فى الفكر والعقيدة وفى إبداء الرأى والتعبير وفى العمل فى إطار منهج الإسلام فى الحياة .

وإذا كان الواجب هو ما تفرضه على الإنسان القواعد المقبولة السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، والتى تناط بالإنسان » ليؤدى واجبه الوظيفى فى المجتمع ، فإن الإسلام أوجب على المرأة واجبات كثيرة وجعل فى أدائها لهذه الواجبات مرضاة لربها ومصلحة لذاتها وللمجتمع الذى تعيش فيه .

وإذا كان الواجب متنوعا كذلك ، ما بين واجب خلقى تقرره القواعد الضرورية للحياة الاجتماعية ، وواجب قانونى تنشئه القوانين والعقود ، وواجب سياسى يلزم الفرد

بالخضوع للقانون والسلطات التى تنفذه ، فإن الإسلام قد أوجب على كل فرد ، وعلى المرأة ـ التى نتحدث عنها هنا ـ كل هذه الأنواع من الواجبات ، ولكنها واجبات أخلاقية قررتها القيم السائدة فى شريعة الإسلام ، وواجبات قانونية أنشأها دستور الإسلام المتمثل فى الكتاب والسنة ، وواجبات سياسية تلزم المسلم والمسلمة بالطاعة للحاكم المسلم الذى يطبق منهج الله ويستقى كافة أنظمته وقوانينه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرته .

وما بين الحقوق والواجبات ، أى ممارسة الحقوق وأداء الواجبات ، تكون الحياة الإنسانية الصالحة المحققة لسعادة الدنيا والآخرة ، والمرأة جزء أساسى فى هذه الحياة الإنسانية كالرجل سواء بسواء ، فإذا ما أدت وظيفتها فى الحياة من خلال ما شرع لها الإسلام من حقوق وما ألزمها به من واجبات فقد رشدت وأرشدت ، وأسهمت فى بناء مجتمع إنسانى ناجح .

وفى الصفحات التالية نوضح هذه الحقوق وتلك الواجبات .

١ ــ حقوقها وواجباتها نحو والديها

ليس كالإسلام نظام أعطى للمرأة مكانة واحتراما ، وجعلها موضع الرعاية والاهتمام ، ولم يكن هذا الموقف من الإسلام نتيجة أو رد فعل لما كانت تلقاه المرأة من إهمال وإجحاف بعيدا عن الإسلام ، وإنما جاء ذلك لأن الإسلام ــ آخر الأديان وأكملها وأتمها ــ يريد أن يبنى مجتمعا صالحا ، ولن يكون هذا المجتمع صالحا وفيه إهمال لنصفه وهو النساء .

أقول هذا ليكون ردًا على القائلين بأن النظم التى جاء بها الإسلام إنما كانت ردود أفعال لنظم وآداب سادت المجتمع فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، لا ، لم يكن الأمر كذلك بحال وإنما هو دين ناسخ لكل الأديان التى سبقته ، ونظام عالمى خالد قادر على علاج كل مشكلة ، ومواكبة كل المتغيرات .

بل أؤكد ــ بما سأكتب فى هذا الفصل بإذن الله ــ أن ما جاء به الإسلام من حقوق للمرأة بنتا وأختا لم يكن ردود أفعال لما كان سائدا فى الحضارات والنظم التى كانت سائدة فى مجتمعات غير عربية .

فما هذه الحقوق ؟

أ ــ حقوقها على والديها :

للبنت من الحقوق على الوالدين مثل ما للولد من الرعاية والعناية والتربية لأن الإسلام ــ كما هو معروف ــ قد ألغى الفروق بين البنين والبنات في هذا المجال ، لأن تلك حقوق عامة لا تتأثر بالفروق الطبيعية بين البنت والولد .

وأول هذه الحقوق : الحب والرحمة :

وذلك أن الأبناء بنين وبنات إذا لم يحطهم الأبوان بالحب والرحمة ، فإن التكوين النفسى والخلقى لهم لن يكون سويا ، وقد تترتب على حرمانهم من الحب والرحمة آثار تسىء إليهم وإلى من يتعاملون معهم .

* فقد روى الترمذى بسنده عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول : « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله » .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أبصر الأقرعُ بن حابس

النبىَّ ﷺ وهو يقبل الحسن رضى الله عنه ، فقال : إن لى من الولد عشرة ما قبلت أحدا منهم ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من لا يرحم لا يُرحم » .

* وروى الإمام أحمد بسنده قال رسول الله ﷺ : « إن أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خَلْقًا لما رأى الناس خَلْقًا أحسن منه ، وإن العنف لو كان خَلْقًا لما رأى الناس خَلْقًا أقبح منه » .

وثانى هذه الحقوق : عدم تفضيل الولد على البنت :

وذلك أن تفضيل الولد على البنت ظلم فى قسمة الحب على الأبناءجميعا ، وهو فى الوقت نفسه اعتراض ضمنى على إنجاب البنات وهو فعل أهل الجاهلية ، ثم هو عمل غير منطقى إذ ما ذنب البنت أن كانت بنتا وماذا فعل الولد أن جاء ولدا .

وإن الذين يمارسون هذا التفضيل للولد على البنت كثيرا ما يبتلون فى الدنيا بسعادة البنات وشقاء البنين .

* روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر عليها ولده ـ يعنى الذكور ـ أدخله الله الجنة » .

* وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا أولادكم » يعنى من ولدوا لكم بنين كانوا أو بنات .

وثالث هذه الحقوق : التعليم والتربية :

وأول التعليم وأهمه ما كان ضروريا لمعرفة أركان الدين وأصوله وخلقه وآدابه ، وما يكون ذلك إلا بتحفيظهم قدرا من القرآن الكريم والسنة النبوية مع تفهيمهم ما حفظوا ، وتعريفهم بسيرة النبى ﷺ وسير صحابته رضوان الله عليهم ، وتبصيرهم بالعبادات نظريا وعلميا ، كل ذلك ينبغى أن يتم فى البيت دون الاعتماد فى تحصيله على المدرسة ، فإن علمت المدرسة ذلك فزيادة من الخير ، وإن نكصت مناهجها عن ذلك فقد تدارك الأبوان ذلك فى البيت برحمة من الله وفضل .

على أن هذه التربية وذلك التعليم فى البيت ينبغى أن يكون مستمرا وأن تؤدى مكتبة البيت واجبها ، وأن يكون من رعاية الأبوين واهتمامهما بذلك ما يحقق الهدف من معرفة الدين وممارسة عباداته وأعماله .

وللمدرسة مالها من علوم ومعارف بعد ذلك .

* روى الطبراني بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه » .

وإن تعليم الوالد لأبنائه بلغة عصرنا يتطلب أن يعلمه كل أنواع التعليم اللازمة له في دينه ودنياه ، وأن يزوده من التعليم والثقافة على قدر ما يستطيع أن يهيىء له من فرص ، فليس خافيا على أي مسلم أن أول كلمة نزلت من القرآن الكريم هي « اقرأ » كما يرى ذلك جمهور العلماء ، كما أن آخر الكتب السماوية الذي آثر الله سبحانه به محمدا ﷺ ، أشهر أسمائه « القرآن » وهو اسم مشتق من القراءة ـ والقراءة : جمع الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ـ والترتيل : إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة .

وإنما سمي القرآن قرآنا ـ كما يرى ذلك بعض العلماء ـ لكونه جامعاً لثمرة كتب الله المشهورة كالتوراة والإنجيل وغيرهما ، بل جامعاً لثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ **وتفصيل كل شيء** ﴾ [29] وقوله : ﴿ **تبيانا لكل شيء** ﴾[30] وقوله : ﴿ **قرآنا عربيا غير ذي عوج** ﴾ [31] .

والمسلمون يوم تعلموا القرآن تعلما صحيحا زودوا الدنيا كلها بالعلوم والمعارف والمكتشفات التي لم تكن الدنيا على علم سابق بها ، وأقاموا أحسن حضارة وأنفعها للناس .

ولا يزال المسلمون ـ إلى اليوم ـ قادرين على أن يمسكوا زمام التقدم ، لو أنهم تعلموا القرآن حق التعلم .

ورابع هذه الحقوق : التطبيع على محاسن الأخلاق :

وذلك حق أساسي للأبناء على الآباء ، فإن الأخلاق ومعظم الصفات السلوكية إنما يتعلمها الأبناء ويطبعون عليها في بيوتهم وعلى أيدي أبويهم ، ومن فاته ذلك من أبويه فقلما يحصله من غيرهما .

إن على الأبوين أن يطبعا أبناءهما على محاسن الأخلاق ، لأنها الأرضى لله فقد أمر بها ، والأنفع للناس ما دام الله قد أمر بها حين أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وأمر بالخير ونهى عن الشر .

---

(29) سورة يوسف : 111 . (30) سورة النحل : 89 . (31) سورة الزمر : 28 .

* روى الترمذى بسنده عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نَحَل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » .

* وأخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه وأن يحسن اسمه » .

* وروى ابن حبان بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « الغلام يعق عنه يوم السابع ، ويسمى ، ويماط عنه الأذى ، فإذا بلغ ست سنين أُدِّب ، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة » .

* وأخرج عبد الرزاق من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال :« علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » .

وخامس هذه الحقوق : النفقة من غير تقتير ولا إسراف :

ومالم يلتزم الأب بالنفقة على أبنائه ضاعوا ، ولقى الأب ربه آثما ، وليس الأب مطالبا بأن ينفق إلا من سعته ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لكنه لا يستطيع أن يتخلى عن النفقة بحال .

* روى الإمام مسلم بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك .. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » .

* وروى الإمام أبو داود بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » .

هذه حقوق الأولاد على الآباء فى صورة مجملة ، وهى حقوق لهم وفى الوقت نفسه هي واجبات على الآباء أوجبها عليهم الإسلام ، وجعل على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب .

أما ما تميزت به البنت فى الاهتمام بتربيتها ، وضرورة العناية بها، فإن الإسلام جعل للوالد الذى يرعى ثلاث بنات أو أخوات أو اثنتين ويؤدبهن ويحسن إليهن ، جعل له فى مقابل ذلك أعظم جزاء يطمع فيه مسلم وهو الجنة .

* فقد روى الترمذى بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » ، وفى رواية « وزوجهن » .

* وروى الترمذى بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه .

وفى تعليم البنات أو النساء عموما نجد الإسلام قد حرص على ذلك كل الحرص ، بل جعل ذلك واجبا ، فقد التزم رسول الله ﷺ بأن يجلس للنساء يعلمهن مما علمه الله .

* روى البخارى بسنده أن النبى ﷺ كان يخص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله ، وذلك لما جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتى إليك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال ﷺ : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن ، فجاء رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله .

ولابد أن نتساءل قائلين : ماذا تُعلم البنت ؟

وفى الإجابة على هذا التساؤل نقول : إنها تعلم أمر دينها ، وتُفَقَّه فيه أولا ، فذلك أساس كل تعليم عند المسلمين والمسلمات ، وبه يجب أن يكون البدء .

فقد روى أئمة الحديث قول النبى ﷺ : « من يُرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده » (٣٢) .

ثم تتعلم البنت ما ينفعها فى دينها ، ودنياها .

* فقد روى البلاذرى أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، كانت تتعلم الكتابة فى الجاهلية على يد امرأة كاتبة تُدعى الشَّفَّاء العدوية ، فلما تزوج الرسول ﷺ حفصة طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

* وروى الطبرانى بسنده عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ـ مرفوعا ـ (٣٣) أن رسول الله ﷺ قال : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن » .

---

(٣٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والإمام مالك والإمام أحمد ، والاختلاف فى الألفاظ فى هذه الروايات محدود .

(٣٣) الحديث المرفوع : هو ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، سواء أكان متصلا أم منقطعا .

ويقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

وليس حق البنت مقصورا على تعلم أمور الدين وحدها ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى تعلم كل ما يعود عليها بالنفع فى دينها ودنياها ، وما يلائم وظائفها فى الحياة وفطرتها التى فطرها الله عليها .

ومن البديهى أن تعليمها القراءة والكتابة مطلب أساسى للدين والدنيا معا ، وبديهى كذلك أن تعليمها وتثقيفها وحصولها على أرقى المؤهلات العلمية المتاحة الملائمة لها حق أساسى كذلك ، لا ينكره عليها أحد ، طالما كان ذلك فى وسع والدها أو وليها .

إن الإسلام ـ كما رأينا فى النصوص التى قدمنا ـ يسمح لها بأن تتعلم وتتثقف فى مختلف مجالات العلم والثقافة ، طالما كان ذلك يعود عليها بالنفع فى دينها ودنياها .

غير أن الإسلام يشترط فى ذلك التعلم شرطين أساسيين :

أولهما : ألا تختلط فى تعلمها بالرجال ؛ لأن ذلك غير جائز ، لما تتعرض له من مخالفات شرعية ، ولما يحتمل أن تقع فيه من الحرج أو الإثم ، وسد باب الحرج مطلب شرعى .

وثانيهما : ألا تتعلم علما لا يلائم طبيعتها وفطرتها التى فطرها الله عليها ، أو يحول بينها وبين وظيفتها الأساسية فى الحياة وهى الزوجية والأمومة ، والدعوة إلى الله على بصيرة .

إن الإسلام قد جعل البنت فى البيت المسلم ريحانة هذا البيتَ وموضع التكريم فيه ، التكريم الذى يسبقه الحب والحنان والرعاية والتعليم والتهذيب ، والصبر على أداء كل هذه الأعباء ، وإن الإسلام قد جعل جزاء ذلك الجنة بل صحبة رسول الله ﷺ فى الجنة .

إن الإسلام جعل لهذه البنت حقوقا قبل أن تولد إذ أوجب على الرجل حسن اختيار الأم ، وحسن اختيار اسم البنت ، وحسن تربيتها ورعايتها وتعليمها ، ومنع تفضيل الذكور عليها ، وأوجب النفقة عليها .

ولقد لَجَّ بعض الغالين ـ فى تصورى ـ فى قضية تعليم البنت فنادوا بأن تتعلم من العلوم ماله صلة بدينها فحسب ، وأقول لجّوا : لأنهم تمادوا وعاندوا ولم يستبصروا ، وأقول : الغلاة ، لأنهم تجاوزوا حدودا ما كان لهم أن يتجاوزوها ، وذلك أننا معشر المسلمين يجب

أن نتقيد بنصوص الكتاب والسنة ، وأن نحسن فهمها وفق الأصول المرعية فى فهمها .

وقد ورد فى طلب العلم نص صحيح هو قول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقوله : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

والحديثان لا يحددان نوع العلم وإنما يدعانه مطلقا ، فالعلم فى هذين النصين أعم من أن يكون علم الدين وحده ، وإنما يدخل فيهما كل علم نافع فى الدين أو فى الدنيا .

وإذا كان أسلافنا رضى الله عنهم قد قسموا العلم إلى : سمعى وهو ما جاء به الوحى ، وعقلى وهو ما توصل إليه الإنسان بعقله (٣٤) .

فإن البنت المسلمة يجب أن تتعلم العلم الذى يؤهلها لأداء واجبها نحو ربها ونحو بيتها ونحو قريباتها وجيرانها ، وإن هدى النبى ﷺ ـ كما هو وارد فى السنة والسيرة ـ أن المسلمين والمسلمات يفقهون جيرانهم ويعلمونهم ويعظونهم وإن لم يفعلوا ذلك عوجلوا بالعقوبة ، وهذا الحديث مما يؤكد وجوب الدعوة إلى الله على المرأة المسلمة كالرجل سواء بسواء .

* روى الطبرانى فى المعجم الكبير بسنده عن علقمة عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ، ثم قال : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة » .

وبعد : فإذا كانت هذه حقوق المرأة بنتا وأختا ، فما هى واجباتها ؟

ذلك ما نوضحه فيما يلى بإذن الله .

ب ـ واجبات المرأة بنتًا وأختًا :

إن واجب البنت نحو والديها كواجب الولد سواء بسواء ، فى البر بوالديها وطاعتهما فى غير معصية لله ، وفى عدم الضجر بهما أو التأفف منهما ، مهما بلغ الكبر بهما أو بأحدهما .

وإن الإسلام فى إيجاب بر الآباء على الأبناء قد سبق الإنسانية كلها فى ماضيها

(٣٤) ممن ذهبوا إلى ذلك التقسيم : الراغب الأصفهانى فى مفردات القرآن .

وحاضرها ومستقبلها كذلك ، الإنسانية التى لم تهتد بكتب الله السماوية الصحيحة التى لم يدخلها تحريف .

إن الإسلام قد جعل بر الأبناء بالآباء بعد عبادة الله سبحانه ، فقال سبحانه وتعالى : **﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾** (٣٥).

* وروى البخارى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « رغم أنفه ، رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ ، رغم أنف رجل أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له »(٣٦) .

* وأخرج أبو نعيم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : ارتقى رسول الله ﷺ على المنبر درجة ، فقال : « آمين » ، ثم ارتقى درجة فقال : « آمين » ، ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال : « آمين » ، ثم استوى وجلس فقال أصحابه : يا رسول الله ، علام أمَّنْتَ ؟ قال : « أتانى جبريل عليه السلام فقال : رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين ، ورغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة ، فقلت : آمين ، ورغم أنف من أدرك رمضان فلم يغفر له ، فقلت : آمين » .

* وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » .

فجعل بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التى هي عماد الدين أو عموده ، بل جعل بر الوالدين أفضل من الجهاد فى سبيل الله .

ألا ليت أبناء هذا الزمان بنين وبنات يتأملون هذا الهدى النبوى ، فيعطون لوالديهم من الاحترام والتقدير والطاعة ما يدل على هذا البر ، ولكن ذلك مطلب عسير على الناشئين والشباب الذين يشاهدون وسائل الإعلام المرئية ويرون كيف تدعم هذه الوسائل الذراية بالوالدين وإهمالهما ، والتندر بهما إذا ما تقدمت بهما السن ، والتمرد عليهما بل التنكر لهما باستعمال الألفاظ التى لا تدل على احترام فى ندائهما أو الحديث عنهما ـ

---

(٣٥) سورة الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣٦) الإمام البخارى : صحيحه : باب بر الوالدين .

اسألوا مؤلفى ومخرجي وممثلى عدد كبير من الأفلام والمسرحيات والتمثيليات ، تجدون الجواب حاضرا فى الأذهان وفى أنماط السلوك الاجتماعي الذى أصبح سائدا فى المجتمعات المسلمة .

بل إن الإسلام لا يكتفى بأن يبر الأبناء آباءهم بل يطالب الأبناء بأن يبروا أصدقاء آبائهم كذلك .

* روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » .

* وروى أبو أسيد ـ وكان بدريا ـ رضى الله عنه قال : كنت مع النبى ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ، هل بقى من بر والدى بعد موتهما شىء أبرهما به ؟ قال : « نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما بعدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهذا الذى بقى عليك » .

* وروى أيضا بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : « من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح ، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان في الجنة ، وإن واحدا فواحدا ، ومن أمسى وأصبح مسخطا لوالديه ، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان إلى النار وإن واحدا فواحدا » فقال رجل : وإن ظلماه ؟ قال : « وإن ظلماه ، وإن ظلماه ، وإن ظلماه » .

* وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من الكبائر أن يشتم الرجل والديه » قالوا : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه ، ويشتم أمه فيشتم أمه » .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجزى ولدٌ والدا ، إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » .

وقد جعل الإسلام من أكبر الكبائر عقوق الوالدين ، وعقوق الوالدين قطيعتهم أو قطيعة كل ذى رحم محرم ، ويقال : « العقوق ثكل من لم يثكل » أى أن من عقَّه ولدُه فكأنما ثكلهم وإن كانوا أحياء .

ولما فى عقوق الأبناء بالآباء من مساءة وقطيعة رحم وتنكر وجمود للفضل ضخم الإسلام من هذه الجريمة وجعلها من أكبر الكبائر .

* روى الترمذى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم بأكبر الكبائر ؟ » ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « الإشراك بالله وعقوق الوالدين » ، قال : وجلس وكان متكئا ، قال : « وشهادة الزور أو قول الزور » ، فما زال رسول الله ﷺ يقولها حتى قلنا ليته سكت .

بل إن بر الأبناء بآبائهم لا يختص بأن يكون الآباء مسلمين ، بل يجب أن يشمل بر الأبناء آباءهم غير المسلمين كذلك ، قال الله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم** ﴾ (٣٧) .

* وروى البخارى بسنده عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت أمى وهى مشركة ـ فى عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبى ﷺ ـ مع أبيها فاستفتيت النبى ﷺ : إن أمى قدمت وهى راغبة أفأصلها ؟ قال : « نعم صلى أمك » .

* وروى الترمذى بسنده عن كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، مَنْ أبرّ ؟ قال : « أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى يلى ذاك ، حق واجب ورحم موصولة » .

* وروى الطبرانى بسنده عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال النبى ﷺ للرجل : « فأتنى بأبيك » ، فنزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قال فى نفسه ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : « ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ؟ » فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « إيه دعنا من هذا ... أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ماسمعته أذناك » فقال الشيخ : والله يا رسول الله ، ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى . قال : « قل وأنا أسمع » . قال : قلت :

غذوتك مولودا ومنتك يافعاً ... تُعل بما أجنى عليك وتُنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى فعينى تهمل

(٣٧) سورة الممتحنة : ٨ .

تخاف الردى نفسى عليك وإنها | لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى | إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائى غلظة وفظاظة | كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتى | فعلت كما الجار المصاقب يفعل

فأوليتنى حق الجوار ولم تكن | علىّ بمال دون مالك تبخل

قال : فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومالك لأبيك » .

* وروى الترمذى بسنده عن أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدى قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوىّ شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قا ل : « نعم ، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » .

وفى هذا المجال من الأحاديث النبوية قدر كبير لكننا نكتفى بالشاهد والمثال ، وفيه بإذن الله مقنع وكفاية .

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرنا يتبين لنا أن الأبناء بنين وبنات واجب عليهم بر الآباء .

وإن هذا البر ـ وهو ا توسع فى فعل الخير ـ صنوف عديدة من الأعمال نشير إلى أهمها وأبرزها فيما يلى :

١ ـ طاعة الأبناء للآباء فى كل ما يأمران به أو يطلبانه ، ما دام ذلك فى غير معصية الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ والإحسان إليهما على كل حال ، ولو كانا على غير دين الإسلام ـ وتلك نزعة إنسانية يسمو بها الإسلام فوق كل النظم والمناهج .

٣ ـ وإكرامهما فى كل وقت وفى كل موقف فى حياتهما بالبر وبعد موتهما بالصدقة .

٤ ـ وعدم التضجر منهما مهما حدث منهما .

٥ ـ والدعاء لهما والاستغفار لهما بعد موتهما .

٦ ـ وتفضيلهما على النفس وإيثارهما بكل حب وخير .

٧ ـ وبر أصدقائهما بعد موتهما .

٨ ـ وإنفاذ عهدهما بعد موتهما .

٩ ـ وصلة الأرحام التى لا توصل إلا بهما .

١٠ـ وعدم إلحاق أدنى عقوق بهما أو بأرحامهما أو بأصدقائهما .

وفى ذلك دستور اجتماعى يحمي المجتمع من التمزق والتمرد والنكران والجحود ، ويكفل له سلاما ووئاماً اجتماعيا ، لا يمكن أن يصل إليه إلا بالتمسك بهذه الأخلاق الإسلامية الحميدة .

إن الإسلام وهو يعالج صلة الأبناء بالآباء فى هذه القيم ، ليؤكد لكل ذى بصر ، فضلا عن بصيرة ، أن الحياة الاجتماعية فى عمومها لن تستقيم لها حال ، ولن تستطيع أن تؤدى ما يجب عليها أداؤه فى إقامة المجتمع القادر على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة التى تليق بتكريم الله سبحانه للإنسان .

إن المراقب اليوم للعلاقات الاجتماعية بين الأبناء والآباء ، فى ظل الحضارات المعاصرة التى تعتز بما وصلت إليه من تطور مادى ، بلغ حد تنظيم رحلات للناس ليعيشوا في كواكب أخرى !!! ـ ليجد أن هذه العلاقات بين الأبناء والآباء تتردى إلى حد تنكر الآباء للأبناء وتنكر الأبناء للآباء ، الأمر الذى أدى بدول هذه الحضارات أن تقيم دورا تتقبل فيها الأبناء الذين لفظهم آباؤهم ، ودورا أخرى لتقبل الآباء ـ وقد كبروا وعجزوا عن العمل ـ الذين تنكر لهم أبناؤهم فرفضوهم ، وأصحاب هذه الحضارات سعداء بهذا راضون عنه ، متجاهلين لهذا الألم المرير الذى يخيم على قلوب الأبناء والآباء على السواء .

إن مما رأيت بعينى ـ ولا أزال متألما له ـ أن إحدى السيدات المسنات تعمل خادمة فى بيت لتعيش ، فى حين لها عدد من الأبناء والبنات يعيش معظمهن فى بحبوحة من العيش ، لكنها لا تجد فى بيت أحد منهم مكانا يؤويها أو لقمة تسُد حاجتها إلى العمل فى خدمة الناس !!! .

ألا ما أقسى هذه القلوب المتحضرة التى عبر أصحابها الفضاء ووصلوا إلى الكواكب الأخرى ، وما أتعس الآباء والأمهات حين يتنكرلهم ويتخلى عنهم أبناؤهم وبناتهم ويدفعونهم دفعا إلى العيش فى دور إيواء كبار السن والعجزة ومن لا عائل لهم !!! .

ألا ما أقدر الإسلام ومنهجه ونظامه على تلافى آثار تلك المآسى والأوجاع الاجتماعية الأليمــة .

إن الإسلام أوجب على البنت ـ كما أوجب على الولد ـ رعاية الأبوين فى قوتهما وضعفهما وقربهما وبعدهما ، وفى حياتهما وبعد موتهما ، كما أوجب على الأبناء بر أصدقاء الآباء والأمهات بعد موتهما .

ألا ما أحكمه من منهج يبنى المجتمع بناء إنسانيا ، تُرفرفُ عليه المودة والمرحمة ، وجعل ذلك واجبا لا فكاك منه ما دام الأبناء قادرين عليه .

٢ ـ حقوقها وواجباتها نحو ذويها

المقصود بذويها من كانوا غير الأب والأم من الأرحام وهم :

الجد والجدة فهما بمنزلة الأب والأم العاليين ، سواء أكانوا أجداد الأب أم أجداد الأم ، فهم جميعا من حيث واجب البر إليهم سواء ، وإن كان هناك اختلاف فمن حيث الميراث فى بعض الأحيان .

ثم الإخوة والأخوات والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات .

ثم أبناء الإخوة والأخوات .

ثم أبناء الأعمام والعمات وأبناء الأخوال والخالات .

فكل هؤلاء لهم على البنت حقوق تتفاوت بتفاوت درجة القرابة ، لكنها حقوق يؤكدها جميعا ضرورة البر بهم .

كما أن على هؤلاء جميعا واجبات نحو البنت تتفاوت كذلك بتفاوت درجة القرابة ، لكنها واجبات يجمع بينها جميعا أن تحاط هذه البنت ولا تضيع أبدا ولها قريب أو قريبة على وجه الحياة .

وتلك أيضا من ميزات منهج الإسلام فى تنظيم حياة الناس وعلاقاتهم ، بحيث يتم التراحم والتكافل الاجتماعى بين الناس على وجهه الصحيح الذى يدعم بناء مجتمع متكامل راشديحسن ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة .

إن الإسلام فى كثير من نصوصه يقيم الجد والجدة مقام الوالد والوالدة .

ويقيم العم والعمة والخال والخالة بنفس المقام .

والإخوة لهم فى الإسلام حقوق وعليهم واجبات ، وأبناء الأعمام والعمات والأخوال والخالات ينزلهم الإسلام منزلة الإخوة والأخوات فى كثير من الظروف .

أما ابن الأخ وابن الأخت وبناتهما فإنهن بمنزلة الأبناء .

إن هذا النظام الذى يوجب على كل أولئك حقوقا ويفرض عليهم واجبات هو النظام الذى ينظر إلى العلاقات الإنسانية نظرة واعية سليمة تستهدف الوئام العائلى والسلام الاجتماعى .

وإن أى انتقاص من قدر هذه العلاقات لتدفع له العائلة ثمنا باهظا إن لم يكن اليوم فغدا ، ثم يدفع له المجتمع أبهظ الأثمان وأفدحها وأدعاها إلى التضييع والضياع .

أ ـ حقوق البنت على ذويها :

من حق المرأة بنتا أو أختا على كل هـؤلاء الذين ذكرنا ـ البر الذى تحدثنا عنه عند حديثنا عن الوالدين وضرورة برهما بأبنائهما ، ويدخل فى هذا البر الرعاية والاهتمام والحب والحرص على كل ما يصلح البنت فى دينها ودنياها وعلى دفع كل ضرر تتعرض له فى دينها ودنياهـا كذلك ، وذلك هو التكافل والتناصـر والتعاون فى جلب المصالح ودرء المضار ، والإسلام فيه سباق ، لا يلحقه فيه منهج أو نظـام .

هذا البر الذى هو من حق المرأة بنتا وأختا على ذويها يتراوح بين واجب ومندوب ، واجب على الوالدين ومن كان فى حكمهما فى وجوب النفقة ، ومندوب مستحب بالنسبة لغير الوالدين بعد موتهما .

وهـؤلاء الأقارب الذين عبرنا عنهم بأنهم ذووها قد نزلهم الإسلام منازلهم التى تقتضى المصلحة أن ينزلوا فيها ، ورد ذلك فى السنة النبوية المطهرة ليؤكد هذه المنازل ، ويحمل كل صاحب منزلة واجبه نحو المرأة ، فكان ذلك من روعة أحكام هذا الدين وقدرته على سَنّ أفضل طريقة فى حياة الناس .

* روى الدارمى بسنده عن مسروق عن عبد الله قال : « الخالة بمنزلة الأم والعمة بمنزلة الأب ، وبنت الأخ بمنزلة الأخ ، وكل ذى رحم بمنزلة رحمه التى يدلى بها ، إذا لم يكن وارث ذو قرابة »[٣٨] وهذا الحكم فى الميراث فما بالنا فى غيره ؟

* وروى أيضا بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « الله ورسوله مولى من لا مولى له ، والخال وارث من لا وارث له » .

* وروى الإمام مالك بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جاء عمى من الرضاعة يستأذن علىّ فأبيت أن آذن له علىّ حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فجاء رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال : « إنه عمك فأذنى له » ، قالت : قلت : يا رسول الله ، إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل ، فقال : « إنه عمك فليلج عليك » . قالت عائشة : وذلك بعد ما ضرب علينا الحجاب ، وقالت عائشة : يحرم من الرضاعة ما يحرم

---

(٣٨) الإمام الدارمى : مسنده : ٢ / ٣٦٧ ط . دار إحياء السنة النبوية ، دون تاريخ .

من الولادة [٣٩] .

* وروى الإمام البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه قال : اعتمر رسول الله ﷺ ... الحديث ، وفى نهايته قوله ﷺ : « الخالة بمنزلة الأم » بعد أن قضى رسول الله فى ابنة عمه حمزة بن عبد المطلب ــ وكان قد تنازع فى ولايتها ورعايتها أكثر من واحد بعد استشهاد أبيها عليه رضوان الله ــ لخالتها وكانت تحت جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا [٤٠] .

والجد والد ــ هذا هو المقرر المتفق عليه ــ حتى إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يورث الجد مع وجود الأب .

هذه القرابات اللاصقة للبنت أو غير اللاصقة جعلها الإسلام علاقات موجبة للبر بالمرأة بنتا أو أختا ، وموجبة للرحمة والحنان وحسن الرعاية وجوبا أو ندبا .

ومن هنا ندرك أن الإسلام نظر إلى المرأة بنتا أو أختا فلم يقبل أن يضيع شيء من حقوقها ، فضلا عن أن تضيع هى نفسها فى تيارات الإهمال والسلبية أو النكران والجحود ، إنها صاحبة حق على هؤلاء ، مندوب إليه فى حياة والديها وواجب بعد موتهما على الأقرب فالأقرب ، فهل هناك مكانة أحسن وآمن من تلك المكانة ؟

بل إن أبناء الأعمام والأخوال والعمات والخالات يدخلون فى وجوب هذا البر إذا لم يكن للمرأة بنتا أو أختا من هم أقرب إليها ممن تجب عليهم إعالتها .

كل ذلك من أجل أن تكون العلاقات العائلية بين ذوى الأرحام والعصبات على النحو الذى يجعل المسلم على أحسن حال وأكمل صورة وأوثق علاقة ، وكل ذلك ينعكس على المجتمع كله براً ومودة ورحمة ، وتعاونا وتناصرا ، وبعداً عن التناحر ، وقربا من الوئام .

وما أحوج الناس فى كل زمان ومكان إلى أن يتمثلوا بما شرعه الله ونادى به الإسلام من توطيد لبناء المجتمع الصالح بتوثيق هذه العلاقات .

ألا ليت الذين يتركون بناتهم للشوارع وللضياع ــ فى الغرب ــ بأى حجة يحتجون بها ، كالاعتماد على النفس والاستقلال الاقتصادى والحرية الشخصية ، وما إلى ذلك من تعللات هى كلها من همزات الشياطين ، وهى فى حقيقتها تنكر لذوات الأرحام .

---

(٣٩) الإمام مالك : الموطأ ٢ / ٤٢ . ط الحلبى ــ مصر ، دون تاريخ .

(٤٠) الإمام البخارى : ٣ / ٢٤٢ . ط دار الشعب ، دون تاريخ .

ألا ليتهم يدركون عظمة منهج الإسلام فى المحافظة على البنات وعلى الأسرة وعلى المجتمع ،وليت الضائعين من المسلمين الذين يقلدون الغرب فى كل ما يفعل حتى فى إعطاء الحرية للبنت فى أن يكون لها عشيق ، ليتهم يعرفون أن البقاء للأصلح ، وأن تلك البهارج التى تخدعهم عن الحق إلى زوال وإلى خراب وتخريب .

ألا ليت هؤلاء وأولئك يعرفون كيف تمارس البنات فى مجتمعات الغرب ، أوربا وأمريكا ، هذا الاعتماد على النفس وذلك الاستقلال الاقتصادى وهذه الحرية الشخصية ! ! !

إن محترفى الجرائم المروعة فى تلك المجتمعات يستقبلون بكل ترحيب هذه الجموع الضخمة من البنات والبنين الذين طردوا من رحاب الأسرة ليصطفوا منهم أدوات ماهرة قادرة على ارتكاب الجريمة ، الجريمة بكل أنواعها وعلى كافة مستوياتها ، وإنهم ليجدون فى هؤلاء المطرودين خامات جيدة ونفوس طيعة للجريمة تحاول بالإجرام أن ترد على تلك الأنظمة الأسرية المتفككة .

إن من ينظر إلى المجتمعات الغربية ليرى هوان البنت على ذويها وعلى نفسها ، وليدرك أنه أصبح من النادرأن تتعرف البنت على عمها أو خالها أو عمتها أو خالتها فضلا عن أبنائهم وبناتهم ، إن من ينظر إلى هذا المآل للبنت يستطيع أن يربط بين هذا الضياع وبين تخلى الأبوين عن بنتهما وابنهما فى وقت مبكر من حياتهما .

إن الناظر إلى هذا الواقع المؤلم فى الغرب ، لوقارن بينه وبين نظام الإسلام فى مطالبة أقرباء البنت دنوا أو بعدوا برعايتها وحسن العناية بها ، واعتبار ذلك حقا من حقوقها يجب وجوبا على الأدنى منها فالأدنى ، لأدرك من خلال هذه المقارنة كيف ينجح نظام فى بناء المجتمع بناء سليما ، وكيف يهوى فى هذا المجال نظام .

وفى الوقت الذي يطالب الإسلام برعاية البنت كل هذه الرعاية ويلزم أقربائها بها ، فإنه لا يدع البنت هكذا تتمتع بحقوق ضخمة كهذه دون أن تؤدى واجبات فى مقابل هذه الحقوق ، وإنما يلزمها بواجبات نحو كل أولئك ، ابتداء من أبويها وانتهاء بأبعد الأقرباء إليها ، لتستقيم الحياة ويعتدل ميزانها بين التمتع بالحق وأداء الواجب .

ب ـ واجباتها :

واجبات البنت ـ أو الولد ـ نحو ذويها لا تختلف كثيرا عن واجباتها نحو والديها إلا بمدى القرب أو البعد من هؤلاء الأقارب ، وعلى سبيل المثال : فالجدان والجدتين والأعمام

والأخوال بمنزلة الأبوين ، كما ورد ذلك فى السنة النبوية المطهرة فيما سقناه من أحاديث نبوية فيما سلف .

وسائر الأقرباء من بعد ذلك يتنزل كل منهم بمنزلته من الصلة التى أفضى بها ، وله من الواجب على البنت ـ أو الولد ـ ما بمثله تستقيم الحياة الاجتماعية بتوثيق هذه الروابط ودعم هذه الصلات .

مع ضرورة التنبيه على أن كل قريب للبنت ممن يحل له أن يتزوج منها كأبناء الأعمام والعمات والأخوال والخالات ، يأخذون فى علاقتهم بالبنت مكان الأجنبى عنها فى الاختلاط والخلوة وإبداء ما ظهر من الزينة ، وليس هؤلاء كإخوة البنت فى هذه الأمور وإنما هم كالأجانب سواء بسواء ، والبر والرعاية الواجبة عليهم نحو البنت إنما تؤدى فى ظل هذه التحفظات .

وكذلك الشأن فى كل قريب يحل له أن يتزوج من البنت .

وواجبات البنت نحو هؤلاء جميعا أشرنا إليها آنفا وحصرناها ـ من وجهة نظرنا فى هذا الكتاب ـ فى عشرة واجبات ، أولها الطاعة فى غير معصية ، وآخرها عدم إلحاق أدنى عقوق بواحد أو واحدة منهم ، حفاظا على الدستور الاجتماعى الذى يعمل على بناء مجتمع إسلامى شديد التماسك قادر على تحقيق المودة والتراحم والتعاون والتكافل .

ومالم تؤد البنت هذه الواجبات فى حدود ما تقدر عليه ، فإنها تأثم ، إذ تخالف ما طالبها به الإسلام ، ولو خالفت فإنها بالضرورة ـ وفى أغلب الأحيان ـ سوف تفقد حقوقها نحو هؤلاء الأقارب والأرحام ، لأن الحقوق والواجبات ـ كما أسلفنا ـ تربطهماعلاقة التلازم إلا فى القليل النادر من الأحوال ، حيث يوجد من يأخذ ولا يعطى ، أو يعطى ولا يأخذ ، وحتى على فرض وجود هذا القليل النادر فإنه ليس فى صالح المجتمع ، ولا يسهم فى بنائه بناءً سليما .

٣ ـ حقوقها وواجباتها نحو المجتمع الذى تعيش فيه

المجتمع بما يشتمل عليه من ناس يعيشون معا فى منطقة بعينها ، وبما يجمع بينهم من علائق فكرية وثقافية واقتصادية ووحدوية ، وبما يوجد فى هذا المجتمع من نظم وقوانين وعادات وأعراف ، وبما يجب أن يحافظ عليه هذا المجتمع من قيم ، وبما يتجه إليه من اشتمال على كافة الأشكال التنظيمية التى تكفل له الاستمرار فى الحياة الملائمة للإنسان .

المجتمع بكل هذه الشروط ، للبنت فيه حقوق وعليها نحوه واجبات ، حقوق أعطاها لها الإسلام وأوجبها على المجتمع لكى يعيش الأمن الاجتماعى الحقيقى ، ولكى تصان فيه المرأة بنتا وأختا ؛ لأنها زوجة المستقبل وأم هذا المجتمع فيما بعد ، وإذا لم تصن وتتمتع بحقوقها بنتا وأختا عجزت عن ممارسة حقوقها زوجة وأمّا ، وفى هذا ما فيه من الانحدار بالمجتمع عن الحدود الإنسانية الكريمة التى تجعل منه مجتمعا سليم البناء .

وكما أن للمرأة بنتا وأختا حقوقا على هذا المجتمع ، فإنه على هذه البنت أو الأخت واجبات نحو هذا المجتمع ، ناسه ونظمه وأعرافه وعاداته وتقاليده وقيمه وآدابه ، فلو أخلت بشىء من هذه الواجبات لكانت سببا فى تخلف المجتمع عن أن يكون فى صورته الإنسانية الكريمة ، ولو تخلت عن هذه الواجبات لكانت سببا فى هدم المجتمع هدما ، وهى بذاك الإخلال أو بهذا التخلى عن واجباتها تفقد ـ أو تصبح أهلا لأن تفقد ـ حقوقها على هذا المجتمع ، ناسه ونظمه وأعرافه وقيمه ، ولو وصل الأمر إلى هذا فإن المجتمع كله رجالا ونساء ونظما وأعرافا وقيما وآدابا ، سوف يخسر خسارة فادحة تحول بينه وبين أن يمارس الحياة الإنسانية الكريمة التى فضل الله بها الإنسان على سائر خلقه .

أعود فأكرر أن القضية فى كل مستوى من مستوياتها قضية حقوق وواجبات متبادلة ، وأن التقصير فى أى من طرفى القضية هو الضياع الفردى والاجتماعى ، بل الدنيوى والأخروى والعياذ بالله . فما هذه الحقوق وما تلك الواجبات ؟

أ ـ حقوقها على المجتمع :

إن على المجتمع حقوقا للمرأة بنتا وأختا ، لا يستطيع أن يتجاهل منها شيئا ، ولو فعل فإنه قبل أن يسىء إلى المرأة يكون قد أساء إلى نفسه ، فى حاضره بشيوع الرذائل والجرائم ، وفى مستقبله بالضلال والضياع والعجز عن ممارسة حياة كريمة .

وإن حقوق المرأة بنتا وأختا على المجتمع لكثيرة ، نذكر منها ما نراه ذا أهمية وأولوية،

تاركين التوسع فيه لعلماء الاجتماع من المسلمين الملتزمين الذين يعملون على أن يكون بناء المجتمع سليما موافقا لآداب الدين وقيمه ـ فمن أهم هذه الحقوق عندنا ما يلي :

١ ـ صيانة المرأة من النظر إليها نظراً أبعد من نظر العفو ، أي لا ينبغي أن ينظر أحد إليها ذلك النظر المتتبع الذي يحرج الحرائر من النساء ـ ويرضي صاحبات الأهواء ـ فقد طالب الإسلام المؤمنين بأن يغضوا أبصارهم عن النساء خصوصا وعن كل ماحرم الله عموما ، قال الله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم والله خبير بما يصنعون** ﴾ [(٤١)] .

فالمجتمع كله يجب أن يتواصى رجاله وشبابه بغض البصر عن النساء ، وعن كل ما يؤدي إلى الضرر والشر ، لأن مدّ البصر إلى النساء يحرك الشهوات وهو من أقوى دواعي الزنا ، إذ البصر هو الباب الواسع إلى القلب ، وقلما يكون دغل بالقلب وانشغال له بالحرام إلا من قبيل البصر الذي يتتبع العورات والمحرمات ويجري وراء أنواع الفتنة .

* روى البخاري بسنده : قال سعيد بن أبي الحسن للحسن رضي الله عنهم : إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن . قال : اصرف بصرك ، يقول الله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم** ﴾ أي أطهر لهم في الدين وأبعد من الدنس .

ومن لم يستجب فإن الله خبير بما يصنع معاقب له على المخالفة ، وهو تهديد من الله تعالى لمن لم يغضوا أبصارهم .

٢ ـ ومن حق المرأة بنتا وأختا على المجتمع أن يتناهى أفراد المجتمع ونظمه وأعرافه عن المنكر ، وذلك أن المنكر إنما سمي بذلك لأن العقول الصحيحة تحكم بقبحه ، أو تتوقف في ذلك فتحكم بقبحه الشريعة السمحة ، إن المنكر هو الميدان الرحب الذي يجوب فيه الشيطان فيزين الباطل والهوى .

وأول المنكر إرسال النظر إلى ما حرم الله ، فإن ذلك يؤدي إلى الشر والفساد ، وثاني هذا المنكر عدم التناهي عن إيقاع الأذى بالناس ، وثالثه ترك رد السلام ، ورابعه ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(٤١) سورة النور : ٣٠ .

* روى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات » فقالوا : يا رسول الله ، مالنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال : « فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

إن المجتمع لكى يؤدى ماعليه من حق للمرأة عليه أن يلتزم بالتناهى عن المنكر بكل أنواعه ، أما أن يسكت المجتمع عن مرتكب المنكر خوفا منه أو إيثارا للعافية أو سوء فهم للدين كما يشاع بين الجاهلين فى مثل هذه الظروف من قول بعضهم « عليكم أنفسكم » فإن ذلك كله يدين المجتمع كله ، ويسرع به نحو الفساد والضياع .

٣ ـ ومن حق المرأة على المجتمع أن يتواصى أفراده جميعا بوجوب حفظ فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم .

وحفظ الفرج ليس هو ترك الزنا وحده ، وإنما هو ترك الزنا ودواعيه ومثيراته ، فليس للرجل المسلم أن يظهر من عورته شيئا لمن لا يحل لها ذلك ، من زوجة أو ملك يمين . كما أنه ليس له أن يلبس ملابس تجسم عورته كتلك الملابس الضيقة أوشديدة الضيق لأنها تجسم العورة ، وليس له أن يلبس الملابس التى تشف عن هذه العورة ، وليس للمجتمع الذى يوجد فيه مثل هذا الفاسق أن يسكت عنه ، فإن سكت فقد أخل بالتناهى عن المنكر وأخل بضرورة مقاومة دواعى الزنا .

* روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه » .

* وروى أبو داود بسنده عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : « إن استطعت ألا يراها فافعل » قلت : فالرجل يكون خاليا ؟ قال : « الله أحق أن يستحيا منه من الناس » (٤٢)

---

(٤٢) أبو داود : سننه : باب الحمّام .

٤ ـ ومن حق المرأة على المجتمع بنتا وأختا ، أن يلزم الناس باحترام الشعور العام فى المجتمع ، بحيث لا تقع عين امرأة أو رجل على ما يستحيا من رؤيته ، ومعنى ذلك أن تمتنع كل صور الاستهتار التى تتفشى بين الناس اليوم وبين الشباب على وجه خاص ، كالتعامل بألفاظ خادشة للحياء وارتداء الملابس غير اللائقة بالرجال كالملابس الحريرية والمنقوشة والملونة والضيقة والشفافة ، وتخنث بعض الشباب وتشبههم بالنساء فى الملبس أو المشى أو الكلام .

كل هذه الأمور عندما يمنعها المجتمع بأى وسيلة مناسبة من وسائل المنع إنما يؤدى للمرأة حقها عليه ، إذ يجب أن يتعاون المجتمع على أن تحيا المرأة فى مجتمع نظيف لايشجع على الرذيلة ولا يسمح بها ، بل يسد كل أبواب الشر إذا كان مجتمعا متناهيا عن المنكر .

إن المجتمع النقى من هذه المنكرات هو المجتمع القادر على أن تنشأ فيه المرأة تنشئة حسنة تعينها على الهدى والتقى .

إنه المجتمع الذى يعين بنظمه وما يسود فيه من قيم على إعداد البيت المسلم ، الذى يحسن تربية أبنائه بنين وبنات ، وإلزامهم بأخلاق الإسلام وآدابه ومنهجه ونظامه .

وبعد : فهذه صورة مجملة لحقوق المرأة بنتا وأختا على المجتمع الذى تعيش فيه ، والتى تعد فى الوقت نفسه واجبات هذا المجتمع نحوها ، إنها واجبات المجتمع أفرادا ومؤسسات ، حكاما ومحكومين ، إنها واجبات نظم المجتمع وما يسوده من قيم وآداب ، لا يستطيع المجتمع أن يقصر فيها أو فى شىء منها إلا إذا كان مجتمعا غير سليم البناء ، أو غير راغب فى أن يكون سليم البناء قوى البنيان .

إن حقوق المرأة بنتا وأختا على النحو الذى بينا ما يجوز أن يستثنى أحد ولا نظام فى المجتمع من أن يؤديها على وجهها الأكمل ، وإلا ضيع هذا الاستثناء الثمرة كلها ، وأصاب المجتمع بمزيد من الأعطاب .

هذه هى حقوقها فى صورتها المجملة ، فما هى واجباتها ؟

ب ـ واجباتها :

إن واجبات المرأة المسلمة بنتا وأختا نحو المجتمع الذى تعيش فيه لكثيرة وهى موازية

لواجبات الرجل ، ومن خلالهما معا يستطيع المجتمع المسلم أن يحصل على كل حقوقه ، إن واجبات المرأة نحو المجتمع لا تغني عنها واجبات الرجل نحو المجتمع ، والعكس كذلك صحيح ، ولعل السر في ذلك أن المجتمع الذي يبنى بناء سليما لا بد أن يسهم في بنائه كل فرد فيه ، من رجل أو امرأة ، ومن صغير أو كبير ، ومن ضعيف أو قوي .

إن المجتمع الذي يريد أن يشق طريقه نحو التقدم والرخاء في مجالات هذا التقدم والرخاء ، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بل الحضارية ، لابد أن يؤدي كل فرد فيه واجبه نحو هذا المجتمع ، وإلا فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولا مكان لمجتمع يجحد أفراده حقوقه عليهم أو يتكاسلون أويقعدون .

وإن واجبات المرأة بنتا وأختا نحو المجتمع لجد خطيرة ، ولأكثر عمقا وأثرا في الأخلاق والقيم ، ولأقدر على غرس الفضيلة في نفوس الناس ، وعلى طرح الرذيلة والشر ، وذلك أن بداية الانحراف الخلقي في مجتمع مًا ، إنما تبدأ بتخلي المرأة عن واجباتها فيه ، لأن واجبات المرأة ـ كما سنوضح ـ كلها أخلاقي ، فإذا ما انحلت الأخلاق بتبرج المرأة وتخليها عن هذا الواجب الأخلاقي ، فكيف يستطيع المجتمع أن يشق طريقه نحو التقدم والرقي ، وقد شغل بناته بأهوائهم وشهواتهم ، وما زينته لهم النساء اللاتي لا تلتزمن بواجبهن الأخلاقي في المجتمع ؟

فما هذه الواجبات ؟

نستطيع أن نشير إلى عدد من هذه الواجبات فيما يلي :

١ ـ غض البصر عما حرم الله ، فإن البصر ـ كما قلنا آنفا ـ هو الباب الواسع للقلب ، وهو الذي يزين للقلب الشر والباطل ، بل يملأه أحيانا بالدغل والمرض ، والتطلع إلى الحرام .

وقد طالب الإسلام النساء بما طالب به الرجال من وجوب غض البصر عما حرم الله ، قال الله تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ (٤١) .

وإنما خص المؤمنات بالذكر والمطالبة بغض البصر مع أنهن داخلات في عداد المؤمنين المطالبين بغض البصر في قوله : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ لأن المؤمن ذكر أو أنثى داخل في هذه الآية ، كما هو الشأن في معظم خطاب القرآن الكريم في التكاليف إذ يطلب من الرجال ويخاطبهم ويدخل في ذلك النساء ـ

---

(٤١) سورة النور : ٣١ .

لزيادة التأكيد على مطالبة النساء بغض البصر ، أو لرفع توهم أن المرأة قد لا تفتنها رؤية ما لا يحل لها من الرجل .

وفى الخبر : « إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم ، فمن غض بصره أورثه الله الحلاوة فى قلبه » فلا يحل لامرأة أن تمد بصرها لترى من الرجل ما لا ينبغى أن تراه ، بل ليس لها أن تطيل النظر إليه ولو إلى وجهه ، تماما كما منع الإسلام الرجل أن يمد عينيه إلى المرأة أو ينظر فوق النظرة الأولى ، لأن علاقة المرأة بالرجل وانجذابها الفطرى إليه كعلاقته بها وانجذابه الفطرى إليها ، فتلك هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها : الرجل يطلب المرأة والمرأة تطلب الرجل ولا صحة لها نفسيا وبدنيا واجتماعيا إلا بهذا التلاقى المشروع ، والأديان كلها تنظم هذا التلاقى وتقننه وتضع له الشروط والآداب ، ولو ترك كل منهما يطلب الآخر دون هذه الضوابط والتشريعات لكان فساد فى الأرض لا يعدله فساد .

* وقد روى الترمذى بسنده عن نبهان مولى أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها ولميمونة أم المؤمنين رضى الله عنهما وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم : « احتجبا » فقالتا : إنه أعمى ، قال : « أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه ؟ » .

وعلى الرغم مما قال علماء الحديث والرواية فى نبهان وأنه لا يحتج به ، فإن الحديث رواه أبو داود وأحمد ـ أى رواه ثلاثة من الستة المعتمدين فى جمع أحاديث الرسول ﷺ وتحريرها والتدقيق فيها رواية ودراية .

وفى الحديث دلالة على ضرورة التحفظ من المرأة بالنسبة إلى النظر إلى الرجل ، وأن ذلك النظر ليس مسموحا به دون قيود ، وإنما هو ـ كما أوضحنا فيما سلف ـ يعفى عن النظرة الأولى العفوية ويحاسب على النظرة الثانية .

* وروى الإمام أحمد بسنده أن النبى ﷺ أمر فاطمة بنت قيس أن تعتد فى بيت أم شريك ، ثم قال : « تلك امرأة يغشاها أصحابى ، اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك لا يراك » .

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على أن المرأة يجوز لها أن تطلع من الرجل على ما لا يجوز للرجل أن يطلع عليه من المرأة ، كالرأس ومعلق القرط ، وأما العورة فلا .

٢ ـ وعلى المرأة ألا تبدى زينتها ـ أى مواضع الزينة من جسمها ـ إلا ما ظهر منها .

وعلماء المسلمين من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يرون أن ما ظهر من الزينة ـ أى ما يباح إبداؤه ـ هو الوجه والكفان والثياب .

قال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة رضى الله عنهم : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفتخ ـ أى الخاتم ـ ونحو هذا تحتاج المرأة أن تبديه لكل من دخل عليها من الناس .

وروى الطبرانى عن قتادة عن النبى ﷺ حديث فى معنى نصف الذراع ، وحديثا آخر عن عائشة رضى اللـه عنها عن النبـى ﷺ أنه قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت ـ أى حاضت ـ أن تظهر إلا وجهها ويديها إلى هنا » وقبض على نصف الذراع أى ما هنالك ضرورة لإظهاره ، وبعد ذلك فإن عليها أن تجتهد فى الإخفاء لكل ما هو زينة .

ويرى العلماء أن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك .

وزينة المرأة نوعان :

زينة ظاهرة : يجوز لها أن تبديها لكل الناس من المحارم والأجانب ، وهى الوجه والكفان والثياب .

وزينة باطنة : لا يحل لها أن تبديها إلا لمن سماهم الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز وهم المذكورون فى قوله : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [٤٢] .

٣ ـ وعلى المرأة المسلمة ـ من أجل المجتمع الذى تعيش فيه ـ أن تختمر أى تستر رأسها وما يبدو من جسمها ومن فتحة ثوبها فى الصدر ، ورقبتها وموضع القرط من أذنيها ، فذلك مطلب شرعى ما منه فكاك ولا عنه معدى ، كما أنه مطلب لا يخضع لاجتهادات الناس فى العصور أو البيئات المختلفة فيقال إن عصر كذا يمكن أن يخفف

(٤٢) سورة النور : ٣١ .

فيه فتكشف المرأة كذا ، أو بيئة كذا شديدة الحرارة فيمكن أن تكشف المرأة فيها كذا ... لأنه قد ورد فى ذلك نص وهو من المطالب الثوابت فى الشريعة الإسلامية التى لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ، وإنما هو مستمر طالما كان على الأرض حياة إنسانية .

وذلك النص القرآنى فى ذلك هو قول الله تعالى : ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ [٤٣] .

والخمار : من الخمر وهو الستر والتغطية ـ والخمر التى يشربها بعض الناس سميت بذلك لأنها تستر العقل وتغطيه . وفى الحديث الشريف : « خمروا آنيتكم » أى غطوها .

وقد استعمل الخِمار لما يستر رأس المرأة وعنقها وأذنيها . والجيب : فتحة فى القميص أو الثوب تدخل منه الرأس عند لبسه وجمعه جيوب .

قال القرطبى : وسبب نزول هذه الآية أن النساء كن فى ذلك الزمان إذا غطين رءوسهن بالأخمرة ـ وهى المقانع ـ سدلنها من وراء الظهر ـ قال النقاش ـ كما يصنع النبط ، فيبقى النحر والعنق والأذنان بغير ستر ، فأمر الله تعالى بالخمار على الجيب وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها .

* وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : رحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزل : ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن أزرهن فاختمرن بها .

ودخلت على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بنتُ أخيها حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقد اختمرت حفصة بشىء يشف عن عنقها ، وما هنالك ، فشققته عليها ، وقالت : إنما يضرب بالكثيف الذى يستر .

والمرأة المسلمة مطالبة بأن تتخذ خمارا تغطى به رأسها وتضربه على جيبها فيغطى فتحة ثوبها وعنقها ورقبتها وأذنيها ، وكل ذلك مما أمرها الله به أن يستر وهو موضع الزينة منها ، وفى هذا حماية للناس فى المجتمع أن تقع عيونهم على مواضع زينة المرأة ، وهذا واجب المرأة أولا .

---

(٤٣) سورة النور : ٣١ .

٤ ـ وعلى المرأة المسلمة أن تمتنع تماما عن مشية تسمع فيها صوت خلخالها أو شيئا من زينتها ، فإن سماع صوت الزينـة كإبداء الزينـة ، بل أشد فى إثارة الانتباه والفتنـة ، والمطلوب من المرأة التستر لا الإظهار ولا إثارة الانتباه .

قال القرطبى فيما رواه عن المعتمر عن أبيه أن أباه قال : زعم حضرمى أن امرأة اتخذت برتين (أى خلخالين أو حلقتين من سوار وقرط) من فضة ، واتخذت جزعا (ضرب من الخرز) فمرت على قوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوّت ، فنزلت هذه الآية .

وسماع هذه الأصوات من الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبداء الزينة ـ قاله الزجاج ـ .

وقد قال العلماء : إذا فعلت المرأة ذلك فرحا بحليها فهو مكروه ، فإذا فعلته تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام .

وكذلك الأمر بالنسبة للرجال ، من ضرب بنعله تعجبا فهو حرام ؛ لأن العجب كبيرة من الكبائر ، وإن فعل ذلك تبرجا لم يَجُز له .

٥ ـ وليس للمرأة المسلمة ـ وهى تتكلم ـ أن ترقق صوتها أو تلينه ؛ لأن ذلك حرام ، حيث يُطمع فيها الرجال ، وبخاصة من كان منهم فى قلبه مرض أو تطلع لفسق أو غزل ، فإن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتـقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قـلبه مرض** ﴾ (٤٤) .

ومن المعروف أن كل ما تُطَالبْ به نساء النبى ﷺ تطالب به كل مسلمة ، إلا فيما خص الله به نساء النبى رضى الله عنهن من أحكام .

قال كثير من العلماء : كان النسـاء إذا كلمن الرجـال رخَّمن أصواتهن وليَّنها مثل كلام المريبات والمومسـات ، فنهاهن اللـه عن ذلك وأمرهن بأن يكـون قولهن جزلا وكلامهن فصلا ، ولا يكون على وجه يظهر فى القلب علاقـة بما يظهر عليه من اللين .

وفى عصرنا هذا الذى تفشت فيه أنواع التسيب فى النساء ، ينبغى أن نؤكد أن لين القول أو ترخيم الصوت الذى يطمع من فى قلبه مرض من الرجال ، يجب أن

(٤٤) سورة الأحزاب : ٣٢ .

ينسحب على كل كلام أو إشارة أو عمل تؤدى إلى أن يطمع الذى فى قلبه مرض .

والآية الكريمة التى أوردناها رد مقنع ومفحم لأولئك الذين يقولون : إن للمرأة أن تغنى فتسمع الرجال ! ! ! فأى خضوع فى القول وتليين للصوت وترخيم له ومدٍّ يطمع الرجال فى النساء أكثر من أن تقوم امرأة بين رجال لتغنى ؟

هدانا الله وهدى أولئك القائلين بهذا القول ـ الخطير ـ إلى الصواب ، ورزقنا وإياهم اتباع ما جاء فى القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ ، وعلمنا وإياهم من ذلك الفيض ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نسينا إنه على ما يشاء قدير .

٦ ـ وعلى المرأة المسلمة أن تقر فى بيتها ، وتؤثر البقاء فيه على الخروج منه مالم تكن هناك دواع للخروج تقرها شريعة الإسلام ، فذلك هو الأصل ، صيانة للمرأة ودفعا للفتنة .

ونستطيع أن نذكر من موجبات الخروج من البيت الذى لا ترى به الشريعة بأسا ما يلى :

أ ـ الخروج لطلب العلم فى مدرسة أو معهد أو جامعة فى غير اختلاط بالرجال .

ب ـ الخروج إلى المساجد فى بعض الأوقات بشرط الذهاب إلى المسجد .

جـ ـ الخروج إلى تعليم بعض النساء أمور دينهن إن كانت من أهل العلم والقدرة على التفهيم والتفقيه والتدريس .

د ـ الخروج إلى العمل الذى لا حرج فى مزاولته بالنسبة للمسلمة كتطبيب النساء ، والتمريض ، والتدريس للبنات وما إلى ذلك من الأعمال التى تعد بالنسبة لها ضرورة ، ولا يترتب على ممارستها لها أى مخالفة للدين .

وفى كل الأحوال فإن خروج المرأة من بيتها مشروط بألا تبدى زينتها ولا تتعطر ولا تخضع فى القول ولا تخالف الدين فى مشيتها أو حركتها أو ملابسها ، وأن لا تخلو بأحد من الرجال .

وكل تهاون فى شىء من ذلك إثم ومعصية من جانب المرأة ، وقصور منها وتقصير فى أداء واجبها نحو المجتمع الذى تعيش فيه .

٧ ـ وليس للمرأة المسلمة أن تتبرج لأنها بذلك تقصر فى حق المجتمع .

والتبرج : إظهار ما يكون ستره أحسن ، أو التكشف والظهور للعيون .

وقد طالب الله سبحانه القواعد من النساء ـ أى اللاتى لا يرغب فى نكاحهن ـ بألا يتبرجن بزينـة ، فما بالنا بغير القواعد من النسـاء أى الشـواب اللاتى يرجون نكاحا ؟

فقال تعالى : ﴿ **والقواعد من النسـاء اللاتى لا يرجـون نكاحـا فليـس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينـة وأن يستعففن خير لهن والله سميـع عليـم** ﴾ (٤٥) .

والمتبرجـة : هى التى تظهر زينتها وتتعرض للرجال لرؤيتها فإن ذلك من أقبح الأعمال وأكثرها إساءة للمرأة ، لما فيه من مخالفة الله سبحانه ، والإضرار بالمجتمع .

ومن التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفانها .

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وقد اعتبرن كاسيات لأن عليهن ثياب ، واعتبرن عاريات لأن تلك الثياب تصف أجسامهن وتبدى محاسنهن .

ومن النهى عن التبرج ـ كذلك ـ قول الله تعالى : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ ـ أى الجاهلية الجهلاء لأنه لا جاهلية ثانية أو ثالثة ـ ، وذلك أن النساء كن يُظهرن ما يقبح بهن إظهاره ، وقيل : كان النساء يمشين بين الرجال ، وقيل : أمر النساء فى الجاهلية دون حجاب .

وقد قيل لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين ، ما تقولين فى الخضاب والصباغ والتمائم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثوب ؟ فقالت : « يا معشر النساء ، قصتكن قصة امرأة واحدة ، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرما » .

٨ ـ وعلى المرأة المسلمة بنتا كانت أو أختا أن تلزم نفسها ما استطاعت ألا تكون سببا من أسباب إثارة الانتباه لدى الرجال فى المجتمع بكلامها أو إشارتها أو مشيتها أو لبسها أو

(٤٥) سورة النور : ٦٠ .

إبداء شيء مما أمر الله بستره من جسمها ، فى أى مجال توجد فيه فى الشارع أو المدرسة أو السوق أو مجال العمل الذى تقوم به ، لأنها بذلك تؤدى حق المجتمع عليها وهذا واجبها ، وفى الوقت نفسه فإن التزامها بذلك تقرب إلى الله تعالى وعمل طيب تؤجر عليه ، إننا عندما نطالب الشباب ــ باسم الإسلام ــ أن يغضوا أبصارهم فإننا نطالب النساء بألا تكون إحداهن سببا فى أن تثير الرجل فينظر إليها أو يسمع منها ما يطمعه فيها إن كان فى قلبه مرض ، أو يرى منها ما يغريه بالفسق والخروج عن أدب الإسلام فى غض البصر أو العفة .

إن المرأة المسلمة بنتا أو أختا ــ أى شابة ـ تستطيع بالتزامها بأداء هذه الواجبات نحو المجتمع أن تحاصر الرذائل وأن تكون سببا فى القضاء عليها بتضييق السبيل أمامها وسد منافذ الشياطين دونها .

وإذا كانت النساء عموماً فتنة للرجال كما ورد ذلك على لسان المعصوم ﷺ ، فإن كل امرأة مسلمة تستطيع أن تسد باب هذه الفتنة سدا محكما ، إذا هى التزمت أدب الإسلام فى حياتها كلاما وعملا وسكونا وحركة وتعاملا ، وهى بهذا صاحبة أجر ومثوبة عند الله تعالى .

إن المرأة سلاح يلعب به الشيطان ليزين الباطل ويشجع على كل ما يغضب الله ، كما يلعب أعداء الإسلام من دعاة التبرج وإشاعة الفاحشة فى المجتمع المسلم ، فما ينبغى لامرأة مسلمة أن تكون سلاحا يلعب به شياطين الجن أو شياطين الإنس ، وإن تفعل فقد خانت أمانة ربها ودينها والمجتمع الذى تعيش فيه .

٩ ــ وعلى المرأة المسلمة بنتا وأختا ــ من أجل أداء واجبها نحو المجتمع ــ أن تكون طوع أبيها وأمها وإخوتها وأوليائها جميعا ، مادام أحدا من هؤلاء لم يأمرها بما فيه معصية لله ، فإن تلك الطاعة سوف تنعكس بأحسن الآثار على المجتمع الذى تعيش فيه .

إن تلك الطاعة الواجبة عليها من أجل المجتمع طاعة طالبها بها الله سبحانه وتعالى وهو يفصل منهج الإسلام فى حقوق المرأة وواجباتها ، فيما قدمنا من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وهذه الطاعة إنما تكون فى محاسن الأخلاق ، فلا يتصور أن أبا أو وليا لامرأة يأمرها بغير ما فيه حسن الخلق ــ إلا أن يكون شاذا ، وعندئذ لا يطاع لأنه يأمر بمعصية .

وكل محاسن الأخلاق التى تؤمر بها المسلمة تعود على المجتمع كله بالخير ، لأن المرأة إذا صلحت وحسن خلقها صلح المجتمع كله وحسنت أخلاقه ، إذ ما يؤتى المجتمع بداء أضر عليه من أن تكون المرأة فيه سيئة الخلق متبرجة مستهترة لا تسمع كلام الله ، إنها عندئذ هي الفتنة التى نبه إليها النبى ﷺ فى قوله : « ما تركت من بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » فكيف تقبل المسلمة على نفسها وعلى كرامتها وعلى إسلامها وإيمانها أن تكون بأخلاقها السيئة فتنة للرجال ؟

نعيذ من ذلك كل امرأة مسلمة فى أى مكان وأى زمان .

١٠ ـ وعلى المرأة المسلمة واجب نحو المجتمع هو أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأن خطاب الله سبحانه وتعالى بإيجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر موجه للأمة كلها ، والأمة رجال ونساء ، قال الله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾ [٤٦] وقال سبحانه مخاطبا النساء خاصة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ **وقلن قولا معروفا** ﴾ [٤٧] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : « أمرهن بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » [٤٨] .

وبعد : فإننا نختم هذا الفصل بتأكيدنا أن المرأة كما تكون سهما من سهام الشيطان وسلاحا فاتكا لأخلاق المجتمع ، يمكن أن تكون عنصر أمن واستقرار لأخلاق المجتمع ، إذا استقامت على جادة آداب الإسلام وأخلاقه ، فلم تأت عملا يشغل به الشباب فضلا عن أن يغريهم بها ويصرفهم بها عن الجد والعمل إلى الهزل والضياع ، إذ ماذا يفعل الرجل مهما كان حظه من حب اللهو والخنا كبيرا ، إذا لم يجد امرأة تبادله هذه المشاعر وتيسر له طريقا من هذه الطرق الضالة المضيعة ؟

إن الإسلام وهو يطالب المرأة بكل هذه الواجبات نحو المجتمع ، إنما يجنب المجتمع بذلك كثيرا من الأمراض الأخلاقية والنفسية والاجتماعية ، لأن الميل إلى الجنس الآخر فطرة فى الإنسان أقام الله سبحانه عليها عمران هذه الحياة الإنسانية ، وامتداد أفرادها فى الآتى من الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(٤٦) سورة آل عمران : ١١٠ .　　(٤٧) سورة الأحزاب : ٣٢ .

(٤٨) سوف نتحدث بتفصيل بإذن الله فى الباب الثالث من هذا الكتاب عن المرأة المسلمة ووجوب الدعوة إلى الله عليها ونناقش موضوع أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر هناك ، فلا حاجة إلى التحدث فيه هنا . والله المستعان .

وإن هذا الميل الفطرى يوجهه الإسلام إلى الطريق الصحيح وهو التزاوج وفق شرع الله ونظامه ، أو الصبر والصوم لغير القادرين على الزواج ، ولا يعرف الإسلام ولا يبيح طريقا للتعبير عن الغريزة الجنسية إلا الزواج المشروع ، أما ما يزعمه بعض قصار النظر الخارجين على سنن الله فى تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الرجال والنساء ، ممن ينادون بالاختلاط بين الرجال والنساء والصداقة البريئة والأحاديث الودية فى ظل العائلة ، فضلا عن سكوتهم على بعض المداعبات بين الجنسين ، بحجة أن هذا الاختلاط وتلك الملاطفة تذهب حر الغريزة ، فإنهم بهذا يخالفون سنن الفطرة ويخدعون أنفسهم عن الحق ويخدعون البنين والبنات عن الفطرة التى فطرهم الله عليها ويجعلون المجتمع يدفع لذلك أبهظ الأثمان .

إن إباحة ذلك عودة إلى الحيوانية ، وانعتاق من الدين والخلق والنظم الاجتماعية الراشدة .

ولقد جرب الغرب هذه الإباحية ـ أو الحرية الشخصية كما يسمونها ـ ولا يزال يعيش نتائجها ، فجنى منها مر الجني على مستوى المجتمع ، إذ اهتزت القيم ، وفسدت الأخلاق ، وانتشرت الأمراض ، وفشى الانتحار ، وعرفوا الشذوذ الجنسى الذى يحرسه القانون ، وأقبل الناس على المسكرات والمخدرات ، وتعددت جرائم القتل ، كل ذلك كان أحد أسبابه أو من أهم أسبابه تلك الإباحية التى استنها الغرب بين البنين والبنات فى المدرسة والشارع والمصنع وكل مكان .

ولقد تغنى الغرب ـ ولا يزال ـ بتحرير المرأة من الملابس الساترة لجسدها ، فتحررت بذلك من كل قيد أخلاقى تحافظ به على عفتها وطهارتها ، إن العفة هناك من مخلفات العصور المظلمة .

إن المرأة الغربية لم تجن من وراء هذا التحرر أو التبرج أو التبذل شيئا إلا لذة وقتية حيوانية ، دفعت لها من زوجيتها وأمومتها فادح الأثمان ، إنها لم تنل من وراء ذلك مكانة اجتماعية ولا مكانة سياسية ، بل لم تنل مكانة إنسانية ، إنها ابتذلت نفسها فهانت وضاعت ، وأصبحت عاجزة عن أن تجد زوجا أو استقرارا عائليا أو أمومة شرعية ، أو احتراما يلائم إنسانيتها.

إنها بذلك تحولت إلى كائن فى المجتمع غير مرغوب فيه وغير محترم ، وإن الرجل هناك مهما كان منحلا أو فاسدا أو مخادنا لعشرات الساقطات من النساء ، فإنه عندما يعزم

على الزواج والاستقرار تدفعه الفطرة إلى البحث عن امرأة ذات خلق أو أقل تحللا وانفلاتا لترعى بيته وأولاده ، ولكنه قلما يجد هذه المرأة فى الغرب ، إذ الحرية الشخصية قد قضت على هذا النوع من النساء اللاتى لم يخضن تجارب جنسية عديدة ، أو لم يلدن من السفاح أطفالا عديدين طرح بهم فى الملاجئ ودور الرعاية ، ومن هنا طالت مدة العزوبة عند الرجال ، وابتعدت فرص الزواج من النساء .

إن المرأة فى الغرب وقد عافها كثير من الرجال لتملأ بيت الزوجية أو لتحظى بشرف الأمومة وشرعيتها ، قد أصبحت اليوم نهبة لكثير من الأمراض النفسية والعصبية ، والرغبة فى التخلى عن الحياة بالانتحار بعد أن تطول بها مدة انتظارالاستقرار ، وبعد أن تتضح لها الحقائق وتستيقن أن المرأة التى تختار للزواج غير تلك التى تختار لقضاء المتعة والتسلية والترفية ، فأى خير عاد عليها فى حاضرها أو فى مستقبلها ؟

إن النظم الاجتماعية لا تزال تحاسب البنت على بعض الأخطاء ولا تحاسب الولد على نفس الأخطاء ، وتغفر له مالا تغفره للبنت ، وإن كان لذلك من دلالة فإنما دلالته على أن تلك المجتمعات التى تعايرالأخلاق بمعيارين ، أحدهما للبنت والآخر للولد ، لا يزال فيها رغبة كامنة ـ أعتبرها هى الفطرة ـ فى أن تكون البنت التى تختار للزوجية ذات خلق وذات انضباط .

إن الإسلام وحده هو الذى يحترم القيمة الخلقية فى الرجل كما يحترمها فى المرأة سواء بسواء ، وبالتالى فإن للمرأة فى ظل المنهج الإسلامى من الاحترام والمكانة بمقدار ما تتمسك بأخلاقها وتلتزم بواجبها نحو المجتمع ، فى الإسهام فى مقاومة الرذائل والانحرافات الأخلاقية .



الفصل الثانى

مكانة المرأة زوجة وأمًا

« أى حقوقها وواجباتها »

١ ـ حقوقها وواجباتها نحو زوجها

يقيم الإسلام المجتمع الإنسانى كله على أساس متين ركين هو الأسرة ، ويجعلها الوحدة الأولى التي يتكون من تعددها .

وفى جانب آخر يعتبر الإسلام الأسرة هى الأصل الكبير العريق ، الذى تنبثق عنه كل الفضائل من مودة ورحمة وصدق وعفاف ووفاء وإيجابية وتعاون وتناصر وتكافل .

وإذا ما صلحت هذه الأسرة فأحيطت بالقيم والمبادئ والنظم والقوانين العادلة القادرة على جلب المصالح ودرء المفاسد ـ فقد انصلح المجتمع كله .

وعندما أراد الله سبحانه خلق هذا العالم الإنسانى جعل تكاثره وعمرانه عن طريق الأسرة ، زوجين ثم أبناء ، فالبشرية كلها نتيجة لإرادة واحدة هى إرادة الله سبحانه .

والبشرية كلها تتصل بنسب واحد هو آدم وحواء عليهما السلام ، وتدين لرب واحد هو الله سبحانه ، ولدين واحد هو الإسلام ، ولكن البغاة والعصاة والمتمردين على هذه الوحدة دانوا لأرباب متفرقة ، واتخذوا آلهتهم هواهم وأساءوا فهم الدين وانحرفوا عن الإسلام .

بل إن منهم من لم يستسغ أنهم جميعا من أصل واحد أى أب وأم ، فلجأوا إلى التمييز بين الناس فى اللون والجنس ولغة الكلام والإقليم ، فانحرفوا عن الدين عن الإسلام الذى جعل التمايز بين الناس بشىء واحد هو التقوى والتزام منهج الله فى الحياة ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[49] وقال سبحانه :

---

(٤٩) سورة الحجرات : ١٣ .

﴿ يأيهاالناس اتقـوا ربكم الذى خلقكـم من نفس واحـدة وخلق منها زوجهـا وبث منهما رجالا كثيـرا ونساء واتقوا اللـه الذى تساءلـون به والأرحام إن اللـه كان عليكـم رقيبـا ﴾ [٥٠] .

إن البشرية كلها من نفس واحدة ، وإن الإيمان بذلك ومايترتب عليه كفيل بأن يقضى على كثير من مشكلات الناس فى التمييزالعنصرى فى الغرب والتمييز الطبقى فى الهند ، والتمييز المذهبى فى كثير من بلدان العالم ، كما أنه كفيل بأن يقضى على التصورات الشائهة التى أحاطت بالمرأة فوصفتها بأنها رجس ونجاسة حينا ، وبأنها أصل الشر والبلاء حينا آخر ، وبأنها وبأنها إلى آخر ما تحدثنا عنه آنفا ونحن نوضح مكانتها بعيدا عن الإسلام ، إذ كيف توصف المرأة بهذه الصفات وليس لها يد في أن تكون امرأة لا رجلا ؟ وكيف توصف بذلك والنساء شقائق الرجال ؟ وكيف توصف بذلك والله خلق الناس جميعا من نفس واحدة ؟

إنه الانحراف عن الدين وعن منهج الله فى التعامل مع الحياة والأحياء ، وسوء تقدير من الرجال فى تلك الحضارات للنساء .

إن المرأة إنسان كامل الإنسانية ، خلقه الله ليكمل إنسانا آخر هو الرجل ، فتكون منهما فى ظل العلاقات الشرعية الذرية والعمران لهذه الأرض .

إن دين الإسلام ـ كما أسلفت ـ جعل قاعدة الحياة الإنسانية الركينة الثابتة هى الأسرة ، ولذلك أحاطها بكل أنواع التقدير والاحترام ، ورعاها جميعا رجلا وامرأة وأبناء حق رعايتها ، فكفل لها بذلك كل أسباب القوة والنقاء والاستقامة والقدرة على أداء الوظيفة بأسلوب لم يسبق إليه ولم يلحق به كما أوضحنا ذلك .

ومن رعاية الإسلام للأسرة ـ ونحن نتكلم عن المرأة ـ أن جعل الزواج سنة فطرية لا ينحرف عنها إلا فاسد أو مريض ، ولا يتجاهل قدرها إلا أحمق استغلق عليه أن يفهم نفسه فضلا عن المجتمع الذى يعيش فيه .

* روى أبو داود بسنده عن علقمة قال : إنى لأمشى مع عبد الله بن مسعود بمنى إذ لقيه عثمان فاستخلاه ، فلما رأى عبد الله أن ليست له حاجة قال لى : تعال يا علقمة ، فجئت ، فقال له عثمان : ألا نزوجك يا أبا عبد الرحمن بجارية بكر لعله يرجع إليك من نفسك ما كنت تعهد ؟ فقال عبد اللـه : لئن قلت ذلك ، لقد سمعت رسـول اللـه ﷺ

---

(٥٠) سورة النساء : ١ .

يقول : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[٥١] .

فالإسلام يجعل الزواج واجبا على كل من استطاع من الرجال أن يتحمل أعباءه ، وإنما وجب لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، وغض البصر وحفظ الفرج واجبان أساسيان فى بناء المجتمع المسلم النقى.

فإذا لم يستطع الرجل القيام بأعباء الزواج المادية ، فإنه يستطيع أن يطامن من رغبته الجنسية ــ وهى فطرة فيه ــ بالصوم لأن الصوم يقلل من هذه الشهوة بل يكسر حدتها إن لم يخففها ، إذ من المعروف أن تلك الشهوة تقوى بالطعام والشراب ، فلابد أن تضعف نسبيا بالصوم.

وعندما يمتنع مسلم قادر على أعباء الزواج من أن يتزوج فإنه يأثم ؛ لخروجه بهذا الامتناع عن هدى الإسلام فى أمر الزواج .

* روى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبى ﷺ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .

وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[٥٢] .

هذا هو حث الإسلام الرجال على الزواج ، ورسم الطريق لمن لم يستطع منهم الباءة ، ولكن من يتزوج ؟

هذا هو السؤال الذى أجاب عنه الإسلام إجابة توجه الرجل الراغب فى الزواج إلى التعرف على الصفات الممتازة الثابتة فى المرأة التى يختارها الرجل ، وعلى تنوع هذه

---

(٥١) أبو داود : سننه : كتاب النكاح .

(٥٢) الإمام مسلم : صحيحه : باب النكاح .

الصفات المرغبة فى الزواج من المرأة ، فإن الإسلام يحبب فى أرقى هذه الصفات وأعلاها منزلة وأدومها وأقدرها على أداء الوظيفة الاجتماعية للمرأة .

* روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :« تنكح النساء لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »(٥٣) ، فهذه هى الزوجة التى يختارها الرجل وهو رابح فى هذا الاختيار ببركة قبوله لتوجيه رسول الله ﷺ ، فإن كان مع تدينها جمال أو حسب أو مال ففضل من الله ، وإن لم يكن فالتدين أولى الصفات ، وأحظاها بالقبول وأجلبها للسعادة الزوجية .

وبعد : فإذا كانت هذه هى الزوجة المختارة ، فما حقوقها على زوجها وما واجباتها نحوه ؟

هذا ما نجيب عنه فيما يلى بإذن الله .

أ ـ حقوق الزوجة على زوجها :

اهتم علماء المسلمين فى مختلف العصور فى توضيح حقوق الزوجة على زوجها ، كما فهموها من النصوص الإسلامية ، فأتوا فى هذا المجال بتفصيلات جيدة ، بل تجاوزوا هذه الحقوق على الزوج إلى الحديث عن حقها فى قبول الزواج نفسه أو رفضه ، فقرروا أنه لا يجوز أن تستكره على زواج لا ترضاه ثيبا كانت أو بكرا .

وسنورد هنا طرفا من أقوال هؤلاء العلماء فى حقوق الزوجة على زوجها ، لنتأمل فى أقوالهم تلك ونرى ما عليه المرأة اليوم لدى معظم المسلمين ، لندرك سعة الفجوة بين مالها من حقوق وما تتمتع به فعلا اليوم من هذه الحقوق ، لعل الله يهدى الذين يغمطونها حقوقها إلى الحق ، لتزداد الحياة الاجتماعية استقرارا وسعادة .

ففى حقها فى قبول الزواج أو رفضه :

* قال الإمام ابن القيم : « ثبت عنه ﷺ فى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوَّجها أبوها وهى كارهة ـ وكانت ثيبا ـ فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها .

* وفى السنن من حديث ابن عباس رضى الله عنه أن جاريةً بكرا أتت النبى ﷺ ، فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ ، وهذه غير خنساء ، فهما قضيتان قضى فى إحداهما بتخيير الثيب ، وقضى فى الأخرى بتخيير البكر .

---

(٥٣) أبو داود : سننه : كتاب النكاح .

* وثبت فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لا تنكح البكر حتى تستأذن » قالوا : يارسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : « أن تسكت » .

* وفى صحيح مسلم : « البكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » .

وموجب هذا الحكم : أنه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج إلا برضاها ، وهذا قول جمهور السلف ، ومذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايات عنه ، وهو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته »(٥٤) .

وأما فى مجال خدمة البيت وفي قيام الزوجة بهذا العمل على أنه من واجبها أو من حقوق الزوج ، فإن ذلك ليس من واجبها إلا أن تتفضل هى به ، على هذا كان هدى نبينا محمد ﷺ ، وبه قال أكابر علمائنا وأئمتنا رضى الله عنهم .

وسنذكر من ذلك طرفا دون توسع :

ذهب الشافعى ومالك وأبو حنيفة أئمة المذاهب رضى الله عنهم : إلى أن المرأة ليست ملزمة بخدمة زوجها ولا بيتها ، وإنما هو تطوع منها إن فعلت .

وردوا على حكم النبى ﷺ على فاطمة ابنته رضى الله عنها أن تخدم الخدمة الباطنة ـ أى خدمة البيت من الباطن كالطبخ والعجن .... إلخ ـ وأن يخدم زوجها على بن أبى طالب الخدمة الظاهرة ـ أى خدمة البيت من الخارج ـ ردوا على ذلك بأن هذا تطوع ومكارم أخلاق ، وليس واجبا ، وعللوا ذلك بأن عقد النكاح ليس عقد استخدام وبذل منافع .

وفى هذا المجال كلام كثير لعلماء المسلمين فى كتب الفقه الموسعة مثل كتاب الإمام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ .

وكتاب الحاوى لأبى الفرج عمر بن محمد المتوفى سنة ٣٣١ هـ فى مذهب الإمام مالك .

وكتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع لملك العلماء الكاسانى المتوفى ٥٨٧ هـ فى مذهب وفقه الإمام أبى حنيفة رضى الله عنهم أجمعين .

وأما حقوق الزوجة على زوجها بالتفصيل فنستطيع أن نذكر منها ما يلى :

---

(٥٤) ابن القيم الجوزى : زاد المعاد فى هدى خير العباد : ٤ / ٢ ط بيروت .

١ - حقوقها على زوجها فى أن يعاشرها بالمعروف .

قال الله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾[٥٥] . قال الأسلاف من العلماء فى ذلك ـ كما حكاه القرطبى ـ : المعروف هو توقيفها على حقها من المهر والنفقة ، وألا يعبس فى وجهها بغير ذنب ، وأن يكون متلطفا فى القول ، لافظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها .

والمعاشرة : المخالطة والممازجة ، فأمر الله سبحانه بحسن الصحبة للنساء إذا عقدوا عليهن ، لتكون أدمة ما بينهم ، وصحبتهم على الكمال ، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش ، وهذا واجب على الزوج . وقال بعض العلماء : عليه أن يتصنع لها كما تتصنع له ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى .

وقال ابن عطية فى حديث النبى ﷺ : « فاستمتع بها وفيها عوج » أى لا يكن منك سوء عشرة مع اعوجاجها .

وقد استدل العلماء من هذه الآية : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ على أن المرأة إذا كانت لا يكفيها خادم واحد ، أن على زوجها أن يُخدمها قدر كفايتها ، وأن ذلك هو المعاشرة بالمعروف .

فإن قامت هى بخدمة زوجها وأولادها وبيتها فهو تفضل منها تشكر عليه ، ويأجرها الله سبحانه ، وليس بواجب عليها كما أوضحنا وإنما خدمتها هى من واجب الزوج .

وهذا حق الزوجة على زوجها إذا كان قادرا على ذلك .

وقال الإمام محمد عبده فى تفسير المعروف : إنه ما تعرفه المرأة ولا تستنكره ، وما يليق بها وبزوجها بحسب طبقتهما فى الناس .

٢ - ومن حقها على زوجها أن يصبر عليها إذا ساءه منها خلق فلعله أن يرضيه منها خلق آخر ، أو لعلها تكون سبب خير ومسرة له ، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ، فلو كره الزوج من زوجته شيئا فصبر فلعلها تعوضه عن ذلك بما هو خير ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾[٥٦] .

---

(٥٥) سورة النساء : ١٩ .   (٥٦) سورة النساء : ١٩ .

وقد فسر العلماء هذه الآية بقول أحدهم : « فإن كرهتموهن لدمامة أو لسوء خلق من غير ارتكاب فاحشة أو نشوز فهذا يندب فيه إلى الاحتمال ، فعسى أن يئول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادا صالحين » .

* وقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر » أى لا يبغضها بغضا يحمله على فراقها ، بل يغفر سيئتها لحسنتها ، ويتغاضى عما يكره لما يحب ، فعسى ذلك أن يصلح حالها فتكون من أسباب هنائه فى عيشه ، وليفكر الرجل فى هذا الحال فى عيوبه هو كذلك ، وكم من أخلاق فيه قد تسوءها ؟ وأن عليها كذلك أن تصبر عليه ، فإن هذا هو الذى يقوى العلاقة الزوجية ويثريها .

ومما يدعم هذا الأدب بين الزوجين صبر كل منهما على الآخر بل صبر الزوج بالذات ، لأنه الذى يملك عقدة النكاح ويملك الطلاق والمفارقة وإن كان أبغض الحلال إلى الله ــ كما ورد ذلك فى أكثر من حديث نبوى شريف .

وقد كان من أسلافنا الفضلاء أهل التقوى من كانوا مضرب المثل فى الصبر على زوجة شكسة تسىء العشرة .

فقد ذكر ابن العربى قال : كان الشيخ أبو محمد بن أبى زيد من العلم والدين فى المنزلة والمعرفة ، وكنت له زوجة سيئة العشرة ، وكانت تقصر فى حقوقه وتؤذيه بلسانها ، فيقال له فى أمرها ويعذل بالصبر عليها فكان يقول : أنا رجل قد أكمل الله على النعمة فى صحة بدنى ومعرفتى وما ملكت يمينى ، فلعلها بعثت عقوبة على ذنبى فأخاف إن فارقتها أن تنزل بى عقوبة هى أشد منها .

قال العلماء : وفى هذا دليل على كراهة الطلاق مع إباحته .

٣ ــ ومن حقها على زوجها أن يوفر لها المسكن والملبس والمطعم فى حدود طاقته ويسره ، ومن منطلق قول الله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ (٥٧) .

والأصل الشرعى فى هذه الحقوق هو قول الله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾(٥٨) .

فقوامة الرجل على المرأة تقوم على دعامتين ــ كما يفهم من هذه الآية

(٥٧) سورة البقرة : ٢٨٦ . (٥٨) سورة النساء : ٣٤ .

الكريمة ـ هما :

أ ـ ما فضل الله به الرجال على النساء من صفات وخصائص تجعله أقدر على كسب العيش ، ابتداء من قدرته على الصيد قديما ، وانتهاء بمعرفته لأى وسيلة من وسائل كسب العيش ، فهو بهذا أقدر من المرأة .

وكما هيأ الله المرأة للحمل والولادة والإرضاع وعناء تربية الأطفال ، هيأ للرجل قوة وإرادة يحمى بها المرأة والأولاد ويكفل لهم أسباب العيش .

ومن أجل أن تؤدى هذه الوظائف بكفاءة ، أوجب الإسلام على الرجل أن يوفر لزوجته أسباب الحياة الآمنة ، من مسكن وملبس ومطعم ومشرب .

ب ـ وبما أنفق الرجال من أموالهم على النساء أى تأمين الحياة لهن ، كأن يكون له مال موروث فإنه ينفق منه فوق ما ينفقه من كسبه ، أما المرأة إذا كان لها مال موروث فإنها ليست مطالبة بأن تنفق منه على زوجها وأولادها ، وإنما لو فعلت ذلك يكون من باب الفضيلة .

وهذه القوامة للرجل على المرأة من صميم العدل الذى أقره الله سبحانه بين الزوجين ، لتسير الأمور فى الأسرة من حسن إلى أحسن ، ولكيلا يضطرب أمر البيت بالتنازع على القوامة بين الزوجين .

ولابد أن يلحظ أن القوامة لو تركت للزوجة على الزوج ـ حتى مع توفر صفات الحزم والقوة للزوجة ـ فإن ذلك جدير بأن يترك أسوأ الآثار الاجتماعية فى الأسرة ، وأسوء الآثار النفسية والتربوية فى نفوس الأبناء .

إن الأبناء الذين يفقدون قوامة أبيهم لموته أو غيبته أو ضعفه أو تسلط زوجته ، كثيراً ما ينشأون مرضى الأعصاب والنفوس ، وكثيرا ما تضطرب بهم حياتهم الخاصة حتى بعد أن يكبروا ويتزوجوا .

فإذا كانت الطفولة الأولى تحوجهم إلى رعاية الأم وعطفها وحنانها ، فإنهم كذلك فى هذه المرحلة وفيما بعدها من مراحل العمر فى حاجة إلى أبيهم ، يأخذون منه القدوة ويلتمسون عنده القوة ، ثم هم فى مرحلة أخرى من حياتهم يحتاجون إلى حزم الأب ، ومخاشنته لهم عند الضرورة ، وكل ذلك غير مقبول من المرأة حتى لو قامت به ؛ لأن الله سبحانه لم يهيئها له .

وإن العدل كل العدل أن تسير الأسرة فى ظل نظام الفطرة التى فطر الله عليها الرجال والنساء .

٤ ـ ومن حقها على زوجها أن يحتفظ لها باسمها واسم أبيها وعائلتها ، ولا يلحقها باسمه أو اسم عائلته ـ كما يفعل الناس فى الغرب ، وكما انتقلت إلينا هذه العدوى منهم ـ لأن فى ذلك انتقاصا لقدر المرأة وقدر أبيها وعائلتها ، وليس عقد الزواج فى الإسلام متضمنا بشيء من ذلك ، ولا يجوز أن يدعى أحد إلى غير أبيه كما جاء في السنة النبوية المطهرة .

* روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى قوما ليس له فيهم فليتبوأ مقعده من النار » (٥٩) .

* وروى البخارى أيضا بسنده عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن من أعظم الفِرى أن يدَّعى الرجل إلى غير أبيه ، أو يرى عينه ما لم تر ، أو يقول على رسول الله ما لم يقل » (٦٠) .

٥ ـ ومن حق الزوجة على زوجها أن يحتفظ لها بمالها سواء أكان مالا أعطاه هو لها ، أم آل إليها بالميراث من ذويها ، فليس له أن يأخذ من مالها شيئا إلا برضاها ، وعقد الزواج لا يعطيه حق التصرف أو التملك لأموالها ، بل ليس له أن يأخذه منها بسيف الحياء .

وهذا حق أصيل للمرأة لا ينازعها فيه إلا جاهل بالإسلام ، أو ظالم من الأزواج ، وهو أحد حقوقها المدنية ، وسوف نوضح بإذن الله سائر حقوقها المدنية ونحن نتحدث عن حقوقها على المجتمع الذى تعيش فيه .

والأصل فى هذا الحق المالى قول الله تعالى : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ (٦١) .

ومعنى الآية الكريمة : أن الإسلام أقر للمرأة الملكية الفردية كاملة غير منقوصة ، بينما حرمتها من ذلك أغلب النظم قديما وحديثا ـ كما أوضحنا ذلك آنفا ـ وأقرب

---

(٥٩) البخارى : صحيحه : باب المناقب . (٦٠) السابق : نفس الباب .

(٦١) سورة النساء : ٣٢ .

ما نعرفه عن المرأة قبل الإسلام مباشرة فى الجزيرة العربية ـ أى فى العصر الجاهلى الذى لم يختلف كثيرا عن الجاهليات التى سبقته والتى لحقت به ـ أن الزوج كان يستولى على المرأة بالزواج استيلاء ، ويحرمها من حقها في المال أو الملك ، بل كان النظام السائد حينئذ يقضى بأن المرأة التى يموت عنها زوجها تنتقل بالملكية ـ كالأثاث والمتاع ـ إلى بعض ورثته .

بل إن الإسلام أعطى للمرأة حق أن تكسب المال ـ إذا سمحت لها ظروفها بهذا الكسب ولم يكن ذلك على حساب زوجها وبيتها وأولادها ـ وما كسبته عندئذ فهو لها لا يجوز لزوجها أن يأخذ منه إلا برضاها .

إن الإسلام يعترف للزوجة بكافة حقوقها على زوجها ، ويلزمه بأن يؤدى نحوها هذه الحقوق ويعتبر ذلك من واجباته ويعاقبه إن قصر فى ذلك أو جار .

وليس هذا مجاملة من الإسلام للمرأة زوجة ، وإنما هو العدالة التى تقوم عليها الحياة الأسرية الصالحة وتسهم فى بناء البيت المسلم فبناء المجتمع الصالح .

وإن المتسلطين من الأزواج على زوجاتهم لأى سبب من الأسباب إلا سببا شرعه الإسلام ، إنما يهدمون بهذا التسلط الوئام والحب فى الأسرة ، فيقضون بذلك على الوئام الاجتماعى كله .

وما أحوج الأزواج اليوم إلى أن يقرأوا ما كتبه الإمام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ رحمه الله ، تحت عنوان :

« آداب المعاشـــرة »

يقول : « أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا :

١ ـ الوليمة ،

٢ ـ والمعاشرة ،

٣ ـ والدعابة ،

٤ ـ والسياسة ،

٥ ـ والغيرة ،

٦ ـ والنفقة ،

٧ ــ والتعليم ،

٨ ــ والقسم ،

٩ ــ والتأديب فى النشوز ،

١٠ ــ والوقاع ،

١١ ــ والولادة ،

١٢ ــ والمفارقة بالطلاق » .

ثم أخذ يفسر هذه الحقوق للمرأة التى تعد واجبات على الرجل على النحو التالى :

الأدب الأول : الوليمة :

وهى مستحبة ، لما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، لما أخبره ابن عوف بأنه تزوج : « بارك الله لك ، أَوْلِمْ ولو بشاة » متفق عليه .

* وروى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طعام أول يوم حق ، وطعام الثانى سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به » .

والأدب الثانى : المعاشرة بالمعروف :

أى حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (٦٢) وقال فى تعظيم حقهن : ﴿ **وأخذن منكم ميثاقا غليظا** ﴾(٦٣) وقال : ﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾ قيل هى المرأة ــ وتلك أجزاء من آية كريمة فى سورة النساء ، والآية الكريمة كاملة هى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** ﴾ (٦٤) ــ .

* وروى النسائى بسنده أن آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كلمات : كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامه جعل يقول : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، لا تكلفوهم مالا يطيقون ، اللهَ اللهَ فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم أخذتموهم بأمانة الله . . . » .

---

(٦٢) سورة النساء : ١٩ . (٦٣) سورة النساء : ٢١ . (٦٤) سورة النساء : ٣٦ .

والأدب الثالث : المداعبة :

أى أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة ، فهى التى تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن . . . وجاء فى الخبر أنه كان ﷺ أفكه الناس مع نسائه .

* روى الترمذى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

* وروى الترمذى أيضا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » .

والأدب الرابع : السياسة :

أى لا يتبسط معها فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط هيبته عندها ، بل يراعى الاعتدال .

والأدب الخامس : فى الغيرة :

وهو الاعتدال فى الغيرة ، أى لا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غلواؤها ، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن ، فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء .

* وروى أبو داود بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه فإن بعض الظن إثم .

والأدب السادس : النفقة :

أى الاعتدال فى النفقة ، فلا ينبغى أن يقتر عليها فى الإنفاق ولا ينبغى أن يسرف ، بل يقتصد ، قال الله تعالى : ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾(٦٥) وقال الله تعالى : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ﴾(٦٦) .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » .

---

(٦٥) سورة الأعراف : ٢١ .
(٦٦) سورة الإسراء : ٢٩ .

والأدب السابع :التعليم :

أى أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ، ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لا يقضى (٦٧) ، فإنه أمر بأن يقيها النار ، قال تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ (٦٨) فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ، ويخوفها الله إن تساهلت فى أمر الدين .

فإن لم يعلم الرجل زوجته هذه الأحكام فليس له أن يمنعها من الخروج من بيتها لتسأل العلماء ، فإن منعها الخروج فهو آثم قد عصى الله سبحانه .

والأدب الثامن : القَسْم :

أى العدل فى القسم بين نسائه إن كان له أكثر من زوجة ، بحيث لا يميل إلى بعضهن ، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن ـ كما كان يفعل رسول الله ﷺ ـ فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه ، وعندئذ يحتاج إلى معرفة أحكام القسم .

* وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده : « من كان له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » .

وإنما عليه العدل فى : العطاء والمبيت ، وأما فى الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾(٦٩) .

والأدب التاسع : فى النشوز :

فإذا وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما ، فإن كان من جانبهما جميعا أو من الرجل ، فلا تسلط الزوجة على زوجها ولايقدر على إصلاحها . فلابد من حكمين ، أحدهما من أهله والآخر من أهلها ، لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما ﴿ **إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما** ﴾ (٧٠) .

وقد بَعَث عمرُ رضى الله عنه حكماً إلى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما ، فعلاه

---

(٦٧) الصلوات التى تقضى هى : الظهر والعصر ، إذا انقطع عنها الدم قبل الغروب فى هذا اليوم ولو بمقدار ركعة ، والمغرب والعشاء ، إذا انقطع عنها الدم قبل صلاة الصبح ولو بمقدار ركعة .

(٦٨) سورة التحريم : ٦ .

(٦٩) سورة النساء : ١٢٩ .

(٧٠) سورة النساء : ٣٥ .

بالدرة وقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ **إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما** ﴾ [٧١] فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما .

وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء ، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ، ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها ، وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف ، فإن لم ينجح ولاها ظهره في المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال ، فإن لم ينجح ذلك ضربها ضربا غير مبرح ، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمى لها جسما ولا يضرب وجها فذلك منهى عنه .

* روى أبو داود بسنده أنه قيل لرسول الله ﷺ : ما حق المرأة على الرجل ؟ قال : « يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يقبح الوجه ، ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في المبيت ، وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشرة إلى عشرين إلى شهر » فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع زوجاته جميعا .

والأدب العاشر : الوقاع (الجماع) :

ولا حياء في الدين ، فقد قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : « اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان » متفق عليه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

* وروى ابن ماجه بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين ـ أي الحمارين ـ وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل » .

* وروى الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من العجز في الرجل : أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه ، والثاني : أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته ، والثالث : أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها ، فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه » .

قال الإمام الغزالي وغيره من العلماء : ينبغي أن يأتي الزوج زوجته كل أربع ليال مرة

---

(٧١) سورة النساء : ٣٥ .

فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة ، فجاز له التأخير إلى هذا الحد . نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص حسب حاجتها إلى التحصين ، فإن تحصينها واجب عليه .

ولا يأتيها في المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل ، فهو محرم بنص الكتاب قال تعالى : ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله** ﴾(٧٢) .

والأدب الحادى عشر : في الولادة :

والولادة لها آداب خمس :

١ ـ أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى ، فإنه لا يدرى الخيرة في أيهما .

٢ ـ وأن يؤذن في أذن المولود اليمنى وأن يقيم في أذنه اليسرى ، وأن يختنه في اليوم السابع من مولده ، وأن يلقنه لا إله إلا الله أول انطلاق لسانه ؛ ليكون ذلك أول حديثه .

٣ ـ وأن يسميه اسما حسنا ، فذلك من حق الولد علي الوالد ، وخير الأسماء ما عُبِّد أو حُمِّد ، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن .

٤ ـ وأن يعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى .

* فقد روى البخارى بسنده عن سلمان بن عامر الضبى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمًا ، وأميطوا عنه الأذى » . ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة .

٥ ـ وأن يحنكه بتمرة أو حلاوة ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ حنك عبد الله بن الزبير بتمرة ، ثم دعا له وبَرَّك عليه ، وكان أول مولود في الإسلام ففرحوا به فرحا شديدا ؛ لأنه قيل لهم : إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم .

والأدب الثانى عشر : في الطلاق :

وليعلم أنه مباح ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى ، وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ، ومهما طلقها فقد آذاها ، ولا يباح له إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه قال الله تعالى : ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** ﴾(٧٣) أى لا

(٧٢) سورة البقرة : ٢٢٢ . (٧٣) سورة النساء : ٣٤ .

تطلبوا حيلة للفراق ، وإن كرهها أبوه فليطلقها ، قال ابن عمر رضى الله عنه : كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله ﷺ فقال : « يا بن عمر طلق امرأتك » . فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم على حق الولد .

وعلى المطلق أن يراعى فى الطلاق أربعة أمور :

الأول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، وغير ذلك بِدْعىٌّ حرام وإن كان يقع ، لما فيه من تطويل العدة .

والثانـى : أن يقتصر على طلقة واحدة ليستفيد بذلك الرجعة إن ندم .

والثالث : أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، ويطيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى : ﴿ **ومتعوهن على الموسع قدرة وعلى المقتر قدره** ﴾[٧٤] .

والرابـع : ألا يفشى سرها ، لا فى الطلاق ولا عند النكاح .

* فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها »[٧٥] .

وبعد : فما أحوج الزوجين كلاهما إلى قراءة هذه الحقوق والالتزام بها ، فإن ذلك هو ديننا الذى يقيم العلاقات بين الزوجين على أحسن صورة وأنبل أخلاق .

ب ـ واجبات الزوجة نحو زوجها :

إن الإسلام وهو يلزم الرجل ـ الزوج ـ بأداء حقوق زوجته نحوه أو قيامه بواجباته نحوها ، لا يدع الزوجة تأخذ ولا تعطى أو تستمتع بحقوق دون أن تؤدى واجبات ، وإنما كان من عدل الإسلام مع الزوجين أن ألزم كلا منهما بواجبات نحو الآخر ، إذ من تبادل أداء هذه الواجبات تكون الحياة الأسرية السعيدة فى ظل أدب الإسلام ومنهجه .

فما واجبات الزوجة نحو زوجها ؟ أو حقوق زوجها نحوها ؟

---

(٧٤) سورة البقرة : ٢٣٦ .

(٧٥) الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين : ٣٨/٢ ، ط العثمانية ـ مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٣ م باختصار وتصرف .

الأصل الجامع فى واجبات الزوجة نحو زوجها هو الطاعة ، فى كل ما يطلب منها فى نفسها مما لا يتضمن معصية لله سبحانه .

وسوف نسرد الأحاديث النبوية الواردة فى حقوق الزوج أو واجبات الزوجة نحو زوجها ، ثم نعود فنذكر تفصيل هذه الواجبات بإذن الله تعالى .

* روى ابن ماجه بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها ـ أم المؤمنين ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

* وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : كان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل ، وكان أبوها فى الأسفل فمرض ، فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن فى النزول إلى أبيها فقال رسول الله ﷺ : « أطيعى زوجك » فمات (أى أبوها) فاستأمرته فقال : « أطيعى زوجك » فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

* وروى ابن حبان بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

* وروى الطبرانى فى الصغير بسنده قال : ذكر رسول الله ﷺ النساء فقال : « حاملات والدات مرضعات ، رحيمات بأولادهن ـ لولا ما يأتين إلى أزواجهن ـ دخل مصلياتهن الجنة » .

* وروى ابن ماجه بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

* وروى ابن عساكر بسنده عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها قالت : يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، أن الرجال فضلوا علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج والعمرة والرباط ، قال : « انصرفى أيها المرأة وأعلمى من وراءك من النساء : أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله » نقلا عن كنز العمال ، الحديث رقم ٤٥١٥٧ .

* وروى ابن حبان بسنده من حديث أم حميد رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ

قال : « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » .

* وروى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » .

وللإمام الغزالى أبى حامد رحمه الله كلمة ، نحب أن نسوقها قبل أن نسرد واجبات الزوجة نحو زوجها ، يقول فيها :

« حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران :

أحدهما : الصيانة والستر .

والآخر : ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما .

وهكذا كانت عادة النساء فى السلف ، كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام ، فإنا نصبر على الجوع والضرر ولا نصبر على النار ...

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه ، روى أبو داود بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من العام الذى يخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر » .

ومن واجبها ألا تؤذى زوجها بحال : روى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

ومن واجبها إذا مات عنها زوجها أن تحد عليه أربعة أشهر وعشرا ، تتجنب فيها الطيب والزينة ، روى الشيخان بسندهما عن أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا » .

ويلزمها أن تلزم مسكن الزوجية إلى آخر العدة ، وليس لها الانتقال إلى أهلها أو

الخروج إلا لضرورة »[٧٦] .

ونحاول فيما يلى أن نوضح ونفصل واجبات الزوجة نحو زوجها فى النقاط التالية بلغة عصرنا ، وفى ظل ظروفنا الراهنة .

أ ـ طاعة الزوج :

وذلك أول الواجبات وأهمها ، أى تطيعه فى كل ما يأمرها به مما له علاقة بحياتها الزوجية والبيتية ، بشرط واحد هو ألا تكون هذه الطاعة فى معصية لله تبارك وتعالى .

وليس معنى الطاعة أن تلغى تفكيرها وشخصيتها ، وإنما يجب عليها أن تطيع مقتنعة بجدوى ما أمرت به وتحقيقه لمصالح الزوج والبيت والأولاد ، أو دفعه لضرر يقع على البيت .

ولها أن تعرف جدوى هذه الأوامر العاجلة أو الآجلة ، وعلى زوجها أن يوضح ذلك لها ما وسعه ، كما عليه ألا يصدر أمره إليها كأنها خادم يؤمر فيطاع ، أى لا يحرمها حق الفهم والتفاهم والتعرف على الحكم والأسباب ، وليس لها أن تستغل حقها فى الفهم والتفاهم لكى تبطئ أو تتلكأ أو تتردد فى الطاعة فهى مسلمة تتقى الله ، وتعلم أن حق الزوج عليها عظيم ، كما أن الزوج رجل مسلم يتقى الله ، ويعلم أن لزوجته عليه حقوقا كثيرة أوجبها الدين ، فلا يجحد منها شيئا . ومن خلال تبادل الزوجين لفقه الحقوق والواجبات تكون مطالب الزوج أو أوامره وتكون طاعة الزوجة وتقربها بتلك الطاعة إلى الله سبحانه وتعالى .

على هذا الفقه يبنى الإسلام البيوت السعيدة ، القادرة على تنشئة أجيال من المسلمين النافعين لأنفسهم وذويهم وأوطانهم وأمتهم الإسلامية جمعاء .

أما أولئك الأبناء الذين يشبون فى بيوت تكثر فيها المشاجرات بين الزوجين ، لأن الأب يأمر وربما يعتسف ، والأم تتلكأ وربما لا تطيع ، فقل أن ينجحوا فى حياتهم ، ومن العسير عليهم نفع ذويهم ، وفى أغلب الأحيان يعجزون عن تكوين أسرة مسلمة سعيدة عندما يمارسون الحياة الزوجية فيما بعد .

إن جميع الخلافات الزوجية ـ وهى واقعة فى الغالب ـ على أى مستوى كانت ، يمكن أن تزول أو تذوب أو لا تتفاقم أو لا تترك أثرا سيئا فى نفس أحد من أفراد البيت ، إذا كانت تقوى الله هى التى تحكم تصرفات الأبوين .

(٧٦) السابق : ٢ / ٥٢ باختصار وتصرف .

إن تقوى الله هي التى تجعل الزوج إذا أمر يأمر بما يستطاع وبما يستساغ وبما فيه رضا الله سبحانه وتعالى ، وإن تقوى الله هى التى تجعل الزوجة سعيدة بطاعة زوجها متقربة بذلك إلى الله تعالى .

إن تقوى الله هى التى تعطى كلاً من الزوجين قدرا من الصبر والاحتساب ، يتغلب بهما على كل ما يرد عليه في حياته الزوجية ، مما لا يرضيه تمام الرضى وهى التى تجعل كلاً من الزوجين يلتمس العذر للطرف الآخر ، ويؤكد لنفسه ما بين الحين والآخر أنه إن رضى من قرينه خلق فسوف يسره منه خلق آخر ـ كما علمنا المعصوم ﷺ ـ إذ ليس هناك إنسان معصوم من القصور والتقصير ، أو مفطور على القصور والتقصير ، وإنما الناس جميعا رجالا ونساء فيهم من الخير وفيهم من الشر ، والسعيد السعيد من غلب خيرُه شرَّه ، ومن طلب عيبا وجده ، فإن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى .

ذلك أدب الإسلام في التعامل بين الزوجين أساسا ، بل فى التعامل بين الناس بصفة عامة ، وهو أدب يجعل الحياة الأسرية والحياة الإنسانية عموما أكثر يسرا ، وأكثر نفعا وتوفيقا .

هكذا كانت تعيش الأسر المسلمة يوم كانت ، توصى الزوجة المسلمة زوجها وهو خارج من بيته أن يتجنب الكسب الحرام .

ب ـ والمحافظة على العرض والمال والولد والبيت :

فكل زوجة مسلمة مطالبة شرعا ـ كما قدمنا فى الأحاديث النبوية ـ بأن تحافظ على هذه الغوالى ، التى لا يقبل الشرع ولا العقل ولا العرف فى أى مجتمع سَوِىٍّ التفريط فيها أو التقصير ، وذلك أن الزوجة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها .

ـ وإن المحافظة على العرض والشرف هي أن تصون نفسها بصرا وفؤادا ، وحواسها سمعا وكلاما ، فضلا عن عفتها ، فى كل ما أمرها الله به من صيانة ، فليس لها أن تخرج من بيتها إلا لضرورة وبإذن من زوجها ، وليس لها أن تجالس أو تتحدث إلى أحد من الرجال من غير محارمها إلا لضرورة يبيحها الإسلام ، وفى ظل أدب الإسلام فى هذه المجالسة أو المحادثة .

وليس لها أن ترى ولا أن تسمع شيئا حرم الإسلام رؤيته أو سماعه أو كرهه ، وليس لها أن تشغل قلبها أو فكرها بشخص أو أمر ليس لها شرعا أن تُشغل به .

وليس لها أن تنغم صوتها أو أن تمشى بطريقة لافتة للنظر . كل ذلك وغيره ـ مما ذكرناه من قبل ـ واجب المرأة المسلمة ما دامت قد بلغت مبلغ النساء ، وهذه الواجبات بالنسبة للزوجة أولى لتعلقها بحق الزوج ، واعتبار ذلك من المحافظة على العرض والشرف والعفة والحياء .

وهذا هو الذى يجعل القلوب أطهر وأعمر بالإيمان ، وأرضى لله سبحانه وتعالى .

ـ وإن المحافظة على المال واجبة كذلك ، فإن تلك المحافظة من الأمانة التى أوجبها الإسلام على كل مؤتَمن على مال .

فإذا اعتبرت الزوجة المال الذى بين يديها فى البيت أمانة لديها لتنفق منه على هذا البيت فإنها سوف تحافظ عليه ، وتنفق منه فى غير إسراف ولا مخيلة ، ولا تقتير ، وتلك هى الوسطية التى يطالب بها الإسلام الرجال والنساء على السواء .

وما بين الإسراف والمخيلة (التباهى) والتقتير ، يتبين مدى فقه الزوجة المسلمة للتصرف فى نعمة المال التى أنعم الله بها عليها ، وطالبها أن تنفق منه لا أن تنفقه كله ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾(٧٧) .

وسواء أكان الإنفاق على النفس أم كان فى سبيل الله ، فإنه إنفاق مُرَشَّد ، إذ المسلم لا ينفق من ماله شيئا إلا فى رضا الله سبحانه ، والزوجة فى يدها مال البيت وهى مسترعاة فيه ، وأمينة عليه ، بحكم أنها زوجة مسلمة تتقى الله سبحانه فيه وفى غيره مما استرعيت عليه .

ـ وأما المحافظة على الولد والبيت فمن أبرز واجباتها أو أولاها بالاهتمام ، فالأولاد هم الثمرة المرجوة من الزواج ، وهم مع المال زينة الحياة الدنيا ، كما أخبر بذلك الله فى كتابه العزيز : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ (٧٨) .

وهذه المحافظة على الولد والبيت ـ كما أتصور ـ نوعان يجب على الزوجة أن تقوم بهما :

أولهما : المحافظة الأدبية أو المعنوية على الأولاد والبيت ، بمعنى أن تحافظ على الأخلاق الإسلامية الفاضلة التى يجب أن تسود البيت ، وأن ترفض العادات والتقاليد

(٧٧) سورة الحديد : ٧ . (٧٨) سورة الكهف : ٤٦ .

وأنماط السلوك التى تختلف أدنى اختلاف مع القيم الإسلامية ، لأن ذلك أرضى لله سبحانه ، وأعون لها على أن تنشئ أولادها وبيتها تنشئة إسلامية ملتزمة ، وهذا أكبر كسب لها فى حاضرها ومستقبلها ، وأنفع لها فى دنياها وأخراها .

وثانيهما : المحافظة المادية على الأولاد والبيت ، بحيث ترضى ربها كذلك ، بأن تحرص على أن يكون بيتها نظيفا مرتبا جميلا ، معدا أحسن الإعداد لإراحة من يعيشون فيه ، قادرا على أداء وظائفه بكفاءة وفعالية ، وليست العبرة هنا بكثرة أو فخامة ما فى البيت من أثاث ورياش ، ولكن بقدرتها على التنسيق والتجميل والنظافة والبساطة ، وذلك يتطلب منها جهدا غير يسير ، لو اتقت الله فيه لأعانها عليه ، وعلمها إياه : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾[79] .

وإن هذا الواجب ليتطلب من الزوجة ضبط النفس وضبط الأولاد وضبط حركة البيت ، بحيث لا تختل هذه الصورة المرتبة النظيفة الجاذبة المريحة للبيت المسلم المريح ، وبحيث لا يعجز أحد أفراد هذا البيت أن يجد فيه الهدوء والراحة ، اللذان يساعدانه على أن يؤدى عمله فى هذا البيت دون معوقات .

إن هذا لمن صميم واجب الزوجة المسلمة ، وإنه لواجب يكلفها كثيرا من طاقتها الروحية والعقلية والبدنية ، ولكنها تكون سعيدة إن أعطت فرأت ثمار عطائها ، فإن لم تعط أثمت لتخليها عن واجبها ، وأصبح بيتها على صورة غير مرضية ولا مقبولة ، وأفرز قلقا واضطرابا لمن يعيشون فيه وهى أولهم .

وربما كانت المحافظة على الأبناء من أهم وظائف المرأة التى فطرها الله عليها ، وأعطاها من القدرات ما ييسر ذلك عليها ، فكل أم تحافظ على أبنائها بالفطرة ، غير أن الإسلام تميز عن غيره من الأديان والمناهج والنظم بأنه كرم الأمومة أبلغ تكريم ، وأوجب لها على الأبناء ما لم يوجب مثله لغيرها ، فجعلها أولى ببر أبنائها واحترامهم ، بل جعل مفاتيح الجنة تحت أقدامها أى ملكها ، تعطيه لمن أرضاها وبَرَّ بها من أبنائها .

إن الزوجة المسلمة وهى تحافظ على أبنائها ليشبوا مسلمين أسوياء ، تقوم بأعظم الأعمال وأجلها خطرا ، وأقدرها على بناء المجتمع المسلم الرشيد ، وإن ذلك ليتطلب منها أن تجمع فى تنشئة هؤلاء الأبناء بين ما أودع الله قلبها من فيض الرحمة والحنان والحب ، وما يجب أن تظهره من الحسم والحزم عند الحاجة إليه فى التعامل مع الأبناء .

---

(٧٩) سورة البقرة : ٢٨٢ .

هذا واجب الزوجة نحو زوجها فى مجال الأولاد والبيت ، ولكن ليس معنى هذا أن الزوج ينفض يديه من الأبناء والبيت ويدع كل ذلك للزوجة ، وإنما عليه أن يعينها على ذلك ما استطاع ــ فلو كان حديثنا عن الزوج وواجباته نحو أبنائه لعددنا فى ذلك شيئا كثيرا ـ وبخاصة فيما يتصل برعاية الأبناء وتوجيههم ، إذ له عملٍ هام معهم بل ضرورى لا تستطيع أن تقوم به الزوجة .

جـ ــ وحفظ عهد الزوجية ورعاية واجباتها :

فإن ذلك من أقدس واجبات الزوجة المسلمة ، والأصل فى ذلك الواجب أن لا تفرط أى امرأة زوجة مسلمة أو غير مسلمة ، لأن التفريط يجعل المفرطة أبعد ما تكون عن الصفات الإنسانية ويهبط بها إلى درك الحيوانية ، بل بعض إناث الحيوان لا تعرف غير زوج واحد ، فإذا كانت الزوجة مسلمة فإن إخلالها أدنى إخلال بعهد الزوجية يسمى فى الإسلام زنا والعياذ بالله ، فهو من أكبر الكبائر ، وإنه لو كان بعد الإحصان فإن عقوبته الشرعية هى الرجم بالحجارة حتى الموت .

ومن المعروف فى ديننا أن دواعى الزنا من نظر وكلام ومجالسة ــ فضلا عن تلك الفرية التى يزعمها المرتكبون وهى الصداقة بين رجل وامرأة ــ تمهد الطريق إلى الزنا والعياذ بالله ، لذلك أقفل الإسلام هذه الأبواب جميعا ، ونادى فى الإنسانية أن لكل جارحة فى الإنسان حظها من الزنا ، وأن الذى يحقق ذلك ويصدقه أو يكذبه هو الفرج .

وأجمع فقهاؤنا على أن دواعى الزنا تأخذ فى التحريم حكم الزنا وإن لم تأخذ عقابه .

وقد يكون حفظ عهد الزوجية متعرضا لبعض الاهتزازات عند سفر الزوج أو غيابه فترة طويلة ، ولكن المسلمة تحسن الصبر وتلتزم العفة على كل حال ، وبالتالى يوجب الإسلام على الرجل ألا يسافر عن زوجته أو يغيب عنها طويلا حتى لا يعرضها إلى هذه الفتنة ، ومن وصايا عمر بن الخطاب لعماله رضى الله عنهم جميعا قوله : « ألا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم »[٨٠] وتجمير الناس أو الجيش هو حبسهم فى الثغور بعيدا عن زوجاتهم .

فإن سافر الزوج أو غاب لضرورة ، فإن على الزوجة المسلمة أن تحفظ عهد الزوجية فى نفسها وفى ماله ، فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف الذى ذكرناه آنفا : « ... وإذا

(٨٠) الإمام أحمد : مسنده : الحديث رقم ٢٨٦ ، ط أحمد شاكر .

غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

بل إن الإسلام جعل صفة حفظ عهد الزوج لازمة واجبة على الزوجة حتى بعد وفاة الزوج ، فإن المتأمل فى موضوع وجود الحداد على الزوجة إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا ، لا تتزين ، ولا تخلع ملابس الحداد ، ولا تخرج من بيت الزوجية ـ سيجد أن السبب فى ذلك مع ضرورة براءة الرحم من الحمل هو حفظ عهد الزوجية ورعاية حقوقها حتى بعد وفاة الزوج .

د ـ ومن واجبات الزوجة ألا يرى منها زوجها إلا ما يسره :

الزوجة المسلمة سكن لزوجها قال تعالى : ﴿ **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها . . .** ﴾[٨١] .

وسكن الزوج إلى زوجته هو أن يجد عندها الاطمئنان والأنس والاستقرار والأمن ، وإنما يكون ذلك إذا استطاعت الزوجة أن ترى زوجها من نفسها كل مرغوب محبوب من كلام وعمل وزينة ومنظر ، لأن تلك من الفطرة التى فطر الله عليها النساء ، أن تتجمل لزوجها وألا يرى منها إلا ما يسره ، وإذا كانت تلك صفة مطلوبة فى النساء عموما ، فإن الزوجة المسلمة أولى بأن تكون على أحسن مستوى فى هذا المجال .

على أن تفريطها فى شىء من ذلك ـ بالإضافة إلى أنه إثم ومعصية ـ فإنه مدعاة لعدم الإعفاف والإحصان من جانب ، وسبب لنفور الزوج من زوجته وبيته من جانب آخر ، ولا نستطيع أن نحصى الأضرار التى تعود على الأبناء من نفور أبيهم من أمهم ومن بيته ، إن علينا أن ندرك أن أى خلل يقع فى العلاقة بين الزوجين مهما كان أمره بسيطا ، فإنه ينعكس بنتائج سيئة على الأبناء ، إذ التربية الصحيحة نفسيا واجتماعيا للأبناء أن يروا وأن يحسوا بمدى العلاقة الحميمة الرحيمة بين الأبوين .

هـ ـ ومما يستحب للمرأة إذا كانت ذات مال وكان زوجها فقيرا ، أن تصله وتنفق على عياله ، ويكون لها ذلك فى ميزان حسناتها وصدقاتها .

* روى البخارى بسنده عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالت : كنت فى المسجد فرأيت النبى ﷺ ، فقال : « تصدقن ولو من حليكن » وكانت زينب تنفق على عبد الله ـ زوجها ـ وأيتام فى حجرها ، فقالت لعبد الله ـ زوجها ـ : سل

(٨١) سورة الأعراف : ٨٩ .

رسول الله ﷺ : أيجزى عنى أن أنفق عليك وعلى أيتام فى حجرى من الصدقة ـ أى الزكاة ـ فقال : سلى أنت رسول الله ﷺ ، فانطلقت إلى النبى ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتى ، فمرّ علينا بلال ، فقلنا : سل النبى ﷺ : أيجزى عنِّى أن أنفق على زوجى وأيتام لى فى حجرى ، وقلنا : لا تخبر بنا ، فدخل ، فسأله ، فقال ﷺ : « من هما ؟ » قال : زينب ، قال : « أى الزيانب ؟ » قال : امرأة عبد الله بن مسعود قال : « نعم ، لها أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة » (٨٢) .

وبعد : فتلك هى واجبات الزوجة نحو زوجها من أجل أن تكون هناك أسرة مسلمة سعيدة ومجتمع مسلم سعيد فى دنياه وآخرته .

---

(٨٢) البخارى : صحيحه : باب الزكاة .

٢ ـ حقوقها وواجباتها نحو أبنائها

إن أعظم الحقوق فى الإسلام ـ بعد حق الله تبارك وتعالى ـ حق الآباء على الأبناء ، وحق الأمهات بالذات على الأبناء ، فقد أوضحنا غير مرة أن بر الأبناء بالأمهات مقدم على برهم بالآباء وإن كان الله أوجب هذا وذاك .

وقد قدمنا فى الفصل الأول من هذا الباب حديثا عن واجب البنت نحو والديها ولن نعيده هنا ، وإنما نذكر طرفا من واجب الابن والبنت نحو أمهما .

غير أننا ـ لأهمية واجب الآباء عموما والأم بصفة خاصة ـ نوضح أن هذه الواجبات نحو الآباء ، قد فرضها الله فى كل دين وجعلها كلمات على لسان كل نبى من أنبيائه ، وما ذلك إلا أنها أصل فى بناء الأسرة وبناء المجتمع ، ولأن البر بالآباء والإحسان إليهما لا تقوم الحياة البشرية على صورتها الصحيحة إلا بهما .

وقد شهدت بأهمية هذا الواجب فى كل دين آيات القرآن الكريم :

* ففى ديانة اليهود جاء قول الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ...** ﴾ (٨٣) .

* وفى الديانة المسيحية جاء قول الله تعالى ـ عن عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام ـ : ﴿ **وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا** ﴾ (٨٤) .

* وقال عن يحيى بن زكريا عليهما السلام : ﴿ **وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا** ﴾ (٨٥) .

* وفى الإسلام جاءت آيات كثيرة فى وجوب البر بالآباء والإحسان إليهما :

قال الله تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ...** ﴾ (٨٦) .

وقال سبحانه : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدو إلا إياه وبالوالدين إحسانا ...** ﴾ (٨٧) .

وقال جل شأنه : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ركم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . . .** ﴾ (٨٨) .

---

(٨٣) سورة البقرة : ٨٣ .
(٨٤) سورة مريم : ٣٣ .
(٨٥) سورة مريم : ١٤ .
(٨٦) سورة الأحقاف : ١٥
(٨٧) سورةالإسراء : ٢٣.
(٨٨) سورة الأنعام : ١٥١ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ...** ﴾ [٨٩] .

فالبر بالوالدين والإحسان إليهما نظام من عند الله على لسان كل رسول أرسله ، وإن تميز الإسلام بتفصيل هذه الواجبات ، تفصيلا يلائم أنه خاتم الأديان وأتمها وأكملها وناسخ لها .

أ ــ حقوقها على أبنائها : .

وبحسبنا أن نذكر آية الإسراء وهى قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾[٩٠] .

فالقرآن الكريم فى هذه الآية يطالب الأبناء مطالبة ، هى قضاء وحكم لا يقبل جدلا ولا مفاصلة ولا مساومة بما يلى :

١ ــ عبادة الله وحده دون سواه ،

٢ ــ والإحسان إلى الوالدين عموما ،

٣ ــ والتنبيه على أن أحد الأبوين أو كلاهما إذا بلغ به الكبر ، فإن بره والإحسان إليه يتضاعف ، بحيث لا يجوز التأفف لأى مطلب يطلبانه مهما كان صعبا على الأبناء ، ما دام فى حدود الاستطاعة وما دام فى غير معصية .

وهذا الجزء من الآية يشير إلى أن الولد أو البنت أو كلاهما يجب عليه أن يكون كالملجأ لأبويه إذا تقدمت بهما السن ، كما كانا ملجأ له وهو صغير السن .

٤ ــ والتأكيد القاطع بالنهى عن أن ينهرهما أو ينهر واحدا منهما ــ والنهر أو الانتهار هو الزجر والتأنيب ــ وهذا أسوأ ما يوجهه ولد لأبويه ، وحسبك به إثما أن الله نهى عنه ، وإنما ينهى الله سبحانه عن الكبائر والفواحش والقبائح وما يغضبه سبحانه وتعالى .

---

(٨٩) سورة النساء : ٣٦ .　　(٩٠) سورة الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

٥ ــ والأبناء ملزمون بأن يكون قولهم للآباء قولا كريما ـ والقول الكريم هو القول الجميل اللين المشتمل على إحسان إليهما وتكريم لهما ـ أى يجب على الأبناء أن يدققوا فى اختيار الألفاظ التى يتوجهون بها إلى آبائهم .

٦ ــ وعلى الأبناء أن يكونوا فى خضوع تام للآباء لايرفضون لهما طلبا ، بل يبادرون إلى فعل كل مايتصورون أنه سارّ للآباء أو مريح لهما .

٧ ــ وعلى الأبناء أن يدعوا للآباء ويطلبوا لهما من الله الرحمة ، حتى وإن كانا حيين فضلا عن الدعاء الصالح لهما بعد الموت .

وفى حق الأم على أبنائها نسوق هذه الأحاديث النبوية :

* روى البزار بسنده عن بريدة عن أبيه قال : كان رجل فى الطواف بالكعبة حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبى ﷺ : هل أديت حقها ؟ قال :« لا ، ولا بزفرة واحدة » .

نذكر جميع الأبناء بهدى النبى ﷺ فى هذا ، ونرجو أن يقع من نفوسهم موقعه الذى يرضى الله عنهم ، فإنه لن يرضى دون ذلك لأنه قضى به سبحانه وتعالى .

* وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال :« أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال :« أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » . متفق عليه .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف ، من أدرك أبويه عند الكبر : أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة » .

* وروى الشيخان بسنديهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، وأبتغى الأجر من الله تعالى ، فقال : « هل لك من والديك أحد حىّ ؟ » قال : نعم ، كلاهما ، قال : « فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ » قال : نعم ، قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » . متفق عليه .

وفى هذا المجال أحاديث نبوية كثيرة ما أردنا استقصاءها ، وإنما أردنا أن نستشهد ببعضها .

وإنما كان البر بالآباء أساسيا وضروريا بل مفروضا فى الإسلام ، لأن الإسلام يقيم الحياة ، الإنسانية على دعامتين رئيستين هما :

ـ دعامة التوحيد وما يتطلبه من عقيدة وسلوك .

ـ ودعامة الأسرة وما تتطلبه من أخلاق وآداب تسود جميع أفرادها .

فالأسرة فى الإسلام لبنة أساسية فى بناء المجتمع ، والناظر إلى آيات القرآن الكريم يجده كثيرا مايطالب الأبناء ببر الآباء ، وقليلا مايطالب الآباء برعاية الأبناء ، وسبب ذلك فيما أتصور أن عطف الأبوين على الأبناء فطرى ورغبتهم في رعايتهم فطرية كذلك فلا تحتاج إلى مزيد من المطالبة ، لكن بر الأبناء بالآباء ليس من أمور الفطرة المركوزة فى الطباع ، ولهذا كان الطلب وكانت الوصية إلى الأبناء .

وقد أولى الإسلام الأم عناية خاصة في وجوب بر الأبناء بها ، فجاءت آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية الشريفة تذكّر الأبناء بما تعانية الأم من أجلهم فى الحمل والولادة والرضاعة والحضانة والتربية ، كما أن النصوص الإسلامية من كتاب وسنة أشادت بهذه الجهود وطالبت بالبر بصاحبتها .

ففى القرآن الكريم من هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ...** ﴾ [٩١] أى حملته فضعفت بهذا الحمل ، وضعفت بالطلق والولادة ، وضعفت بالرضاعة حتى الفطام ، وتلك مجهودات كلها معاناة ، فإذا أضيف إليها معاناة الحضانة والرعاية الصحية ثم معاناة التربية والضبط ، فإنها جهد كبير وعناء ضخم ، فإذا وضع فى الاعتبار أنها لا تحمل ـ فى الغالب ـ مرة واحدة ، تبين لنا أنها تظل فى هذه المعاناة إلى أن تبلغ فترة عدم الخصوبة والاستعداد للحمل ، أى معظم عمرها ، وتلك معاناة ضخمة بكل المقاييس .

وليس الهدف من حديث القرآن الكريم عن هذه المعاناة بعيدا عن مطالبة الأبناء بتقدير هذه المعاناة ، ومعرفة الفضل لأصحابه ، ليكون جزاء صاحبة هذا الفضل براً ورحمة وحبا واحتراما .

ومثل هذه الآية الكريمة فى التعريف بالمشقة التى تتعرض لها الأم قوله تعالى :

(٩١) سورة لقمان : ١٥ .

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾[٩٢] .

والكره : المشقة أى مشقة الحمل ومشقة المضى فيه ومشقة الولادة و ...

وإن العدالة تقتضى أن يكون حق الأم على أبنائها ، كِفَاءَ ماتحملت فيهم من مشقة وعناء .

وحسبنا ماسقناه من أحاديث نبوية كريمة فى هذا المجال .

ب ـ واجباتها نحو أبنائها :

إن واجبات الأم نحو أبنائها كثيرة ، وإن أكثرها لتؤديه الأم بفطرتها السوية التى فطرها الله عليها ، مصحوبة بسعادة غامرة فى كل واجب تقوم به نحو أبنائها ، وإن أى أم تقصر فى هذه الواجبات أو تؤديها بضيق أو حرج فإنما تكون ـ فى الغالب ـ معتلة النفس متنكبة للفطرة التى فطر الله المرأة عليها ، وإن عليها فى هذه الحال أن تراجع نفسها ،وأن تتحصن بتقوى الله ، وأن تقرب بينها وبين الله بالعبادة .

فما هى أبرز هذه الواجبات ؟

١ ـ أن ترعى طفلها ـ وهو لايزال حملا ـ وذلك بأن تعنى بصحتها فى فترة الحمل ، بحيث لاتهمل فى غذاء نفسها ولا فى راحتها ،لأن إهمال ذلك يعود بالضرر على أحب الناس إليها فيما بعد ، وذلك أن الله سبحانه عندما أنعم عليها بنعمة الحمل - وهو من كبريات النعم ـ استرعاها هذه النعمة ، فأوجب عليها أن تحسن إليها حتى يأذن الله لهذه الحمل بالتمام ويهيّئ له برحمته الخروج من ظلمة الرحم إلى نور الحياة الدنيا .

وكلما كانت الأم صحيحة البدن قويته ، صحيحة النفس ، سعيدة بنعمة الحمل والولادة ، سعيدة بأن تكون سببا فى إيجاد مؤمن أو مؤمنة يعبد الله ويوحده ، سعيدة بأن الله قد مَنَّ عليها بأَحَدَىْ نعمة الدنيا وزينتها وهى الأولاد الصالحون الذين يدعون الله لها ، كلما كانت كذلك كانت أقدر على القيام بواجب الرعاية وواجب الأمومة .

٢ ـ وأن تحسن رعاية طفلها رضيعا ، فترضعه ما أفاء الله عليها من أجله وبسببه من رزق ،

(٩٢) سورة الأحقاف : ١٦ .

مقتنعة أن لبنها هو أحسن أنواع الغذاء لطفلها ، لأن حكمة الله سبحانه اقتضت أن يخلق هذا اللبن لهذا الرضيع ، وليس هنا مجال الحديث عن تكامل قيمته الغذائية أو العلاجية فإن لذلك من يكتبون فيه .

كما أن الأم ليس لها أن تحول بين طفلها ولبنها إلا لمرض أو ضرر يخبرها به طبيب مسلم حاذق .

أو أولئك الأمهات اللائى يتأففن من الإرضاع ، محافظة على الجمال أو إيثارا للراحة أو ضنا بالصحة والعافية ، فإنهن يقصرن فى حق أبنائهن تقصيرا كبيرا ، كما يتجاهلن الفطرة السوية التى فطر الله النساء عليها ، ويحرمن أطفالهن من رزق ساقه الله إليهن من أجل هؤلاء الأطفال ، وربما عرضن بذلك أنفسهن لأمراض ، فضلا عما يمارسنه من حرمان الطفل حنان الأم وحبها له وهى تلقمه ثديها وتحتضنه بيديها ، وهو أمر ضرورى للصحة النفسية للرضيع وللأم على حد سواء .

٣ ـ وأن ترعى طفلها رعاية جيدة من حيث النظافة والغذاء والراحة والضبط فى النوم واليقظة ، والاهتمام بإزالة أسباب القلق والضيق والمرض ، وأن تمده باستمرار بكل أسباب الصحة النفسية والعقلية والبدنية ، وأن تلقنه من الكلمات ـ عندما يثغر ـ ما يؤكد فى نفسه وعقله ومستقبله الإيمان بالله مثل : الله أكبر ، ولا إله إلا الله ، وغيرها مما يستطيع أن يحاكيها فيه .

وأن تعوده من العادات ما يتفق وآداب الإسلام وأخلاقه ، وأن تجنب حواسه أن تقع على شىء يغضب الله فى البيت ، وإنما يساعدها على ذلك أن تكون هى ومن فى البيت على الصورة المنضبطة مع الإسلام .

وربما يتصور بعض الناس أن هذا الواجب صعب على الأم أو مرهق لها ، وبخاصة عند التأمل فى واجباتها الأخرى نحو الزوج ونحو البيت ونحو سائر الأبناء إن كان لها أبناء آخرون ، ولكن عند التعمق فى الموقف وفى هذه الواجبات نجد أن الله سبحانه قد هيأ كل أم لأن تقوم بهذه الواجبات بتلقائية لا تستلزم تكلفا ولا معاناة ، وفطرها على أن تعطى وتؤدى وهى فى رضى وسعادة ، فقد يسر الله الأم لكل هذه المهام ، وقد جاء فى السنة النبوية ما رواه البخارى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » فالأم قد أقدرها الله على ذلك ، وييسره لها إذا اتقت الله سبحانه فيما استرعاها .

٤ ـ وأن تحرص على أن تجعل لطفلها منها نصيباً مساويا لنصيب سائر إخوته وأخواته ، كل بحسب مكانه من العمر ومن الصحة والمرض ، حتى لا يشعر الطفل بضيق من أخ أو أخت نال من عناية الأم أكثر منه ، فربما تحول هذا الضيق إلى كراهية لهذا الآخر الذى لم يخطئ وإنما أخطأت أمه .

إن الأم الحكيمة الواعية هى التى تقسم اهتمامها على أبنائها تقسيما عادلا ، على حسب ما تقتضيه المصلحة التربوية لهم جميعا .

إن شعور الطفل بل ـ أحيانا ـ الكبير من الأبناء بالتفرقة فى المعاملة يورث فى نفسه ألما كبيرا ، قد يعبر عنه فيسىء إلى غيره ، أو يضمره فيسىء إلى نفسه ، وفى كل ضرر وشر .

٥ ـ وأن تُعوِّد طفلها بعد أن يضبط نفسه لأن يذهب مع أبيه إلى المسجد ، فإن مصحابته إلى المسجد خطوة هامة من خطوات الطريق إلى التدين الصحيح ، والتعرف الجيد على بيت الله وعقد صلة به فى زمن مبكر من عمره .

وإن اعتياد الطفل المسجد ومشاركته فى الصلاة وتعلمه أدب المسجد ونظام صفوف المصلين وترتيبها ، وسماعه لبعض الدروس التى تلقى في المسجد ، هو الذى ينشئه نشأة إسلامية ملتزمة بأدب الإسلام ، ويصبغ حياته بصبغة المسجد وينشر فى نفسه روح المسجد وأخلاقه .

إن ذلك من أحسن الأساليب التربوية التى تفعل في نفس الطفل وروحه وعقله ، ما يجعله يتفاعل مع الخير والبر ، ويمارسه متى استطاع إليه السبيل .

٦ ـ وإن على الأم أن تهيئ أبناءها للذهاب إلى المدرسة ، تهيئهم لذلك نفسيا بالأحاديث الشيقة والقصص الهادفة ، عن المدرسة وما فيها من حياة جديدة عليه مليئة بما ينفعه ويفيده ويسليه ، وعن المعلمين والمعلمات ومدى ما لديهم من حرص على تعليم الأولاد وتسليتهم فى مرافق المدرسة وملاعبها وما فيها من شجر وأزهار وجمال ـ إذ الأصل فى المدرسة أن تكون كذلك .

وإن على الأم قبل أن تذهب بابنها إلى المدرسة أن تكون قد دربته على بعض المبادئ البسيطة ، فى كتابة بعض الحروف أو الكلمات ، وفى كتابة بعض الأرقام وجمع بعضها على بعض ، وفى تدريبه على رسم بعض الأشكال ، وإن ذلك كله

ينبغى أن يكون على هيئة اللعب أو قريبا من اللعب .

إن قيام الأم بذلك يجعل طفلها يقبل على المدرسة دون هيبة أو رهبة ، بل دون بكاء وخوف واستيحاش ، ويؤهله لأن يتعامل مع معلميه ومعلماته وزملائه تعاملا مقبولا نافعا له ولغيره .

وما أشد غفلة الأم التى تهمل تشويق أبنائها للذهاب إلى المدرسة ، إنها ستدفع لهذه الغفلة ثمنا غاليا من صحة ابنها النفسية ومن تفوقه فى الدراسة .

٧ ـ وأن تهتم بأن تعقد بينها وبين أبنائها ـ بنين وبنات ـ صداقة وثقة ، تسمح لكل منهم أن يحكى لها عما يدور فى المدرسة وعما يضايقه فيها أو يسره منها ، فإن لم يحكوا هم سألتهم هى عما فى المدرسة وعن مدى ما يعجبهم وما لا يعجبهم فيها ، بأسلوب بعيد عن جو التحقيقات والتحريات والمساءلة الثقيلة ، وبعيدا كذلك عن تلمس الأخطاء لهم أو للمدرسة أو العاملين فيها .

إن هذا العمل إذا قامت به الأم عصم أبناءها من الدخول فى مشكلات مع المدرسة والمدرسين والمدرسة والزملاء ، وتلك المشكلات عند تحليلها العلمى سوف تمثل عوائق دراسية ، قد تذهب بالفائدة من الذهاب إلى المدرسة فضلا عما فيها من قعود وعجز عن حب الدراسة أو التفوق فيها.

وإن ذلك منها سوف يعالج أى مشكلة قبل أن تستفحل ، وربما تستعصى على العلاج .

وإن الأب ليشارك فى كل هذه الأمور المهيئة إلى المدرسة بما يناسبه ، ويخطئ إن ترك كل شىء للأم ، لأنه بذلك يظلمها ويحرم أبناءه من حقهم فيه وفى توجيهاته .

إن أعباء البيت المسلم قسمة بين الأبوين كل فيما فطره الله عليه ويسره له ، وما ينبغى لأحد الوالدين أن يهمل فى واجبه نحو أبنائه ، اعتمادا على أن الطرف الآخر سوف يقوم به .

٨ ـ وإن على الأم أن تعلم أبناءها بعد أن يشبوا من شئون البيت ما يمكنهم من القيام بأعباء أنفسهم ، حتى يتعودوا الاعتماد على النفس ، ويألفوا الإيجابية فى الحياة ، وما أحسن أن تعود الأم أبناءها على أن يرتب كل منهم فراشه بنفسه ، وأن يغسل الأطباق التى أكل فيها بنفسه ، أو ترتب ذلك بينهم يوميا وبصورة دورية ، إن ذلك

حتى مع وجود الخدم فى البيت يطبع الأبناء على المشاركة والتعاون وحب العمل والإنتاج ، فضلا عما فيه من راحة للأم إن لم يكن فيه خدم يقومون بذلك .

وإن خير الأمهات وأحكمهن هى التى توزع العمل على أبنائها حتى فيما يتصل بشئون الطهى ، فإن ذلك أكبر فائدة يجنيها الابن من بيته قبل البنت .

والحياة قد تلزم الإنسان بما هو أكثر من الطهى وترتيب الفراش ، فلماذا لا تعد الأم أبناءها لذلك ؟

٩ ــ وعلى الأم أن تعلم ابنتها ــ عندما تشب وتوشك أن تبلغ مبلغ النساء ــ كل ما ينبغى أن تتعلمه ، لتصلح من شأن نفسها وجسمها فى فترة هذه التغيرات الجسمية والنفسية والحركية ، لأن الأم إذا لم تفعل ألجأت ابنتها إلى أن تعرف هذه الأمور من زميلات ، هن بالقطع لسن مخلصات لها كإخلاص أمها .

إن الأم هى المرجع الأمين لابنتها من أى مراجع أخرى ، من زميلة أو صديقة أو قريبة .

وإن قيام الأم بهذا الواجب يجنبها ويجنب ابنتها كثيرا من المتاعب ، فيما لو صمتت عن التساؤل حياء ، وفيما لو وجهت التساؤل لغير أمها .

وكذلك ينبغى أن يكون الشأن مع الابن الذى يقارب مرحلة البلوغ ، إنه يجب أن يكون موضع رعاية أمه وتوجيه أبيه ، وإن على الأب أن يفسر له هذه التغييرات التى تحدث فى جسمه وعواطفه ، لأنه المرجع الوحيد الأمين .

١٠ــ وعلى الأم أن تشرف على استذكار أبنائها لدروسهم بعناية وحكمة ، ليؤدوا وظائفهم المدرسية ، وأن تشارك وتعاون بالتوجيه والشرح فيما يستغلق عليهم من الأمور الدراسية ، ولكن عليها أن تحذر الوقوع فى هذه الأخطاء التالية :

أ ــ أن تعودهم ألا يستذكروا إلا إذا كانت بجوارهم أو تقرأ لهم ، وإنما يجب أن يعتمدوا فى ذلك على أنفسهم .

ب ــ أن تتحول إلى مدرس يشرح لهم الدرس كله ، وإنما تطالبهم بالاستذكار ، فإن عجزوا عن فهم شىء سألوها فيه .

جـ ــ أن تعودهم على أن يجدوا عندها الحلول الجاهزة لمشكلاتهم الدراسية ، دون

أن يفكروا هم فى حلها والبحث لها عن حلول قد يستشيرون فيها الأم أو الأب .

د ـ أن تعودهم على أن وقت الاستذكار هو ما يتبقى لهم من وقت بعد لهوهم ولعبهم ، وإنما يكون للاستذكار وقت معلوم ومناسب يجب الالتزام به .

هـ ـ أن تسمح للزيارات العائلية أن تكون فى أى يوم من أيام الأسبوع ، وإنما يجب أن يعرف الأولاد أن يوما من أيام الأسبوع للزيارات العائلية وصلة الأرحام ، وأن سائر الأيام أيام عمل .

و ـ أن تسمح لهم بممارسة اللعب فى أوقات العمل ، وإنما تخصص لهم وقتا لهذا ووقتا لذاك تحت إشرافها على اللعب كما تشرف على العمل .

ز ـ أن تسمح لهم بالإخلال بالتردد على المسجد مع أبيهم أو وحدهم إن كانوا يستطيعون ذلك أو كان المسجد قريبا من بيوتهم ، ولا يتعرضون فى الذهاب إليه إلى مخاطر .

فإذا ما وعت الأم ذلك وتجنبت هذه الأخطاء السبعة الخطيرة ، فإنها تيسر بذلك لأبنائها من أسباب النجاح ما يمكنهم بإذن الله من المرور بمراحل التعليم دون مشاكل أو معوقات أو انتكاسات دراسية .

وكما قلنا ـ آنفا ـ إن الأب قسيم الأم فى كل هذه الواجبات فى حدود ما يستطيع ، مما فطره الله عليه .

وهكذا يجب أن تكون الأسرة المسلمة سعيدة هانئة ، تفيد من البيت ما يسيطر عليه من روح إسلامية ، وأخلاق إسلامية ، والتزام بمنهج الإسلام فى الحياة ، منطلقة من هذا إلى المجتمع ، ليستقيم أمره على أدب الإسلام وخلقه ، فيكون بإذن الله النجاح والتوفيق فى الدنيا والآخرة .

٣ ـ حقوقها وواجباتها على المجتمع الذى تعيش فيه

سبق أن تحدثنا عن حقوق البنت وواجباتها نحو المجتمع الذى تعيش فيه ، والآن نتحدث عن حقوق الزوجة أو الأم على المجتمع وواجباتها نحوه ، ونود الآن أن نوضح أن هذه الحقوق التى تجب على المجتمع نحو المرأة أيا كان مكانها ومكانتها بنتا أو أختا أو زوجة أو أما ، إنما يؤديها المجتمع على وجهها إذا كان مجتمعا إسلاميا .

وللمجتمع الإسلامى فى نظرنا خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى وأبرز هذه الخصائص فى إيجاز :

أ ـ أنه مجتمع يقوم على العقيدة الصحيحة فى الله خالق الكون ومدبر كل شىء فيه ومالكه على وجه الحقيقة ، وفى ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

ب ـ وأنه مجتمع يتخذ شريعة الإسلام منهجا لعباداته ومعاملاته وما يجب أن يسوده من قيم وأخلاق وحقوق وواجبات .

جـ ـ وأنه مجتمع يمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإطار الذى أوضحته الشريعة لهذه الممارسة .

د ـ وأنه مجتمع يعد الناس فيه أنفسهم للجهاد فى سبيل الله عندما ينادى منادى الجهاد .

هذا المجتمع يتميز مع هذه الخصائص بربانيتة وإنسانيتة وعالميته .

أما ربانيته : فتعنى أن التشريع فيه من عند الله رب الكون كله ، ولا يمكن أن ينازعه التشريع أحد من خلقه ، إلا أن يكون نبيا كلف برسالة ، فيفسر شرع الله ويوضحه ، ويتيح لعلماء الأمة أن يجتهدوا فيما لا نص فيه من الشريعة ؛ لكى يواكبوا المتغيرات الزمانية والمكانية التى تفرض نفسها عليهم .

وأما إنسانيته : فتعنى أن الإنسان فى هذا المجتمع هو أغلى وأهم ما فيه ، وأن الله كرمه كل التكريم بحكم كونه إنسانا حتى قبل أن يدخل الإسلام ، حتى ولو خالف

الإسلام أو رفض الدخول فيه ، فإنسانية الإسلام تمنع الظلم والتعذيب لأعداء الإسلام أنفسهم ، كما تمنع التمثيل بجثث القتلى منهم ، فما بالك بمن يفرقون بين الناس لألوانهم وأجناسهم ولغاتهم والأقاليم التى يعيشون فيها ؟

وأما عالميته : فتعنى أنه ينظر إلى العالم كله نظرة حب ومرحمة ، ولا يضمر شرا لأحد ، ولا لأهل زمان أو مكان على غيرهم ، وإنما يتعامل مع العالم كله وفق منهجه وشريعته .

تلك خصائص المجتمع الإسلامى أو خصائص الإسلام .

ولا يستطيع المجتمع أى مجتمع أن يؤدى حقوقه نحو الناس عموما والمرأة على وجه الخصوص ، إلا أن يكون محكوما بتلك القيم وهذه المبادئ النابعة من الشريعة الإسلامية ومنهجها فى الحياة .

هذا المجتمع بتلك الخصائص لابد أن يكون للمرأة فيه زوجة وأمّا حقوق كثيرة ، تعد من أهم واجبات المجتمع نحوها ، كما لابد أن يكون له واجبات على المرأة زوجة وأما ، تعد حقوقا له واجبة الأداء ، ودون تبادل للحقوق والواجبات لا تقوم لمجتمع قائمة .

أ ـ حقوقها على المجتمع :

إن المجتمع الإسلامى وهو يعطى للمرأة حقوقها ، إنما يتجاوب فى ذلك مع الشريعة الإسلامية ، ويلتزم بمطالبها نحو المرأة عموما ونحو الزوجة أو الأم على وجه الخصوص ، وذلك أن الشريعة الإسلامية وهى تنصف المرأة هذا الإنصاف ، وتقدرها هذا التقدير الذى لم تسبق إليه ولم تلحق فيه ، لم تفعل ذلك مجاملة للمرأة ، وإنما فعلته لأنه الذى يجعل الحياة الإنسانية أكثر نفعا للناس فى معاشهم ومعادهم .

ولقد جاء الإسلام والمجتمع الذى سبقه يوقع على المرأة زوجة وأمّا من الظلم الاجتماعى مالا طاقة لها به ، فلما نادى الإسلام بقول الله تعالى : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾[٩٣] وقوله تعالى : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[٩٤] وقوله سبحانه : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ﴾[٩٥] .

---

(٩٣) سورة آل عمران : ١٩٥ . (٩٤) سورة النحل : ٩٧ . (٩٥) سورة النساء : ١٢٤ .

لما نادى الإسلام بذلك بدأت الموازين تعتدل بين الناس ، وبدأت المرأة فى ظل هذا التشريع العادل تحس بإنسانيتها ، لا شيئيتها ، الأمر الذى جعل بعض النساء يطمع فى المساواة المطلقة مع الرجال ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها : قالت أم سلمة : يارسول الله ، تغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث .. فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما** ﴾[96] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أتت امرأة النبى ﷺ فقالت : يانبى الله ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وشهادة امرأتين برجل ؟ أفنحن فى العمل هكذا ؟ إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ....** ﴾ الآية .

قال السدى فى تفسير هذه الآية الكريمة : « إن رجالا قالوا : نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء ، كما لنا فى السهام سهمان ، وقالت النساء : إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء ، فإننا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كُتب علينا القتال لقاتلنا ، فأبى الله ذلك ، ولكن قال لهم : سلونى من فضلى »[97] .

هذا المجتمع الذى نزل عليه القرآن كان لا يزال فيه التنافس بين الرجال والنساء ، كما تدل على ذلك تلك الروايات التى ذكرنا ، ولعل هذا التنافس ولا هذا التمنى ما كان ليظهر لولا ما منح الإسلام للمرأة من حقوق لم يكن لها شىء منها فى المجتمعات السابقة .

إن الإسلام وهو يعطى المرأة كل هذه الحقوق ويسوى بينها وبين الرجل فى التكليف والأجر لم يكن يجامل المرأة ـ كما سبق أن أوضحنا ـ وإنما كان هدفه بناء المجتمع المسلم السليم الذى لا يحس فيه أحد بالظلم أو انتقاص من الأجر عند العمل ، لكى تمضى الحياة الإنسانية فى طريقها الصحيح يؤدى جميع أفرادها وظائفهم الملائمة للفطرة التى فطرهم الله عليها دون حيف من جنس ولا من أحد على أحد .

ولقد ظلت المرأة المسلمة بنتا وأختا وزوجة وأمًا تستمتع بحقوقها كاملة فى المجتمع المسلم ، حتى انحرف هذا المجتمع عن منهج الإسلام وشريعته ، فضاعت بعض حقوق المرأة المسلمة ، فأخذ أصحاب الهوى يزعمون أن الإسلام حرم المرأة حقوقها ، ويهرفون

---

(٩٦) سورة النساء : ٣٢ .

(٩٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٨٨ . ط الحلبى القاهرة .

بأنها دخلت بالإسلام عصر الظلام ، ومن ثم بدأوا ينادون للمرأة بحقوق طنطنوا لها وارتفعت عقائرهم بأمور يزعمون أنها من حق المرأة وما هى من حقها أبدا ، إذ ليس من حق المرأة أن تمشى فى الطريق عارية أو شبه عارية ولا أن تتشبه بالرجال ولا أن تتمرد على وليها .. كل هذه عند التدقيق ليست حقوقا للمرأة وإنما تضييع لها .

إن هذه الأصوات الراغبة فى أن تنحرف المرأة المسلمة عن دينها باسم الحرية والتحرر ، إنما تكيد للإسلام وتمالئ أعداءه الظاهرين أو المستترين ، وإن هؤلاء الذين نادوا بتلك الدعاوى قد عاشوا فى الغرب وتثقفوا بثقافته ، ورأوا كيف تستبد مدنية الغرب بالمرأة حتى تحرمها حقوقها المدنية ، بل تحرمها من حقها فى أن ينفق عليها الزوج أو الأب أو الابن وتوجب عليها أن تخرج إلى العمل لتقتات ، وقد عملت المرأة فى كل شىء هناك ، حتى فى احتراف الزنا دون حسيب أو رقيب ، كل ذلك باسم الحرية الشخصية والخروج من التقاليد الظالمة ، ومن قبل هذه المدنية الغربية الحديثة داست الكنيسة وقوانينها كل حق للمرأة فى حياة كريمة .

إن هؤلاء المنادين بتحرير المرأة من القيود ـ التى يزعمون ـ غافلون تماما عن حقيقة كبرى ، هى أن المرأة إذا كانت تعانى اليوم أو عانت من قبل من قيود فى بعض المجتمعات المحسوبة على الإسلام ، فإن ذلك كان بسبب انحراف هذه المجتمعات عن الإسلام .

وإن المجتمعات الغربية التى منحت فى زعمهم المرأة الحرية والتحرر ، إنما حررتها من قيود الدين والأخلاق والفضيلة والحياء ، وجعلتها تعيش فوضى وضياعا ، وبخاصة فى العلاقات الجنسية الشاذة التى يحميها القانون .

وإن فوضى العلاقات الجنسية قد استطاعت فى الماضى أن تحطم أمما ، ولا تزال حتى الآن قادرة على تحطيم أمم ، وإن المتأمل لبعض التقارير التى يكتبها المخلصون لأممهم من الغرب يجد كثيرا من النذر .

ونذكر من هذه التقارير نتفا على سبيل المثال :

يقول : « بول بيورو » أحد الكتاب الفرنسيين : « من العادة الجارية فى طبقة العاملين فى فرنسا أن المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقا قبل أن يعقد بينهما النكاح أنه سيتخذ ولدها الذى ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له »[٩٨] .

---

(٩٨) واليوم فى أمريكا ومعظم بلدان الغرب أن هذا الموثق يؤخذ على الخدن ، حتى لو كانت حاملا من غيره وهو خدن لها أو خطيب لها ، والقانون السائد فى البلاد يساندها فى ذلك ، ولا يملك البائس أن يرفض .

وجاءت امرأة فى محكمة الحقوق بمدينة « SIENE » فصرخت بقولها : « إننى كنت قد آذنت بعلى عن النكاح بأنى لا أقصد بالزواج إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالى به قبل النكاح ، وأما أن أعاشره وأعيش معه كزوجة فما كان فى نيتى عند ذاك ، ولا هو فى نيتى الآن ، ولذلك اعتزلت زوجى فى أصيل اليوم الذى تم فيه زواجنا ، ولم ألتق به إلى هذا اليوم ، لأنى كنت لا أنوى قط أن أعاشره معاشرة زوجية »[٩٩] .

والأحاديث التى تسجل اعترفات مشابهة لهذا الكلام كثيرة نعجز هنا عن استقصائها ، وكلها يدل على أن المرأة أو الأم فى ظل هذه الحضارات مضيعة الحقوق ، مضيعة الشخصية ، فهى تلهث وراء من يعترف لها بأبوته لأبنائها الذين حملتهم منه أو من غيره ، وقلما تجد استجابة ، فأين حقوق الأم ، وأين الأمومة كلها فى هذه المجتمعات ؟

إن معظم دول الغرب ودول الشرق الشيوعى تنشئ دورا للأمومة الصناعية لتواجه بها مصير أبناء السفاح ، وتجنب الأب غير الشرعى مشقة أن تكون عنده غيرة أو كرامة .

إن من المؤكد لدى أصحاب الأخلاق من الناس أن أبسط حقوق الأم أو الأمومة أن ينشأ الأطفال من نكاح لا من سفاح ، وأن يعيشوا فى كنف أبوين ، أب يعمل ويكد ويوفر أسباب العيش ، وأم تحنو وتربى وتحيط الأولاد بما هم فى حاجة إليه من أسباب الصحة النفسية والخلقية .

أين هذا كله فى الغرب اليوم ؟

إن من يتابع أدنى متابعة لطبيعة العلاقة الجنسية بين الرجال والنساء فى الغرب ، ليدرك تماما أن المرأة لم تحرر بهذا التسيب وإنما ضيعت .

لقد هانت الأمومة على الأمهات ، وهانت الأم على المجتمع فضاعت الأسرة وتبعثر الأبناء فى الملاجئ ودور الحضانة ، وعصفت الشهوات بالأم أولا وبالمجتمع من بعد ذلك .

تلك صورة بالغة الإجمال فيما قدمه الآخرون للمرأة زوجة وأمًا على كثرة دعاواهم وطنطناتهم ، فماذا قدم الإسلام أو المجتمع الإسلامى لها ؟

إن هذا المجتمع المسترشد بهدى الإسلام فى علاقاته كلها ، قد أنصف المرأة وأعطاها من الرعاية والاحترام ما هو جدير بزوجة وبأم .

---

(٩٩) أبو الأعلى المودودى : الحجاب : ١١٦ .

إن القرآن الكريم تحدث عن الزوجة كما تحدثت السنة النبوية عن حقوقها وواجباتها على النحو الذى ذكرناه آنفا ، وإن الحديث عن الأم فى القرآن الكريم والسنة النبوية أو عن الأبوين معا لحديث حنان ذكرناه فيما سلف من الكتاب ، بما نتصور أنه أوضح ما للأم من حقوق وما عليها من واجبات .

والذى نحب أن نؤكده هنا أن المجتمع المسلم يملك ـ بما خولت له الشريعة ـ من ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يلزم كل أفراد المجتمع من أبناء وغير أبناء بأن يقدروا الأمومة حق قدرها ، وأن يرعوا للأم كل حقوقها ، وهذا الإلزام من حق المجتمع ولا غبار على ذلك ، بل هو من واجبه مادام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ولنا أن نتساءل قائلين : ما هى الأمور التى يجب أن يلزم بها المجتمع نفسه وأفراده ونظمه وآدابه لكى يرعى الأم حق رعايتها ويحترمها الاحترام اللائق بها ؟

وفى الإجابة على هذا التساؤل نقول سائلين الله التوفيق :

أولا : يستطيع المجتمع مادام إسلاميا أن يسن من القوانين واللوائح ما يكفل للأمومة احتراما وتقديرا ، على كل مستوى من مستويات التعامل معها ؛ لأن الأم تقدم للمجتمع أغلى ما يعتز المجتمع به ، تقدم له البناة والمصلحين والمنتجين .

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن على المجتمع بالنسبة للأم ما يلى :

١ ـ أن يرعاها اجتماعيا واقتصاديا وأن يوفر لها أسباب الراحة والاطمئنان ، وأن يباعد بينها وبين القلق والاضطراب ، أى يؤمنها ويؤمن أطفالها .

٢ ـ وأن يجعل لها الحق ـ إذا كانت تعمل ـ فى أن تحصل على راحة من العمل بأجر كامل طيلة فترة الحمل والرضاعة ، وبحد أقصاه ثلاثون شهرا ، وهذه المدة هى مدة الحمل والفصال أو الفطام كما ورد ذلك فى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ .... **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾[100] .

٣ ـ وأن يلزم أفراد المجتمع عموما فى كافة مرافقه على أن يعطوا للأم أولوية فى كل عمل يتزاحم عليه الناس ، سواء أكان عملا خدميا أم عاما .

٤ ـ وأن يرعى الأم التى يموت عنها زوجها رعاية تمكنها من تربية أبنائها تربية جيدة ،

---

(١٠٠) سورة الأحقاف : ١٥ .

ومن الإنفاق عليهم إنفاقا يليق بكرامة الإنسان وتكريم الله سبحانه له .

٥ ـ وأن يسن من القوانين ما يسمح للأم طالما لديها أطفال ـ إذا كانت تعمل ـ أن تؤدى نصف العمل فى مقابل نصف الأجر إن كانت موسرة ، وبأجر كامل إن لم تكن موسرة .

٦ ـ وأن يسن من القوانين ما يحتم على الأبناء بر الأمهات ، وأن يفرض على العاقين عقوبات رادعة .

ثانيا : وعلى المجتمع ـ وهو يسن هذه القوانين ـ أن يستلهم خلق القرآن وأدب الإسلام ويستهدف بمحافظته على الأم وتقديرها واحترامها بناء الأسرة بناء صحيحا من أبوين مكرَّمين وأبناء بررة ، فإن ذلك من أهم ما يعود على المجتمع كله بالسعادة الحقيقية ، إن المحافظة على بناء الأسرة بناء جيدا يقضى تماما على كثير من المشكلات التى تعانى منها المجتمعات المنهكة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، وما أكثر هذه المجتمعات فى ظل هذه القسمة الجائرة للمجتمعات الإنسانية المعاصرة ـ مجتمعات الشمال أو الجنوب ـ أو مجتمعات الغنى أو الفقير ، أو المجتمعات الدائنة والمجتمعات المدينَة .

إن معظم هذه المشكلات تحل إذا نشئت الأجيال تنشئة صالحة ولا صلاح لهذه الأجيال إلا باحترام المجتمع للأم وإعطائها كامل حقوقها .

وإن المجتمع المسلم وهو يكرم الأم هذا التكريم إنما يقدم لنفسه أجل خدمة ، ويضع نفسه فى أحسن مكان بين المجتمعات الإنسانية كلها ، فتكريم الأم يعنى فى عرف الرقى والتقدم والمعايير الخلقية أن هذا المجتمع قد ربح أسرة كاملة ، ربيت تربية سليمة ، وشب فيها الأبناء على أنبل الخصال ، وأولئك الأبناء هم لبنات البناء القوية المتماسكة ، التى غذيت البر والوفاء والولاء للأبوين وللأم على وجه الخصوص ، والذين شبوا على هذه القيم يحسنون كيف يعطون المجتمع من برهم ووفائهم وولائهم ما يرفع من قدر المجتمع ، ويحول بينه وبين الرذائل التى أبرزها الجحود والسلبية والإهمال .

وإن مجتمعا إنسانيا مًّا لا تعطى فيه الأم حقها من التكريم ، ولا حظها من الاحترام والتقدير ، مجتمع سريعا ما تتفكك فيه الأواصر ، وتحل فيه الشحناء والبغضاء محل الوئام والتعاون والتكافل .

ولقد رأيت بنفسى فى المجتمعات الغربية التى لا تعطى للأم احترامها وتقديرها ولا

توجب على الأبناء ولا الآباء ، بل ولا على المجتمع نفسه احترام الأم والبر بها ـ رأيت هناك الأبناء يتخلصون من الأمهات عندما تتقدم بهن السن بإيداعهن دور الرعاية ضيقا بمعايشتهن وقد عجزن عن الكسب والعمل ـ بعد أن يحتالوا لذلك في غير حياء ومن غير رهبة لأى قانون أو نظام يحول بينهم وبين التخلص من أمهاتهن ، لأن نظمهم هناك لا تلزم الأبناء برعاية شيخوخة الأبوين ، وكثيرا ما سمعت هناك عن قصة أم تبكى أمام ابنها الذى يتهمها بالخرف حتى يتخلص منها ويودعها إحدى دور الإيواء .

ومع كل هذا التحجر فى المشاعر والتبلد والقسوة يزعمون أنهم أمم متحضرة !!! ويجدون من يبشر لهم بأسلوبهم فى المعيشة !!!

إن ذلك عندهم قد جعل الحياة الأسرية خالية من الدفء والرحمة والمودة ، بل خالية من القيم الخلقية الفاضلة .

أين ذلك من الإسلام ومنهجه ونظمه وأخلاقه وآدابه ذلك المنهج الذى وضع مفاتيح الجنة تحت أقدام الأمهات [١٠١] ، وأوصى بها وبالوالد وصاة لا تجد لها نظير فى أى منهج أو نظام آخر سبق الإسلام أو لحق به ؟

ب ـ واجباتها نحو المجتمع :

كما أوضحنا فيما سلف من الكتاب فى الفصل الأول من هذا الباب واجبات المرأة بنتا وأختا نحو المجتمع الذى تعيش فيه ، نوضح هنا أن المرأة زوجة وأمًّا عليها واجبات نحو المجتمع كذلك ، بل ربما كانت أكبر وأشمل .

إن كل الواجبات التى ذكرناها هناك واجبات على الزوجة والأم هنا ، فلا داعى لإعادة الحديث عنها .

وإنما نضيف هنا بعض الواجبات الخاصة بالزوجة والأم على النحو التالى :

أولا : أن ترعى حقوق الزوجية تمام الرعاية ، فذلك وإن كان حق الزوج كما تحدثنا عن ذلك آنفا ، فإنه حق للمجتمع كذلك ، إذ يجنب المجتمع كثيرا من الانحرافات والاضطرابات والمشكلات الأخلاقية ، ويسد باب المخادنة والمخالة ـ الصداقة

---

(١٠١) ورد ذلك فى أكثر من حديث نبوى ، حيث روى الإمام أحمد بسنده : « الزم رجلها ، فإن الجنة تحت أقدامها » ، وروى البيهقى : « الزم رجلها فثمَّ الجنة » ، وروى القضاعى بسنده عن أنس رضى الله عنه : « الجنة تحت أقدام الأمهات » . جاء ذلك فى كنز العمال ١٦ / ٤٦١ وما بعدها ، ط الرسالة ، بيروت ، دون تاريخ .

المزعومة بين رجل وامرأة أجنبية عنه ــ ويحول بين الأزواج وهجر بيت الزوجية ، ومايترتب على هذا الهجر من تطلع إلى الحرام ، وضياع للأبناء ، لحرمانهم من رعاية الأب وعدم كفاية رعاية الأم .

ثانيـــا : وأن ترعى حق المجتمع فى التخلى عن الكماليات فى الحياة ؛ لأن تلك الكماليات لابد أن ترهق ميزانية الزوج أولا ، ثم تنعكس على المجتمع بإحداث خلل اقتصادى ثانيا .

ثالـثـا : وأن تحسن تدبير شئون بيتها المالية فى غير إسراف ولا تقتير مهما يكن دخلها فى نظرها قليلا ، لأن الملائمة بين الدخل والمنصرف هى علاقة حسن التدبير ، وأيضا إذا اعتبرنا هذا التدبير الحسن واجب الزوجة نحو بيتها فإنه كذلك واجبها نحو المجتمع كله ، فهى بهذا التدبير تحل للمجتمع كثيرا من مشكلاته الاقتصادية حلاً هادئا يجنب المجتمع كله كثيرا من المتاعب ، ويجنب عددا من الحكومات اللجوء إلى الديون والاقتراض لتغطية احتياجات هى بالإسراف أكبر من قدرات البلاد .

رابعـــا : أن تحسن تربية أبنائها وفق أخلاق الإسلام وآدابه ، وأن تعودهم أفضل العادات فى التعامل مع الناس وفى التعامل مع الحياة نفسها ، وأن تحببهم فى المسجد ، وأن تشجعهم على التعاون فى تنظيف المسجد وتنظيم ما فيه من مكتبة أو نحو ذلك ، وأن تحببهم فى المدرسة وتشجعهم على التفوق الدراسى ، فإن المجتمع ما يستفيد من أبنائه أحسن مما يستفيد من المتفوقين منهم ، فهم العلماء ، وهم المخترعون ، وهم بناة الحضارة ، وما قامت المجتمعات إلا على أمثال هؤلاء المتفوقين .

خامسا : وأن تغرس فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم حب التعاون وحب العمل ، وحب الوطن والولاء للحق والخير والتمسك بذلك ، فإن ذلك أيضا يسهم فى حل هادئ لمشكلات عديدة فى المجتمع ، فى رأس قائمتها عدم كفاية الإنتاج ، وعدم كفاءته وعجزه عن المنافسة ، بل إن ذلك حرب لعدد من الانحرافات الخلقية المتفشية فى كثير من المجتمعات كالرشوة والإهمال والتراخى وفقد الولاء والانتماء.

إن هذا واجب المرأة زوجة وأمًّا ، إذا كانت تريد أن تؤدى نحو المجتمع ما عليها ، حتى تستمتع فيه بما لها من حقوق .

الباب الثالث

المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله

ويتنـــاول :

التمهـيد .

الفصل الأول : فقه المرأة فى الدعوة إلى الله .

والفصل الثانى : عمل المرأة المسلمة فى مجال الدعوة إلى الله .

التمهيد:

نحاول فى هذا الباب بعون من الله وتوفيق أن نوضح أبعاد فقه الدعوة إلى الله بالنسبة للمرأة المسلمة [١٠٢] ، كما نحاول أن نرسم طريقا ـ بناء على تجاربنا الميدانية ـ لعمل المرأة المسلمة فى هذا المجال .

. ففى الفصل الأول من هذا الباب نوضح مفهوم الدعوة إلى الله ، ونحدد أهدافها ، ونشير إلى وسائلها ، أملا فى أن يكون فقهها على الصورة المثلى المرجوة التى لا يقبل أقل منها .

ثم نتحدث عن وجوب الدعوة إلى الله على المرأة كما هى واجبة على الرجل ، ونسوق في هذا من الأدلة والبراهين ما يؤكد هذا الوجوب ، ويرده إلى أصله من الشريعة الإسلامية ، حتى يكون فى ذلك ردٌّ على أولئك الذين لا يرون المرأة المسلمة أهلا للدعوة إلى الله .

ثم نتحدث عما يلزمها من أهلية لتتصدى للعمل فى الدعوة إلى الله .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب نحاول أن نبسط القول فى عمل المرأة المسلمة فى مجالات الدعوة إلى الله ، فنمهد لذلك بكلمات عن السابقات من المؤمنات الداعيات إلى الله على سبيل ذكر الشاهد والمثال .

ثم نوضح للمرأة المسلمة مجالات عملها فى الدعوة إلى الله ، ونتوسع فى الحديث عن أنواع الأنشطة التى يجب أن تمارسها ، سواء أكانت هذه الممارسة فى بيتها أم خارجه ، إذ يوجب عليها الإسلام أن تكون داعية إلى الله مع أولادها ، تعد وتربى وتدفع بهؤلاء الأبناء إلى المسجد بصحبة الأب وقد تهيأوا لحب المسجد والتجاوب مع من فيه وما فيه ، ثم تهيئهم إلى الذهاب إلى المدرسة دون توجس من هذا المجتمع الجديد عليهم ، وعندئذ يحسن الأبناء التعامل مع المسجد فيكسبون من وراء ذلك الروح الإسلامية التى تسيطر

---

(١٠٢) لنا فى ذلك كتاب موسع من سِفْرين كبيرين بعنوان : فقه الدعوة إلى الله . نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م ، يلتمس فية التوسع لمن أراد .

على سلوكهم ، كما يحسنون التعامل مع المدرسة فيكسبون التجاوب مع الدراسة والتفوق فيها .

وأوضحت أنها يجب أن تكون داعية مع قريباتها تحاول أن تؤدى معهن واجبا فى الدعوة إلى الله - إذ ليست الدعوة إلى الله هى نقل الناس من الكفر إلى الإيمان ، ولكن يدخل فيها بكل تأكيد نقل الناس من الضلال إلى الهدى ، ومن عدم الالتزام بآداب الإسلام وأخلاقه إلى الالتزام بالإسلام والاعتزاز بالانتماء إليه .

كما أن للمرأة المسلمة عملا فى جاراتها لا يقل أهمية فى فائدته عن عملها فى أبنائها وقريباتها ، إذ تستطيع بحسن عشرتها ورعاية حق جاراتها أن تستحوذ على قلوب هؤلاء الجارات ، فإذا ما وصلت إلى ذلك بَدأت تمارس فيهن الدعوة وهى محبوبة لديهن أثيرة عندهن ، وهذا هو مفتاح النجاح فى الدعوة إلى الله .

ثم أوضحت أنه لابد أن يكون لها عمل فى المسجد الذى تسكن قريبا منه حيث تستطيع فى هذا المسجد أن تعلم غيرها تلاوة القرآن وتفسيره الملائم لهن ، وأن تشرح من أحاديث الرسول ﷺ وسيرته ما تستطيع ، وأن تنتقى من هذا وذاك ما يكون ملائما لأعمار من تشرح لهن .

فالمرأة المسلمة الداعية إلى الله لها أن تذهب إلى المسجد فى بعض الأوقات الملائمة التى سُن لها أن تذهب فيها ، أو أن تجلس مع من تتحدث إليهن فى شرفة النساء بالمسجد .

إن الداعية إلى الله تستطيع أن تؤثر فى أخواتها النساء وتعلمهن من أمور الدين ما يكن فى حاجة إليه ، أو على الأقل تجيبهن على كثير من الأسئلة الدينية بأكثر وأحسن مما يستطيع الرجل الداعية ، وبخاصة فى الأمور التى تتصل بفقه الطهارة والعبادة بالنسبة للنساء ، إنها تدفع الحرج عن المرأة إذا سألت رجلا - وإن كان لا حياء فى الدين - كما تدفع نفس الحرج عن الرجل إذا وجهت إليه الأسئلة مباشرة من النساء فى هذه الأمور .

ثم نوضح بإذن الله واجب المرأة فى الدعوة إلى الله نحو مجموعة مختارة من النساء تتولاهن بالتثقيف والتشجيع على الالتزام بالدين وآدابه وسلوكه ، حتى تكون منهن نواة لداعيات إلى الله فيما بعد .

ثم نتحدث عن أثرها فى الحى الذى تسكن فيه ، وماذا تستطيع أن تقدم له وللنساء اللاتى فيه من خدمات ثقافية أو غيرها ، مما سنفصل الحديث فيه بإذن الله تعالى .

ونؤكد فى هذا الباب كله ، أن هذه الأنشطة المنوطة بالمرأة المسلمة مهما تعددت أنواعها ، فإنها ما ينبغى أن تصرفها عن واجباتها فى بيتها ومع زوجها وأولادها ، لأن تلك هى وظيفة أساسية كهذه ، وما ينبغى أن تكون واحدة منهما على حساب الثانية ، وإنما عليها أن تنسق بين هذه وتلك وتستعين الله ولا تعجز ، وتحتسب عند الله ما ينالها من عناء أو بلاء فى سبيله سبحانه وتعالى .

ذلك مجمل ما نطمح أن نصل إليه فى هذا الباب الثالث من الكتاب ، والله المستعان وهو ولى التوفيق .

الفصل الأول

فقه المرأة فى الدعوة إلى الله

١ ـ مفهوم الدعوة إلى الله وأهدافها ووسائلها

أ ـ مفهوم الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله هى ـ أصلا ـ دعوة الله سبحانه ، أى صادرة منه إلينا عن طريق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام الذين ختمهم بمحمد ﷺ ، وخصه دونهم بأن أوحى إليه الشريعة على حالها التى جاءت بها من عند الله دون تحريف أو تزييف .

فإذا قلنا الدعوة إلى الله ، فمعنى ذلك أنها الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وطاعتهم فيما أمروا به ، والانتهاء عما نهوا عنه ، وتصديق ما أخبروا به عن الله سبحانه وتعالى ، أى الدعوة إلى دين الإسلام خاتم الأديان وأتمها وأكملها ، ذلك الدين الذى تكفل الله بحفظه على حين وَكَل حفظ الأديان الأخرى إلى الناس ، لذلك بقى الإسلام وحده دون بقية الأديان دون تحريف أو تبديل .

والدعوة إلى الله بهذا المفهوم يجب أن توجه إلى كل الناس فى كل زمان وكل مكان ، وهذا واجب المسلمين جميعا رجالا ونساء ـ على نحو ما سنبين فيما بعد ـ بإذن الله .

الدعوة إلى الله بهذا المفهوم توجه إلى الناس جميعا ، أى إلى كل المدعوين ، وهؤلاء المدعوون صنوف على النحو التالى ولكل صنف منهم دعوة تناسبه :

١ ـ إن كان المدعو غير مؤمن بالله وغير متبع لدين الإسلام ، فإن المناسب له أن يدعى إلى الدخول فى دين الإسلام ابتداء .

٢ ـ وإن كان المدعو مؤمنا بالله غير مسلم أى ملتزم بما يطالب به الإيمان دون الإسلام ، فإن المناسب له أن يدعى إلى الالتزام بالإسلام عباداته ومعاملاته وأخلاقه .

٣ ـ وإن كان المدعو مؤمنا مسلما ، ولكنه يقارف بعض المعاصى ، فإن المناسب له أن يدعى إلى الدخول فى الطاعة والالتزام بكل ماجاء فى الإسلام من طاعات .

٤ ـ وإن كان المدعو مؤمنا مسلما ملتزما طائعا ، ولكنه يفهم التدين على أنه عمل شخصى بينه وبين الله ، وأن ما وراء ذلك من عمل جماعى لم يطلب منه ، فإن المناسب له من الدعوة أن يعرف أن العمل للإسلام يجب أن يكون فرديا فى أحيان قليلة وجماعيا فى معظم الأحيان ، لأن ما تقدر عليه الجماعة لا يقدر عليه الفرد ، ولأن الله سبحانه خاطب المؤمنين خطاب الجماعة لا خطاب الفرد الواحد ، فالقرآن الكريم فى معظم آياته الآمرة أو الناهية إنما يوجه الخطاب للجماعة من مثل :

﴿ يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة .... ﴾(١٠٣) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا .... ﴾(١٠٤) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .... ﴾(١٠٥) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى .... ﴾(١٠٦) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب ... ﴾(١٠٧) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة .... ﴾(١٠٨) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم .... ﴾(١٠٩) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى .... ﴾(١١٠) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ... ﴾(١١١) ،

﴿ يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .... ﴾(١١٢) .

فهذه عشر آيات من سورة البقرة وحدها كلها تتجه إلى خطاب الجماعة لا الفرد ، فما بالنا لو أحصينا كل الآيات الموجهة للجماعة .

٥ ـ وإن كان مؤمنا مسلما ملتزما غير عاص ، وغير مقتنع بأن التدين عمل شخصى ،

---

(١٠٣) سورة البقرة : ١٥٣ .
(١٠٤) سورة البقرة : ١٠٤ .
(١٠٥) سورة االبقرة : ١٧٢ .
(١٠٦) سورة البقر : ١٧٨ .
(١٠٧) سورة البقرة : ١٨٣ .
(١٠٨) سورة البقرة : ٢٠٨ .
(١٠٩) سورة البقرة : ٢٥٤ .
(١١٠) سورة البقرة : ٢٦٤ .
(١١١) سورة البقرة : ٢٧٨ .
(١١٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

ولكنه يؤثر العافية ويحب الاستكانة أو يخاف مغبة العمل من أجل الإسلام فى ظل الظروف التى تدين العمل للإسلام وتخلط بينه وبين التطرف أو التشدد ، فإن المناسب له من الدعوة أن يبصر بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرائض الإسلام ، وأن فرائضه لا تؤدى إلا بمعاناة وتصدٍّ للباطل ، وتواص بالحق وتواص بالصبر ، وتحمل لكثير من الأعباء وأن مسلما على وجه الأرض لن يصيبه من مكروه الدنيا وأذاها إلا ما كتب الله له ، وآيات القرآن الكريم فى هذه المعانى كثيرة من مثل قوله تعالى :

﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ...** ﴾ (١١٣) ،

﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ...** ﴾ (١١٤) ،

﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب ...** ﴾ (١١٥) ،

﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ...** ﴾ (١١٦) ،

﴿ **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ...** ﴾ (١١٧) .

٦ ــ وإن كان قد توفر فيه كل ذلك ولكنه يرى أن الجهاد فى سبيل الله لا يمارس إلا بعد قيام الدولة الإسلامية التى تحكم بما أنزل الله ، فإن المناسب له أن يدعى إلى التفقه فى الدين ، واعتبار أن الإعداد والاستعداد للجهاد بمثابة الجهاد نفسه ، لأنه لا يتم إلا به ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وفُقّه إلى أن الدولة الإسلامية لن تقوم بمجرد الدعوات والأمانى ولكن لابد لها من عمل واستعداد ومراحل لهذا العمل وأولويات لهذه المراحل ولابد له من تضحيات ، وكل ذلك جهاد لأن الجهاد لا يتم إلا به وقد طالبنا الإسلام بكل ذلك ، بل طالبنا فى ممارسته حتى بعد قيام الدولة فقال سبحانه : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ (١١٨) .

والدولة حينما تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى دولة إسلامية فلابد لها من الجهاد فى مجالين هامين :

المجال الأول : أطر الناس على الحق أطرا وقصرهم عليه قصرا ، أى جلب المصالح وما

---

(١١٣) سورة التوبة : ٥١ . (١١٤) سورة النساء : ٧٨ . (١١٥) سورة الحديد : ٢٢ .

(١١٦) سورة التغابن : ١١ . (١١٧) سورة آل عمران : ١٥٣ . (١١٨) سورة الحج : ٤١ .

ينفع الناس فى دينهم ودنياهم .

والثاني : منع المنكرات بالقوة ، أى درء المفاسد وكل ما يضر الناس فى دينهم ودنياهم ، وهذا واجب الدولة الذى إن قصرت فيه فقدت شرعيتها .

وهذه الدعوة بهذا المفهوم لا تدع فى المجتمع نقيصة إلا حاربتها وحمت الناس من شرها ، وكل مسلم ومسلمة مطالب بأن يدعو إلى الله بهذا المفهوم للدعوة إلى الله ، وأن يبذل فى سبيل الله ما يستطيع من وقت وجهد ومال .

٧ ـ وإذا كان المدعو قد استوفى كل ذلك بما فيه الجهاد فى سبيل الله والإعداد والاستعداد له ، ولكنه لا يتطلع إلى أن يكون الدين كله لله ، ولا إلى أن يكون الناس مع دين الحق ، وإنما يكتفى بأن يعيش المسلمون فى أمن مع أعدائهم مادام المسلمون قد أعدوا لهم من أسباب القوة ما استطاعوا واستعدوا لأن ينازلوهم عند اللزوم ، فإن المناسب من الدعوة لهذا المدعو أن يفقه أن المسلمين مطالبون بالجهاد فى سبيل الله إلى أن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وإلى أن لا يعبد غير الله فى الأرض ، ويكون الدين كله لله ، ولو كره الكافرون أو المشركون أو أى كارهين .

إن هذا الفقه لعمل المسلمين حتى لا يعبد غير الله فى الأرض ، هو الذى يؤكد إيجابية الدعوة إلى الله وقدرتها على إحقاق الحق وإزهاق الباطل أو الشهادة فى سبيل الله دون ذلك .

كل تلك مجالات فى الدعوة إلى الله يجب أن يوليها المسلمون اهتماما لائقا بها ، وكل مجال من هذه المجالات يستغرق جهودا هائلة ، ويكلف أعباء ثقالا ، وتضحيات كبيرة ، تبدأ بالوقت والجهد والمال ولكنها لا تنتهى محققة الغاية إلا بالتضحية بالنفس فى بعض الأحيان ، وتحقيق الغاية نصر وهو معدود من إحدى الحسنيين ، والشهادة فى سبيل الله من أجل تحقيق هذا النصر ، نصر كذلك ، ومعدود الحسنى الثانية .

هذا ما أردنا أن نلقيه من ضوء على مفهوم فقه الدعوة إلى الله ، نرجو أن نكون قد وفقنا فيه إلى الصواب .

ب ـ أهداف الدعوة إلى الله :

إن أهداف الدعوة إلى الله كثيرة ومتنوعة ، وإن الدعاة إلى الله رجالا ونساء عليهم أن يستوعبوها ، وأن يوظفوا طاقاتهم وجهودهم وأوقاتهم وكل ما يملكون لتحقيق هذه الأهداف .

وقد تحدثنا عن هذه الأهداف بالتفصيل فى كتابنا ـ فقه الدعوة إلى الله ـ ولكننا هنا نحاول أن نذكر هذه الأهداف على وجه الإجمال سائلين الله التوفيق .

أبرز هذه الأهداف :

١ ـ إعانة الناس على عبادة الله سبحانه وفق ما شرع لهم ، وعمل الدعاة إلى الله أن يعينوا الناس على ذلك بما آتاهم الله من العلم وبما أوتهم الكتاب وبما أودع فيهم من الحكمة والقدرة على الشرح والتفسير .

٢ ـ وإعانة الناس على إحياء سنة التعارف فيما بينهم ، فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ [١١٩] بل إن معظم العلماء يرون التعارف واجبا شرعيا بنص هذه الآية ؛ لأن الناس دون تعارف لا يستطيعون أن يتعاونوا فيما بينهم فضلا عن أن يتكاتفوا فى دفع خطر عنهم ، أو جلب مصلحة لهم .

وتلك مهمة الدعاة إلى الله سبحانه ، حيث يوضحون للناس أهمية التعارف فى حياتهم .

٣ ـ وإعانة الناس على تغيير الواقع السيّئ الذى يعيشه المسلمون فى هذا العصر ، إلى واقع إسلامى يقربهم من الله ومن الناس ، ومن تحقيق مصالحهم فى معاشهم ومعادهم .

فكيف يغير هذا الواقع ؟

ومن الذين يقومون بهذا التغيير ؟

ومتى يبدأ هذا التغيير ؟

كل هذه الأسئلة إنما تكون الإجابة عنها من صميم عمل الدعاة إلى الله .

٤ ـ والعمل على تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة متكاملة ، بحيث تتناول كل جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخلقية والبدنية والاجتماعية .

إن ذلك من صميم عمل الدعاة إلى الله ، ومن أوليات واجباتهم فى التوجيه والتسديد ، ولا تقدم لأمة قائمة إلا أن تحسن تربية أبنائها من كل هذه النواحى التى ذكرنا ، وإذا حار الناس فى البحث عن مناهج لتربية الأفراد فإن الأمة الإسلامية قد منحها الله فى هذا المجال أكمل منهج وأحسن نظام .

---

(١١٩) سورة الحجرات : ١٣ .

٥ ـ والعمل على إعداد البيت المسلم وتربية جميع أفراده وفق منهج الإسلام ونظامه ، ليشب الأبناء فى جو إسلامى ، وليسود البيت خلق الإسلام وروحه وآدابه ، فيتشبع بذلك الأبناء ، فيقبلون على المسجد يستكملون بما فيه ما يعجز عنه البيت ، ثم يقبلون على المدرسة وعلى المجتمع عناصر بناء وعمل وتعاون على البر والتقوى .

وهذا عمل من أبرز ما يجب أن يقوم به الدعاة إلى الله ، المنوط بهم إصلاح المجتمع بإصلاح البيت المسلم .

٦ ـ والعمل على إعداد المجتمع المسلم ، الذى يجب أن تسوده قيم الإسلام وأخلاقه ، وأن يتحلى أفراده بهذه الأخلاق ، المجتمع الذى يجب أن يسوده منهج الإسلام ونظامه فى كل أمر من أموره وفى كل مؤسسة من مؤسساته ، المجتمع الذى يجب أن يتخلى عن كل صفة نفر منها الإسلام أو كره الناس فيها .

إن المجتمع بهذا التحلى وذاك التخلى هو القادر على أن يمارس أفراده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويتعاملون فيما بينهم بل مع غيرهم كذلك بالعدل ، ويتخذون الإحسان شعارا لهم فى كل عمل يقومون به ؛ لأن الله سبحانه قد كتب الإحسان على كل شىء حتى فى الذبح والقتل .

وإن الدعاة إلى الله هم الذين قد أُهلوا لتوجيه الناس إلى العمل لبناء المجتمع المسلم السليم .

وإن مجتمعا يسوده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل والإحسان لأولى المجتمعات بأن يعيش الناس فيه حياة اجتماعية سعيدة ، تحقق لهم مصالح الدنيا والآخرة .

٧ ـ والعمل على تكوين حكومة إسلامية أيا كان شكلها ، إذ المهم المحتوى ، والمنهج الذى تحكم به قبل أهمية الشكل والنوعية .

وإنما تكون الحكومة إسلامية إذا طبقت شريعة الله على عباد الله ، فأحقت الحق وأبطلت الباطل وعدلت وأحسنت وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، وجلبت للناس المصالح ودرأت عنهم المفاسد ، وأعدت واستعدت للجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا .

والدعاة إلى الله مع كل صفة من هذه الصفات للحكومة الإسلامية ، هم الذين يوجهون ويدعون الناس إلى التمسك بهذه الصفات فى أنفسهم وفى حكوماتهم ،

ويعرفونهم فى هذا المجال ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

٨ ـ ومن أهداف الدعوة إلى الله : العمل على مقاومة أعداء الأمة الإسلامية ، الذين يحتلون أرضها أو يسيطرون عليها أى نوع من السيطرة ، ثقافية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، وذلك أن مقاومة أعداء الأمة الإسلامية أعداء الحق فرض عينى إن كانت بعض بلاد المسلمين فى يد الغاصبين وكفائى فى غير ذلك .

والدعاة إلى الله هم الذين يوضحون للناس هذه الفرائض ويدعونهم لتنفيذها وأداء الواجب فيها ، ومن المحقق الذى لا يختلف عليه المسلمون اليوم ، أن الجهاد فى سبيل الله لمقاومة أعداء الأمة فرض عينى ؛ لاغتصاب فلسطين واغتصاب أجزاء من الوطن العربى والوطن الإسلامى .

٩ ـ والعمل على إعادة الوحدة بين المسلمين فى العالم كله ، الوحدة بالطريقة الأقرب إلى المعقول والمطلوب ، الوحدة التى تبدأ بوحدة الفكر والثقافة والمصادر والمراجع ، وتثنى بوحدة الهدف والغاية ، ثم الوحدة الاقتصادية بكل متطلباتها فى بلدان العالم الإسلامى التى من أبرزها إعادة النظر فيما يملكه العالم الإسلامى من مقدرات اقتصادية عامة ، وفيما ينتجه من مواد أولية وغلات وسائر الاحتياجات ، وهل يمكن أن يحدث ذلك نوعا من التكامل الاقتصادى أى الاكتفاء الذاتى فى بلدان العالم الإسلامى دون وسطاء من الأعداء ، ثم تأتى من بعد ذلك الوحدة السياسية التى تتولد عنها الدولة الإسلامية الكبرى ـ كما كانت ـ مع غض النظر عن شكل هذه الدولة ، إذ العبرة دائما بالجوهر والمحتوى وتطبيق شرع الله .

أما البدء بالوحدة السياسية فتلك مطامح أو مطامع بعض الحكام المغامرين الذين يجهلون ، ولا يحبون أن يتعلموا ، ولقد قامت وحدات سياسية غير مسبوقة بتوحد الفكر والثقافة وما ذكرنا فكان نصيبها الفشل على الرغم من مكابرة هؤلاء الحكام الذين يجهلون ، وتاريخنا المعاصر اشتمل على أكثر من تجربة تنبت فى ذهن حاكم غر مغامر ، يجهل كثيرا من حركة التاريخ ، ففشلت فشلا ذريعا ، باعد بين المسلمين وبين تحقيق الوحدة المنشودة خطوات وخطوات .

والأصل أن يكون البدء بهذه الوحدة المتدرجة بالعالم العربى ، فإذا نجحت كان التوجه إلى العالم الإسلامى ، إن تلك الوحدة الناجحة هى وحدة الشعوب فى مقابل الوحدة الفاشلة وحدة الحكام .

وإن الدعاة إلى الله هم الذين يمهدون السبيل بما أوتوا من علم وخبرة ومعاناة فى الدعوة إلى الله لهذه الأنواع من التوحد ، بتوجيه الحكام وإقناع المحكومين وتشجيعهم على أن يضعوا ذلك من بين أهم أهدافهم فى الحياة ، مع توضيح أن المجتمعات أو الدول العربية أو الإسلامية ضائعة وغير قادرة على مواجهة متطلبات الحياة ما لم تعمل على إيجاد هذه الوحدة .

وإن تاريخنا قديمه ووسيطه وحديثه على ذلك من الشاهدين ، ولنا أن نتساءل قائلين :

متى استطاعت الأمة الإسلامية أن تحقق أهدافها وأن تؤسس أعظم حضارة عرفتها البشرية ؟

والجواب على ذلك بكلمة واحدة هى : يوم كانوا أمة واحدة ودولة واحدة ، وما حدث التراجع الحضارى والنكوص إلا بعد الفرقة والانقسام .

١٠ - والعمل على نشر دعوة الله فى الأرض كلها ، إيمانا من المسلمين بأن الإسلام هو دين البشرية كلها ، والعمل على ذلك يتطلب إعدادا واستعدادا وجهدا ومالا ووقتا وعلما ومعرفة ، وذلك كله واجب المسلمين جميعا رجالا كانوا أم نساء .

ولا يقنع بذلك ولا يؤهل له مثل الدعاة إلى الله الذين ميزهم الله بفقه هذا الدين وأهلهم بصفات الدعاة .

وبعد : فتلك - كما قلنا - أهداف الدعوة إلى الله على وجه الإجمال - وتحت كل هدف منها شروح وتفاصيل تلتمس فى مظانها - والمسلمون رجالا ونساء مطالبون بأن يحققوا من هذه الأهداف ما يستطيعون .

ومن المسلم به أن المرأة المسلمة عليها فى تحقيق هذه الأهداف عبء غير قليل ، يلائم قدراتها وظروفها وما فطرها الله عليه من استعدادات وإمكانات علمية وثقافية ودعوية وحركية ، كما يجب أن يكون أداؤها لهذا العبء ليس على حساب بيتها وزوجها وأبنائها .

إن على المرأة المسلمة أن تضع نصب عينيها هذه الأهداف وعليها بعد ذلك أن تتساءل قائلة لنفسها :

ماذا أستطيع أن أحقق من هذه الأهداف ؟

وكيف أحققها ؟

وكيف أنسق بين واجبى فيها وواجباتى الأخرى التى فرضها علىَّ الإسلام مع بيتى وزوجى وأبنائى ؟

وكيف أقنع زوجى أو وليى بضرورة أن أؤدى هذه الواجبات دون قصور أو تقصير ؟

وكيف أختار مكانى بين العاملات المسلمات لتحقيق أهداف الدعوة إلى الله ؟

وإن المرأة المسلمة المعاصرة - بل فى معظم العصور - لقادرة على أن تسهم فى تحقيق هذه الأهداف العشرة جميعا ، لو تدبرت أمر نفسها وكانت حريصة على إرضاء ربها ، ولم تؤثر العافية أو الكسل .

وأتصور أنها تستطيع أن تحقق ذلك كله أو أغلبه بإحدى طريقتين أو بهما معا حسب طاقتها واستعدادها .

أمَّا إحدى هاتين الطريقتين .

فهى العمل المباشر الفردى :

ومن خلاله تستطيع تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ أن تعين بعض النساء على عبادة الله وفق ما شرع ،

٢ ـ وأن تطبق مبدأ التعارف بين المسلمات ما استطاعت ،

٣ ـ وأن تسهم فى تغيير أى واقع سيىء لبعده عن الإسلام بواقع إسلامى فى حدود إمكاناتها ، وربما كان هذا أفسح مجال لها ، لأن البيوت المسلمة مليئة اليوم بكثير من العادات والتقاليد المجافية للإسلام فى الأفراد والجماعات وبخاصة تجمعات النساء .

٤ ـ وأن تسهم فى تربية الأبناء تربية إسلامية جيدة ، تجعلهم قادرين على التجاوب مع المسجد والمدرسة والمجتمع نفسه ، بما تغرس فيهم من صفات إسلامية ، كالتعاون والإحساس بضرورة أداء الواجب ، والتخلق بأخلاق الإسلام .

٥ ـ وأن تسهم فى إعداد البيت المسلم من حيث نظافته ونظامه ومحتوياته كلها ، فهذا من صميم عمل المرأة المسلمة الداعية إلى الله ، وإن هذا البيت المسلم فى جوهره ومظهره لهو القادر على أن يكون مراجع إسلامية فى كل ما تقع عليه عيونهم من أشياء .

وما يسىء إلى الناشئين شىء مثل ما يسىء إليهم أن يروا فى بيوتهم أشياء أو

مراجع غيز إسلامية ، كالتماثيل ، والصور المنهى عنها ، بل وأى قيم أخلاقية ليست نابعة من الإسلام ، إنه من العسير على من نشأ وسط هذه المراجع أن يجعلها بمنأى عنه بعد ذلك .

وإن المرأة المسلمة فى بيتها لقادرة تماما على أن تجنب حواس أبنائها كل ما هو مخالف للإسلام ، من شكل أو معنى ، ومن خلق أو سلوك .

٦ ـ وأن تسهم في إعداد المجتمع المسلم ، بحسن التزامها بأخلاق الإسلام ، وعملها الدائب علي أن يتمسك أبناؤها بهذه الأخلاق ، فما المجتمع إلا مجموعة من الأسر ، إن استقامت على الإسلام استقام المجتمع كله .

وأما الطريقة الثانية :

فهى العمل الجماعى مباشرا أو غير مباشر ، وهو ما نشير إليه فيما يلى :

١ ـ مكن أن تسهم المرأة فى العمل على إنشاء حكومة إسلامية تحكم الناس بشرع الله ومنهجه ، دون أن تخوض تجارب سياسية ربما لا تلائم طبيعتها وظروفها ، وذلك بأن تضم صوتها إلى أصوات أخواتها من النساء ، وأن تعمل على جمع أكبر عدد من النساء المسلمات الراغبات فى أن يكون الحكم وفق الشريعة ، وأن تحدث وعيا بهذه القضية بين أكبر عدد من النساء وأن يتفاهمن فى أحسن الوسائل وأنسبها لتحقيق هذه الرغبة عن طريق الكتابة أو المجالس النيابية ، بألا يعطى هؤلاء النساء أصواتهن إلا لمرشح يعمل على تحقيق هذا الهدف .

وإن زيادة عدد المقتنعات بهذه الرغبة سوف يسرع مهما يطل الوقت بالناس إلى الوصول إلى هذا الهدف .

٢ ـ ويمكن أن تسهم المرأة المسلمة فى العمل على تحرير أى رقعة من أرض المسلمين من غاصبها ، سواء أكان هذا الغصب عسكريا غازيا ، أم سياسيا ضاغطا أم اقتصاديا مغرقا البلاد فى القروض والديون والفوائد الربوية ، أم ثقافيا ينخر فى فكر الأمة وأدبها وفنونها وتراثها ، أم اجتماعيا يبدل أخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم .

إن المرأة فى كل هذه المجالات تستطيع أن تؤدى عملا يناسبها ويحرر بلاد المسلمين من هذا البلاء ، ولها فى ذلك وسائل كثيرة ، ابتداء من الكلمة المنطوقة والمسموعة ، إلى الكلمة المكتوبة ، إلى الاحتجاج لدى المسئولين ، إلى التظاهر

السلمى المشروع لكل الناس ، طالما هو بعيد عن العنف والشغب ، إلى إرسال البرقيات للجهات المختصة ، إلى عقد الندوات فى المساجد والأندية وغيرها ، إلى عقد المؤتمرات ، إلى المشاركة فى المعارك بما يناسبها من تمريض وإسعاف وإعداد ما يلزم المقاتلين من مؤن وملابس .

إنها لا تعجز أبدا مادامت تفكر وتؤمن بضرورة العمل بالدعوة إلى الله ، أن تجد عشرات الوسائل الأخرى التى تسهم بها فى تحرير أى بلد من بلاد المسلمين من أعدائها .

٣ - وتستطيع المرأة المسلمة أن تسهم مع غيرها من النساء فى العمل على إيجاد وحدة إسلامية بين دول العالم الإسلامى المتناثرة - التى بلغ عددها اليوم سبعا وأربعين دولة - التى يجب أن تصير أمة واحدة .

وليس كلامنا هذا يحمل من المبالغة شيئا ، لأن التجمع فاعل ومؤثر مهما تكن صفة المتجمعين ، إن المرأة المسلمة تستطيع أن تكون من كل مجموعة منهن رابطة أو أكثر ، وأن تتبنى هذه الروابط أفكارا إسلامية جيدة لخدمة المجتمع فكريا أو ثقافيا أو اقتصاديا أو سياسيا ، فكل هذه الأمور هى لبنات الوحدة بين دول الإسلام ، كما أشرنا إلى ذلك فى حديثنا عن الهدف التاسع من أهداف الدعوة إلى الله .

وقد يقول قائل : إن هذا أكثر من قدرات المرأة وطاقاتها ، بل هو يباعد بينها وبين وظيفتها الأساسية فى حياتها المنزلية ، غير أننى أقول : إن الأساس فى كل أعمال المرأة المباشرة الفردية أو غير المباشرة الجماعية هو ألا يتعارض ذلك مع وظائفها الأساسية فى بناء بيت وأسرة سعيدة ، فإن وجد هذا التعارض فعليها أن توفق وتنسق ، فإن عجزت - وما أظنها تعجز إن صدقت منها النية وصحت العزيمة - فوظيفتها فى بيتها أولى .

لكن إذا وجدت من النساء المسلمات الداعيات إلى الله من تستطيع أن تكون هذه الروابط وتمارس هذا العمل الجمعى النافع فلم ترفضه ؟

إن المرأة المسلمة لها الحق فى أن تعبر عن رأى غيرها من النساء المسلمات اللاتى لهن بها علاقة واتصال ، فقد جاء فى السنة - كما ذكرنا آنفا - أن أكثر من واحدة من الصحابيات تحدثت عن غيرها من النساء فما رفض رسول الله ﷺ أن يستمع إليها ولا أن يتحدث إليها ، ولا قال لها : الزمى بيتك ، وإنما كان تعليقه على

إحدى النساء مشجعا عندما كانت تتحدث إليه عن نفسها وعن غيرها وتذكر أن الرجال قد غلبوا النساء فى الأجر ، حيث قال لها رسول الله ﷺ « بلغى من وراءك ... » الحديث ، أى أجاز لها القيام بهذه المهمة وهى التعبير عن آراء الأخريات .

٤ ـ وأن تعمل المرأة المسلمة الداعية إلى الله على الإسهام ونشر الدعوة إلى الله ، فى كل مكان تحل فيه من بلدان العالم الإسلامى كله ، بل ومن بلدان العالم غير الإسلامى ، وذلك بتعاونها مع غيرها من المسلمات ، وربما بمفردها .

ولقد نجحت فى ذلك ـ أى فى نشر الدعوة إلى الله بين نساء الغرب ـ أعداد لا بأس بها من المسلمات الداعيات إلى الله حيث دعون غير المسلمات للدخول فى الإسلام فى كثير من دول أوربا وفى أمريكا ، وكان لبعضهن الفضل بعد الله فى أن يدخل عدد من النساء الغربيات فى دين الإسلام .

ولقد شهدت ـ أكثر من مرة ـ فى بعض دول أوربا دخول بعض هؤلاء النسوة فى دين الإسلام ، بل حضرت وشاركت فى مراسيم إشهار بعضهن إسلامها .

وهذا فضل من الله عظيم ، على أى مسلمة أو مسلم يتسبب فى أن يدخل أحد فى الإسلام ، إن جزاء ذلك عند الله عظيم ، إن الزائر لبلاد الغرب ، ليرى عدد المقبلين على الإسلام من الرجال والنساء كثيرا ، وليس ذلك مقصورا على كبار المفكرين أو أساتذة الجامعات ، وإنما يشمل ذلك عددا غير قليل من الرجال الذين لم يتميزوا فى هذه الجوانب ، كما يشمل عددا غير قليل من النساء الراغبات فى الإسلام لما سمعن عنه أو قرأن ، أو لما تأثرن به من علاقة بامرأة مسلمة تفقه الدعوة إلى الله .

وهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء .

جـ ـ وسائل الدعوة إلى الله :

الوسيلة ـ هنا ـ هى العمل الذى يحقق الهدف أو يساعد على تحقيقه ، وإذا كانت أهداف الدعوة على النحو الذى قربناه آنفا ، فإن الوسائل التى تحقق هذه الأهداف فى تصورنا ـ وعلى وجه الإجمال والتقريب كذلك ـ هى ثلاثة نشير إليها فيما يلى :

أولا : وسيلة الدعوة إلى الله بالكلمة ،

وثانيا : وسيلة الدعوة إلى الله بالقدوة ،

وثالثا : وسيلة الدعوة إلى الله بالعمل .

ونستطيع بعون الله وإذنه أن نفصل هذه الوسائل على نحو غير موسع فيما يلى :

أولا : وسيلة الدعوة بالكلمة :

والكلمة هنا تشتمل على مفردات عديدة نرصد منها ما يلى :

١ - الخطبة ،

٢ - والدرس ،

٣ - والمحاضرة ،

٤ - والمناظرة ،

٥ - والمقالة بأنواعها ،

٦ - والرسالة ،

٧ - والتقرير ،

٨ - والكتاب ،

٩ - والتعليق على حدث ،

١٠ - والرد على شبهة (١٢٠) .

والمرأة المسلمة الداعية إلى الله تستطيع أن تمارس كل هذه الوسائل أو معظمها ، فتثبت فى التعامل بها كفاءة وجدارة . فقد كان لبعض الداعيات إلى الله فى هذه المجالات سبق وتبريز وجهود طيبة معروفة مشكورة ، فى مختلف العصور الإسلامية السابقة على عصرنا هذا الذى أصبح فقيراً فى الداعيات إلى الله .

فالخطبة فى جمع من النساء فى مسجد أو ناد أو لقاء فى إحدى المناسبات الكثيرة التى تفرضها ظروف المجتمع ، وسيلة جيدة فى تحقيق أهداف الدعوة إلى الله .

إن المساجد وبخاصة فى الفترات التى لا يوجد فيها مصلون - كما هى عادة مساجدنا فى العالم الإسلامى اليوم تقفل أبوابها بين الصلوات - تستطيع الداعية المسلمة أن تخطب فى أخواتها المسلمات ، فتثير مشاعرهن نحو الغيرة على الدين ومنهجه

---

(١٢٠) تحدثنا عن معظم هذه الوسائل بالتفصيل فى كتابنا المشار إليه آنفا : فقه الدعوة إلى الله .

وأخلاقه ، وتستطيع أن تقنع بالحق على قدر ما تجيد فن الخطابة « الإقناع والإمتاع » الإقناع بالحق الذى تدعو إليه والإمتاع للسامعات بما توفر لها من قدرة على الخطابة ودقة فى استعمال الألفاظ والعبارات والشواهد والقصص والأمثال .

وكذلك تستطيع أن تستفيد من المسجد فى إلقاء محاضرة أو مناظرة - ندوة - تختار لها موضوعها بعناية ، وتعالجه بعناية أكبر ، وتستقطب حول وجهة نظرها أكبر عدد من السامعات.

كما أن الدرس الذى يشرح بعض آيات القرآن الكريم أو بعض الأحاديث النبوية أو بعض المواقف فى سيرة النبى ﷺ - مما سنوضحه أكثر فى حديثنا الآتى عن أنشطة الداعية المسلمة إلى الله فى الفصل الثانى من هذا الباب بإذن الله - هذا الدرس وسيلة هامة من وسائل تحقيق أهداف الدعوة إلى الله .

والمقالات وسيلة جيدة كذلك ، والصحف الإسلامية بالذات حريصة كل الحرص على أن تنشر منها ما تجده ملائما وجيدا ، فعلى الداعية المسلمة أن تحاول فى هذا المجال وأن تجود وتحسن الاختيار ، بل ربما حرصت بعض الصحف الأخرى على أن تنشر من هذه المقالات ما كان قادرا على معالجة أى موضوع يهم المجتمع معالجة جيدة وبخاصة ما يسمونه فى تلك الصحف بصفحة الرأى .

إن كل ما على كاتبة المقال هو أن يُعالج الموضوع من وجهة النظر الإسلامية بموضوعية ودون انفعال أو مبالغات .

إن ذلك يحدث تنويرا فى الأذهان ، وتحريرا للعقول من كثير من أنواع الزيف والخداع الذى يسيطر على كثير منها ، وهذا جانب هام من جوانب تحقيق أهداف الدعوة إلى الله :

كما تستطيع أن تلجأ إلى الأسلوب الخاص فى الإقناع فتكتب رسالة تجمع فيها على هوادة وبروية كل الأدلة والبراهين التى تؤيد وجهة نظرها ، وأن تخص بهذه الرسالة قريبة أو صديقة أو جارة ، فكثيرا ما أجدى هذا الأسلوب فى الاقتناع بالحق .

ويمكن للداعية المسلمة أن تقرأ موضوعا أو كتابا ثم تعد فيه تقريرا وافيا ، تحسن فيه عرضه أو مناقشته أو الرد عليه ، ثم يتناقل هذا التقرير بين القارئات من النساء فتكون له جدوى كبيرة بإذن الله تعالى .

وتستطيع المرأة المسلمة الداعية إلى الله - إذا كانت من أهل العلم والبحث - أن تلجأ إلى تأليف كتاب فى موضوع ترى من خلال عملها مع النساء أهمية له فى حياة المسلمة بصورة عامة أو فى إحدى قضايا المجتمع ، فتتوفر على هذا الكتاب تجمع له مادته ثم تنسق بينها ثم ترتب أبوابه وفصوله ثم تصوغه ، ثم تعيد النظر فيه وتعدل ما يحتاج إلى تعديل وتزيد فيما كتبت أو تنقص ، إن الكتاب إذا ألفته المرأة للمرأة كان أكثر قدرة على التعرف على مشكلاتها وقضاياها .

كل المطلوب فى هذا المجال أن تكون مؤلفة الكتاب على المستوى العلمى المتخصص الذى يمكنها من تأليفه على وجه حسن .

إن الكتاب يعالج بعمق ما لا تستطيع أن تعالجه مقالة أو رسالة أو خطبة أو محاضرة أو مناظرة ، وإنه لوثيقة باقية إذا قورنت بغيرها من الوثائق .

ما أحوجنا إلى أن تذخر المكتبة الإسلامية بهذه الكتب التى تعالج فيها الداعيات إلى الله المتخصصات قضايا المرأة ومشكلاتها .

كما تستطيع الداعية إلى الله أن تأخذ من التعليق على الأحداث تعليقا مسموعا أو مكتوبا فرصة جيدة ، لإظهار وجهة النظر الإسلامية فى حدث من الأحداث ، أما أن تترك الداعية إلى الله هذه الأحداث دون اهتمام أو تعليق فذلك تراجع منها عن موقف لابد أن تتعامل معه ، وكل المطلوب منها فى هذا المجال أن تكون من أهل العلم والقدرة على استيعاب الحدث والتعليق عليه .

ثم إن الداعية إلى الله تستطيع أن تلتقط الشبهات المثارة بين النساء مما له صلة بالدين أو بالدنيا ، ثم تتوفر على تفنيد هذه الشبهة والرد عليها ، فإنها أجدر بذلك من الرجال مادامت من أهل العلم والقدرة .

كل تلك وسائل جيدة فى تحقيق أهداف الدعوة إلى الله من خلال الكلمة مسموعة أو مقروءة .

ثانيا : وسيلة الدعوة إلى الله بالقدوة :

القدوة وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة إلى الله ، إذ هى بمثابة الحجة العملية على الدعوى النظرية ، ومن أراد أن يقنع أحدا بممارسة عمل فعليه هو أن يمارسه أمامه ، وإن مئات المحاضرات عن الصدق تظل أقل أثرا من أن يكون الداعى إلى التحلى بالصدق صادقا ...

ومن أجل هذا كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة لكل مسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن كل فضيلة وكل صفة دعا إلى التحلى بها كان هو شخصيا مثلا حيا متحركاً لها .

وكثيرا ما كان يلجأ الرسول ﷺ إلى القدوة مع الكلمة أو دونها فى بعض الأحيان - كما فعل فى عمرة الحديبية - وكما كان شأنه كله فى الدعوة إلى الإسلام كلام وعمل أو عمل دون كلام ، وهكذا يجب أن يكون شأن الدعاة إلى الله جميعا .

إن كل ما يدعو إليه الداعية إلى الله من فكر أو عمل يجب أن يكون متمثلا فيه أولا ، لسببين :

أولهما : التأثير فى الناس وجذبهم إلى ما يدعو إليه .

والثانى : خشية أن يدخل فى دائرة الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم .

فإلامَ تدعو المرأة المسلمة وهى تمارس عملها فى الدعوة إلى الله ؟ إنها تدعو غيرها من النساء إلى ما يأتى :

١ - فهم الإسلام فهما ملائما لمستوى الفاهم ،

٢ - والعمل وفق هذا الفهم فى مجالات العبادة والمعاملة والعادة ،

٣ - والإخلاص كله فى كل عمل تقوم به المرأة ،

٤ - والالتزام بأدب الإسلام وأخلاقه فى الأمور الحيوية التالية :

أ - الزى والملبس - الحجاب الشرعى - ،

ب - المطعم والمشرب والمسكن ،

جـ - الكلام والصمت ،

د - المشى والحركة ،

هـ - العلاقات بين النساء .

٥ - والرغبة فى هداية النساء الأخريات إلى هذا الدين وخلقه ،

٦ - والتأكيد على الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام ،

٧ ـ والتضحية بالوقت والجهد والمال فى سبيل الله ، وفى سبيل إصلاح المجتمع .

إن المرأة المسلمة وهى تدعو إلى ذلك كله ، لا يعينها عليه شيء مثل ما يعينها أن تكون هى مطبقة لكل هذا فى شخصها وفى حياتها ، وتلك هى القدوة التى تجب أن تعطيها المرأة المسلمة الداعية إلى غيرها من النساء ، طمعا فى التأثير فيهن وجذبهن إلى فعل الخير .

إنها إن نجحت فى إعطاء الأنموذج العملى للإسلام ، تنجح فى أن تجمع أكبر عدد من النساء المسلمات اللاتى يستجبن لها فى كل ما تدعو إليه ، وإذا لم تنجح فى ذلك وقعت فى أحد المحظورين اللذين تحدثنا عنهما آنفا ، ولا يخدعنا عن الحق أن إحدى الداعيات تنجح بذرابة لسانها وقوة بيانها ودون التزامها بالإسلام عملا وتطبيقا ، فإن هذا نجاح وقتى سريعا ما يزول ، لأن الاقتناع المصاحب له غير عميق وغير عملى ، وبالتالى فلن تكون له صفة الاستمرار والالتزام .

وهذه القدوة التى يجب على المسلمة الداعية إلى الله أن تعطيها ، تتمثل فى تصورى فى مجالات أربعة هى :

الخلق والسلوك ، والكلام والمنطق ، والمسكن والملبس ، وتربية الأبناء على أخلاق الإسلام وآدابه .

وسنحاول هنا أن نوضح كيف تستطيع المرأة المسلمة أن تعطى القدوة فى هذه المجالات الأربعة :

أولا : الخلق والسلوك :

وذلك يعنى أن تكون الداعية إلى الله ملتزمة فى خلقها وسلوكها بما دعا إليه الإسلام من فضائل ، متخلية عن كل نقيصة منع الإسلام من الاتصاف بها ، فإن هذا الالتزام هو خير وسائل الدعوة إلى الله ، وأحسن ما يعين الناس على الالتزام بأخلاق الإسلام ، بل يعد أبلغ مئات المرات من الكلمات والمحاضرات والدروس .

ولقد علمنا القرآن الكريم أن لنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾[١٢١] ، وهذا يؤكد لنا أن كُلاً منا معشر المسلمين يجب أن يعطى

---

(١٢١) سورة الأحزاب : ٢١ .

القدوة من نفسه فى كل ما يدعو إليه من أخلاق هذا الدين وآدابه .

وإن أى تَخَلٍّ عن أمر بسيط من أمور الأخلاق الإسلامية سوف يترك فى نفس المدعو أثرا سيئا ، ويباعد بينه وبين الاستجابة ، بل يعطيه صورة سيئة عن داعية إلى الله لا يتحلى بما يدعو إليه !!!

وأما السلوك بمعنى الاستجابة الظاهرة للعمليات الداخلية فى القلب أو فى العقل أو فى كليهما ، فإنما يعنى السلوك الفطرى الذى فطر الله الناس عليه قبل أن تفسد هذه الفطرة بالمؤثرات السيئة .

كما نعنى بالسلوك السلوك المكتسب الذى يكتسبه الفرد ويتعلمه مستجيبا لما يحكم عقله وقلبه من قيم ومبادئ ، والمسلم إنما يستجيب لمبادئ الإسلام وقيمه التى تعمر قلبه بالإيمان ، وتعمر فكره وعقله بالقدرة على اختيار السلوك الذى شرعه الله ودعا إليه .

المسلم مطالب وهو يسلك أى سلوك فطرى أو مكتسب أن يتحاكم فى ذلك - بينه وبين نفسه - إلى ما أحل الله وما حرم ، ثم يكون سلوكه نتيجة لذلك ، إنه إن يفعل فسوف يكون صورة حية للإسلام الذى يدعو إليه .

أما أنماط السلوك التى تمليها على الإنسان العادات والتقاليد السائدة فى المجتمع - بغض النظر عن كونها مما أحل الإسلام - فإنها تسيء إلى الإنسان وتحوله إلى آلة تحركها هذه العادات والتقاليد ، دون تبصر أو استجابة لما أحل الله وما حرم ، وتلك من أخطر الآفات التى تفتك بالإنسان المسلم ، وتباعد بينه وبين الإسلام ، ثم تعود على المجتمع كله بأوخم العواقب .

إن المرأة المسلمة الداعية إلى الله ، وهى تسلك سلوكها الفطرى الذى لم تشوهه الترهات والأباطيل ، أو سلوكها الذى اكتسبته من آداب الإسلام وقيمه - سواء أكان سلوكا فرديا يخصها أم جماعيا تشاركها فيه غيرها من النساء - فإنها تعطى بذلك القدوة الصالحة والمثل الحسن للإسلام عندما يتمثل فى إنسان ملتزم .

ثانيا : الكلام والمنطق :

وقد يتصور بعض الناس أن القدوة عمل وسلوك فقط ، ولا تكون كلاما ومنطقا ، ولكننا ننظر هنا إلى الكلام على أنه من أعمال الإنسان المتكررة كثيرا ، بل من الأعمال

التى لا يمكن الاستغناء عنها إلا لضرورة .

والذين يقللون من شأن الكلام وأهميته فى إعطاء القدوة للسامعين يجهلون أو يتجاهلون أهمية الكلام فى حياة الإنسان عموما وفى تعريفه على ما يحيط به من ناس وأشياء ، وعلى ما يمكن أن يهتدى إليه من حق وخير عن طريق الكلام .

إن الإسلام علمنا أن الكلمة يتفوه بها الإنسان لها أهمية كبرى فى الخير أو فى الشر ، فقد تكون حقا وداعية إلى حق ، وقد تكون باطلا وداعية إلى باطل ، ولكل منهما أجرها أو عليها وعلى قائلها وزرها .

إن الداعية إلى الله من رجل أو امرأة مطالب فى مجال إعطاء القدوة بالكلمة بأمور هامة منها :

١ - اختيار الألفاظ العفيفة التى لا تجرح شعورا ولا تخدش حياء ، كما فى قول عائشة رضى الله عنها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ فى إناء واحد ما رأيت منه ولا رأى منى » .

٢ - واختيار الألفاظ التى لا تنفر السامع أو تجبه قلبه أو عقله بما يضيق به ، كما ورد أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقل لقست » .

٣ - واختيار الألفاظ السهلة القادرة على نقل المعنى إلى السامع دون كَدٍّ أو صعوبة ، أى لا يتقعر المتكلم أو يتكلف أو يتعاظل ، فإن كل ذلك من التكلف الذى نهينا عنه شرعا وحسبنا فى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾(١٢٢) .

٤ - وأن يختار الموضوع الذى يتكلم فيه بحيث يكون من النافع للمسلمين أن يستمعوا إليه ، وأن يحسن عرضه ، وأن يقنع به ، وأن يؤصله شرعيا بالاستشهاد عليه بنصوص إسلامية ، وأن يجيد بحث الموضوع قبل عرضه على الناس .

٥ - وأن يتجنب فى كلامه المبالغات والأحكام الجزافية والإسراع فى اتهام الناس ، كما عليه أن يتجنب الإعجاب بالرأى أو التعصب له ، أو التقليل من شأن الرأى الآخر ، وأن يتناول موضوعه دائما بروح البحث العلمى الهادئ الملتزم بأدب الإسلام

---

(١٢٢) سورة القمر : ١٧ .

وأخلاقياته فى البحث العلمى ؛ لأن تلك صفات أساسية فى المسلم لا يجوز له أن يتخلى عنها بحال .

وجملة القول : أن الكلمة التى ينطق بها المسلم لها من الخطر أكبر نصيب ، فربما تقرب بها إلى الله وربما باعد بها بينه وبين الله .

فقد روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » .

والمرأة المسلمة الداعية إلى الله تستطيع أن تعطى القدوة لغيرها من النساء فى كلماتها التى تتعامل بها فى اليوم والليلة ، فضلا عن كلماتها التى تعدها وتتحدث بها ، فإلقاء التحية على النساء إذا كان موافقا لما أمر به الإسلام وهو : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أو عليكن ـ بصوت مسموع غير خافت ولا حاد ، وتكرار هذه التحية كلما التقت مسلمة بأختها المسلمة ، إنما يثير فى نفس السامعة أو السامعات تفكيرا فى هذه التحية التى تخص الإسلام ، وكيف جاءت سلاما ـ أى أمنا وطمأنينة وودا ـ من الملقى إلى من ألقاها إليه ، وكيف هى دعوة إلى الله أن يرحم هذا السامع وأن يشمله بالبركة ، وكيف تربط هذه التحية بين الناس برباط الأخوة والمحبة فى الله ولله .

إن التمسك بهذه التحية وترك ما سواها مما تلوكه ألسنة كثير من الناس من تحايا ، يقلدون فيها سواهم من غير أهل الإسلام ، هو الذى يمكن الإسلام من قلوب الناس وعقولهم ، ويعزز لديهم الانتماء إلى الإسلام والاعتزاز بآدابه وأخلاقه ، بل يقوى بينهم روح السلام والوئام والتسامح وذكر الله سبحانه وتعالى .

إذا كان ذلك شأن التحية فقط ، فما بالنا بغيرها من الكلمات ؟ ما بالنا بالكلمة الصادقة المخلصة فى كل تعامل من الداعية المسلمة مع غيرها من النساء ؟ إن ذلك لمن سحر البيان وقوة جذبه وتأثيره .

ما بالنا بالكلمة الأمينة الحريصة على الخير والبر ؟

ما بالنا بالكلمة النافعة المنتقاة التى تحفظ على السامعة حياءها ؟

ما بالنا بالكلمة الهادئة الحانية المعلمة التى لا تتعالى على أحد ؟

ما بالنا بالكلمة الهادفة التى تفتح الطريق أو الطرق إلى الخير والبر فى المجتمع كله استجابة لما أمر الله به ؟

وما بالنا بالكلمة الخارجة من قلب الداعية المسلمة التى تحرك بها لسانها ، هذه الكلمة التى يدفع إليها الإيمان ، ويحركها الإسلام ، ويدفع حركتها ويوجهها الإحسان ؟

إن مما يؤخذ على أى داعية مسلمة تتحدث إلى غيرها من النساء أن تلقى كلامها جزافا بغير حساب ، أو أن تضمن كلامها لفظا أو معنى لا يليق بمسلمة ملتزمة أن تتحدث به ، أو أن تهذر فى كلامها طمعا فى أن تحظى بإعجاب السامعات بها وبشخصها وظرفها وخفة ظلها ـ كما يقال ـ إن ذلك كله يؤخذ على المرأة المسلمة عموما والداعية بوجه خاص ، لكن ليس معناه أن تكون الداعية متجهمة صارمة عنيفة توئس الناس وتخلع عليهم من التشاؤم ما ينفرهم ، لأن المعصوم ﷺ كان يمزح ولكنه لا يقول إلا حقا ، وكان يبتسم ، وكان يحيى الأمل فى نفوس الناس ولا يوئسهم أبدا من رحمة الله ، ولنا فى سيرته على ذلك ألف شاهد وشاهد .

إن الداعية إلى الله يجب أن يكون لها من المهابة والاحترام بقدر ما لها من التقبل عند المسلمات اللاتى تدعوهن ، والداعية الموفقة هى التى تستطيع أن تحظى من السامعات بهذا وذاك .

وكذلك شأن الداعية إلى الله وهى تختار كلامها ومنطقها فى لغة الحوار مع الأخريات ، وبخاصة إذا كانت إحدى المحاورات معاندة أو غير جادة تمزج الباطل بالحق والعبث بالجد ، عندئذ يكون من واجب الداعية أن تتحرى اختيار الألفاظ بدقة وعناية ، بحيث لا تغضب محاورتها فضلا عن أن تسيء إليها بما يحرج أو يجرح المشاعر ، لأن الداعية إلى الله صنعتها الرفق والهدوء لأنها بذلك تكسب النصيرات وبغيره تفقدهن ، والرفق ما دخل شيئا إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه كما ورد ذلك فى سنة النبى ﷺ .

إن مجال الدعوة إلى الله يحتاج إلى مزيد من الصبر والتأنى ، ومزيد من الحرص على هداية المدعو ، ومزيد من حسن التأتى له من المداخل التى تناسبه ، علمنا القرآن الكريم ذلك ما دمنا نتصدى للدعوة إلى الله ، فقال سبحانه يخاطب خاتم أنبيائه ومرسليه :
﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[١٢٣] .

---

(١٢٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

والفظ : المكروه ،

والغليظ : غير الرفيق .

وحاشا للداعية المسلمة أن تتصف بفظاظة أو غلظة ، وليس ذلك من المتيسر لها إلا إذا أحسنت كلامها ومنطقها ، وأعطت فى ذلك القدوة لغيرها من النساء ، إن هذا هو أدب ديننا فى الدعوة إلى الله .

ثالثا : المسكن والملبس :

وربما كان الملبس أوضح فى الداعية وأدل على مدى التزامها وتمسكها ؛ لأن به البلوى قد عمت فى ملابس النساء التى تكشف عما حرم الله رؤيته على الرجال من جسمها أو تصفه أو تشف عنه ، فإذا التزمت امرأة مسلمة بملابس تستر ما أمر الله بستره من جسمها ، فإنها تكون عنوانا وقدوة لغيرها من النساء .

إن المرأة المسلمة تستطيع فى ملبسها أن تحافظ على النظافة والبساطة والالتزام بشرع الله .

وكذلك الشأن فى بيتها ، إنه يجب أن يكون صورة حية وجميلة للنظام والنظافة وحسن التنسيق والبساطة ، مع الاهتمام الشديد بمحتويات هذا البيت ومدى ما تدل عليه هذه المحتويات من تمسك بأدب الإسلام فى أثاث البيت ومقتنياته ووسائل تزيينه وتجميله ، إن بيت الداعية إلى الله عندما تزورها واحدة من المسلمات يمكن أن يكون عنوانا جيدا للإسلام ونظرته إلى البيت وطابعه الإسلامى الذى يجب أن يتميز به ، وتلك هى القدوة العملية .

ولابد أن أنبه هنا إلى أن بعض الداعيات إلى الله قد يلتبس عليها الأمر ، فترى أن الملبس الحسن أو البيت الحسن من التجمل أو التكلف الذى يتنافى مع التواضع المطلوب من المسلمين ، ولكنى أبادر فأقول : إن الرسول ﷺ لم ير بأسا بالثوب الحسن والنعل الحسنة ، ولم يعد ذلك كبرا .

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر

الحق وغمط الناس » .

وأحب أن أنبه كذلك إلى أنه لا يجوز لداعية إلى الله أن تبالغ فى الثوب الحسن والنعل الحسنة ، أو تبالغ فى أثاث البيت وزينته ؛ لأن هذه الأمور جميعا بل بما فيها الطعام والشراب مشروط فيها فى الإسلام أن تكون بغير سرف أو مخيلة .

إن الداعية إلى الله وهى تمارس الدعوة إلى الله ترقبها كل عيون من يراها من النساء أو يسمع منها أو يزورها فى بيتها ، فلتكن فى مسكنها وملبسها ومطعمها ومشربها حيث أمرها الله ، لأنها بذلك تعطى القدوة الحسنة لغيرها من النساء ، وإذا أعطت هذه القدوة فقد أحسنت استعمال وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله .

رابعا : تربية الأولاد :

نعم ، إن الداعية إلى الله إذا أحسنت تربية أولادها على أخلاق الإسلام وآدابه منذ نعومة أظفارهم ، فشبوا فى جو البيت المسلم وتخلقوا بأخلاق الإسلام ، إنها إن فعلت فإنما تقدم أولا للمجتمع نماذج إسلامية طيبة من شبان وفتيات يعملون من أجل الإسلام ، وتقدم بالتالى لغيرها من النساء أسلوبا أو أساليب جيدة فى تربية الأبناء تربية إسلامية هادفة ، وربما كان ذلك إغراء لكل امرأة مسلمة أن تلوذ بالإسلام لتحسن تربية أبنائها ، وتتعلم كيف تربى هؤلاء الأبناء تربية إسلامية .

إن توجيه الداعية المسلمة أبناءها إلى التردد على المسجد والتعلق به والتأسى بروحه ، وإلى حب المدرسة والتفوق فيها ، وإلى التعاون فى كل ما له علاقة بالخدمات الاجتماعية فى البيت الذى يسكنون فيه أو الحى الذى يعيشون فيه ، إن هذا التوجيه مع استجابة الأبناء لذلك خير قدوة تعطيها الداعية المسلمة لغيرها من النساء .

ثالثا : وسيلة الدعوة إلى الله بالعمل :

إن دعوة الناس إلى الله عن طريق العمل ، تعنى أن يمارس الداعية إلى الله نشاطا عمليا من أجل هذه الدعوة ، وحتى لا نشق على الداعية إلى الله من النساء فإننا نستطيع أن نحصر لها مجال العمل أو ألوان النشاط فى هذا العمل فى أمور ثلاثة :

- الأمر بالمعروف ،
- والنهى عن المنكر ،

ـ والإسهام فى إقامة المشروعات النافعة للناس .

١ ـ فكيف تمارس المسلمة الداعية إلى الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟

إن المرأة المسلمة داعية أو غيرداعية مطالبة على وجه الوجوب بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بنص شرعى ، هو قول الله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[١٢٤] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾[١٢٥] ، أى أن المؤمنين والمؤمنات ينصر بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا على الأمر بالمعروف ـ أى الأمر بكل معروف كل أحد ـ وعلى النهى عن المنكر ـ أى نهى كل أحد عن كل منكر ـ فإذا تعاون المؤمنون فيما بينهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن النساء المسلمات يجب أن يتعاوَنّ فيما بينهن على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ولابد لى أن أسوق فى هذا المجال حديثا نبويا شريفا يعتبر معلما هاديا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

روى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم قال : ﴿ **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليهم ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون** ﴾[١٢٦] ، ثم قال : « والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » ورواه الترمذى باختلاف فى بعض الألفاظ وقال : حديث حسن .

---

(١٢٤) سورة آل عمران : ١١٠ .

(١٢٥) سورة التوبة : ٧١ .

(١٢٦) سورة المائدة : ٧٨ـ ٨١ .

وهذا الحديث الشريف يوجب - كالآيات الكريمة التى ذكرناها - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل مسلم ومسلمة ، ويهدد المقصر فى ذلك بأشد أنواع التهديد وهو اللعن أى الطرد من رحمة الله ، وما بعد هذا الحديث وتلك الآيات مجال لمن يقول بغير وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل مسلم ومسلمة .

إن شرط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنسبة للمرأة المسلمة ، هو أن تكون من أهل القدرة عليه ، وهذه القدرة يمكن أن تتحقق فى ظل الاعتبارات التالية :

١ - أن تكون من أهل العلم بما تأمر به وما تنهى عنه ، وليس شرطا أن تكون من المتخصصات فى علوم الشريعة .

٢ - وأن تكون من أهل القدرة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - عمليا - أي أن تكون ذات بيان وذات تأثير فى السامعات ، ولديها من الظروف المواتية وقتا وجهدا ما يمكنها من هذه الممارسة .

٣ - وأن تكون ممارستها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين النساء ، فليس لها أن تغشى مجالس الرجال وحدها لتأمرهم وتنهاهم إلا فى حالة الضرورة المقتضية لذلك ، والضرورة حينئذ تقدر بالظروف المحيطة بها .

٤ - وأن تكون ممارستها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حسبة لوجه الله تعالى ، ويعنى ذلك أن تتحمل ما قد تتعرض له من توبيخ غيرها من النساء لها عند أمرهن ونهيهن ، لأن ذلك يحدث فى كثير من الأحيان ، فعليها الصبر والاحتساب .

٥ - وأن تعرف أنها إذا تعرضت للأذى من جراء أمرها ونهيها لغيرها ، فإن جمهور العلماء لا يرون لها أن تستمر فى الأمر بالمعروف ، وحسبها أن تنكر المنكر - فى هذه الحالة - بقلبها ، والله يعلم أنها لم تقصر وأنها كارهة للمنكر لا تقره ، وإنما تتحين فرصة مواتية لتنهى عنه وتحل محله المعروف .

وأعود - بعد هذه الشروط والظروف - لأسأل نفس السؤال :

كيف تمارس المرأة المسلمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصورة عملية مع أخذ كل هذه الاعتبارات فى الحسبان ؟

وأجيب على هذا التساؤل بما يلى :

تستطيع الداعية إلى الله أن تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجالات التالية :

١ - فى بيتها ومن فيه ،

٢ - وفى قريباتها وصديقاتها ،

٣ - وفى جاراتها وزميلاتها ،

٤ - ومع كل مسلمة يمكن أن تتعامل معها فى المسجد أو مكان العمل - إن كانت تعمل - أو الشارع إن كانت لديها ظروف تلزمها الخروج إلى الشارع .

إنها فى كل هذه المجالات تأمر بكل معروف كل واحدة من النساء ، وتنهى عن كل منكر كل واحدة من النساء ، ولكن فى ظل ما هو معروف فى الشريعة من شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآدابهما .

وقد أوضح ذلك الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » فتحدث عن مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على النحو التالى :

١ - « التعريف بهما : وهذا لا يحتاج إلى إذن الإمام أو نائبه » .

فكل مسلمة تستطيع أن تعرف غيرها من المسلمات بالمعروف والمنكر ، وما يترتب على كل منهما ، ولها أن تفسر لهن ما شاءت من أنواع المعروف وأنواع المنكر ، وهذا فى إمكان كل قادرة عليه .

٢ - « والوعظ بالكلام اللطيف : وهذا لا يحتاج أيضا إلى إذن الإمام أو نائبه » .

وهذا حق كل مسلمة ، أن تعظ غيرها من النساء موعظة حسنة تنفعها بها فى دينها أو دنياها ، وقد سماها القرآن الكريم : « الموعظة الحسنة » فى آية : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ... ﴾[١٢٧] وفسرها الإمام الغزالى بأنها الكلام اللطيف .

٣ - « والتعنيف : ومعناه تجهيل من يرتكب المنكر وتحميقه ونسبته إلى قلة الخوف من الله أو إلى الفسق ، ولا يحتاج هذا إلى إذن الإمام أو نائبه ؛ لأنه كلام صدق ، والصدق مستحق بل هو من أفضل الدرجات عند الله « كلمة حق عند إمام جائر »

(١٢٧) سورة النحل : ١٢٥ .

كما ورد فى الحديث »[١٢٨] .

فكل امرأة مسلمة تدعو إلى الله لها أن تعنف من ترتكب المنكر بتجهيلها أى نسبتها إلى الجهل وتحميقها أى نسبتها إلى الحمق ، وقولها لها : أنت لا تخافين الله ، أو أنت تخرجين على حدود الإسلام وآدابه ، ولا عليها فى ذلك من حرج .

ويقول الغزالى فى تبرير عدم احتياج التعنيف إلى إذن الإمام أو نائبه :

« واستمرار عادات السلف على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للولاة أنفسهم قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف ... فإن كان الوالى راضيا به فذاك ، وإن كان ساخطا له ، فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه ، فكيف يحتاج إلى إذنه فى الإنكار عليه ؟ »[١٢٩] .

٤ ـ « والمنع بالقهر : أى إكراه مرتكب المنكر على ترك المنكر ، وهذا أيضا لا يحتاج إلى إذن الإمام أو نائبه كأخذ الثوب المغصوب من الغاصب ورده على صاحبه .. » .

وتستطيع المرأة المسلمة أن تمارس المنع بالقهر فى مجال بيتها أى أبنائها وبناتها وخدمها ، ومن كانوا فى رعايتها ، أما غير هؤلاء فلا تستطيع أن تكرههم ، لأن إكراههم قد يترتب عليه تعريضها للأذى ، وهى لا ينبغى أن تعرض نفسها للأذى ، كما أوضحنا آنفا .

٥ ـ « والضرب على إتيان المنكر حتى يمتنع مرتكب المنكر ، وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال . وهذا يحتاج إلى إذن الإمام أو نائبه حتى لا تقع فتنة بين الناس »[١٣٠] .

وليس للمرأة المسلمة أن تمارس هذا النوع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإنما هو عمل الرجال إذا أذن لهم الإمام أو نائبه .

وما هو المنكر الذى ننهى عنه ؟

قال كثير من علماء الشريعة فى تحديد هذا المنكر ما يلى : « المنكر المنهى عنه هو :

---

(١٢٨) وقد روى الترمذى هذا الحديث بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ بلفظ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

(١٢٩) أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ٢ / ٢٧٧ ،ط العثمانية ،مصر ١٩٢٣ م .

(١٣٠) السابق : ٢ / ٢٧٩ مع الاختصار والتصرف المحافظ على المعنى .

كل منكر موجود فى الحال ، ظاهر للناهى عن المنكر بغير تجسس ، ومعلوم كونه منكرا بغير اجتهاد »[١٣١] .

وهذه العبارة تتضمن ـ كما يبدو للمتأمل فيها ـ أربعة شروط لاعتبار المنكر منكرا وهى :

١ ـ كونه منكرا ، أى محظور الوقوع فيه من قبل الشرع .

٢ ـ وكونه موجودا فى الحال ، أى لا يجوز الإنكار على منكر وقع فى زمن مضى ، ولا على منكر لم يقع .

٣ ـ وأن يكون المنكر ظاهرا لمن ينكره من غير تجسس ، فمن ستر عن الناس إتيانه المنكر فأغلق عليه داره ـ مثلا ـ لا يجوز التجسس عليه .

٤ ـ وأن يكون المنكر ظاهرا معلوما بغير اجتهاد ، فإن كان محل اجتهاد بين العلماء فلا يجوز الإنكار عليه .

وتستطيع المرأة المسلمة الداعية إلى الله أن تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ظل هذه الشروط والآداب ، آمنة مطْمئنة ، تؤدى ما أوجب الله عليها من عمل فى هذا المجال .

وليس يقبل من امرأة مسلمة أن ترى المنكر فى امرأة مثلها فلا تنكره بيدها إن استطاعت ، فإن لم تستطع إنكاره بيدها فبلسانها ، فإن لم تستطع فبقلبها ، وذلك أضعف درجات الإيمان ، كما ورد فى الحديث النبوى ، أو ذلك ليس وراءه من الإيمان حبة خردل ، كما ورد ذلك فى حديث نبوى آخر .

لعلى بذلك أن أكون قد وفقت فى تعريف الداعية المسلمة بموقفها من قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تعد من أبرز إيجابيات الحركة الإسلامية ، إذ بها يعم المعروف والخير ، وبها يقل المنكر والشر أو يستأصل من المجتمع .

وقد حاولت أن أربط هذا الواجب بنصوصه الشرعية ليصبح متأصلا فى الفهم بأصوله الشرعية ممكنا فى الممارسة والتطبيق ؛ لأن الله سبحانه لم يطالب أحدا من خلقه ، رجلا كان أو امرأة ، بشىء لا يتمكن من فعله أو بشىء يشق عليه أو يعنته أو يصيبه

---

(١٣١) السابق : ٢ / ٢٩٤ . مع الاختصار والتصرف المحافظ على المعنى .

بالحرج ، فالله سبحانه يقول : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾[١٣٢] .

٢ ـ وكيف تمارس المسلمة داعية أو غير داعية الإسهام فى إقامة مشروعات نافعة للناس ؟

إن المرأة المسلمة فى هذا المجال من مجالات العمل كوسيلة من الوسائل التى تحقق أهداف الدعوة إلى الله ، تستطيع أن تقوم بأعمال نافعة للمسلمات على مستوى البيت الذى تسكن فيه (العمارة بلغتنا اليوم) وعلى مستوي الحى الذى تسكن فيه ، متعاونة فى ذلك مع غيرها من المسلمات الراغبات فى التعاون على البر والتقوى ، وما أكثرهن بفضل الله ـ لو جرت محاولات فى التعرف عليهن ـ .

ولنضرب هنا بعض الأمثلة ولا نستقصى ؛ لأن هذا الاستقصاء متروك لفطنة الداعية إلى الله ومعرفتها بالاحتياجات والضروريات فى المجتمع الذى تعيش فيه .

فعلى سبيل المثال :

أ ـ تعاون عدد من المسلمات مهما كان قليلا عددهن فى تخصيص إحدى غرف البيت ـ بالتناوب مع الأخريات ـ لتعليم بعض الفتيات أو الكبيرات عملا يعود عليهن بالنفع فى الدين والدنيا مثل : الحياكة، والتفصيل ، والتطريز ، وأشغال الإبرة ، والأشغال الفنية ذات النفع ، وإصلاح بعض الأدوات والأجهزة البسيطة ، وسائر ما تحتاج إليه المرأة فى بيتها ـ إن ذلك لمفيد كل الفائدة ، كما أنه يغطى الداعية إلى الله فرصة أن تتعرف إلى من تدعوهن عن قرب وفى ظل ظروف مناسبة .

إن ذلك عمل يساعد الداعية على تحقيق أهداف الدعوة إلى الله .

ب ـ وإن تكوين لجنة من المسلمات المحبات للخير لتفقد حالات الأرامل واليتامى والفقيرات فى الحى ، لتقديم الخدمات والمساعدات لهن أو معاونتهن فى الحصول على حقوقهن من أجهزة الدولة ـ إن هذا العمل جليل على جانب كبير من الأهمية والبر ، وهو وسيلة جيدة تحقق بعض أهداف الدعوة إلى الله ، إذ يربط بين القلوب ، ويوثق العلاقات ، ويعطى للداعية فرصة جيدة لتمارس الدعوة إلى الله بوسيلة عملية نافعة .

---

(١٣٢) سورة الحج : ٧٨ .

جـ - وإن تعاون النساء فى إنتاج بعض الملبوسات للأطفال أو للكبيرات، أو إنتاج بعض المأكولات والمشروبات وبيعه بسعر التكلفة فى معرض يقام لهذا الغرض بمدرسة أو مكان ملائم فى المسجد - إن ذلك لعمل جيد، ذو فوائد متعددة.

ويمكن أن يضاف إلى سعر التكلفة هامش ربح بسيط يخصص للأرامل واليتامى، وعندئذ تكون الداعية إلى الله قد ضربت بحجر واحد ثلاثة عصافير، جمعت الناس على الخير ووجهت إليهن الدعوة، وأوجدت سلعة رخيصة، وسدت حاجة المحتاجات منهن.

د - وإن تشجيع بعض الأسر الفقيرة على إنتاج بعض الملبوسات أو المأكولات أو المشروبات بتقديم العون المادى والخبرة لهذه الأسر، ثم بيع هذه المنتجات لصالح تلك الأسر - إن ذلك أسلوب جيد فى دفع الحاجة عن المحتاجات، كما أنه ترشيد لهذه الأسر حتى لا تعيش على المعونات بل على الإنتاج.

هـ - وإن جمع الزكاة من القريبات والصديقات والجارات ثم توجيهها غير مجزأة إلى شراء بعض الآلات والأجهزة المنتجة مثل : ماكينات الحياكة والتطريز وآلات صنع الملابس من الخيوط « التريكو » وتقديم هذه الآلات إلى الأسر الفقيرة التى تصلح مصرفا للزكاة - إن هذا العمل بالغ الأهمية، كما هو ترشيد للزكاة، وتحويل لبعض الأسر من حالة العجز والفقر إلى حالة القدرة والإنتاج، إن تفتيت أموال الزكاة إنما يدفع الحاجة دفعا مؤقتا ثم يعود المحتاج إلى حاجته، أما هذا الأسلوب فيحوّل المحتاجة إلى مستغنية عاملة منتجة.

و - وإن تعاون بعض المسلمات القادرات فى إعداد مائدة مناسبة لإفطار بعض النساء فى شهر رمضان المعظم - لفيه إحياء لشعيرة إسلامية هى تفطير الصائم، كما فيه تقرب إلى النساء وتأليف لقلوبهن، وبخاصة إذا دعى لهذا الإفطار عدد من فقيرات الحى وأيتامه وأرامله إلى جوار غيرهن، إن ذلك هو الذى يؤكد الأخوة فى الله بين المسلمات.

ز - وإن تبرع إحدى المسلمات الداعيات إلى الله بإعداد دروس لتقوية بعض التلميذات فى دروسهن، حسبة لوجه الله تعالى - ليساعد فى أن يزيح عن كواهل عدد من الأسر عبء تكلفة الدروس الخصوصية، كما أنه فرصة جيدة للتلميذات أنفسهن

للتفوق فى الدراسة ، وهو فى ذات الوقت توثيق للروابط بين الداعية إلى الله وبين عدد كبير من هؤلاء التلميذات وأمهاتهن وأخواتهن .

خ - وإن القيام بإلقاء دروس فى المسجد لتعليم تلاوة القرآن الكريم مجودا ، وشرح بعض الآيات وشرح بعض أحاديث النبى ﷺ ، وتدريس بعض المواقف من السيرة النبوية ومن تاريخ الإسلام - إن ذلك لفرصة جيدة للداعية إلى الله حيث تجمع النساء على ما هو مشوق وجذاب ونافع فى الدين والدنيا .

ط - وإن تعاون عدد من النساء فى رعاية مسجد الحى ، وتعهد مكتبته ومرافقه فى الأوقات التى لا يتردد فيها الرجال على المسجد - ليغرس فى نفوسهن حب الخير والتعاون عليه ، وهى من الصفات الضرورية فى تنمية المجتمع المسلم .

إن الداعية المسلمة إذا نجحت فى ذلك فقد أسدت إلى دينها وإلى أخواتها وإلى المجتمع الذى تعيش فيه خيرا عميما ونفعا عظيما تؤجر عليه بإذن الله تعالى .

ى - وإن عمل مسابقات فى حفظ القرآن الكريم مجوّداً ، وبعض الأحاديث النبوية مشروحة ، وبعض سيرة الرسول ﷺ ، مع منح جوائز للفائزات فى هذه المسابقات - إن ذلك ليثرى الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، وليوثق الروابط بين المسلمات ويجمع دائما بينهن على الخير والهدى .

ك - وإن الاتفاق مع عدد من المسلمات على صيام يوم تطوع ، ثم تناول الإفطار جماعة فى ذلك اليوم فى مكان خاص بالمسجد أو فى بيت إحدى الصائمات ، مع قراءة أوراد غروب الشمس وتناول إفطار بسيط ثم أداء المغرب فى جماعة ثم تناول الطعام - إن ذلك ليجمع بين فوائد عديدة للمرأة المسلمة ، ويربط بين قلوبهن على عبادة الله وطاعته وتلاوة الأوراد والأذكار ، والتشجيع على أداء النوافل ، وهو فرصة رائعة للداعية إلى الله .

ل - وإن قيام عدد من النساء والبنات برحلة تثقيفية أو ترفيهية إلى مكان ملائم ، بإشراف عدد من الداعيات إلى الله ، مع إعطاء المسئولية العامة لإحداهن إن ذلك عمل اجتماعى جيد يوثق الصلة بين المسلمات ، ويتيح لهن الترفه البرىء والمتعة الحلال ، كما يتيح فرصة للتثقيف إذا قامت إحدى الداعيات بإلقاء كلمة أو درس فى فترة وجيزة من الوقت ، وإنه لفرصة للأسر المسلمة التى لا تحب أن تغشى

النوادى لما فيها مما يغضب الله .

إن الداعية إلى الله تجد فى هذه المناشط التى عددنا منها اثنى عشر منشطا وقلنا : إن الاستقصاء ليس من شأننا فى هذا الكتاب وإنما هو من شأن الداعية ، وما أوتيت من لباقة وكياسة وتعرف على قائمة الاحتياجات فى المجتمع الذى تعيش فيه .

إن الداعية إلى الله لتجد فى هذه المناشط وغيرها أحسن الفرص للدعوة إلى الله ، وتجميع أكبر عدد من المسلمات ، والجمع بينهن على حب الحق والخير والهدى .

وليست العبرة لدى الداعية المسلمة أن تقوم بهذا النشاط وحدها أو بمعاونة غيرها من الداعيات إلى الله مثلا ، وإنما العبرة والفائدة العظمى فى أن تجمع أكبر عدد من المسلمات المشاركات فى هذه الأنشطة من غير الداعيات إلى الله ، وأن تتخذ من هذه التجمعات النسائية فرصة لتوضيح منهج الإسلام فى الحياة وأخلاقه وآدابه التى يجب أن تسود فى المجتمع ، وأن النساء والبنات عليهن عبء كبير فى أن تسود هذه الأخلاق والآداب .

وإن نجاح الداعية إلى الله فى أن تعقد صلات وثيقة بهؤلاء النساء أو أكثرهن ، لهو الذى يعينها فيما بعد على أن تؤثر فى هؤلاء النساء أبلغ التأثير وأعظمه .

وإن هذه العلاقات الوثيقة المستمرة بين الداعية إلى الله والمدعوات ، هى التى تثرى العمل الإسلامى ، وتشجع النساء على التمسك بأخلاق الإسلام وآدابه ، وعلى الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام والالتزام بمنهجه فى الحياة ، وليس كالمرأة إنسان يصلح المجتمع بصلاحه ويفسد بفساده ، إنها الأم ومربية الأجيال قبل المدارس والجامعات .

٢ ـ وجوب الدعوة إلى الله على المسلمين جميعا رجالاً ونساءً

من المعروف المسلم به لدى علماء الشريعة الإسلامية أن الأحكام التكليفية يطالب بها الرجال والنساء كل ما فطره الله عليه وأقدره عليه ، وذلك أن الإسلام يساوى بين الرجل والمرأة فى العمل والجزاء كل فيما يستطيعه .

وقد ناقشنا هذه القضية من قبل ، وما أظن أنها موضع خلاف بين من لهم وزن فى فهم الإسلام ومنهجه ونظامه ، أما غير هؤلاء فلهم أن يقولوا ما يشاءون دون حرج عليهم فى ترويج الأباطيل والترهات ، فهم يجهلون ، والجاهل لا يتقبل منه ما يقوله إلا جاهل مثله ، ولن يتأثر الحق بأن يجهله بعض الناس أو يجهل عليه بعضهم الآخر ، فالحق دائما أحق أن يتبع إن لم يكن اليوم فغدا وإن لم يكن هنا فهناك .

إن الشريعة الإسلامية وهى تطالب الناس بأمور العقيدة وأمور العبادة وأمور المعاملات وأمور الأخلاق والسلوك ، طالبت عنصرى المجتمع معا الرجال والنساء ، ولو لم يكن ذلك كذلك ما استقام أمر مجتمع إنسانى ما . إذ كيف يستقيم ورجاله يطالبون فى هذه الأمور بما لم تطالب به نساؤه ؟ أليس النساء شقائق الرجال ؟

وكذلك كان شأن الشريعة الإسلامية وهى تحدد عقوبات للجرائم التى قد يرتكبها بعض الناس ، لم تفرق بين رجل أو امرأة يعتدى على النظام أو يخل بشىء من واجباته ، وإنما سوى بينهما تحقيقا للعدالة وإقراراً لمبدأ المساواة ، لأن الحياة الإنسانية بغير عدالة ستكون أشبه ما تكون بحياة الحيوانات فى غابة يسودها قانون الظفر والناب .

كل هذه أمور معروفة فى شريعة الإسلام معرفة بلغت حد التواتر ، ومارستها المجتمعات الإسلامية فى عصورها المتطاولة منذ أول مجتمع تشرف بحياة محمد ﷺ فيه وإلى آخر مجتمع مسلم تقوم عليه الساعة ، وأى انحراف عن هذه التسوية بين الرجال والنساء فى العمل والجزاء إنما تكون انحرافا عن الدين نفسه ، منهجه ونظامه وقانونه الأخلاقى . والقضية التى نطرحها هنا ليست قضية المساواة بين الرجل والمرأة فى العمل والجزاء ، ولكنها قضية نوع من العمل طالب به الإسلام الرجال والنساء على السواء ، وهو الدعوة إلى الله سبحانه ، وبذل أقصى الجهد ـ فى حدود الاستطاعة ـ فى نشر هذا الدين الخاتم ونقل الناس به من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى .

ولابد لنا ونحن نتصدى لهذه القضية أن نطرحها موثقة بأصولها الشرعية وأن نزيل

عنها ما لحق بها من سوء فهم ، وأن نرد على شبهة أثيرت حولها ، يدعى أصحابها أن الدعوة إلى الله واجب الرجال دون النساء ، لذلك كان علينا أن نبدأ بدفع هذه الشبهة والله المستعان .

أ ـ دفع شبهة :

إن المروّجين لمقولة أن الدعوة إلى الله واجب الرجال دون النساء ، يجهلون من الإسلام أكثر مما يعلمون .

وإن المروجين لمقولة أن الدعوة إلى الله واجب العلماء المتخصصين فى علوم الشريعة دون سواهم ، ينقصهم التأمل وإطالة النظر فى هذه المقولة كما ينقصهم أن يعرفوا بدقة مقاصد الشريعة الإسلامية ، وكيف نستعين على تحقيق كل هذه المقاصد إن لم يكن كلها بالدعوة إلى الله .

ولهؤلاء وأولئك نسوق نصا. قرآنيا يرد عقولهم إلى الصواب إذ يؤكد لهم خطأ ما ذهبوا إليه ، ذلك النص هو قول الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾[١٣٣] .

ولن نتأول شيئا فى هذه الآية الكريمة ، وإنما نأخذ دلالتها المباشرة التى تتولى دفع هذه الشبهة والرد على مروجيها ، على النحو التالى :

١ ـ أن الدعوة إلى الله هى سبيل النبى ﷺ وسبيل من اتبعوه من الناس « ومن اتبعنى » والمتبعون هؤلاء رجال ونساء ما يشك فى ذلك من له مسكة من عقل .

لأن كلمة « مَنْ » تشمل كل العقلاء ولا شك أن المرأة من العقلاء .

٢ ـ وأن الذين اتبعوا محمدا ﷺ من الرجال والنساء ليسوا بالضرورة من المتخصصين فى علوم الشريعة الإسلامية ، أو من الفقهاء الذين يتخذون الفقه والتفقه حرفة لهم ، وإنما الآية تعم كل من اتبع الرسول ﷺ دون قيد أو تخصيص بوصف بعينه ، فمن أين لهم هذا التخصيص ؟

٣ ـ وأن المؤمنين الرجال أو النساء الذين لا يتخذون الدعوة إلى الله سبيلا لهم فى الحياة ، ليسوا مع النبى ﷺ فيما اتخذه من سبيل ، وحسبهم بذلك بعداً عن الحق ومخالفة

---

(١٣٣) سورة يوسف : ١٠٨ .

للرسول ﷺ .

فقد حددت الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله هى سبيل الرسول ﷺ وسبيل من اتبعه من المؤمنين .

٤ ـ وأن الذين يدعون إلى الله من الرجال والنساء يجب أن يكونوا على بصيرة بما يدعون إليه ويوجهون الناس نحوه .

والبصيرة هي المعرفة والتحقق بما يدعو إليه الداعى ، وهى مسألة تقدر بقدرها ، فالداعى إلى الله إن كان من أهل العلم والتخصص فى علوم الشريعة فتلك بصيرته التى ما يجوز له أن يتخلى عنها فى الدعوة إلى الله .

وإن لم يكن الداعى على هذا القدر من العلم والتخصص فإن البصيرة بالنسبة له تعنى معرفته وتحققه بما يدعو إليه فقط ، ولا تتطلب الإحاطة الشاملة بأمور الدين كلها لأن ذلك شأن المتخصصين .

إن الداعى إلى الله يكفيه أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه ، فمثلا من دعا الناس إلى تعلم الطهارة أو الصلاة أو الصوم ... فإن حسبه أن يكون عارفا متحققا من هذه الأمور التى يدعو إليها ، لأن تلك حدود بصيرته ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وأما التبحر فى العلم فله أهله .

ولقد شاهدت فى بعض بلدان إفريقية من المسلمين من لا يحسنون نطق الأذان ولا قراءة الفاتحة وقصار السور ولا يحسنون الوضوء ، فهل نشترط فيمن يعلم هؤلاء الناس تلك الأمور أن يكون متخصصا فى علوم الشريعة ، أم يكفى أن يكون على علم بهذه الأمور وبصيرة بها ؟

وإذا كانت بعض النساء المسلمات فى بعض بلدان إفريقيا تمشى شبه عارية ، وربما ذهبت إلى المسجد هكذا .. فهل يشترط فيمن يعلمها أمر ستر عورة المرأة المسلمة وأن جسمها كله عورة ما عدا وجهها وكفيها ، أن يكون من المتخصصين فى علوم الشريعة أم يكفى أن يكون عارفا متحققا من هذا الحكم الشرعى ؟

ب ـ من أدلة وجوب الدعوة إلى الله على النساء :

نحاول أن نسوق هنا من الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة ما يؤكد أن المرأة

المسلمة مطالبة بأن تدعو إلى الله ، كما طولب بذلك الرجل سواء بسواء .

١ ـ من المقرر بين علماء الإسلام أن كل خطاب وجهه الله سبحانه إلى رسوله ﷺ قصد به خطاب المسلمين والمسلمات كذلك ـ ما لم يكن حكما خاصا بالنبي ﷺ .

وقد أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يدعو إلى الله وأن يستعمل في دعوته تلك : الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، في قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾(١٣٤) .

فهذا الخطاب موجه للنبي ﷺ ولكل مسلم ومسلمة ، وملزم لهم جميعا أن يدعو إلى الله ، وأن تكون دعوتهم عبر القنوات الجيدة للإقناع بالرأي وهي :

أ ـ الدعوة إلى الله بالحكمة ـ أي إصابة الحق بالعلم والعقل .

ب ـ والموعظة الحسنة الملائمة لحال المدعو المشتملة على الرفق .

جـ ـ والجدال ـ عند الحاجة إليها ـ بالطريقة التي هي أحسن ، وتلك الطريقة هي التي تستهدف إحقاق الحق وإظهاره .

٢ ـ وأن الرسول ﷺ أوضح للمسلمين ـ رجالا ونساء ـ أن عليهم تبليغ ما عرفوا من هذا الدين بعد وعيه وإدراك أهدافه ، وأكد لهم أن المسلم والمسلمة مطالبان بالإخلاص لله في كل عمل وبمناصحة المسلمين أئمتهم وعامتهم ، وبأن يلزموا الجماعة مادامت في هذه الدنيا حياة للبشر .

روى الإمام أحمد بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تحيط من وراءهم »(١٣٥) .

وقال الله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ وفيه خطاب لكل مسلم : ﴿ **يأيها الرسول**

---

(١٣٤) سورة النحل : ١٢٥ .

(١٣٥) مسند أحمد : ١ / ٤٣٧ ، وصحيح الترمذي ٥ / ٣٤ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٨٤ ، ومسند الدارمي : ١ / ٢٤ ، كل منهم بسنده .

بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين ﴾[١٣٦] .

وفى هذه الآية الكريمة إشارات دالة على ما يلى :

أ ـ أن النبى ﷺ وكل المسلمين والمسلمات مطالبون بأن يبلغوا الناس كل ما يعرفون مما أنزل الله على رسوله ـ أى القرآن والسنة ـ والصيغة هنا آمرة : « بَلِّغْ .. » ، ولا فكاك من الأمر إلا بعذر شرعى مقبول .

وليس فى الآية ما يدل على أنها خاصة بالرجال دون النساء .

ب ـ والتبليغ هو الوصول إلى الكفاية والانتهاء إلى أقصى المقصد فى الزمان والمكان ، مادامت هنا استطاعة فى المبلغ ، فالمكان الذى لم تصله الدعوة إلى الله مهما يكن بعيدا يجب أن تصل إليه الدعوة مادام أحد المسلمين قادرا على الوصول إليه ، وكذلك الزمان ، بمعنى أن الدعوة إلى الله مستمرة أبدا فى آتى الزمان ، لا تتوقف حتى يقوم الناس لرب العالمين . هذا هو التبليغ بمعناه الذى تدل عليه الآية الكريمة .

جـ ـ وليس للمسلمين أن يتعللوا ـ وهم قاعدون عن تبليغ دين الله إلى عباد الله ـ بأنهم قد يتعرضون إلى المخاطر والتحديات ؛ لأن الله سبحانه قد قطع على نفسه فى هذه الآية أن يعصم المبلغ من أعدائه ـ مادام مخلصا عمله لله فاهما له .

« والله يعصمك من الناس » والعبرة فى القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآية وإن فهمت على أنها عصمة من الله للنبى ﷺ من أعدائه كأبى جهل وأضرابه إلا أنها تدل على أن الله يعصم كل من يدعو إليه مخلصا فى عمله من أعدائه والمتربصين به .

٣ ـ ومن المسلم به بين علماء المسلمين أن الدعوة إلى الله تعنى : محاولة نقل الناس من الكفر أو الشرك إلى الإيمان ، ونقل بعض الناس من الضلال إلى الهدى ومن المعصية إلى الطاعة ، وأن هذا العمل من أحسن الأعمال وأوفرها حظا للداعي إلى الله فى دنياه وآخرته .

روى البخاى بسنده أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه

(١٣٦) سورة المائدة : ٦٦ .

الراية يوم خيبر ، فقال على رضى الله عنه : علام أقاتل الناس ؟ نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ .

فقال ﷺ : « على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » .

تلك هداية غير المسلمين للإسلام ، حرص على هدايتهم وإفهامهم وتنويرهم قبل قتالهم ، لأن القتال ليس هدفا فى ذاته .

كما تتضمن هداية بعض المسلمين العصاة إلى الله ، وكل ذلك خير للداعية فى الدنيا من حمر النعم ، وما عند الله فى الآخرة أجزل من هذا وأعظم بإذن الله .

وهذا الداعى إلى الله ، رجل أو امرأة ، له نفس الجزاء الدنيوى والأخروى .

٤ ـ وأن الذين يدعون إلى الله من الرجال والنساء يجب أن يكونوا مقتنعين بأن الله سبحانه قد سوى بين الرجال والنساء فى الدعوة إليه وفى الأجر والجزاء ، لأن الحياة الإنسانية لا تقوم إلا بهما معا وأن المجتمع لا يستطيع أن يمارس أعماله صغيرها وكبيرها إلا أن يكون للرجل عمل وللمرأة عمل مشابه أو مكمل .

فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾(١٣٧) .

وهذه الآية الكريمة تسوى بين الرجال والنساء فى صفات الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والعفة وذكر الله كثيرا ؛ كما سوى بينهم فى أن أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما .

قال الواحدى عن سبب نزول هذه الآية الكريمة : « قال مقاتل بن حيان : بلغنى أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبى طالب ، دخلت على نساء النبى ﷺ فقالت : هلْ نزل فينا شىء من القرآن ؟ قلن : لا . فأتت

---

(١٣٧) سورة الأحزاب : ٣٥ .

النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن النساء لفي خيبة وخسارة ، قال : « ومِمَّ ذلك ؟ » قالت : لأنهن لا يذكرن في الخير كما يذكر الرجال ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ... ﴾ إلى آخرها .

وقال قتادة : لما ذكر الله تعالى أزواج النبي ﷺ دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن : ذكرتن ولم نذكر ، ولو كان فينا خير لذكرنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ... ﴾ الآية »(١٣٨) .

والمؤمنة كالمؤمن في ضرورة الاستجابة لكل ما أمر الله به أو أمر به رسوله ﷺ بحيث لا يجوز لها أو له أن يخالف عن هذا الأمر ولا أن يضيق به ، قال تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمر أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾(١٣٩) . أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال : خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش يريدها لزيد بن حارثة ، فظنت أنه يريدها لنفسه ، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا** ... ﴾ الآية .

ولو شئنا أن نستقصي النصوص الإسلامية من القرآن والسنة التي تدل على مساواة النساء للرجال في وجوب الدعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة لما وسعتنا هذه الصفحات ، ولكنا اكتفينا بالإشارة ولم نقصد الإحاطة ، والله من وراء القصد .

كل ما نحب أن نؤكده في هذه النقطة من الكتاب أن الدعوة إلى الله تخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك والكفر إلى الإيمان ، وأن هذا العمل واجب الرجال بين الرجال وواجب النساء بين النساء .

وحسبنا أن نختتم هذه النقطة من البحث بهذه الآية الكريمة الدالة على أن النساء كالرجال في العمل الإسلامي بعامة وفي الدعوة إلى الله بوجه خاص ، وهي قوله تعالى : ﴿**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا**

---

(١٣٨) الواحدي : أسباب النزول : ٢٠٤ .

(١٣٩) سورة الأحزاب : ٣٦ .

لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾[١٤٠] .

جـ ـ عمل الداعية إلى الله وأجرها :

أوضح الإسلام أن عمل من يدعو إلى الله هو أفضل عمل ؛ لأنه يهدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ؛ ولأنه يسن فى حياة البشر سنة حسنة ويقيم الناس على المحجة البيضاء .

وأن هذا العمل له أعظم الأجر عند الله سبحانه لما يقدمه للناس من أنواع الخير فى دنياهم وأخراهم .

* روى الإمام مسلم بسنده أن النبى ﷺ قال : « الدال على الخير كفاعله »[١٤١] .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن النبى ﷺ : « من سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء »[١٤٢] .

وجزاء الدعوة إلى الله ـ مادامت الداعية إلى الله قد قامت بها على وجهها الصحيح ـ مقطوع به عند الله ، لأنه وعد به ، ولا يخلف الله وعده ، قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[١٤٣] .

فجزاء الدعوة إلى الله فى هذه الآية الكريمة هو الفلاح ، والفلاح هو الظفر وإدراك البغية .

وهو نوعان :

* دنيوى وهو الظفر بالسعادات التى تطيب بها حياة الدنيا ، وهو : البقاء والغنى والعزة .

* وأخروى ، وذلك أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، ولذلك قيل : لا عيش إلا عيش الآخرة ، وقال تعالى : ﴿ **وإن الدار الآخرة لهى الحيوان** ﴾[١٤٤] ، وقال سبحانه : ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾[١٤٥] ، وقال جل شأنه : ﴿ **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**

---

(١٤٠) سورة آل عمران : ١٩٣ ـ ١٩٥ .

(١٤١) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإمارة ، ورواه أبو داود فى باب الأدب ، والترمذى فى باب العلم .

(١٤٢) الإمام مسلم : صحيحه : كتاب العلم ، ورواه الإمام أحمد فى مسنده ٤ / ٣٥٧ .

(١٤٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(١٤٤) سورة العنكبوت : ٦٤ .

(١٤٥) سورة المجادلة : ٢٢ .

ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾[١٤٦]، فالجزاء فى ذلك كله صلاح فى الدنيا وصلاح فى الآخرة ، أى عطاء جزيل من الله سبحانه .

وقال سبحانه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾**[١٤٧] .

فالجزاء هنا رحمة الله للدعاة وجنات تجرى من تحتها الأنهار مع خلود فيها إلى أبد الآبدين ... ثم أفضل الجزاء وهو رضوان الله سبحانه .

وقد أكد الإسلام أن هذا الجزاء العظيم على الدعوة إلى الله حاصل بوعد الله الذى لا يخلف الميعاد ، بمجرد القيام بأعباء الدعوة إلى الله مع الإخلاص ، وبغض النظر عن النتائج التى تسفر عنها الدعوة ، أى الاستجابة أو عدم الاستجابة ، وذلك أن الاستجابة من هدى الله وليس من جهد الداعية إلى الله .

أكد الله سبحانه ذلك لنبيه محمد ﷺ وهو يدعو إلى الله ويحرص كل الحرص على أن يؤمن الناس بما يدعوهم إليه ، فأخبره بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾**[١٤٨] .

وفى آية أخرى يوضح له ما عليه فى هذا المجال بقوله سبحانه : ﴿ **وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾**[١٤٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ **ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾**[١٥٠] ، وقوله سبحانه : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾**[١٥١].

فإذا كان ذلك شأن النبى ﷺ مع المدعوين ، فما بالنا بسائر الدعاة والداعيات إلى الله من بعده ؟

---

(١٤٦) سورة آل عمران : ١١٤ ، ١١٥ .

(١٤٧) سورة التوبة : ٧١ ، ٧٢ .

(١٤٨) سورة البقرة : ٢٧٢ .

(١٤٩) سورة آل عمران : ٢٠ .

(١٥٠) سورة المائدة : ٩٩ .

(١٥١) سورة الكهف : ٦ .

إنهم ـ بإذن الله ووعده ـ مجزيون أحسن الجزاء بمجرد قيامهم بالدعوة ، وليسوا مسئولين عن أن يستجيب لهم الناس أو لا يستجيبون .

ولعل ذلك يؤكد فى نفوس بعض الدعاة ، الذين يحبون أن يربطوا بين نجاحهم فى الدعوة وكثرة من يستجيبون لهم أن هذا الربط غير صحيح ، فمهما يكن الداعية فاهما مخلصا عاملا فى حق الدعوة ما وسعه ، فلن يبلغ فى هذه الصفات مبلغ نبى من أنبياء الله سبحانه ، ومع ذلك فقد كان من أنبياء الله ورسله بل من أولى العزم منهم من مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، ثم أخبر عنه رب العزة سبحانه بقوله : ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾[١٥٢] .

* وقد روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أسرى بالنبى ﷺ جعل يمر بالنبى والنبيين ومعهم القوم ، والنبى والنبيين ومعهم الرهط ـ والرهط مادون الأربعين أو ما دون العشرة ـ والنبى والنبيين وليس معهم أحد [١٥٣] .

ولقد أوضحت الشريعة الإسلامية أن المرأة المسلمة تمارس من أنواع الدعوة إلى الله ما تستطيع مما هيأها الله له ، بحيث تكون هذه الممارسة الملائمة لها ملائمة كذلك لظروف المجتمع الإسلامى الذى تعيش فيه : ففى بعض الأحيان تطالب بالدعوة إلى الله بمعنى شرح أصول الإسلام وتفسير نصوصه لغيرها من المسلمات .

وفى بعض الأحيان تطالب بأن تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سواء أكان ذلك النهى باليد أم باللسان أم كان إنكارا بالقلب .

وفى بعض الأحيان تطالب بالجهاد فى سبيل الله إذا اقتضت الظروف ذلك ، كل نوع من أنواع الجهاد المستطاع لها فى المعركة .

وبعد : فأرجو أن أكون قد وفقت فى توضيح أن الدعوة إلى الله واجب المرأة المسلمة كما هى واجب الرجل المسلم ، غير أن الصورة لا تكتمل إلا إذا عرفنا كيف تؤهل المرأة نفسها للدعوة إلى الله وذلك ما نأمل أن نوضحه فيما يلى بإذن الله .

---

(١٥٢) سورة هود : ٤٠ .

(١٥٣) الإمام الترمذى : سننه : ٤ / ٦٣١ .

٣ ـ ثقافة المرأة التى تؤهلها للدعوة إلى الله

نعنى بهذه الثقافة كل ما هو ضرورى لها لكى تستطيع أداء واجبها فى الدعوة إلى الله . وإذا كانت الثقافة ـ فى معناها اللغوى ـ الحذق والفطانة والبصر ، وتعنى ـ فى معناها الاجتماعى ـ السلوك المكتسب الذى يتكون فى مجتمع ما من العلوم والمعتقدات والفنون والقيم ، والقوانين والعادات السائدة فى هذا المجتمع .

إذا كانت الثقافة تعنى هذا وذاك ، فإننا نحاول أن نختار من العلوم والمعارف والمهارات ، والمعتقدات والقيم والقوانين والفنون والعادات ما ينبع من الإسلام ، أو ما يقره الإسلام من مكونات الثقافة التى تمثل فى مجموعها تكاملا ثقافيا للمجتمع المسلم ، يوجد بين المسلمين ترابطا قويا ، ويؤدى فقده إلى الاضطراب والفوضى والفشل .

سوف نختار للمرأة المسلمة ما يجعلها فى مجال الدعوة ذات حذق وفطانة وبصر بما تقوم به من واجبات عديدة فى الدعوة إلى الله ، سواء أكان ذلك فى بيتها أم فى المسجد القريب منها أم مع قريباتها أم جاراتها أم تلك المجموعات المختارة التى توليها عناية خاصة فى تفقيههن بالإسلام .

وهذا الذى نقترحه لثقافة المرأة المسلمة أنواع من العلوم والمعارف والمهارات ، بحيث تكوّن الحذق والفطانة والبصر ، لا ينبغى أن يصرف المسلمة عن واجبها الأساسى فى بيتها زوجة وأما ومسئولة عن رعية من استرعاها الله إياها ، وإنما يجب عليها أن تنسق بين واجبها فى الدعوة إلى الله وواجبها فى مملكتها الصغيرة .

كما أنه لا يقبل من امرأة مسلمة لديها القدرة على الدعوة إلى الله أن تقعد عن ذلك قائلة : حسبى بيتى وزوجى وأولادى ، ولأترك الدعوة لغيرى ؛ لأننا أوضحنا فيما مضى من هذا الفصل من الكتاب أن الدعوة إلى الله واجب المسلمين جميعا ، رجالا ونساء ، فهى بذلك تكون قد أهملت واجبا شرعيا لا يجوز لها أن تهمله .

وإن حديثنا عن الثقافة التى تؤهل المرأة المسلمة لأن تكون داعية إلى الله ، يستوجب علينا أن نسوق هذا الموضوع فى النقاط التالية :

أ ــ أهمية الثقافة ،

ب ــ ومصادر هذه الثقافة ،

جـ ـ وأنواع هذه الثقافة .

وربما كانت النقطتان الأوليان تمهيدا للنقطة الثالثة التى سوف يتسع بنا القول فيها إلى حد كبير .

ولتفصيل هذه النقاط نقول :

أ ـ أهمية الثقافة للمرأة المسلمة :

والحديث عن المسلمة الداعية إلى الله ، ولا يتصور أن تكون هذه الداعية ناقصة فى مجال الثقافة عن الحد الذى يمكنها من أداء عملها ، لأسباب عديدة نذكر منها ما يلي :

١ ـ أنها ـ أى الثقافة على النحو الذى سنحدد مصادره ونذكر أنواعه ـ هى التى تجعل لديها رصيدا إيمانيا فى علاقتها المستمرة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته ، وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم وبخاصة النساء منهم .

إن هذه الثقافة كلما اتسع مداها وتعمقت ، فإنها سوف تزكى هذا الإيمان وتجلو القلب وتزيل عنه الرين ، وتدفع بها إلى الإيجابية والحماس لكل ما ينادى به الإسلام من قيم ومبادئ ، بحيث تحول هذه القيم والمبادئ إلى عمل وسلوك ، إن الداعية المسلمة بحاجة ملحة إلى هذه الثقافة لتنتج .

٢ ـ وإن هذه الثقافة لتمثل الرصيد الفكرى ـ بعد الرصيد الإيمانى ـ والرصيد الفكرى هو الذى يمكنها من أن تنظر إلى الناس والأشياء والتيارات الموالية للإسلام أو المعادية له نظرة موضوعية ، تمكنها من دقة الحكم عليها ، ودقة العمل على موالاة الصالح منها ، وجودة العمل على مواجهة السيّئ منها ، إن الثقافة هنا أشبه ما تكون بالسلاح الذى يمكنها من أن تخوض معركتها فى الحياة ، وهى واثقة فى نفسها مطمئنة إلى ما يجب أن تقوم به من عمل أو نشاط .

٣ ـ والثقافة ـ كذلك ـ هى الرصيد الجيد فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم ، وهى مجالات لابد فيها ومن أجلها من التزود بألوان من الثقافة الخاصة فى كل مجال من هذه المجالات .

وما لم تدرك الداعية إلى الله أن لكل مجال من هذه المجالات متطلباته الخاصة ، فإنها لن تستطيع أن تمارس عملها فى الدعوة إلى الله على الوجه الأمثل .

٤ ـ والثقافة هى التى تزود الداعية المسلمة برصيد جيد من وسائل المعرفة بالمدعوات ، فإن الداعية إلى الله التى لا تعرف الفروق الفردية بين المدعوات لا تستطيع أن تطب لهذه بما لا تطب به لتلك ، وإذا لم تكن قادرة على معرفة هذه الفروق فإن عملها فى الدعوة إلى الله سوف يكون تقليديا أقرب ما يكون إلى الفشل والإخفاق - والنصوص الإسلامية الدالة على هذه الفروق عديدة[١٥٤] .

٥ ـ وإن هذه الثقافة هى الرصيد الميدانى الذى يزود الداعية إلى الله بقدرة على ممارسة الدعوة إلى الله فى مجالات لابد منها فى العمل نذكر منها ما يلى :

ـ القدرة على رصد الظواهر المحيطة بالعمل الإسلامى رصدا دقيقا ، يوضح أنواعها ويظهر ما فيها من إيجابيات وسلبيات .

ـ والقدرة على تحليل هذه الظواهر وردها إلى أسبابها الأولية ، ومعرفة جميع المؤثرات التى أدت إليها ، وتبين حجمها ، والتعرف على نتائجها .

ـ والقدرة على تصور أنسب الأساليب للتعامل مع هذه الظواهر ، والتغلب على ما كان منها ضارا بالإسلام والمسلمين ، بمبادرات تحول بين هذه الظواهر وبين أن تتحول إلى مشكلات .

٦ ـ والثقافة هى التى تمكن الداعيـة إلى الله من التعرف على معوقات العمل الإسلامى كلها ، سواء ما كان منها شخصيا أو عاما ، وسواء منها ما كان يعود إلى أسباب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، لأن التعرف على المعوقات وأنواعها هو الذى يساعد فى معرفة أنسب الوسائل للتغلب عليها .

ومن المؤكد أن العمل الإسلامى لا يستطيع أن ينطلق نحو غايته إلا إذا أزيلت المعوقات من طريقه .

وليس لذلك سلاح أمضى من سلاح الثقافة ـ ألم نقل إنها حذق وفطنة وعلم ومهارة؟

٧ ـ وإن الثقافة هى التى تمكن الداعية إلى الله من التعرف على ظروف العالم الإسلامى الذى ينظر إليه المسلم على أنه وحدة واحدة فرقت بينها حدود مصطنعة وتقسيمات

---

(١٥٤) لمعرفة طبائع المدعوات وأصنافهن ـ انظر كتابنا : فقه الدعوة إلى الله ، الباب الرابع : فقه المدعوين إلى الله .

فرضها العدو الذى كان غاصبا لمعظم بلدان العالم الإسلامى .

وإن نظرة الداعية إلى الله إلى نفسها وإلى بلدها على أنها جزء من كل كبير هو العالم الإسلامى سوف يتيح لها رؤية جيدة للموقع الذى تعمل فيه ، ولنوع العمل الذى يجب أن تقوم به ، وللبرنامج الزمنى الذى يجب أن تجعله إطارا لعملها وبغير ذلك لا يرشد العمل الإسلامى ولا يسهم فى بناء الوحدة بين أقطار العالم الإسلامى .

ومن أبرز الظروف التى يجب أن تنتبه إليها الداعية إلى الله ظروف الأقليات المسلمة المبعثرة على خريطة العالم .

ما احتياجات هذه الأقليات ؟

وماذا يمكن أن تقدم لها الداعية إلى الله ؟

وماذا تأمل أن تكون عليه هذه الأقليات فى المستقبل ؟

وبعد : فتلك صورة مجملة لأهمية الثقافة بالنسبة للداعية المسلمة إلى الله ، تستطيع إذا استكملت أنواعها التى سنذكر ، واستقتها من مصادرها التى سنحدد ، أن تؤدى عملها فى مجال الدعوة إلى الله خير أداء بإذن الله تعالى .

ب ـ مصادر الثقافة التى نريد :

نعنى بهذه المصادر لثقافة الداعية المسلمة المَعِين الذى تستمد منها أنواع ثقافتها ، كما نعنى به ترتيب أولويات بين هذه المصادر التى سنذكر ، حتى تتم عملية التثقف فى صورتها الجيدة .

وإن أى استهانة بمصادر الثقافة أو بأولويات الأخذ من هذه المصادر ، تؤدى يقينا إلى خلل كبير فى تكوين الداعية إلى الله من الناحية الثقافية ، وإذا حدث هذا الخلل فإن الدعوة إلى الله لا تتم على الوجه الصحيح الذى نأمل فيه ، والذى هو امتداد لأعمال الدعاة العظام من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فما هذه المصادر وما أولويات ترتيبها أو الأخذ منها ؟

أولا : القرآن الكريم ، تجويده وعلومه وتفسيره ،

ثانيا : والأحاديث النبوية وعلومها وشرحها ،

ثالثا : والسيرة النبوية المطهرة وما فيها من مواقف وعبر ،

رابعا : وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم والصحابيات رضوان الله عليهن .

خامسا : وتاريخ الإسلام وينبغى أن يدرس من خلال ما يلى :

- تاريخ الفكر الإسلامى وتأثيره وتأثره ،
- وتاريخ الدعوة الإسلامية ،
- وتاريخ الفتوح الإسلامية ،
- وتاريخ التعامل بين الإسلام وغير المسلمين .

مع الابتعاد قدر الإمكان عن دراسة تاريخ الإسلام من خلال الأسر التى حكمت المسلمين ، فإن ذلك يعوق فى أغلب الأحيان عن التعرف على الحق ، لما يحيط الكتابة عن هذه الأسر من شبهات .

سادسا : وتاريخ السلف الصالح رضوان الله عليهم - أهل القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسلمين - ففى تاريخهم فوائد جليلة .

سابعا : ومعرفة ظروف العالم الإسلامى المعاصر :

- الظروف الثقافية والاجتماعية ،
- والظروف الاقتصادية ،
- والظروف السياسية .

ثامنا : وظروف الأقليات المسلمة فى العالم اليوم :

- الاجتماعية ،
- والاقتصادية ،
- والسياسية ،
- ومدى ما يمكن أن يقدم إلى هذه الأقليات من خدمات .

تاسعا : والتيارات المعادية للإسلام والمسلمين مثل :

ـ الصهيونية ،

ـ والصليبية ،

ـ والإلحاد ،

ـ والشيوعية أو الاشتراكية ،

ـ والمذاهب والحركات الهدامة .

عاشرا : والجماعات الإسلامية التى تعمل فى الساحة الإسلامية لمعرفة أمور هامة عنها مثل :

ـ محتواها الفكرى والثقافى ،

ـ ومدى تجاوبها مع الإسلام الصحيح البعيد عن الانحراف ،

ـ وبرنامجها وأهدافها ووسائلها .

ـ ومدى إمكان التفاهم معها .

هذه هى المصادر التى يجب أن يأخذ الدعاة زادهم الثقافى منها ، وهذه المصادر فى أولوياتها هى على النحو الذى ذكرنا وعلى نفس الترتيب ، فمن استقى منها فعليه أن يلتزم هذا الترتيب حتى تتكون حصيلته الثقافية بصورة جيدة ، تمكنه من أداء واجب الدعوة إلى الله بصورة طيبة .

فإذا كانت هذه مصادر ثقافتنا التى نريد ، فما أنواع هذه الثقافة ؟

إن هذا السؤال تتكفل بالإجابة عنه الصفحات التالية بإذن الله تعالى .

جـ ـ أنواع الثقافة :

الثقافة التى نتحدث عنها ونرى ضرورتها للداعية إلى الله ، تتنوع إلى ثلاثة أنواع عامة ، وتحت كل نوع منها تفصيل وتقسيم .

وهذه الأنواع العامة هى :

أولا : الثقافة الإيمانية ،

وثانيا : الثقافة العلمية ،

وثالثا : الثقافة العملية .

ولكل نوع منها حديث يخصه ، نحاول فيه أن نفصل بما يتسع له المجال وبما نراه أساسيا وضروريا .

أولا : الثقافة الإيمانية :

ونعنى بهذه الثقافة ما ينبغى أن يكون لدى المرأة المسلمة الداعية إلى الله من عناصر الإيمان ، التى تجعلها قادرة على أن تعبر عن هذا الإيمان بالسلوكيات المنضبطة مع مقتضيات الإيمان ومتطلباته .

وهذه الثقافة الإيمانية تحتاج إلى مصادر تغذيها وتمدها بروافدها ، وهذه المصادر أو أهمها فى تصورى هى ما يلى :

١ ـ القرآن الكريم مع التدبر والتأمل فى تلاوته ، ومع حفظ الآيات الكريمة التى تصف الإيمان وتتحدث عن قصص بعض المؤمنين مثل : مؤمن آل فرعون ، ومؤمن آل ياسين ، ومحاولة التأسى بهذه الصفات .

٢ ـ والسنة النبوية الشريفة مع زيادة تعمق فى فهم مراميها ، واختيار بعض الأحاديث لحفظها ، مثل الأحاديث التى جاءت فى الإخلاص والمراقبة والتقوى والتوكل واليقين ، مع ضرورة التأسى بها والاتصاف بصفات من تتحدث عنهم هذه الأحاديث النبوية الشريفة(١٥٤) .

٣ ـ والسيرة النبوية المطهرة بحيث يكون التركيز فيها على المواقف التى تجلت فيها مظاهر الإيمان من تضحية وطاعة وجهاد .

٤ ـ واللغة العربية لغة القرآن ووعاء الإسلام ، حتى تتمكن الداعية من فهم القرآن والسنة ، وإنما تقوى اللغة العربية عند الداعية إذا حفظت من القرآن الكريم والسنة النبوية قدرا جيدا وتأملت فى كتاب من كتب قواعد اللغة العربية .

هذا عن مصادر الثقافة الإيمانية .

أما مراجع الثقافة الإيمانية فهى فى تصورى ما يلى :

---

(١٥٤) انظر أبوابا بهذه الأسماء فى بعض كتب السنة ، وفى كتاب رياض الصالحين ، وفى كتاب إحياء علوم الدين ، وكتاب مدارج السالكين .

١ ـ تاريخ الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وأرضاهم .

٢ ـ وتاريخ المصلحين الإسلاميين المجددين لأمر هذا الدين على مر العصور الإسلامية .

٣ ـ وتاريخ رجال العلم والفكر وأئمة الحديث والفقه وعلماء التفسير فى العصور المختلفة .

٤ ـ وتاريخ علماء المسلمين فى مختلف فروع العلم كالكيمياء والفيزياء والطب والصيدلة والبيطرة والفلك والهندسة والرياضيات والجغرافيا والتاريخ وغيرها .

٥ ـ وتاريخ الأدب العربى فى عصوره المختلفة .

هذه الثقافة الإيمانية تغذيها تلك المصادر والمراجع إذا درست دراسة جيدة ، وتهيّئ للمؤمن سلوكا أخلاقيا منضبطا ، فتسهم بذلك فى بناء الشخصية المؤمنة إسهاما حقيقيا ، كما تعد هذه المصادر والمراجع أساسية فى التنمية المستمرة للثقافة الإيمانية عند الداعية إلى الله تنمو بنموها وتنكمش بالتقليل من شأنها أو عدم التزود بها .

وهذه الثقافة الإيمانية هى الرصيد الحقيقى للداعية المسلمة لا تستغنى عنه بحال من الأحوال ، فمنه تستمد قدرتها على ممارسة الدعوة وعلى التأثير فى الناس وعلى جمع المدعوات على الخير والهدى .

وإن هذه الثقافة الإيمانية سوف توقظ فى الداعية المسلمة شُعَب الإيمان كلها التى حصرها النبى ﷺ فى سبع وسبعين شعبة : ابتداء من : لا إله إلا الله محمد رسول الله أى الشهادتين ، ومرورا بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق ...[١٥٥] .

ثانيا : الثقافة العلمية :

ولكى يكون الحديث فى هذا المجال أكثر وضوحا نرى ضرورة إلقاء ضوء على مفهوم العلم ، حتى يتضح ما نقصده بالثقافة العلمية .

فالعلم فى لغتنا وتراثنا هو : إدراك الشيء بحقيقته ، وهو نوعان :

أ ـ إدراك ذات الشيء .

---

(١٥٥) تحدثنا عن هذه الشعب بالتفصيل فى كتابنا : فقه الدعوة إلى الله فى الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب .

ب ـ والحكم على الشيء بوجود ما هو موجود أنفى ما هو غير موجود له .

وللعلم عندنا تقسيم آخر هو :

أ ـ علم نظرى وهو : ما إذا علم فقد كَمُل كالعلم بموجودات العالم .

ب ـ وعلم عملى وهو : ما لا يتم إلا بأن يُعْمَل كالعلم بالعبادات .

وله تقسيم ثالث على جانب كبير من الأهمية عندنا وهو :

أ ـ علم عقلى وهو : ما كان مصدره العقل ،

ب ـ وعلم سمعى وهو : ما كان مصدره الشرع .

وعلماء الاجتماع يعرفون العلم بأنه : مجموعة المعارف المتكاملة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة ، ويقوم على أساس الملاحظة والتجربة .

ويرون المعرفة : مجموعة المعانى والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية ، التى تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولات متكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به[١٥٦] .

ونلحظ على تعريفهم هذا أنهم يقصدون العلم العقلى دون السمعى ؛ لأنهم لا يقيمون وزنا للوحى وربما للأديان عموما .

ثم يرتبون العلم ترتيبا متتاليا على النحو التالى :

المنطق ،

فالحساب،

فالهندسة،

فعلم الحركة ،

فعلم الميكانيكا ،

فالعلوم الطبيعية ،

فعلم الفلك ،

---

(١٥٦) د . أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مع تصرف .

وطبقات الأرض ،

فالكيمياء ،

فعلم الأحياء ،

فعلم النفس ،

فعلم الاجتماع .

ويلحظ على ترتيبهم هذا أن علوم الدين أو الأديان لا ذكر لها إطلاقا ، وإنما تدخل في علم الاجتماع ـ على أحسن فروض حسن الظن .

ونحن نقصد بالثقافة العلمية للداعية المسلمة ، تلك الثقافة التى تمدها بالعلوم والمعارف التى تؤهلها لعملها فى الدعوة إلى الله .

وهذه الثقافة العلمية فيما نتصور شعبا ثلاثة :

ـ شعبة إسلامية ،

ـ وشعبة عامة ،

ـ وشعبة خاصة .

الشعبة الأولى : الثقافة الإسلامية :

ونعنى بها فروعا ثلاثة تكونها ، وهى :

الفرع الأول : الثقافة الإسلامية العامة :

وتتناول ما يلى :

أ ـ القرآن الكريم ، تلاوة وفهما وتطبيقا ، وحفظ قدر منه ، كلما كان كبيرا كلما كان أحسن .

ب ـ أحاديث الرسول ﷺ ، مع فهمها وحفظ أكبر عدد منها ؛ لأنها مفسرة للقرآن الكريم ، ولأن الحجة بها مع القرآن الكريم فى العبادات والمعاملات وكل ما جاء به الإسلام من منهج أو نظام .

جـ ـ والسيرة النبوية درسا واستيعابا وأخذا للعبرة .

د ـ والتاريخ الإسلامى درسا واستفادة .

هـ ـ وتاريخ حياة الصحابة والتابعين رضى الله عنهم درسا واستفادة كذلك .

و ـ وتاريخ السلف الصالح رضوان الله عليهم - وهم مشاهير أهل القرون الثلاثة الهجرية الأولى ـ درسا واستفادة أيضا .

ز ـ وتاريخ حياة عدد من المصلحين المجددين فى الإسلام درسا واستفادة كذلك .

وهذا الفرع من الثقافة لازم لكل من يتصدى للدعوة إلى الله من رجل أو امرأة ، وكلما تمت الاستفادة من هذا الفرع على وجهها كلما استطاع الداعية إلى الله أن يؤدى عمله فى الدعوة أداء جيدا ، وكلما قصر فى شىء من مفردات هذا الفرع كلما شعر بعجزه وقصوره فى مجال الدعوة إلى الله .

والفرع الثانى : الثقافة الإسلامية الخاصة :

وتتناول ما يلى :

أ ـ دراسة تاريخ الجماعات الإسلامية المعاصرة وبخاصة فى القرن الرابع عشر الهجرى ، لأنه تميز بأنه قرن الصحوة الإسلامية الحديثة ، وقرن تخلص المسلمين من أنظمة الحكم الأجنبية الغازية .

ب ـ ودراسة تاريخ جماعة الإخوان المسلمين بوجه خاص بوصفها كبرى الحركات الإسلامية الإصلاحية فى العصر الحديث ، وبوصفها أنموذجا أو أمًّا لكثير من الحركات الإسلامية الإصلاحية اللاحقة لها فى عدد من بلدان العالم الإسلامى .

جـ ـ ودراسة منهج جماعة الإخوان المسلمين فى تربية الأفراد ، وما أضافته هذه الجماعة فى هذا مما لم تسبق إليه[١٥٧] .

د ـ ودراسة وسائل جماعة الإخوان المسلمين فى التربية وبعض هذه الوسائل لم تسبق إليه الجماعة على النحو الذى جاءت به - وهى وسائل متكاملة فى تكوين شخصية الفرد المسلم تكوينا متكاملا كذلك[١٥٨] .

---

(١٥٧) للتوسع : انظر : منهج التربية عند الإخوان المسلمين دراسة تحليلية تاريخية ، نشر دار الوفاء ، للمؤلف .

(١٥٨) للتوسع : انظر كتابنا : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ، نشر دار الوفاء .

هـ ـ ودراسة مراحل الدعوة إلى الله وخصائص كل مرحلة كما تحدث عنها الإمام حسن البنا فى رسالته الهامة « رسالة التعاليم »(١٥٩).

و ـ ودراسة برامج جماعة الإخوان المسلمين فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وهى مسجلة فى قانون النظام الأساسى للجماعة مجملة وفى الرسائل التى كتبها الإمام حسن البنا بتفصيل .

ز ـ ودراسة تاريخ الجهاد فى سبيل الله فى الجماعة ، فقهه وتطبيقه فى الميادين المختلفة من جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد العدو الغاصب لبلاد المسلمين فى فلسطين عام ١٩٤٨ م وفى قناة السويس عام ١٩٥١ م ضد اليهود وضد الإنجليز ، واتخاذ الجماعة أكثر من وسيلة لتربية الشباب تربية تؤهله للجهاد فى سبيل الله .

ح ـ ودراسة تحدى الحكومات المتعاقبة ـ من لدن نشأة الجماعة فى مصر ١٩٢٨ م ـ للعمل الإسلامى عموما ولعمل جماعة الإخوان المسلمين خصوصا ، بإيحاء من أعداء الإسلام الحقيقيين من قادة الغرب الصليبى حينا وقادة الشرق الشيوعى حينا ، واستجابة هذه الحكومات لهذا الإيحاء والبطش بالجماعة ، وإجهاض أعمالها الإصلاحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، والاستيلاء على أموالها وأملاكها ، واضطهاد أفرادها فى حملات ثلاثة ظالمة سنة ١٩٤٨ م ، وسنة ١٩٥٤ م ، وسنة ١٩٦٥ م ، فى مصر أولا وفى معظم بلدان العالم العربى فى أزمان مواكبة لهذه التواريخ .

وإذا كانت هذه الثقافة الخاصة لازمة للدعاة إلى الله . فى مصر ، فإن الدعاة إلى الله فى سائر بلدان العالم الإسلامى تلزمهم هذه الثقافة كذلك مع مزيد من الاهتمام بما يدور فى بلادهم من أعمال موالية للإسلام أو معادية له ، وما ينشأ فى بلادهم من جماعات وما تمارسه هذه الجماعات من أنشطة .

إن العمل الإسلامى بعامة والدعوة إلى الله على وجه الخصوص لا تكون فى فسحة من أمرها ، إلا إذا درست هذه الدراسات وقرأت واستوعبت واستهدت واسترشدت .

---

(١٥٩) للتوسع : انظر كتابنا : فقه الدعوة إلى الله ، نشر دار الوفاء .

والفرع الثالث : الثقافة الإسلامية المتخصصة :

ونعنى بها أن تنفر من كل فرقة من الداعيات إلى الله طائفة تخصص فى علوم الإسلام تخصصا دقيقا .

وهذه الثقافة المتخصصة تتناول :

أ - علم أصول التفسير ،

ب - وعلم أصول الحديث ،

جـ - وعلم أصول الفقه ،

د - وعلم التوحيد أو العقيدة ،

هـ - وعلم الفرق الإسلامية ،

و - وعلم الديانات .

وهذه الثقافة المتخصصة ليست لازمة لكل داعية إلى الله ، وإنما هى لمن أرادت من الداعيات إلى الله أن تتعمق فى فهم دينها وعلومه ، ووجدت من وقتها وجهدها واستعدادها ما يمكنها من ذلك ، لكن ذلك على سبيل فرض الكفاية ، إذ لابد أن تقوم به بعض الداعيات إلى الله ، حتى لا تخلو ساحة الداعيات إلى الله من المتخصصات على هذا المستوى المتعمق المتفقه فى هذه العلوم ، لمسيس الحاجة إليه فى كل ظروف الدعوة إلى الله ، وفى كل مراحلها .

الشعبة الثانية : الثقافة العامة :

ونعنى بها تلك الثقافة العامة اللازمة لكل من يتصدى للدعوة إلى الله من رجل أو امرأة ، فليس من اللائق بأى داعية إلى الله أن تكون غير ملمة بأهم القضايا والتيارات التى تهم العالم الإسلامى خاصة ، والعالم كله بوجه عام ، إن عدم إلمامها بذلك يصيب نظرتها إلى الناس وإلى الأشياء بغبش وضباب ، وإن هذه الثقافة العامة لا يسع أحدا من العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية أن يجهلها .

وهذه الثقافة العامة تتفرع فى تصورى إلى فروع أربعة : هي :

- دراسة واقع العالم الإسلامى المعاصر ،
- ودراسة الحركات الإسلامية الإصلاحية ،
- ودراسة التيارات الموالية أو المعادية للإسلام ،
- ودراسة النظريات والمذاهب والفلسفات التى لها موقف معين من الإسلام ونظريته وفلسفته .

ولنفصل فيها القول بعض التفصيل :

الفرع الأول : دراسة واقع العالم الإسلامى المعاصر :

وينبغى أن تتناول هذه الدراسة ما يلى :

أ - الظروف الاقتصادية للعالم الإسلامى ، ومدى تحرر اقتصاده من أعدائه أو تكبله بقيود الأعداء .

ب - والظروف السياسية التى تحكم العالم الإسلامى وهل هو مستقل حقيقة أو تابع تبعية منظورة أو غير منظورة .

جـ - والظروف الاجتماعية ومدى توافقها مع منهج الإسلام وأدبه أو مخالفتها له .

د - وظروف الأقليات المسلمة فى العالم ، باعتبار أنها من صميم العالم الإسلامى ، ومعرفة ما يجب على المسلمين نحو هذه الأقليات .

والفرع الثانى : دراسة الحركات الإسلامية الإصلاحية :

وتتناول هذه الدراسة ما يلى :

أ - دراسة أهم هذه الحركات الإسلامية الإصلاحية على مر تاريخ المسلمين ، دراسة تأمل ونظر واستفادة من الإيجابيات والسلبيات .

ب - ودراسة تاريخ أشهر قادة هذه الحركات .

جـ - وعمل دراسة تقويمية لهذه الحركات ، لأخذ العبرة والعظة للعمل الإسلامى المعاصر ، وللظروف التى تحيط بالدعوة إلى الله .

د ـ وتوضيح مكان جماعة الإخوان المسلمين ومكانتها بين هذه الحركات ، بوصفها كبرى الحركات الإسلامية الإصلاحية المعاصرة .

بحيث تتم كل هذه الدراسات بالأسلوب العلمى والمنهج الذى يرضى عنه الإسلام ، وفى ظل أخلاقيات منهج البحث فى الإسلام(١٦٠) .

والفرع الثالث : دراسة التيارات الموالية أو المعادية للإسلام :

وتتناول هذه الدراسة ما يلى :

أ ـ رصد التيارات الموالية للإسلام أو للعمل الإسلامى ـ إن وجدت ـ ومعرفة أهدافها ووسائلها وسياستها فى هذه الموالاة .

ب ـ وتقويم هذه التيارات تقويما موضوعيا ، وتحديد موقف الدعاة إلى الله أو الداعيات من هذه التيارات .

جـ ـ ورصد التيارات المعادية للإسلام وللعمل الإسلامى .

وهذه التيارات كثيرة ، نذكر منها :

ـ الصهيونية ،

ـ والصليبية ،

ـ والشيوعية ،

ـ والإلحاد ،

ـ والفلسفات والمذاهب الهدامة ،

ـ والاستشراق فى معظم ما أنتج ،

ـ والتنصير « التبشير » ومخططاته .

د ـ وتقويم هذه التيارات تقويما موضوعيا ، وتحديد موقف الدعاة والداعيات إلى الله منها .

هـ ـ وإعداد خطة مدروسة بعناية لصد هذه التيارات وإبطال تأثيرها ، أو القيام

---

(١٦٠) انظر للمؤلف : نحو منهج بحوث إسلامى . نشر دار الوفاء ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

بإحداث تيارات مضادة .

وكما أوضحنا آنفا ، يجب أن تتم هذه الدراسات فى موضوعية وحيادية ، وبحيث لا تخرج أبدا عن أدب الإسلام فى البحث والتحليل .

والفرع الرابع : دراسة النظريات والمذاهب والفلسفات التى لها موقف معين من الإسلام ونظريته وفلسفته وقيمه :

وذلك مثل :

أ - دراسة النظريات السياسية المعاصرة التى تتحدى نظم الإسلام السياسية ، وتحل محلها .

ب - ودراسة النظريات الاجتماعية والاقتصادية التى تتحدى النظم الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية ، وتحل محلها .

جـ - ودراسة الفلسفات المعاصرة التى تحارب قيم الإسلام ومبادئه ، بتبنيها لمبادئ وقيم مضادة لما جاء به الإسلام ، وذلك مثل :

- الفلسفة الوجودية ،
- والفلسفة العدمية ،
- والفلسفة الفوضوية ،
- والفلسفة الجدلية ،

وغيرها من الفلسفات التي تتزيا بأزياء مختلفة ، تخفى تحتها ما تضمره للإسلام وقيمه الخلقية من شر .

الشعبة الثالثة : الثقافة الخاصة :

ونعنى بها تلك الفروع التى سنذكرها الآن ، ولكنا ننبه إلى أنها ليست بلازمة لكل داعية إلى الله ، ولكن لابد أن يكون لها من بين الداعيات إلى الله من يدرسها ويتعمق فيها ، لضرورتها للعمل الإسلامى بصفة عامة وللدعوة إلى الله على وجه الخصوص .

وهذه الثقافة الخاصة فى تصورى فروع ثلاثة :

ـ الإحصاء ،

ـ والتخطيط ،

ـ والتنسيق .

ولنبسط القول فيها بعض البسط .

الفرع الأول : الإحصاء :

وتتناول دراسته لدى الدعاة والداعيات ما يلى :

أ ـ جمع الحقائق الخاصة بالظواهر المحيطة بالعمل الإسلامى والمؤثرة فيه إيجابا أو سلبا ، جمعها بدقة واستيعاب مناسبين .

ب ـ وتسجيل هذه الحقائق تسجيلا علميا ، لفظيا أو رقميا ، وحفظ المسجل بوسيلة ملائمة للحفظ ، الكتابة أو التسجيل الصوتى أو على « الكمبيوتر » .

جـ ـ وتلخيص هذه الحقائق بطريقة يسهل بها معرفة اتجاه هذه الحقائق ، ومعرفة القوانين التى تسير عليها أو تبعا لها ، وذلك يستدعى تبويبا لها وترتيبا ملائما لهذه الحقائق .

كل ذلك ليسهل الرجوع إلى تلك التسجيلات أو تلك التلخيصات عند الحاجة ، دون عناء قد يؤدى إلى الاضطراب وضياع الفائدة .

ويستوى فى هذا المجال أن يكون الإحصاء :

وصفيا [١٦١] ،

أو استقرائيا [١٦٢] ،

أو إحصاء علاقات [١٦٣] ،

أو إحصاء ذا معالم أو بدون هذه المعالم [١٦٤] .

(١٦١) الإحصاء الوصفى : يعتمد على تقديم الإحصاءات ملخصة فى صورة متوسطات أو مقاييس للاتجاهات .

(١٦٢) الإحصاء الاستقرائى هو : إحصاء العيّنة ، ويهتم بمدى تمثيل هذه العينة للمجتمع الذى تؤخذ منه .

(١٦٣) الإحصاء الذى يقوم على العلاقات هو : ما يهتم بمقاييس العلاقات بين متغيرات ذات طابع كَمّى بحت .

(١٦٤) الإحصاء ذو المعالم هو : الذى يهتم بوضع فروض كثيرة عن طبيعة المجتمع الذى تؤخذ منه العينة وخصائصه .
والإحصاء الذى بدون معالم هو : الذى يستخدم أساليب للاستنتاج لا تقوم على وضع هذه الفروض .

د ـ وعمل خرائط إحصائية لكل ظاهرة تدرس ، خرائط تعد وفق الأسلوب العلمى للخريطة الإحصائية .

هـ ـ وعمل جداول إحصائية تنظم البيانات وتبوبها بحيث تسهل قراءتها ، ويسهل إجراء المقارنات فيها .

والفرع الثانى : التخطيط :

وتتناول دراسته ما يلى :

أ ـ تحديد الأهداف لعمل مّا تحديدا دقيقا ،

ب ـ وتحديد السياسات التى تتبع لتحقيق هذه الأهداف ،

جـ ـ وتحديد الوسائل المستعملة لتحقيق هذه الأهداف وتطبيق هذه السياسات .

د ـ وتحديد الطاقات اللازمة لتحقيق الأهداف ، بشرية كانت هذه الطاقات أو غير بشرية .

هـ ـ وتحديد الإطار الزمنى الذى يحتاج إليه فى تحقيق هذه الأهداف ، فى ظل الظروف والطاقات المتاحة .

و ـ والقيام بعملية تقويم لكل جزء من أجزاء الخطة بمجرد الانتهاء منها دون انتظار طويل .

ز ـ والقيام بعملية متابعة لاستمرار العمل وأدائه على وجهه السليم ، مع تلافى عيوبه عند ظهورها دون إبطاء .

وسواء أكان هذا التخطيط كليا أم جزئيا أم مرنا أم جامدا أم هيكليا أم إصلاحيا ، فإن كل نوع منه مطلوب لنوع من العمل ولظرف من الظروف ، وفى كل خير .

والفرع الثالث : التنسيق :

وتتناول دراسته ما يلى :

أ ـ التقريب بين وجهات النظر المختلفة حول موضوع مًّا .

ب ـ ودعم روح التعاون بين العاملين فى عمل مًّا .

جـ ـ وتلافى الازدواجية فى العمل .

د ـ وتلافى التكرار فيه .

هـ ـ وتلافى التضارب فى العمل .

و ـ وصبغ العمل كله بصبغة التنظيم .

ثالثا : الثقافة العملية الميدانية :

ونعنى بها تلك الثقافة اللازمة للدعاة إلى الله فى عملهم الميدانى وهذا العمل متنوع إلى ثلاث شعب هى :

ـ شعبة العمل المتصل بمجال الدعوة .

ـ شعبة العمل المتصل بمجال الحركة .

ـ وشعبة العمل المتصل بمجال التنظيم فى العمل كله ، دعوة وحركة .

وكل شعبة من هذه الشعب لها فروع عديدة ، هى ما سوف نوضحها ونحن نتحدث عن كل شعبة .

الشعبة الأولى : شعبة العمل المتصل بمجال الدعوة :

وهذا العمل تلزمه ثقافة عملية ميدانية يجب أن تحصل عليها الداعية إلى الله ؛ لتمارس عملها فى الدعوة وهى مؤهلة له أحسن تأهيل .

ويتمثل ذلك فى الفروع التالية :

الفرع الأول : توفر الرصيد العملى الميدانى :

ومفردات هذا الرصيد هى :

أ ـ الفهم الدقيق لما تدعو إليه الداعية إلى الله .

ب ـ والإخلاص لله ، وقصد وجهه سبحانه من كل عمل تقوم به .

جـ ـ والعمل الدءوب الذى يشمل الداعية نفسها وبيتها والمجتمع الذى تعيش فيه ، والأمة التى تنتمى إليها ، إذ عليها فى كل مجال من هذه المجالات واجب كبير .

د ـ والجهاد ـ أى بذل ما فى الوسع ـ مع النفس والهوى وأعداء العمل الإسلامى ، أى الإعداد لذلك وتحين الفرص للعمل .

هـ ـ والتضحية بالوقت والجهد والمال والنفس فى سبيل الدعوة ، إذ لا جهاد بغير تضحية .

ز ـ والثبات على مبادئ الدعوة ، بحيث لا يصرفها عنها ترغيب أو ترهيب .

و ـ والطاعة لله ولرسوله ولقيادة الجماعة التى تعمل معها ، فهذه الطاعة لازمة فى كل مرحلة من مراحل العمل الإسلامى .

ح ـ والتجرد من أى فكر أو أى عمل يزاحم الدعوة إلى الله ، فضلا عن أن يأخذ مكانها فى الاهتمام .

ى ـ والأخوة الإسلامية التى يجب أن تربط بين قلوب العاملين فى مجال الدعوة إلى الله .

ك ـ والثقة التى يجب أن تتبادل بين العاملين فى مجال الدعوة من جانب ، وبينهم وبين قيادتهم من جانب آخر .

وهذا الرصيد العملى الميدانى اللازم للداعية إلى الله ، هو ما سماه الإمام البنا بأركان البيعة للدعاة إلى الله وقد سماهم الإخوان المجاهدين أو الصادقين وطالبهم بهذه الأمور العملية ، وقال : أما غيرهم فلهم الخطب والمحاضرات .

والفرع الثانى : تعدد الوسائل أمام الداعية وممارسة كل وسيلة منها :

وهذه الوسائل التى يجب أن تمارسها الداعية هى :

أ ـ الكلمة من : خطبة إلى محاضرة إلى مقالة إلى درس إلى مناظرة ومحاورة ... إلى غير ذلك .

ب ـ إعطاء القدوة للمدعوة فى العمل والسلوك ؛ لأن القدوة أعمق أثرا من الكلمة وأنجح فى الدعوة من كل أنواع الكلمة ـ وتذكرى موقف الرسول ﷺ فى الحديبية عندما ساق الهدى .

جـ ـ وعقد اللقاءات بالمدعوات وتبادل الزيارات معهن فى أماكنهن الخاصة ، أو فى الأماكن العامة كالمساجد والأندية وغيرها .

د ـ وتقديم الخدمات لهن سواء أكانت الخدمات ثقافية أم اجتماعية أم غيرها ، إذ خير الداعيات من كانت فى خدمة من تدعوهن .

هـ ـ وتنظيم الرحلات والأسفار ، ومصاحبة المدعوات فيها ، لأن هذا اللون من النشاط يربى ويعلم ويكشف عن شخصيات الناس ومعادنهم .

و ـ وتنظيم الندوات حول موضوع هام من الموضوعات التى تهم المسلمات عموما أو المسلمات فى المجتمع الذى تعيش فيه الداعية إلى الله .

ز ـ وتعريف المدعوات على بعض الصالحات من النساء ممن كانت لهن صلة بالعمل الإسلامى ـ إن وجدت فى الحى الذى تعيش فيه الداعية ـ للاستفادة منهن فى العلم أو فى الخبرة وفي ذات الوقت نحيي أدب التعامل مع كبيراتنا وذوات العلم فينا .

الشعبة الثانية : العمل المتصل بمجال الحركة فى سبيل الله :

ولابد لنا أن نشير فى عجالة إلى مفهوم الحركة فى مقابل مفهوم الدعوة حتى تتضح الصورة لدى القارئات .

الدعوة : طلب ،

والحركة : عمل ،

والدعوة بالكلمة فى الغالب ،

والحركة بالاختلاط بالمدعوات والتأثير فيهن ،

والداعية تتحدث وتجذب ،

والحركية تجمع المتأثرات وتصنفهن وترعى هذه المجموعات .

والداعية تمارس دعوتها فى كل مجال ومع كل نساء تلقاهن .

والحركية توجه عملها إلى نخبة أو صفوة يقع عليها الاختيار بعد اختبار .

والدعوة والحركة تكمل إحداهما الأخرى فى العمل الإسلامى ، فلو كانت دعوة

دون حركة لجمعنا أعداد كبيرة من النساء وقد يكن أشبه بالغثاء ، لكن الحركة فيهن تقوم على اصطفاء العناصر الأكثر صلاحية للعمل الإسلامى ، ثم تعهدهن بما يعود عليهن بالنفع والنمو والتقدم فى مجال العمل والاستمرار فيه(١٦٥)

وهذا العمل المتصل بمجال الحركة تلزمه خبرة ميدانية عملية يجب أن تحصل عليها الداعية إلى الله وتستوثق من إلمامها الجيد بها لأنها فى الحق من معالم شخصيتها ومن مؤهلاتها الأساسية لكى تؤدى عملها على وجه جيد بإذن الله تعالى .

وهذه الخبرة الميدانية فى مجال الحركة لها فروع كذلك تتمثل فيما يلى :

الفرع الأول : توافر الرصيد الميدانى فى الخبرة الحركية :

وهذا يتطلب الآتى :

أ - الفهم الدقيق لمفهوم الحركة فهما عمليا - بعد الفهم النظرى - وقد سبق لنا أن قلنا : إن الحركة فى العمل الإسلامى تعنى إخراجه إلى حيز الوجود والتنفيذ ، أى التحرك بالإسلام فى الناس والاختلاط بهم ، والتأثير فيهم ، والقدرة على خدمتهم ، والاستجابة لمتطلباتهم المشروعة ، وتصنيفهم ، والقدرة على تعهد كل صنف منهم بما يلائمه من وسائل التربية ...(١٦٦) .

وهذا الفهم العملى يتطلب من الداعية أن تكون فى عمل دائب وحركة مستمرة واتصال إيجابى بالمدعوات .

ب - ومن صميم هذه الخبرة القدرة على مجالسة النساء والتأثير فيهن وتوطين النفس على حب هذه الحركة والبحث عن مكان تجمع النساء وإتيان هذه المجالس ، أى طرد كل رغبة فى الابتعاد عن النساء وتجمعاتهن ؛ لأن تلك عزلة مرفوضة بل نعتبرها مرضا فى الداعية إلى الله يجب أن تعالج منه بمزيد من العمل والحركة .

جـ - ومن رصيدها فى هذه الخبرة أن تتجمع فيها عناصر التأثير فى المدعوات ، وهى عناصر كثيرة نذكر منها ما يلى :

---

(١٦٥) للتوسع فى مفهوم الدعوة والحركة . انظر كتابنا : مع العقيدة والحركة والمنهج ... نشر دار عكاظ .

(١٦٦) انظر المرجع السابق .

١ ـ العناصر الذاتية فى الداعية نفسها مثل : الثقافة العامة والثقافة الإسلامية والقدرة على البيان ، والقدرة على استيعاب الموضوع الذى تتحدث فيه ، والقدرة على الإقناع بمعرفة الأدلة والبراهين والطرق الصحيحة للحوار ، وسعة الأفق ورحابة الصدر ، ومعرفة المداخل إلى قلوب الناس وعقولهم ، ومنطلق ذلك كله نص إسلامى خالد هو قول الرسول ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

٢ ـ وعناصر موضوعية تتصل بمعرفتها بأهمية الموضوع الذى تتحدث فيه وترتيب أجزائه ، وتحديد الأولويات فيه ، ومعرفة أبعاده وأسبابه ونتائجه ، وماذا يسانده من الدراسات والبحوث القديمة والحديثة ، وطريقة عرضه ومدى ملاءمته للسامعين .

وكل ذلك من منطلق أن تكون الداعية على بصيرة بما تدعو إليه : ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ .

٣ ـ وعناصر تتصل بالمدعوات أنفسهن ، بحيث تكون الداعية على علم بالفروق الفردية بين الناس من حيث الثقافة والعلم والاستعداد والتقبل ، وعلى علم بوصفها الاجتماعى ، وهل لها انتماء لجماعة أو حزب سياسى أو غيره .

فهذه المعرفة بذلك ضرورية فى إعانة الداعية على معرفة أنسب الوسائل والأساليب للمدعوات .

ومنطلق هذه هو قول الرسول ﷺ : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » وقول على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما رواه البخارى بسنده :

« حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » .

د ـ ومن رصيد الداعية إلى الله أن تعمل ما وسعها بحيث تكون محبوبة لدى من تدعوهن من النساء ، ولن تصل إلى ذلك إلا إذا كانت حسنة المظهر فى غير إسراف ولا مخيلة ، حسنة النية والقصد ، رفيقة بالمدعوات ، محبة لهن ، حريصة على أداء الخدمات لهن .

وأهم صفاتها التواضع ، بحيث لا تستعلى على المدعوات بعلمها أو بوضعها الاجتماعى ، أو بسبقها فى العمل فى مجال الدعوة ، وأن تكون

ملتزمة بأدب الإسلام وأخلاقه فى كل شيء ، وأن لا تستنكر على إحدى المدعوات ما فيها من تقصير أو قصور وإنما تتمهل وتتحايل حتى تخرجها من أى وضع ليس فيه رضا الله .

ومنطلق هذا قول الرسول ﷺ : « المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .. »[١٦٧] وقوله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده : « .. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .. »[١٦٨] وقوله ﷺ ــ مخاطبا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه أبو داود بسنده ــ :

« يا عائشة ، ارفقى ، فإن الرفق لم يكن فى شيء إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه »[١٦٩] وقوله ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف »[١٧٠] .

والفرع الثانى : توافر قدرة الداعية على توريث غيرها من المدعوات خبرتها فى الحركة:

وذلك يتطلب ما يلى :

أ ــ أن تكون الداعية على علاقة وطيدة بواحدة أو اثنتين من المدعوات تخصهن دائما بالمحادثة والمحاورة بقصد نقل خبرتها إليهما أو إليهن ؛ لأن ذلك عمل أساسى فى الحركة الإسلامية ، وإلا كنا كغير المسلمين الذين يضنون بخبراتهم أو يبيعونها .

ب ــ وأن تحرص الداعية على أن تعرف فى مجال الحركة كل يوم أو كل حين خبرة جديدة فى العمل ، ثم تحاول نقلها إلى غيرها من المدعوات .

جـ ــ وأن تضع فى اعتبارها دائما أن العمل الذى تقوم به فى مجال الحركة يجب أن تتعلمه وتقوم به بعض المدعوات رغبة من الداعية فى تنمية المهارات عند غيرها .

د ــ وأن تضع الداعية إلى الله فى حسبانها أن تورث كل ما لديها من خبرات فى مجال الحركة إلى أكبر عدد من المدعوات ، حتى تضمن للحركة الإسلامية

---

(١٦٧) الإمام أحمد : مسنده : ٣ / ٤٠ .

(١٦٨) الإمام الترمذى : صحيحه : باب البر .

(١٦٩) أبو داود : سننه : باب الأدب .

(١٧٠) السابق : باب الأدب .

الاستمرار ، ولأن أعداء العمل الإسلامى لا يسرهم شىء مثل توقف الحركة عن العمل والتأثير والتوريث ، ولذلك فإن التوريث لهذه الخبرات يفسد عليهم مخططاتهم وهذا هدف أساسى من أهداف الداعيات إلى الله .

والفرع الثالث : تعدد الوسائل أمام الداعية إلى الله وممارسة هذه الوسائل ممارسة عملية :

ومن تلك الوسائل :

أ ـ العمل على تقديم الخدمات للمدعوات دون أن يطلبن الخدمة ، مادامت هذه الخدمة فى إمكان الداعية إلى الله ، ومنطلق هذا قول الرسول ﷺ : فيما رواه الترمذى بسنده : « ...... ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »(١٧١) وقوله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »(١٧٢) .

ب ـ وأن تعمل على تقوية الروابط الأخوية بين المدعوات ، وتوثيقها بكل وسيلة متاحة كالزيارات والالتقاء على طعام وتبادل الخبرات والمهارات ، ومنطلق ذلك قول الرسول ﷺ فيما رواه ابن ماجة بسنده : « من كان عنده خبز بُرٍّ فليبعث به إلى أخيه » (١٧٣) .

جـ ـ وأن تحرص على البذل والتضحية والعطاء مع من تدعوهن ؛ لأن ذلك أدخل إلى القلوب ، وأصغى للنفوس ، وأقرب إلى رضا الله سبحانه ، ونجاح المسعى فى الدعوة إلى الله .

د ـ وأن تمارس الداعية إلى الله عمليا تصنيف من تدعوهن إلى أصناف متقاربة فى الثقافة والحماس للعمل ، والظروف الأخرى .

وأن تعطى كل صنف ما يناسبه من الثقافة النظرية والعملية ؛ لأنه إذا لم يتم هذا التصنيف فلن تحدث الإفادة المرجوة ولا النوعية المرغوبة :

وتلك أمور ـ كما قلنا آنفا ـ تعد من عناصر التأثير فى المدعوات .

---

(١٧١) الترمذى : صحيحه : باب الحدود .

(١٧٢) السابق : باب الحدود .

(١٧٣) ابن ماجة : سننه : باب الجنائز .

هـ ـ وأن تكون الداعية فى عملها هـذا معتمـدة على الله ثم على خطة تضعها لنفسها ، تحدد فيها لنفسها ما يلى :

ـ ما الأهداف التى تريد أن تحققها خلال سنة مثلا ؟

ـ وما الوسائل التى تستعين بها لتحقيق تلك الأهداف ؟

ـ وما الإمكانات المادية أو المعنوية اللازمة لها لتحقيق تلك الأهداف ؟

ـ وما أولويات العمل فى هذه الخطة ، بمعنى بماذا تبدأ ثم بماذا تثنى وهكذا ؟

وتلك سمـة من سمات الداعية الموفقة القادرة على أن ترشد عملها وحركتها فى سبيل الدعوة .

ولابد أن أؤكد هنا أن أى عمل إسلامى يتم دون تخطيط وتنظيم ، فإنه أبعد ما يكون عن النجاح فى تحقيق أهدافه .

الشعبة الثالثة : العمل المتصل بمجال التنظيم فى الدعوة والحركة :

إذا كان المقصود بالتنظيم ـ كما هو المعروف الشائع ـ هو العملية التى تفرق بين جزء وجزء من الناحية الوظيفية ، والتى نتمكن بها ـ أى بهذه العملية ـ أن ننشئ فى نفس الوقت مركبا متكاملا من العلاقات الوظيفية داخل الكيان الكلى ـ فإن العمل الإسلامى فى مجال الدعوة وفى مجال الحركة لا يتم على وجهه إلا بالتنظيم على هذا النحو الشائع المعروف .

وإن الإسلام كله دين النظام والانضباط ، فالعبادات كلها خاضعة لتنظيم دقيق وعلى سبيل المثال :

فإن الصلاة المفروضة لا تؤدى إلا وفق تنظيم دقيق ، بحيث تسبقها طهارة البدن والثوب والمكان ، وتصاحبها النية واستقبال القبلة ، وتخضع لأعمال مخصوصة وأقوال. مخصوصة تفتتح بتكبيرة الإحرام وتختتم بالتسليم .

وهكذا سائر العبادات والمعاملات وكل ما شرعه الإسلام للناس من نظم .

والأصل فى الداعيات إلى الله العاملات فى الحقل الإسلامى أن يَكُنَّ على درجة عالية من التنظيم فيما بينهن من جانب ، وكل واحدة منهن فى حدود عملها من جانب آخر .

وإن هذا التنظيم ليستدعى قوانين ولوائح ترسم حدود هذه العلاقات ومدى ما يجب أن يسودها من تعاون وتفاهم ، وبحيث يحتكم إلى هذه القوانين واللوائح عند اختلاف وجهات النظر حول الأساليب أو الوسائل ، فتلك طبيعة أى عمل يقوم به أفراد عديدون ، ومن نافلة القول أن نذكر أن هذه القوانين واللوائح يجب أن تستقى من أدب الإسلام وأخلاقه ومنهجه ونظامه .

والداعيات إلى الله يجب أن يتعاون فيما بينهن لوضع هذا التنظيم بناء على الخطة الواضحة الأهداف والسياسات والوسائل والمراحل والمدى الزمنى المطلوب .

ولكن هذا التنظيم الذى تطالب به الداعية المسلمة ينبغى أن تطبقه على نفسها أولا ، فى وقتها وجهدها فى بيتها ومع أولادها ومن أجل دعوتها ، إنه تنظيم ينبغى أن يتناول :

- شخصية الداعية نفسها .
- ووقتها وحسن توزيعه على أنشطتها فى البيت ، والأولاد ، والزوج ، والعمل إن كانت عاملة .
- والدعوة والحركة التى تمارس واحدة منهما أو تمارسهما معا .
- ولابد لها أن تخضع كل هذا لتقويم مرحلى ومتابعة مستمرة .

ولنفصل القول فى ذلك آملين أن نقدم أنموذجا تقريبيا لموضوع كثرت منه الشكوى ، بدعوى أن الوقت لا يتسع لواجبات الداعية إلى الله وأن كل تقصير يكشف عنه أى تقويم أو تدل عليه أى متابعة يعزى إلى ضيق الوقت ، وفى تقديرنا واقتراحنا هذا لا ضيق فى الوقت بإذن الله تعالى .

ولنبدأ بالأول فالأول :

أولا : تنظيم الداعية فى نفسها ؛ بمعنى أن يكون لمظهرها نظام جيد ، ولكلامها وسكوتها وحركتها وسكونها ، ولبيتها وأولادها ، وكل ما يتعلق بها ، يكون لذلك كله نظام جيد ودقيق .

فليس بمقبول من داعية إلى الله أن تهمل فى مظهرها بحجة التواضع أو الزهد ، فإن الله سبحان يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، كما لا يقبل منها أن تسرف فى هذا المظهر حتى تخرج إلى حد الإسراف والمخيلة .

ومهما تكن الداعية إلى الله فقيرة - وكلنا فقراء إلى الله والله هو الغنى - فإن فى النظافة والبساطة فى الملبس والمظهر ما يؤكد النظام وينميه .

وليس للداعية ألاتنظم كلامها مع غيرها من النساء بحجة عدم التفاصح أو التقعر فى الكلام أو التشدق ، وتلك كلها صفات غير مقبولة ، لكنها ليست حجة للداعية تهمل بها انتقاء ألفاظها واختيار عبارتها ، دالَّة واضحة مؤثرة .

وليس للداعية أن تهمل نظام بيتها أو نظافته بحجة الزهد والابتعاد عن الإسراف والتكلف ، فإن ذلك غير مقبول منها من جانب ، كما أن تنظيم البيت ونظافته ليس تكلفا ولا إسرافا من جانب آخر .

وكذلك الشأن فى أولاد الداعية وما يجب أن يكونوا عليه من نظام ونظافة وأدب وأخلاق ، إنه لن يقبل منها بحال أن تهمل أولادها بحجة انشغالها بالدعوة .

وإنما دققنا فى ذلك النظام الشخصى للداعية ؛ لأنها عنوان للدعوة التى تدعو إليها ، وكثير من الناس يحسبون على الإسلام عيوب المسلمين - وعلى الرغم من أنهم فى ذلك مخطئون - فإن الذين يخطئون من المسلمات والمسلمين عندما لا ينظمون أنفسهم على النحو الذى أراده الإسلام يعطون لهؤلاء مبررا فيما يدعون .

ثانيا : وأن تنظم وقتها تنظيما دقيقا وصارما ، فليس أضرَّ بالداعية إلى الله من أن يفلت منها وقتها دون تنظيم .

وإذا كان الوقت هو الحياة فكيف لا تخضع الحياة لتنظيم ؟

وإذا كانت الداعية إلى الله مطالبة بأعمال عديدة فى ذاتها ومن أجل زوجها وبيتها وأولادها - إن كانت ذات زوج - ولدعوتها ، فكيف يمكن أن تؤدى ذلك كله دون تنظيم لوقتها؟

إن على كل داعية واجبات ثلاثة أساسية ، أحدها لذاتها ، والثانى لبيتها ، والثالث لدعوتها ، وتنظيمها لوقتها هو الذى يحدث التنسيق بين هذه الواجبات .

واللاتى لا ينظمن وقتهن من الداعيات هن اللاتى يجأرن بالشكوى من العمل ومن ضيق الوقت ، وكثيرا ما كنت أحاول التوفيق بين الواجبات والأوقات . وكنت أقول ولا أزال أكرر إن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وإن كل إنسان يستطيع أن ينظم وقته فى

اليوم والليلة لينسق بينها وبين واجباته على النحو المقترح التالى :

١ ـ ٨ ثمان ساعات للنوم ،

٢ ـ و٦ ست ساعات للعمل ،

٣ ـ و٢ ساعتان للصلاة والطعام ،

٤ ـ و٢ ساعتان للقراءة والاطلاع ،

٥ ـ و٢ ساعتان للقيام بواجب الدعوة ،

٦ ـ و٢ ساعتان للعلاقات الاجتماعية وصلة الأرحام ،

و٢ ساعتان لإعداد الطعام تعده المرأة ، ويستطيع الرجل أن يستغل هاتين الساعتين لمصاحبة الأولاد .

يضاف إلى ذلك يوم كامل عطلة أسبوعية تتوفر فيه الست الساعات الخاصة بالعمل .

هذا عن الأوقات .

ثم ننظر إلى الواجبات الأسبوعية على ضوء هذا التوزيع وهى كالتالى :

١ ـ ١٤ أربع عشرة ساعة للقراءة والاطلاع أسبوعيا ،

٢ ـ و١٤ أربع عشرة ساعة لواجبات الدعوة أسبوعيا ،

٣ ـ و١٤ أربع عشرة ساعة للعلاقات الاجتماعية وصلة الأرحام أسبوعيا ،

٤ ـ و١٤ أربع عشرة ساعة لإعداد الطعام بالنسبة للمرأة أو لرعاية الأولاد والإسهام فى تربيتهم بالنسبة للرجل أسبوعيا .

وتستطيع الداعية إلى الله أن تعد طعام الأسبوع فى مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع لكل مرة ساعتان فتوفر ٨ ثمان ساعات أسبوعيا تنفقها فيما تراه لازما لها ، أو فيما حدث فيه تقصير لظروف طارئة .

كما يستطيع الرجل أن يجمع ساعات رعاية أبنائه فيجعل منها سبع ساعات فى يوم واحد يصحبهم فيه إلى مكان للنزهة والتريض والترفيه مصاحبا فى ذلك بعض إخوانه ، ثم ينفق باقى الساعات فيما يراه ضروريا لأولاده لا لنفسه .

وكذلك يمكن التصرف فى الساعات الأربع العشرة الخاصة بالعلاقات الاجتماعية وصلة الأرحام ، فيختصر بعضها لينفقه فى أى أمر يعود على أسرته بالنفع والفائدة .

أما الساعات المخصصة للدعوة وهى أربع عشرة ساعة فيمكن للداعية أن تقسمها إلى وحدات على النحو التالى :

وحدة مكونة من ثلاث ساعات ثلاث مرات أسبوعيا بتسع ساعات .

ووحدة مكونة من ساعتين ونصف الساعة مرتين أسبوعيا ، بخمس ساعات .

فيكون لدى الداعية خمس فرص أسبوعيا للقيام بنشاط إسلامى فى مجال الدعوة إلى الله متوسط كل فرصة منها ثلاث ساعات تقريبا ، فأى سعة وأى بركة فى الوقت أكثر من هذا ؟

لكن الأمر يحتاج إلى حسم ودقة فى التنفيذ ، ومراقبة لله فى إنفاق وقت الدعوة فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالنفع .

ويمكن للداعية أن تحدث تناقلا بين الأوقات تبعا لظروف قد تطرأ عليها ولكن بحيث تحافظ على نصيب كل نشاط من الوقت .

ولقد رأينا الداعية الموفق الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله ورضى عنه ـ وقد كنا على مقربة منه تسمح لنا بأن نراه يعمل فى الدعوة إلى الله ثمان عشرة ساعة يوميا ـ على أعيننا ـ وما رأيناه فتر ولا فقد نشاطه ، ولا فارقته ابتسامته المحببة إلى كل من رآه أو عرفه ولا زايلة اتساع صدره لكل إخوانه الذين يراهم فى يومه ، فهل كان ذلك خارقا للعادة ؟ أبدا والله ولكن الرجل كان منظما أدق أنواع التنظيم ، ومستفيدا أقصى درجات الفائدة من كل ساعة من ساعات يومه وليلته .

أما أن يضيع بعض الناس أجزاء من أوقاتهم سدى ، ثم يشكون من ضيق الوقت ، فذلك دليل سوء التنظيم للوقت ، وعدم التقيد فيه ببرنامج عمل يومى أو أسبوعى يتصف بالدقة والصرامة .

ثالثا : ومن صميم التنظيم أن ترتب الداعية عملها فى الدعوة والحركة وأن تجعل هذا العمل مراحل ، وأن ترتب هذه المراحل وفق أولويات معينة على النحو المقترح التالى :

أ ـ فى تنظيم العمل فى مراحل : وأتصور أن هذه المراحل هى :

١ ـ مرحلة تحبيب غيرها من النساء فى عبادة الله سبحانه والاستجابة لأوامره ونواهيه .

٢ ـ ومرحلة تشجيع غيرها من النساء على حب الخير عموما وحب إسدائه للأخريات دون طلب منهن .

٣ ـ ومرحلة تعويد غيرها من النساء على التعاون فيما بينهن عند القيام بعمل من الأعمال التى تحقق مصلحة للحى الذى يعشن فيه ، أو تدفع عنه ضررا واقعا به .

٤ ـ ومرحلة تشجيع غيرها من النساء على التضحية بالوقت والجهد فى سبيل الله ، وحبذا لو كان التعاون فى دفع الحاجة عن بعض اليتامى والأرامل فى الحى ، فإن ذلك من أرضى ما يرضى الله تبارك وتعالى .

٥ ـ ومرحلة تعريف غيرها بالإسلام وتثقيفهن فيه تثقيفا مناسبا ، يشرح لها أصول الإسلام وأركانه ، ويفسره لها تفسيرا ملائما ، ويزيل من نفسها الشبهات والمفتريات الموجهة للإسلام ، ويزيل لها المعوقات التى تعترض العمل الإسلامى ، ويجمع بينهن على فهم الإسلام والعمل به[١٧٤] .

ب ـ **وفى تحديد الأولويات** : نقترح ما يلى :

١ ـ تبدأ بتحبيب غيرها من النساء فى عبادة الله وفق ما شرع ، وهى بحاجة هنا إلى أن تشرح وتفسر بعض العبادات وتوضح أسرارها وفائدتها للمتعبدة .

٢ ـ ثم تشجع غيرها على حب الخير وفعله دون أن تطلبه منها أى واحدة ، وتحتاج هنا إلى أن تكون هى قدوة فى ذلك العمل .

٣ ـ ثم تعمل فى مجال تعويد النساء على التعاون فيما بينهن فى الأعمال النافعة لغيرهن من المسلمات ، ولتكن هى القدوة فى ذلك أيضا .

٤ ـ ثم تشجع غيرها من النساء على التضحية بالوقت والجهد فى سبيل الإسلام فى أى مجال يحتاج فيه المسلمات إلى بذل جهد أو وقت ، وتحتاج هنا إلى أن تكون قدوة وإلى أن توضح وتشرح أدب الإسلام وأخلاقه فى هذه

---

(١٧٤) انظرى : مرحلة التعريف من كتابنا فقه الدعوة إلى الله ، إذا أردت معرفة مفصلة عن مرحلة التعريف .

التضحيات.

٥ ـ ثم تعمل فى مجال التعريف بالإسلام عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، وتلك مرحلة تثقيف وتعليم تحتاج فيها الداعية إلى الله إلى اتباع أسلوب بعينه فى التعليم وأسلوب آخر فى اختيار المعلومة.

ولا بأس أن نشير إلى مجمل ذلك فيما يلى:

أ ـ خير التعليم وأقربه إلى نفس المتعلم ما كان المتعلم فيه مشاركا للمعلم، كى لا تتحول العلاقة بين الداعية والمدعوات إلى علاقة بين مدرسة وتلميذات، بل مدرسة غير مستوعبة لأدبيات العملية التعليمية.

ب ـ وأن تحسن اختيار الكتب المبسطة التى تشرح الإسلام شرحا عصريا، بلغة العصر وفى مستوى عقول السامعات.

جـ ـ وأن تعطى أمور العقيدة الأهمية اللائقة بها وأبرزها: الإلهيات والنبوات والروحانيات والسمعيات.

د ـ وأن تهتم بعد العقيدة بأمور العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج، ومعاملات وغيرها.

هـ ـ وأن تعنى بتوضيح قضايا العدل والإحسان، وأن كل مسلمة مطالبة بالعدل والإحسان مع ربها ومع نفسها ومع غيرها من الناس.

و ـ وأن تفسر قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومكان المرأة من هذه القضية، وأنها مطالبة كالرجل تماما بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فى ظل آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وضوابطهما الشرعية.

ز ـ وأن توضح موقف المرأة المسلمة من الجهاد في سبيل الله ومن أجل دعوته، سواء ما كان من هذا الجهاد جهادا للنفس أو الشيطان أو العدو، فى حدود ما كلفها الله.

ح ـ وأن تتخذ من القرآن الكريم وتفسيره وبعض علومه، ومن السنة النبوية وشرحها، ومن السيرة النبوية ودراستها، مادتها الأصلية ومصادرها الأساسية وهى تزود غيرها بالتعريف بالإسلام.

ط ـ وأن تهتم باختيار مواقف معلمة وهادية من تاريخ الصحابة والتابعين ، ومن التاريخ الإسلامى عموما والمصلحين والصالحين والصالحات من المؤمنين والمؤمنات .

ى ـ وأن تبصر غيرها من النساء بواقع العالم الإسلامى اليوم ، وما يحيط به من مشكلات وقضايا ، وأن تعطى مجتمعها المحلى الذى تعيش فيه أولوية واهتماما من الدراسة والبحث .

رابعا : التقويم والمتابعة :

إن على الداعية المسلمة التى تنظم عملها أن تخضع هذا العمل للتقويم والمتابعة بصورة مستمرة .

فكيف يتم التقويم ؟

إن عليها أن تقوّم عملها أولا بأول فى كل يوم عند نومها أى التعامل مع : « ورد المحاسبة » وهو ورد يقوم عل أصل شرعى هو : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا »[١٧٥] فما وجدت من خير فلتحمد الله ، وما وجدت من غيره فلتستغفر الله ، وتعزم على ألا تعود ، بحيث تكون أكثر انضباطا ونظاما والتزاما بالإسلام .

وأن تعلم غيرها من النساء هذا الأدب فى التقويم أى حساب النفس يوما بيوم ، قبل أن يحاسبها الله يوم القيامة .

إن الغافلة هى التى لا تقوم عملها يوما بيوم وأولا بأول ، إنها بهذه الغفلة تحرم نفسها من أن يصبح عملها أكثر نضجا وأكثر نجاحا وأرضى لله سبحانه ، فهل هناك غفلة أكثر من هذا ؟

إن هذا التقويم للنفس واجب شرعى ورد ما يدل عليه فى القرآن الكريم ، قال الله تعالى : **﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾**[١٧٦] .

إن المرأة المسلمة التى تدعو إلى الله لابد أن يكون التقويم والمتابعة من العناصر الرئيسية فى أعمالها وحياتها كلها ، إنها بذلك ترشد وترشد العمل الإسلامى فى مجالى الدعوة والحركة ، وتؤجر على ذلك بفضل من الله ورحمة .

---

(١٧٥) الترمذى : صحيحه : باب القيامة .

(١٧٦) سورة القيامة : ١٤ .

الفصل الثانى

عمل المرأة المسلمة فى مجال الدعوة

القسم الأول

مع السابقات من الداعيات إلى الله

نود فيما نورده من ذكر مواقف من سير السابقات فى الدعوة إلى الله ، أن نؤكد أن المرأة منذ بدء الدعوة إلى الله وعلى عهد الرسول ﷺ كانت تشارك فى حمل أعباء الدعوة ، وتشعر أن عليها واجبا فى ذلك يلائم طبيعتها وما تقدر عليه ، وأن مفهومها عن الدعوة إلى الله كان صحيحا ومتكاملا حيث لم تتصور أن الدعوة إلى الله كلمات تقال أو تبلغ للناس ، ثم يعفى الإنسان مما وراء ذلك ، وإنما كانت تدرك أن الدعوة إلى الله تبليغ وعمل وجهاد يدعو إلى المشاركة فى القتال فى بعض الأحيان .

نريد بما نورده أن نؤكد ذلك للمرأة المسلمة المعاصرة ، لتستعين بتلك المواقف على ماهى فيه من عمل فى مجال الدعوة إلى الله .

وسوف لانستقصى تلك المواقف ــ فإن الكتاب والوقت لايسمح بذلك ــ وإنما نستشهد ، ولا نخلى كتابا عن المرأة المسلمية الداعية إلى الله من نبذة من حياة هؤلاء السابقات من المؤمنات :

ــ خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ وأم المؤمنين .

ــ وأم سلمة أم المؤمنين كذلك رضى الله عنهما .

ــ وخولة بنت ثعلبة التى سمع الله لقولها ــ رضى الله عنها .

والمهاجرات إلى الحبشة وهن :

ــ رقية بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان بن عفان .

ــ وسهلة بنت سهيل بن عمرو زوج أبى حذيفة بن عتبة .

ـ وأم سلمة بنت أبى أمية زوج أبى سلمة بن عبد الأسد ، التى أصبحت أم المؤمنين بعد وفاة زوجها وزواجها من رسول الله ﷺ .

ـ وليلى بنت أبى حثمة زوج عامر بن ربيعة .

ـ والصحابيات الجليلات اللاتى شاركن فى الحروب .

ـ والصحابيات الجليلات اللاتى كن فقيهات فى الدين .

أردت بذكر هذه المواقف أن يتعطر هذا الكتاب بنفحات من سير هؤلاء الصحابيات الجليلات .

ولقد امتلأ تاريخ الإسلام فى كل عصر بعدد من هؤلاء النساء اللاتى كان لهن فى الدعوة إلى الله نشاط ملحوظ ، ولكنى وقفت عند الصحابيات الجليلات إيثارا لهن لما صاحبن الرسول ﷺ ، ولما كان بين بعضهن وبينه من حوار ونقاش عظيم الشأن فى أمور الدين ، ولأن كل من عايشوا رسول الله ﷺ من رجال ونساء كانوا من أكمل المؤمنين إيمانا وأفضلهم إسلاما ، وكان قرنهم خير القرون ، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ .

وإلى الحديث عن هذه المواقف سائلين الله التوفيق .

أولا : مواقف بارزة لبعض الصحابيات رضى الله عنهن :

١ ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها :

وهى أول من آمن بالله ورسوله ، وأول من صدق بما جاء به ، وكان من مواقفها التى لاتنسى ، والتى واكبت أول ما أوحى إلى رسول الله ﷺ ، وكان فيها طمأنة لرسول الله ﷺ .

روى الإمام البخارى بسنده عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : « ما أنا بقارئ » ، قال : « فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ،

فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم** ﴾ » . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال : « زملونى ، زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسى » ، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ــ ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ــ وكان شيخا كبيرا قد عمى ــ فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : « أوَ مخرجىّ هم ؟ » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِىَ ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى (١٧٧) .

وفى رواية ابن هشام فى السيرة النبوية : .... فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنّه ، ولتؤذينّه ، ولتخرجنّه ، ولتقاتلنّه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله (١٧٨) .

هكذا كان حرص أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها على طمأنة رسول الله ﷺ وإذهاب الروع عنه فى هذه الأمور الجليلة ، حيث التمست له العلم عند أهل العلم حتى تزيد من اطمئنان نفسه وأمنها .

ثم إن خديجة ــ رضى الله عنها ــ لم تكتف بما قال ورقة ، وإنما أرادت أن تستوثق هى من أن الذى جاء رسول الله ﷺ ملاك وليس بشيطان ، فقالت له : أى ابن عم ،

---

(١٧٧) الإمام البخارى : صحيحه : باب بدء الوحى : ١/٣ ،ط دار الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ .

(١٧٨) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢٥٢/١ ،ط التجارية ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

اتستطيع آن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : « نعم » قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاء جبريل عليه السلام كما كـان يصنع ، فقال رسـول الله ﷺ لخديجة : « يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءنى » ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » ، قالت : فتحول فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » ، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جَالس فى حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : « لا » . قالت : يا بن عم ، اثبت وأبشر ، فوالله إنه لَملَك وما هذا بشيطان (١٧٩) .

ثم إن خديجة رضى الله عنهـا واست رسول الله ﷺ بمالـها ، وصدقته إذ كذبه الناس ، وآمنت به أول من آمن ، وظلت تسانده إلى أن لقيت ربها ، حتى إن النبى ﷺ قد سمى العام الذى ماتت فيه عام الحزن ــ وقد كان فقد فيه عمه أبا طالب كذلك .

٢ ــ أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها :

وكان لها موقف حكيم دال على الفطنة وحسن التأتى إلى الأمور ، وذلك فى يوم الحديبية حين ذهب الرسول ﷺ وصحبه معتمرين فصدتهم قريش عن بيت الله الحرام ، وكان فى هذا اليوم ما كان من السفارات بين رسول الله ﷺ والمشركين ، ومن الصلح الذى تم بين الطرفين ، وذلك الصلح الذى رأى فيه بعض الصحابة كعمر بن الخطاب أنه مُجحِفٌ بالمسلمين لما تضمنه من شرط ردّ المسلمين من ذهـب إليهم فى المدينة معلنا إسلامه ، وعدم ردّ المشركين من يذهب إليهم من المسلمين مرتدا عن دينه ...

ولكن رسول الله ﷺ قبل هذا الشرط ــ فكان لقبوله له ما كان من الفوائد مما هو معروف فى كتب السيرة النبوية ــ ثم أمر رسول الله ﷺ لأصحابه بأن يحلوا ويسوقوا الهدى ، وعدم استجابتهم لذلك أول الأمر .

ومما يوضح موقف أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها فى هذه المناسبة ما جاء فى السيرة الحلبية من قول المؤلف : (١٨٠)

---

(١٧٩) السابق : ٢٥٥/١ .

(١٨٠) برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية : ٧١٣/٢ ، ط الحلبى بمصر ١٣٨٤ هـ .

« وفى رواية : أنه ﷺ بعد فراغه من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ، قال ذلك ثلاث مرات ، فلم يقم منهم أحد ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع ، فقالت : ما لك يا رسول الله مرارا وهو لايجيبها ، ثم ذكر لها ما لقى من الناس وقال : « هلك المسلمون ، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا » ، وفى لفظ قال : « عجبا يا أم سلمة ! ألا ترين إلى الناس ؟ آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ؛ قلت لهم : انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى » .

فقالت : يا رسول الله ، لا تلمهم ، فإنهم قد داخلهم أمر عظيم عما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح .

ثم أشارت عليه ﷺ أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم ، وينحر بُدُنه ويحلق رأسه ، ففعل ذلك ـ أى أخذ الحربة وقصد بها هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته : « بسم الله والله أكبر » ، ثم دخل رسول الله ﷺ قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف رسول الله ﷺ قافلا إلى المدينة أى بعد أن أقام بالحديبية تسعة عشر يوما وقيل عشرين يوما » .

ولما أنزلت عليه ﷺ سورة الفتح قال له جبريل عليه السلام : نهنئك يا رسول الله ، وهنأه المسلمون ، وتكلم بعض الصحابة وقال : ما هذا بفتح ، لقد صدونا عن البيت ، وصُدّ هدينا فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك : « بئس الكلام ، بل هو أعظم فتح ... » .

فتتأمل كل امرأة مسلمة موقف أم سلمة وكيف أوتيت الحكمة واقترحت على رسول الله ﷺ ما كان فيه علاج أكيد لتردد المسلمين عن النحر والتحلل لما أصابهم من الكرب ، إذ صدوا عن بيت الله الحرام .

٣ ـ خولة بنت ثعلبة التى استمع إليها الله سبحانه :

وكان زوجها أوس بن الصامت ـ وهو ابن عمها ـ قد قال لها ـ وقد راجعته فى شىء فغضب ـ : أنت على كظهر أمى ـ وكان ذلك فى زمن الجاهلية طلاقا ، أى كالطلاق فى تحريم النساء ـ ثم راودها عن نفسها فقالت : كلا ، لاتصل إلىّ وقد قلتَ ما قلتَ ، حتى أسأل رسول الله ﷺ . وفى لفظ : أنه لما قال لها أنت على كظهر أمى أسقط

في يده، قال : ما أراك إلا قد حرمت عليّ ، انطلقى ــ وكان هو فاقد البصر ــ إلى رسول الله ﷺ فاسأليه ، فدخلت عليه ﷺ وهو يمشط رأسه الشريف ... فأخبرته ، فقال لها ﷺ : « ما أمرنا بشيء من أمرك ، ما أراك إلا قد حرمت عليه » ، فقالت : يا رسول الله ، والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وإنه أبو ولدى وأحب الناس إلىّ . فقال : « حرمت عليه » ، فقالت : أشكو إلى الله فاقتى وتركى إلى غير أحد وقد كبر سنى ورق عظمى .

وفى لفظ أنها قالت : اللهم إنى أشكو إليك شدة وحدتى ، وما شق على من فراقه ، وما نزل بى وبصبيتى ، قالت عائشة رضى الله عنها : فلقد بكيت وبكى من كان بالبيت رحمة لها ورقة عليها .

وفى لفظ أنها قالت : أشكو إلي الله فقرى ووحدتى وصبية صغارا ، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وصارت ترفع رأسها إلى السماء ، فبينما هو ﷺ قد فرغ من شق رأسه وأخذ فى الشق الآخر ــ إذ كانت تمشطه عائشة رضى الله عنها ــ أنزل الله عليه الآية : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير . الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** ﴾ (١٨١) ، فسرى عنه وهو يبتسم ، فقال لها : « مريه فليعتق رقبة » ، قلت : يانبى الله ، والله ما عنده رقبة يعتقها ، قال : « مريه فليصم شهرين متتابعين » قلت : يا نبى الله ، شيخ كبير ما به من صيام ، قال : « فليطعم ستين مسكينا » ، قلت : يا نبى الله ، والله ما عنده ما يطعم ، قال : « بلى سنعينه بعرق من تمر » ــ مكتل يسع ثلاثين صاعا ــ قالت : وأنا أعينه بعرق آخر قال : « قد أحسنت ، فليتصدق » . وفى لفظة : « فاذهبى فتصدقى عنه وليراجعك ، ثم استوصى بابن عمك خيرا » (١٨٢) . وهذا أول ظهار وقع فى الإسلام ، ثم شرع حكمه هكذا .

وخولة بنت ثعلبة هذه هى التى استوقفت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير

---

(١٨١) سورة المجادلة : ١ : ٤ .

(١٨٢) الحلبى : السيرة الحلبية : ٢/٧٢٢ .

المؤمنين فأغلظت له القول ، قد ذكر الحلبى فى هذه القصة ما يلى :

« مَرّ عمر رضى الله تعالى عنه بخولة هذه فى أيام خلافته ، فقالت له : قف يا عمر ، فوقف لها ، ودنا منها ، وأصغى إليها ، وأطالت الوقوف وأغلظت له القول ـ أى قالت له ـ هيهات يا عمر ، عهدتك وأنت تسمى عميرا وأنت فى سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قَرُب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال لها الجارود : قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ، فقال عمر رضى الله عنه دعها . وفى رواية فقال له قائل : حبستَ الناس لأجل هذه العجوز ، قال : ويحك ، وتدرى من هذه ؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة قد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تنقضى حاجتها » (١٨٣) .

فهذه إحدى نساء المسلمين ، صحابية جليلة ، تنصح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتأمره وتنهاه ويستمع إليها ويعمل على قضاء حاجتها ، أى نوع من الرجال كان هؤلاء الحكام ؟ وأى نوع من النساء كان هؤلاء اللاتى لا يهبن فى كلمة الحق وفى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أحدا ، حتى ولو كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؟

لعل فى هذه المواقف ما يبصر المرأة المسلمة المعاصرة بما لها وما عليها فى مجال الدعوة إلى الله .

ثانيا : المهاجرات إلى الحبشة فرارا بدينهن :

إن هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة بتوجيه من رسول الله ﷺ لما رأى ما يقع على المؤمنين من أذى وضر ، إن هذه الهجرة كانت علامة بارزة مبكرة فى تاريخ الدعوة إلى الله ، وفى تاريخ الثبات على الحق والتضحية من أجل التمسك به بكل شىء حتى بالانتقال عن الوطن أعز ما يعتز به الإنسان ، إذ هو موطن الآباء والأجداد ، وهو مسرح حياة الإنسان ومراحه وملعب صباه .

فإذا بلغ الإيمان بالمؤمن أن يهاجر من وطنه فرارا بدينه ، فإن تلك هى التضحية الفذة

---

(١٨٣) السابق : ٢/٧٢٤ .

بين جميع التضحيات ، وهى تضحية لايكافئ عليها إلا الله سبحانه وتعالى ، فقد قال سبحانه : ﴿ **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ (١٨٤) .

وإن المرأة المسلمة فى تاريخ إسلامها الباكر كانت ـ كالرجل ـ تضرب المثل فى التضحية من أجل الدعوة إلى الله ، تضحية لم تتوقف عند حد تثبيت الزوج ، وتشجيعه على تحمل متاعب الدعوة إلى الله والصبر على ما يلقى من أعداء الإسلام ، ولكنها تتجاوز ذلك إلى التضحية بما هو عزيز وغالٍ على كل إنسان وهو مفارقة الوطن أى هجرة الدار والمال والتضحية بالقرب من العشيرة ، والتضحية بالقرب عن أماكن الذكريات الغالية ـ ولكل إنسان فى أرضه ووطنه ذكريات مهما تكن فى ظاهرها بسيطة فإنها مشدودة إلى نفوس أصحابها بأوثق الروابط والأسباب .

كل هذه التضحية قدمتها المرأة المسلمة السابقة إلى الإسلام من أجل الحق الذى تؤمن به والدعوة إلى الله ، ومن أجل مصاحبة الزوج المؤمن إلى حيث يأمن على دينه من أعداء كانوا يفتنونه عن دينه بالتحدى والتضييق والتعذيب الذى وصل إلى حد النكال .

إن المرأة المسلمة فى هذا التاريخ الباكر للإسلام لم تتخل عن زوجها ، إذ رأته يضطهد من أجل دعوة الحق ، ولم تتنكر له ، أو تطلب مفارقته باحثة لنفسها عن مأمن ، إنها لم تفعل ذلك ، وما كان لها أن تفعله وهى المؤمنة بدين الحق ، والتى نالها من أذى المشركين قدر كبير ، فما صرفها عن دينها وعن التمسك به .

بل إن بعض النساء ثبتت على دينها حتى فاضت روحها إلى بارئها وهى تعذب ، فذهبت إلى ربها شهيدة صابرة محتسبة ، كما هو معروف مشهور عن سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر وزوجة ياسر التى كانت من أوائل من أظهروا إسلامهم بمكة ، وهم كما تذكر كتب التاريخ عن أول من أظهر إيمانه بمكة : « محمد رسول الله ﷺ ، وأبو بكر الصديق وبلال وخباب وصهيب وياسر وزوجته سمية وابنهما عمار بن ياسر » رضى الله عنهم أجمعين .

وسمية هذه هى أول شهيدة فى الإسلام حيث طعنها عدو الله أبو جهل بحربة ـ وهى تعذب ـ فقتلها .

---

(١٨٤) سورة النحل : ٤١ ، ٤٢ .

هكذا كانت المرأة المسلمة فى تاريخ الإسلام الباكر ، واستمرت على ذلك على مر تاريخ الإسلام حتى يوم الناس هذا .

١ ـ اللاتى هاجرن مع أزواجهن هجرة الحبشة الأولى :

وهؤلاء رائدات فى باب التضحية بالوطن من أجل الفرار بالدين خوف الفتنة عنه ، وهن بحق علامات بارزة فى طريق الدعوة إلى الله .

فقد ورد فى كتاب السيرة النبوية ما قاله ابن إسحق فى هذه الهجرة وهو : « فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لايقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه » .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، فرارا إلى الله بدينهم .

فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام » (١٨٥) .

وقد هاجر إلى الحبشة فى الهجرة الأولى أربعة عشر من المسلمين عشرة رجال وأربع نساء ، وهم :

١ ـ عثمان بن عفان رضى الله عنه .

٢ ـ وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ رضى الله عنها .

٣ ـ وأبو حذيفة بن عتبة رضى الله عنه .

٤ ـ وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو رضى الله عنها .

٥ ـ وأبو سلمة بن عبد الأسد رضى الله عنه .

٦ ـ وزوجته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة رضى الله عنها .

٧ ـ وعامر بن ربيعة رضى الله عنه .

---

(١٨٥) ابن هشام : السيرة النبوية .

٨ ـ وزوجته ليلى بنت أبى حثمة رضى الله عنها .

٩ ـ والزبير بن العوام رضى الله عنه .

١٠ ـ ومصعب بن عمير رضى الله عنه .

١١ ـ وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

١٢ ـ وعثمان بن مظعون رضى الله عنه .

١٣ ـ وأبو سبرة بن أبى رهم رضى الله عنه .

١٤ ـ وسهيل بن بيضاء رضى الله عنه .

فهؤلاء أربع نساء من السابقات فى الإسلام هاجرن أوطانهن إلى الحبشة مع أزواجهن ، فرارا بدينهن ، وخوفا للفتنة عنه ، وحرصا على الوصول إلى مكان آمن ، كما أشار عليهن الرسول ﷺ .

٢ ـ اللاتى هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة بعد ذلك :

توالت هجرة صحابة الرسول ﷺ إلى الحبشة ، حتى بلغ عددهم اثنين وثمانين رجلا وامرأة ، أو ثلاثة وثمانين إن عد فيهم عمار بن ياسر رضى الله عنه .

فمع الصحابيات الأربعة اللاتى هاجرن أولا ، هاجرت خمس عشرة امرأة مسلمة من السابقات إلى الإسلام ، يسرنى أن أسرد أسماءهن فى هذا الكتاب عن المرأة المسلمة ، ليكن بمثابة الحلية له والزينة ، وتكون أسماؤهن على ألسنة المسلمات المعاصرات وفى أسماعهن ، وهن رضى الله عنهن :

١ ـ أسماء بنت عميس بن النعمان ، زوجة جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى ﷺ ورضى عنهما . وقد ولدت له بأرض الحبشة ابنه عبد الله (١٨٦) .

٢ ـ وفاطمة بنت صفوان بن أمية ، زوجة عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله عنهما .

٣ ـ وأُمنية بنت خلف بن أسعد ، زوجة خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنهما .

---

(١٨٦) وصفها أبو نعيم فى الحلية بأنها مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين .

وقد ولدت له هناك ولده سعيد بن خالد وابنته أَمَةَ بنت خالد التى تزوجت من بعد الزبير بن العوام فولدت له عَمرا وخالدا .

٤ ــ وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب زوجة عبيد الله بن جحش بن رئاب ــ وهى التى تزوجها رسول الله ﷺ من بعد فصارت من أمهات المؤمنين رضى الله عنها .

٥ ــ وبركة بنت يسار ــ مولاة أبى سفيان ــ زوجة قيس بن عبد الله رضى الله عنهما .

٦ ــ وأم حرملة بنت عبد الأسود ، زوجة جهم بن قيس بن عبد شرحبيل ، رضى الله عنهما .

٧ ــ ورملة بنت أبى عوف بن خبيرة ، زوجة المطلب بن أزهر بن عبد عوف رضى الله عنهما ، وقد ولدت له فى الحبشة ولده عبد الله بن المطلب .

٨ ــ وريطة بنت الحارث بن جبلةِ ، زوجة الحارث بن خالد بن صخر ، وقد ولدت له هناك ولده موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، رضى الله عنهن جميعا .

٩ ــ وفاطمة بنت المجلل ، زوجة حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب ، رضى الله عنهما .

١٠ ــ وفكيهة بنت يسار ، زوجة حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب ، رضى الله عنهما .

١١ ــ وحسنة ، زوجة سفيان بن معمر بن حبيب ، رضى الله عنهما .

١٢ ــ وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ــ أخت سهلة ــ وزوجة أبى سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى رضى الله عنهما .

١٣ ــ وسودة بنت زمعة بن قيس ، زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس رضى الله عنهما ــ وهى التى تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها فصارت من أمهات المؤمنين .

١٤ ــ وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، زوجة مالك بن زمعة بن قيس ــ أخو سودة بنت زمعة أم المؤمنين فيما بعد ــ رضى الله عنهم جميعا .

١٥ ــ وفاطمة بنت علقمة بن عبد الله بن أبى قيس ، وزوجها سليط بن عمرو رضى الله

عنهما ، وقد ولدت له هناك ابنه سليط بن سليط رضى الله تعالى عنه .

فكان مجموع من هاجر إلى الحبشة خمس عشرة امرأة مسلمة مصاحبات لأزواجهن ، فارات بدينهن ، صابرات محتسبات على فرقة الوطن والعشيرة من أجل دعوة الحق رضى الله عنهن جميعا .

أفى ذلك عبرة للمرأة المسلمة المعاصرة ؟

وهل تتأسى بذلك بعض الزوجات المعاصرات اللاتى فارقن أزواجهن ؛ لأن الزوج تعرض لمحنة فى سبيل الله وفى سبيل دعوته ؟

إننا نقول دائما كما قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ **وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ (١٨٦) .

ثالثا : اللاتى شهدن بيعة العقبة من النساء :

تعد بيعتا العقبة الأولى والثانية من أهم الأحداث فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، فمن خلالهما وبسببهما امتدت رقعة الدعوة إلى الله إلى المدينة المنورة ، واتسعت هذه الرقعة لتشمل الأوس والخزرج أهم قبيلتين فى المدينة المنورة .

بل إن بيعتا العقبة كانتا شجا فى حلوق المشركين من قريش ، إذ شعروا أن سيكون للمسلمين المستضعفين فى مكة مأوى آخر غير الحبشة ، مأوى قريب نسبيا من قريش ، ربما يناوئهم ويعترض طريق رحلتهم إلى الشام فى الصيف ، وفعلا كل ذلك قد كان .

وإذا كانت بيعة العقبة الأولى كانت تمهيدا وإعدادا للبيعة الثانية فى العقبة أيضا ، فإن حديثنا هنا سوف يكون عن البيعة الثانية وحدها لأنها التى كان فيها نساء شاركن فيها .

فقد كان عدد المبايعين فى العقبة الأولى اثنى عشر رجلا ليس معهم امرأة .

أما الثانية فكان عدد الذين بايعوا فيها ثلاثة وسبعين رجلا ومعهم امرأتان هما :

١ ــ نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عون ــ وهى أم عمارة ــ زوجة زيد بن عاصم بن كعب ، وأم حبيب وعبد الله ابنى زيد ، وحبيب هذا هو الذى أخذه مسيلمة الكذاب وطلب منه أن يشهد أن الكذاب رسول الله فأبى ، فقطعه مسيلمة جزءا

---

(١٨٦) سورة الشورى : ٣٦ .

جزءا حتى لقى الله شهيدا .

وقد اشتهرت نسيبة بالشجاعة ، وتعتبر من أبطال معارك عديدة فى الإسلام .

تزوجها زيد بن عاصم المازنى ، ومات عنها فتزوجها غزية بن عمر المازنى .

وقد شاركت فى معارك : أحد والحديبية وخيبر وعمرة القضية وحنين ، وكانت تخرج إلى القتال فتسقى الجرحى ، وتقاتل ، ولقد أبلت فى يوم أحد بلاء حسنا ، وجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة رمح وضربة سيف ، وكانت ممن ثبت مع رسول الله ﷺ حين تراجع الناس ، وقد رئيت فى ذلك اليوم تقاتل أشد قتال ، وأمها معها تعصب جراحها ، وكان رسول الله ﷺ إذا حدث عن يوم أحد وذكر أم عمارة يقول : « ما التفت يمينا ولا شمالا إلا رأيتها تقاتل دونى » .

وقد حضرت حرب اليمامة فقاتلت فيها حتى أهلك الله الكذاب وقطعت يدها ، وجرحت جراحات كثيرة ، فانصرفت إلى المدينة تداوى جراحها .

وكان أبو بكر الصديق رضىْ الله عنه ـ وهو خليفة المسلمين ـ يعودها ويسأل عنها وعن حالها .

رضى الله عنها فقد شهدت بيعة رسول الله ﷺ فى العقبة فكانت من الأوليات فى ذلك .

٢ ـ أم منيع وهى أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن عمر بن سواء بن غنم بن كعب ابن سلمة .

ذكر ابن إسحق بسند صحيح عن كعب بن مالك أنها كانت مع من شهد العقبة هى ونسيبة بنت كعب .

وبعد : فهاتان صحابيتان جليلتان شهدتا أول خطوات الإسلام نحو المدينة المنورة ، مما يؤكد أن المرأة المسلمة لم تكن أبدا بعيدة عن الأحداث الإسلامية ، وإنما كانت تسهم فيها بنصيب طيب رضى الله عنهن وجزاهن عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

رابعا : الصحابيات المشاركات فى الحروب :

إن مشاركة هؤلاء الصحابيات الجليلات فى الحروب مع رسول الله ﷺ دليل على أن للمرأة المسلمة أن تشارك فى الحروب مع المسلمين ، متى كانت قادرة على ذلك ، بل

إنها قد تجب عليها هذه المشاركة فى الحروب وذلك عندما يغتصب عدو بلدا من بلاد المسلمين ، ففى هذه الحالة تكون المشاركة فى الحروب أى الجهاد فى سبيل الله فرض عين .

وإذا كان الجهاد فرض عين فإن للمرأة أن تخرج إلى هذه الحرب بغير إذن زوجها ـ إذا منعها ـ كما أن للولد أن يخرج بغير إذن والديه ، كما أن للعبْد أن يخرج بغير إذن سيده .

ومن هؤلاء السابقات من المسلمات اللاتى شاركن فى الحروب الإسلامية رضوان الله عليهن :

١ ـ أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها .

روى الإمام البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم » (١٨٧) .

٢ ـ وأم عمارة نسيبة بنت كعب التى تحدثنا عنها آنفا ، وقلنا إنها شاركت فى أحد والحديبية وخيبر وعمرة القضية وحنين وذكرنا طرفا من سيرتها فى هذه الحروب .

٣ ـ وأم سليط الأنصارية ، فقد أسلمت وبايعت ـ أي بيعة النساء ـ وشهدت أحدا وخيبر وحنينا ـ وهى أم أبى سعيد الخدرى الصحابى الجليل .

قال عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قسّم مروطا فى نساء أهل المدينة ، فبقى مرط جيد ، فقيل له أعطه لابنة بنت رسول الله ﷺ التى عندك ـ أى زوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وفاطمة رضى الله عنهم ـ فقال : « لا ، أم سليط أحق به ، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد » (١٨٨) .

٤ ـ وأم سليم بنت ملحان الغميصاء ـ أم أنس بن مالك ـ وقد تزوجت أبا طلحة ـ ويقال الرميصاء ـ .

ولما كان يوم حنين جاء أبو طلحة يضحك رسول الله من أم سليم فقال : يا

---

(١٨٧) البخارى : صحيحه : غزوة أحد .

رسول الله ، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما تصنعين به يا أم سليم ؟ » قالت : أردت إن دنا أحد منهم منى طعنته ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سليم ، إن الله تعالى قد كفى وأحسن » .

وقد شاركت أم سليم فى غزوة أحد مع عائشة رضى الله عنهما كما ذكرنا ذلك آنفا .

٥ ـ وأم حرام بنت ملحان ـ أخت أم سليم ـ أسلمت وبايعت وشاركت فى حروب المسلمين ، وركبت البحر غازية فى سبيل الله ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

روى البخارى ومسلم بسندهما عن أنس بن مالك عن أم حرام ـ خالته ـ قالت : بينا رسول الله ﷺ قائل فى بيتى إذ استيقظ وهو يضحك ، فقلت : بأبى أنت وأمى ما يضحكك ؟ قال : « عرض على ناس من أمتى يركبون ظهر البحر ، كالملوك على الأسرة » ، فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : « اللهم اجعلها منهم » ـ وكان زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه ـ فغزت معه راكبة ظهر البحر ، فوقصتها بغلة شهباء فوقعت فماتت . وقبرها بقبرص .

٦ ـ والربيّع بنت معوذ بن عفراء ، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ، وحدثت عنه ، وكانت تخرج مع النبى ﷺ فى الغزوات ، وقالت : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » .

٧ ـ وأم عطية الأنصارية نُسيبة بضم النون بنت كعب ـ على خلاف اسم أم عمارة فهى نَسيبة بفتح النون .

وقد أسلمت أم عطية وبايعت ، وخرجت مع رسول الله ﷺ فى الغزوات ، وحدثت فقالت : « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وكنت أخلفهم فى الرجال وأصنع لهم الطعام وأقوم على المرضى وأرد على الجرحى » ـ أى تردهم إلى المدينة المنورة .

٨ ـ وأسماء بنت يزيد بن السكن ، وكنيتها أم سلمة ، أسلمت وبايعت .

وكانت تسمى خطيبة النساء ، روت عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث .

---

(١٨٨) الإمام البخارى : صحيحه : غزوة أحد .

وقد شهدت معركة اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها ، وعاشت بعد ذلك دهرا .

٩ - وحمنة بنت جحش - أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين - وكانت من المبايعات لرسول الله ﷺ ، وشهدت أحدا ، وكانت تسقى العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم.

١٠ - وصفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب - وبنت هالة بنت وهب خالة رسول الله ﷺ .

تزوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى أخو أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وهى أم الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة .

هاجرت إلى المدينة مع ولدها الزبير .

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق جعل نساءه فى أطم يقال له فارغ . وجعل معهن حسان بن ثابت ، فجاء يهودى فرقى فى الحصن حتى أطل على النساء ، فقالت صفية لحسان : قم فاقتله ، فقال : لو كان ذلك فىّ كنت مع رسول الله ﷺ ، قالت صفية : فقمت إليه فضربته حتى قطعت رأسه وقلت لحسان : قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن ، فقال : والله ما ذاك ، قالت : فأخذت رأسه فرميت به عليهم ، فقالوا : قد علمنا أن هذا - يقصدون النبى ﷺ - لم يكن ليترك أهله خلوا ليس معهم أحد ، فتفرقوا .

وهى أول امرأة قتلت من اليهود .

١١ - وأمامة بنت أبى الحكم الغفارية واسمها ليلى .

قال ابن سعد : كانت تخرج مع رسول الله ﷺ فى مغازيه ، تداوى الجرحى ، وتقوم على المرضى .

١٢ - وأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، زوجة عكرمة بن أبى جهل .

وتزوجت بعده خالد بن سعيد بن العاص ، وقد أعرس بها خالد ، وفى الصباح هاجمتهم الروم فى موقعة برج الصفر فاستشهد خالد ، وشدت أم حكيم عليها ثيابها ، وتبدت وإن عليها أثر الخلوق فاقتتلوا على النهر ، فقتلت أم حكيم يومئذ

بعمود فسطاطها الذى أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم ، رضى الله عنها .

خامسا : الصحابيات الفقيهات الداعيات :

قد يتصور بعض الناس أن قضايا الفقه ومسائله والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها عمل يكاد يكون وقفا على الرجال ، إذ لم تبرز من نساء المسلمين فى الفقه من كانت على مستوى مشاهير فقهاء المسلمين وأئمتهم مثل الأئمة الأربعة أو فقهاء المدينة السبعة ، أو غيرهم من الأفذاذ فى الفقه الذين أثروا المكتبة الفقهية على مر تاريخ المسلمين ، ولما لهذا العلم من آلات واستعدادات قد لا تتوفر فى كثير من النساء .

وهذا التصور ليس صحيحا ، فقد كان فى المسلمات الأوليات السابقات من كانت على درجة من الفقه تجعلها محط أنظار كثير من الصحابة رضى الله عنهم ، يسألونها ويستوضحونها ويستفتونها ، كأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وقد يتصور بعض الناس أن الدعوة إلى الله عمل الرجال وحدهم دون النساء لما فيها من التصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يستتبعه ذلك من أمور قد لا تليق بالمرأة ، ولكن هذا التصور غير صحيح أيضا ، لأن بعض الصحابيات السابقات فى الدعوة كن يمارسن هذا العمل مثل أم شريك القرشية العامرية .

وقد أوضحنا فى هذا الكتاب أن الدعوة إلى الله واجب المسلمين جميعا ، رجالا ونساء ، وقدمنا على ذلك من الأدلة والبراهين ما نحسبه مقنعا ومغنيا عن الإطالة والاسترسال .

وإن الناظر إلى عدد اللاتى روين أحاديث نبوية عن رسول الله ﷺ ، ليدرك أن هذا العدد على قلته النسبية إذا قورن بما رواه الرجال ، فيه دلالة جيدة على مشاركة المرأة المسلمة فى هذا العمل الفقهى الدعوى الهام وهو نقل كلام النبى ﷺ إلى الناس .

١ ــ وفى مقدمة هؤلاء الصحابيات الجليلات أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فقد كانت أعلم بالإسلام وبفرائضه من كثير من الصحابة رضى الله عنهم ، كما أخبر بعضهم بذلك .

فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علما .

وعن مسروق رضى الله عنه قال : نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض .

وعن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (١٨٩) .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال الزهرى : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضى الله عنها أكثر .

٢ ـ وأم سليم بنت ملحان ـ وهى الغميصاء أو الرميصاء ـ فقد استثمرت زواجها لصالح الإسلام والدعوة إلى الله ، فهدت بذلك رجلا ونقلته من الكفر إلى الإيمان .

فقد كانت أم سليم قد تزوجت مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ، ثم قتل ، فخطبها أبو طلحة قبل أن يدخل فى الإسلام ، فقالت له :

أما إنى فيك راغبة وما مثلك يُرَدّ ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره ، فأسلم أبو طلحة وتزوجها .

قال ثابت : فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم (الإسلام) .

٣ ـ وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية ، وقد أسلمت وبايعت النبى ﷺ بيعة النساء .

وقد أخبر الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية ، وكانت قد جمعت القرآن ، وكان النبى ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن وكانت تؤم أهل دارها (١٩٠) .

وعن الحصين عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١٨٩) البخارى : صحيحه : باب فضل عائشة : ٣٦/٥ ، ط دار الشعب ، القاهرة ، ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(١٩٠) أبو داود : سننه : باب إمامة النساء : ٢٢٩/١ ،ط التجارية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

يزورها يسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن ، وكان رسول الله حين غزا بدرا قالت له : ائذن لى فأخرج معك فأداوى جرحاكم وأمرض مرضاكم ، لعل الله عز وجل يهدى إلىّ الشهادة ، قال : « إن الله عز وجل مهد لك الشهادة » .

وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها ، حتى غدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبّرتهما (١٩١) فقتلاها فى إمارة عمر رضى الله عنه ، فقيل إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها ، فقال عمر رضى الله عنه : صدق رسول الله ﷺ كان يقول : « انطلقوا بنا نزور الشهيدة » (١٩٢) .

وعلى أى قدر كانت أم ورقة من الفقه ؟

وعلى أى قدر من الإخلاص للدين والدعوة إلى الله ؟

وما مدى تشوقها إلى المشاركة فى الجهاد فى سبيل ؟ وما مدى حرصها على أن تموت شهيدة ؟

٤ ـ سمراء بنت نهيك الأسدية رضى الله عنها : أدركت رسول الله ﷺ ، وعمرت ، وكانت تمر فى الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها .

٥ ـ أم شريك القرشية العامرية من بنى عامر بن لؤى : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : .. ووقع فى قلب أم شريك الإسلام وهى بمكة ـ وهى إحدى نساء قريش ثم إحدى نساء بنى عامر بن لؤى ...

وكانت تحت أبى العكر الدوسى ، فأسلمت ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ... فأخذوها وقالوا لها : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ، ولكنا سنردك إليهم ، قالت : فحملونى على بعير ليس تحتي شىء موطأ ولا غيره ، ثم تركونى ثلاثا لايطعمونى ولا يسقونى . قالت : فما أتت علىّ ثلاث حتى ما فى الأرض شىء أسمعه ـ فنزلوا منزلا ـ وكانوا إذا نزلوا أوثقونى فى الشمس واستظلوا ، وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا ...

فبينا أنا كذلك إذا أنا بأثر شىء يَرِدُ عَلَىّ منه ثم رفع ثم عاد فتناولته فإذا هو ماء

(١٩١) التدبير : تعاقد بين السيد وعبده على أن يعمل العبد فيؤدى إلى سيده مبلغا متفقا عليه ، فإذا أداه أعتق .

(١٩٢) السابق : ٢٢٩/١ .

فشربت منه قليلا ، ثم نزع منى ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلا ، ثم رفع ثم عاد ثم رفع فصنع ذلك مرارا حتى رويت ، ثم أفضتُ سائره على جسدى وثيابى .

... فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء ، ورأونى حسنة الهيئة فقالوا لى : انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه ، فقلت : لا والله ما فعلت ذلك .... كان الأمر كذا وكذا .

فقالوا : لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا ، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها ، وأسلموا بعد ذلك .. (١٩٣) .

هذه أم شريك الداعية إلى الله المتحملة فى سبيل الدعوة مالا يتحمل إلا أشد المؤمنات إيمانا رحمها الله ورضى عنها وأرضاها .

ألا لتذكر كل مسلمة من الداعيات إلى الله هذا العمل الجليل ، الذى كانت تقوم به أم شريك فى سبيل دعوة نساء قريش إلى الدخول فى دين الإسلام ، ولتسأل نفسها ماذا فعلت وماذا عساها أن تفعل ، وواجب الدعوة إلى الله فى عنق كل امرأة مسلمة فى أى زمان أو مكان .

وبعد : فقد وقفت فى الحديث عن السابقات من الداعيات إلى الله عند الصحابيات الجليلات رضى الله عنهن ، لأنى لو توسعت فتناولت بالحديث التابعيات فقط لما وسعتنى صفحات هذا الكتاب مهما بلغ عددها ، فهن من الكثرة بحيث يصعب استيعاب سيرهن فى كتاب ، فما بالنا بتابعات التابعيات ومن بعدهن فى عصور تاريخ الإسلام ؟

---

(١٩٣) ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة : ٤/٤٤٦ ، ط التجارية ، القاهرة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

القسم الثانى

أنشطة المرأة المسلمة فى الدعوة إلى الله

إن كل من يدعو إلى الله من رجل أو امرأة ، عليه أن يحدد لنفسه الموقع الذى سيعمل فيه ، ومن خلال هذا التحديد تتبين له الأنشطة التى يجب أن يمارسها .

والمرأة المسلمة الداعية إلى الله قد تكون طالبة علم ، وقد تكون ربة بيت ، وقد تكون ممن يمارسن الأعمال العامة فى المجتمع ، ولكل واحدة من هؤلاء أنشطة تلائمها ، وفى الوقت نفسه تسد فراغا فى مجال العمل الإسلامى .

والأصل فى هذه الأنشطة أن تتنوع لتغطى كل احتياجات العمل الإسلامى ، بحيث لا تبقى ثغرة إلا وفيها من يسدها ويقوم لها .

ومن المسلم به لدى العاملين فى الحقل الإسلامى أن الواجبات أكثر من الأوقات ، ومحاولتنا هنا هى فى مجملها التنسيق بين الواجبات والأوقات فى اجتهاد نرجو أن نؤجر عليه .

ولكى لا تقول إحدى المسلمات الداعيات إلى الله ماذا أعمل ؟ ولكى لا تبقى دون عمل للإسلام حتى تعرف ماذا تعمل ، كانت محاولتنا هذه فى التعرف على أوجه النشاط للمرأة المسلمة .

ولكى لا ندع المرأة المسلمة تعيش حياة تافهة ، شأنها فى ذلك شأن ما هو سائد فى المجتمعات المسلمة المعزولة عن دينها عزلا ظاهرا أو غير ظاهر ، يستتبع دائما التعلق بالتفاهات والقشور ويغفل عن النافع واللباب ـ نقدم هذا القسم من الفصل الثانى من هذا الباب الثالث .

إن من نافلة القول أن ننبه على أن تنوع العمل فى الدعوة إلى الله أمر تستلزمه الدعوة نفسها ، كما توجبه الظروف العامة للدعوة وللدعاة وللمدعوين على قدر سواء .

إن هذا التنوع يكاد يسلم به كل العاملين فى الحقل الإسلامى المهتمين بأمور الدعوة ،

وما لم يسلموا به عقلا ومنطقا فسيجدون أنفسهم يمارسونه عملا وسلوكا .

وعلى سبيل الشرح والتوضيح فإن ظروف الدعوة تتطلب تنوعا فى العمل من دعوة إلى الله بالكلمة أو بالقدوة أو بالعمل على إنشاء مؤسسة نافعة للناس ، والكلمة متنوعة إلي مسموعة ومقروءة ومرئية .

والدعوة إلى الله تتنوع أساليبها كذلك من تربية وإعداد ، إلي عمل على بناء الشخصية المسلمة المتكاملة فى مجالات الحياة كلها ، إلى عمل على أن يصل الناس إلى أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ، إلى أن يحافظوا على ذلك إذا وصلوا إليه ، إلى غير ذلك مما أفضنا فى الحديث عنه فى أكثر من كتاب (١٩٤) .

والدعاة أو الداعيات إلى الله متنوعات كذلك .

فمنهن من تجيد فن الإقناع بالحق وجذب الناس إلى الهدى عن طريق الكلمة بأنواعها .

ومنهن من تجيد ذلك عن طريق القدوة التى تعطيها من نفسها .

ومنهن من تجيد ذلك عن طريق الأعمال والمؤسسات الصغيرة التى تسهم فيها .

وكل أولئك مطلوبات ، ولا ينبغى أن يخلو منهن ميدان عمل فى الدعوة إلى الله .

والمدعوون إلى الله متنوعون كذلك .

فمنهم من تكفيه الإشارة واللمحة .

ومنهم من يحتاج إلى الكلمة الواضحة الصريحة .

ومنهم من لابد له من الصحبة والمرافقة .

ومنهم من يشبهون المؤلفة قلوبهم .

ومنهم العصاة الذين يحتاجون إلى هداية .

ومنهم المعاندون الذين يحتاجون إلى الحجة والبرهان .

ومنهم .... ومنهم .... والمدعوات كذلك يتنوعن .

---

(١٩٤) انظر : منهج التربية وفقه الدعوة ووسائل التربية . ط دار الوفاء .

وكل هؤلاء المدعوين أو المدعوات يحتجن إلى تنوع العمل فى الدعوة لسد حاجات المدعوات جميعا .

ولهذا كله كان لابد أن تتنوع الأنشطة فى مجال الدعوة إلى الله تنوعا قد لا يتناهى عند حد ، فكلما برزت ثغرة بادرت الداعيات إلى سدها ، وما أكثر ما تظهر الثغرات وما أوجب أن تسد هذه الثغرات .

ونجد من الضرورى - إعانة للداعية إلى الله - أن نذكر بعض التنوع لدى المدعوات ، حتى تكون الداعية على علم بما يحتجن إليه .

فمنهن من يحتجن إلى الصحبة والمرافقة مع المودة والحب فى الله ، ومنهن من يحتجن إلى المجاملة وتبادل الزيارات ، بل تقديم الهدايا الرمزية التى توثق العلاقة وتذهب حر الصدور .

ومنهن من يحتجن إلى الكلمة المقنعة والحوار الهادئ والمناقشة الهادفة الهادئة .

ومنهن من يحتجن إلى كتاب يقرأ أو درس يلقى أو محاضرة فى مسجد أو ناد أو أي تجمع نسائى .

ومنهن من يحتجن إلى خدمات ورعاية وتعهد وسد لبعض الحاجات .

ومنهن من يحتجن إلى أن يشاركن فى عمل الخير تقربا إلى الله أو طلبا لحسن الأحدوثة .

ومنهن من تحتاج إلى الجدال بالتى هى أحسن .

ومنهن ومنهن إلى غير ما نهاية .

وعلى الداعيات إلى الله أن تستجبن لكل هذه الاحتياجات ، فى حدود ما شرع الله ، وما أوصى به رسوله ﷺ .

وهذا التنوع على تلك المستويات هو الذى جعلنا نتحدث عن هذه الأنشطة للمرأة المسلمة فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أنشطتها وهى ربة بيت .

والمبحث الثانى : أنشطتها وهى تمارس عملا فى المجتمع .

والمبحث الثالث : أنشطتها وهى طالبة للعلم .

وسوف نتحدث فيها على هذا الترتيب ، لإيماننا الشديد بأهمية البيت المسلم وأهمية عمل الداعية إلى الله فيه ، والله الموفق .

المبحث الأول

ربة البيت الداعية إلى الله

سبق أن أشرنا إلى واجبات ربة البيت نحو زوجها وأبنائها وبيتها بوصفها ربة بيت ، أما هنا فحديثنا عن ربة البيت التى تمارس فى بيتها الدعوة إلى الله ، لنوضح لها أنواع النشاط الذى يجب أن تمارسه استجابة لما أمرها الإسلام به من الدعوة إلى الله .

إن للداعية المسلمة ربة البيت أنشطة واجبة فى المجالات العديدة التالية :

١ ــ فى بيتها .

٢ ــ وفى قريباتها وصديقاتها وجاراتها .

٣ ــ وفى عملها فى المسجد القريب من مسكنها .

٤ ــ وفى إسهامها فى المجتمع الذى تعيش فيه .

٥ ــ وفى اصطفاء مجموعة من النساء لتفقههن فى دينهن .

وكل نوع من أنواع هذه الأنشطة يحتاج إلى توضيح وتحديد لخطوطه العريضة وذلك أضعف الإيمان فى هذا المجال ، أما التفصيل فسوف نتركه ونترك الحديث فيه لتتعرف عليه الداعية إلى الله من خلال ما يحيط بها من ظروف وملابسات ، وما تشعر به من متغيرات توجب عليها أن تواجهها بالأسلوب الإسلامى المناسب لها .

١ ــ فى بيتها :

إن أول واجبات الداعية إلى الله فى بيتها يتعلق بأبنائها الذين يجب أن يشبوا مسلمين ومسلمات ، لا يعتزون بشىء مثلما يعتزون بانتمائهم إلى الإسلام ، وأن يتمثلوا أخلاق الإسلام وآدابه فى كل ما يصدر منهم من كلام أو عمل أو تعامل فيما بينهم أو مع أقرانهم فى البيت أو فى المسجد أو فى المدرسة أو غيرها .

وإن هذا الواجب المتمثل فى انتماء الأبناء للإسلام وتمثل أخلاقه وآدابه ، منوط بالمرأة المسلمة ربة البيت بصورة مباشرة ، وبشكل ألصق من وجوبه على الرجل ، لأن المرأة الأم

ترعى هذا النشء منذ الطفولة المبكرة وتسهم أكثر من غيرها فى تشكيل أخلاقهم وميولهم واتجاهاتهم ، بطول مخالطتها لهم ، على حين ينشغل الأب غالبا بعمله فيغيب عن البيت فترات ليست بالقصيرة .

فماذا تفعل ربة البيت مع هؤلاء الصغار الأحباب ليلتزموا بأخلاق الإسلام ويحسنوا الانتماء إليه ، فيعود ذلك عليهم وعلى المجتمع الذى يعيشون فيه بالنفع فى الدنيا والآخرة ؟

إن القول بأن ربة البيت عليها أن تنصح وأن توعى وأن تكثر من الحديث مع أولادها وتوجههم ، إنما يعالج بعض أجزاء القضية ويسد بعض الثغرات فقط .

والأصل الذى يعالج كل الأطراف ويسد كل الثغرات بإذن الله تعالى هو أمور عديدة على جانب كبير من الأهمية ، نذكرها على النحو التالى :

أ ـ أن تعطى من نفسها القدوة لأبنائها منذ قدرة حواسهم على العمل ، فتحرص تماما على أن تتمثل فيها كل صفة تحب أن تجدها فى أبنائها ، فكلما التزمت بأخلاق الإسلام وآدابه فى قولها وفعلها ، وكلما اعتزت بانتمائها للإسلام ، كلما نشأ أبناؤها على التحلى بهذه الصفات .

كما أن هذه القدوة توجب عليها أن تتخلى عن أى صفات لا تحب أن تراها فى أبنائها ، سواء أكانت هذه الصفات أخلاقية أم شكلية تخص الملبس والمأكل والحركة والسكون .

وعلى سبيل المثال : فإن الأم الهادئة يشب أبناؤها على نفس الصفة من الهدوء ، وكذلك الشأن فى الأم الصاخبة الصارخة لأوهن الأسباب أو لأهم الأسباب ، وإن الأم النشطة المنضبطة فى عملها فى البيت الحريصة دائما على نظام البيت ونظافته قد لا تحتاج إلي أن تطلب من أبنائها أى شيء من ذلك وإنما يشبون عليه تلقائيا ، والعكس دائما صحيح فى هذه الظروف .

وإن الأم التى تعطى توافه الأمور أكثر مما تستحق ، تاركة العمل الجاد النافع إلى العمل التافه المسلى ـ كما يقال ـ فتضيع بذلك استثمار الوقت فيما يفيد ، هذه الأم سوف تعانى تماما من أبنائها وهم يتعاطون التفاهات ويبددون الأوقات بحجة التسلية والترفيه والمتعة ، وليس معنى ذلك أن نمنع الترفيه والتسلية وإنما نرشده ونعطيه من الوقت ما يناسبه .

إن هذه الأم سوف تعانى من أن أبناءها لا يقبلون على الواجبات المدرسية بجدية

وتكون هى السبب .

وإن الأم المتعالية الجوفاء ، أو المنطوية المنعزلة ، سوف تترك هذه الصفات فى أبنائها شاءت أو أبت .

وإن أيسر شيء على الأبناء أن يقلدوا ما فى أمهاتهم من صفات ، ذلك أمر لا يختلف عليه المراقبون للأبناء فضلا عن المربين المشغولين بقضايا التربية .

ب ـ وأن تحرص الأم الحرص كله منذ أن يعى أبناؤها لما يستمعون إليه ، فتحكى لهم ما تعودت الأمهات أن تقصه على الأولاد من قصص الطفولة التى تهدهدهم بها أو تسليهم أو تكون لهم القيم وتغرس فى نفوسهم فضائل الأخلاق .

إن عليها أن تحرص تماما على اختيار هذه القصص بمزيد من العناية والاهتمام ، فرب موقف فى إحدى القصص من أحد أبطال القصة يظل محفورا فى ذاكرة الطفل حتى يشب فيحب أن يكون صاحب هذا الموقف .

فماذا تحكى الأم الداعية إلى الله لأولادها ؟

إن أحسن القصص الذى يربى ويعلم ويهذب ويغرس فى النفوس أنبل القيم وأقوم الأخلاق هو ما ورد فى القرآن الكريم ووصفه الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾[١٩٥] .

وإن بعض المؤلفات قد عنيت بقصص القرآن الكريم فأجادت ، وإن الأم إذا نظرت فى بعض هذه المؤلفات مع قراءتها المتأنية المتدبرة فى قصص القرآن سوف يزودها بالقصص الجيد والعبارة الممتازة والأسلوب الشيق ، إن عليها أن تبسط هذا القصص ليلائم مستوى عقول أبنائها .

وكذلك تجد فى السنة النبوية قصصا كثيرة هادية ومعلمة .

أما القصص الخرافى الذى يقولون إنه يفسح الخيال ويغذيه ، فإن على الأم المسلمة الداعية إلى الله أن تتركه سواء منه ما كان تراثا شعبيا توارثته الأجيال ، أو كان قصصا يكتبه بعض القصاصين المحترفين ، الذين لايعنيهم أن يشب الأبناء على أخلاق الإسلام وآدابه ، بل يرغبون فى أن لا يحدث هذا .

---

(١٩٥) سورة يوسف : ٣ .

وإن قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع تبسيط الأحداث بما يناسب السامعين لزاد أى زاد للأطفال ، وبخاصة ما ورد عن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم ، إذ فيه دائما عبرة وعظة ودعوة إلى التأمل ، مهما تكن شخصية المتأمل .

كما أن من الناس من يفضلون القصص العالمى الذى نشأ فى بيئات غير إسلامية واستهدف قيما غير إسلامية ، ويحاولون نشره بين أبناء المسلمين ، هؤلاء إنما يسيئون إلى الناشئين المسلمين إذ يحولون ولاءهم من الإسلام إلى غيره .

إن الأمة المسلمة يجب أن تكون على حذر من مثل هذا القصص ، مهما زوقوه وزخرفوه وزعموا أنه من علامات التحضر ، وتباهى بعض الناس بأنهم يعرفونه ويروونه .

وأمثلة هذا القصص كثيرة ــ وكلها مستورد ــ لايصلح لأبناء المسلمين ، وليس معنى ذلك أن نرفض قراءة القصص العالمى ــ إذ هو تراث الإنسانية كلها ــ ولكننا نرفض توقيت قراءته لأبنائنا ، ولا نلجأ إليه إلا إذا لم نجد البديل .

وإن الإشادة بأبطال هذا القصص العالمى الأجنبى لضار بصحة أبنائنا النفسية ، ومقلل بطريق غير مباشر من اعتزازهم بآبائهم وأجدادهم وتراثهم ودينهم وقيمه وفضائله ، ثم هو فى النهاية ارتماء فى أحضان ثقافات لا تحترم قيمنا الأخلاقية ، وتقعد لها بكل مرصد .

جـ ــ وأن تحرص كذلك ــ وبخاصة عندما يشب أبناؤها ويصبحون أكثر وعيا ــ بأن تحدثهم عن المسجد وأثره فى المجتمع المسلم ، وأن تهيئهم وتؤهلهم للذهاب إلى المسجد بصحبة الأب أو الأخ الأكبر ، بمجرد أن يكونوا قادرين على ذلك ــ وحدود هذه القدرة هى معرفة الوضوء والطهارة فى الثوب ومعرفة الصلاة .... الخ ــ فإن المسجد جزء أصيل من شخصية المسلم وعامل هام من عوامل تربيته .

إن على الأم أن تعلم أبناءها كل ذلك فى البيت ، وبخاصة ما يجب أن يصحب الصلاة من خشوع ، وما يلزم من آداب لأداء الصلاة فى جماعة ، إلى غير ذلك من صفات أساسية فى المصلى وفى المتعبد فى المسجد ، كى يتأدب الأبناء بأدب المسجد ، فلا يصخبون فيه ، ولا يتحركون بسرعة ، ولا يرفعون أصواتهم بالكلام .

إنها يجب أن تزرع فى نفوسهم حب المسجد واحترامه والمحافظة عليه ، انطلاقا من حقيقة تربوية يجب أن تبثها فى نفوسهم وهى : إذا كان من الواجب علينا أن نحافظ على بيوتنا نظيفة مرتبة هادئة لاصخب فيها ولاصياح ، فما بالنا ببيت الله سبحانه وتعالى ؟

إن هذا هو الذى يعلم أبناءنا كيف يفيدون من المسجد .

وإن الأم التى تحبب أبناءها فى المسـجد إنما تقربهم بذلك من روح الإسلام ولبابه .

وإن نظرة الطفل إلي صفوف المسلمين وهــم يصلون ، ومشاركته لهم فيها ، ليشعره من زمن باكر فى حياته بأن المسلمين جميعا صف واحد ، وألفة ومحبة ، ونظام ومساواة ، وطاعة وخشوع .

ولابد لى أن أشير إلي أن الأم تستطيع أن تصطحب أبناءها إلى المسجد عندما تذهب هى إليه بالإضافة إلى اصطحاب الأب لهم ، أو حين لا تكون ظروفه سامحة بذلك لسفره أحيانا أو لقضاء معظم اليوم فى عمله .

إن تعلق الأبناء بالمساجد هدف كبير من أهداف التربية الإسلامية ، وهدف جليل من أهداف الدعوة إلى الله .

وإن تعلم الطفل قراءة القرآن فى المسجد وحفظه بعض سوره ، واستماعه إلى بعض الدروس فى تفسير القرآن أو شرح الأحاديث النبوية أو السيرة المطهرة أو غيرها مما ينفع ويفيد ، إن ذلك يسهم تماما فى بناء شخصية إسلامية جيدة لكل أبناء المسلمين .

إن هذا العمل العظيم منوط بالمرأة المسلمة الداعية إلى الله .

د ـ وأن تحرص على أن تكوّن فى بيتها مكتبة إسلامية ملائمة لأعمار أبنائها ، وأن تختارها بعناية ، بحيث تلبى احتياجاتهم فى مجالى الثقافة والتسلية لمن يعرفون القراءة من الأبناء.

أما الذين لم يتعلموا القراءة بعد فلا ينبغى أن يهملوا ، وإنما تستطيع الأم الداعية إلى الله أن تحقق لهن الثقافة والتسلية أيضا عن طريق إسماعهن بعض الأشرطة المسجلة التى تحتوى على قصص وحكايات هادفة ، وسير لبعض الأنبياء وبعض الصحابة وبعض الصالحين والمصلحين .

كمـا تستطيع أن تجعلهـم يشاهدون بعـض الأشرطـة المسموعـة المرئـية « الڤديو » التى سجلت عليها مواد نافعة تغنى إلى حد كبير عما يقدمه « التلفاز » الذى يسيطر عليه ناس لا يقيمون وزنا كبيرا للقيم الإسلامية فى التربية فيتحدونها بكثير من الغث الردىء الذى يقدمونه بقصد أو دون قصد ، فيغرى الأطفال بكثير من القيم المضادة للإسلام وأنماط السلوك العابثة فى المجتمع ، ولا نستثنى من ذلك إلا القليل الذى يأخذ حكم الندرة .

وفى حدود علمى فإن بعض دور النشر والدعاية ، قد أعدت أشرطة مسموعة

وأخرى مرئية ، تنبع من رؤية إسلامية لما ينبغى أن يسمعه أو يشاهده الطفل .

إن الأم الداعية إلى الله هى المسئولة عن ذلك كله ، وهو من صميم وظيفتها فى بيتها.

هـ ـ وأن تحرص المسلمة ربة البيت على ضبط أبنائها فى النوم واليقظة ، بحيث لا يسهرون فيضرون بذلك أبدانهم وأخلاقهم ، إذا كانت السهرة مع التلفاز فى أحد أفلامه أو مسرحياته ، التى تستأصل فى الغالب القيم الفاضلة فى نفوس الشباب صغارا وكبارا ، وتتحدى الإسلام وهى تشجع على الرذائل ، ولا تعرض من الظواهر الاجتماعية إلا السيِّىء منها .

إن الأبناء لن ينضبطوا فى ذلك إلا إذا كانت الأم منضبطة كذلك ، فليس من المقبول أن نأمر بالمعروف ولا نأتيه أو ننهى عن المنكر ونأتيه ، ومايشك أحد فى أن السهر مع التلفاز ضار بالصحة والخلق ، طالما يسيطر عليه أصحاب الفكر المنحرف عن الحق وعن الفهم الصحيح لوظيفة التلفاز .

والبيت المسلم يَنام بعد أداء فريضة العشاء ليستيقظ نشيطا مرتاحا سعيدا يؤدى صلاة الفجر دون تثاقل أو تثاؤب ، وليستأنف حياته اليومية بعد أن بدأها بعبادة الله سبحانه وتعالى سعيدا راضيا .

وما أضر المجتمعات المسلمة فى دينها شىء مثل ما أضرها السهر فى المسارح والسينمات وأمام شاشات التلفاز ، إنهم بهذا السهر يدمرون قوى الإنسان الإنتاجية ثم يتصايحون مطالبين بالإنتاج وبوفرة الإنتاج !!!

و ـ وأن تحرص على أن لا تقع أعين أبنائها فى البيت على شىء يغضب الله ، أو يخالف شيئا مما أمر به الإسلام ، من تمثال أو غيره ، أو كلب يعايش الأولاد فى البيت ، أو صور لا يسمح بها الإسلام ، فإن وقوع أعين الأبناء على هذه الأشياء فى البيت تعودهم التساهل فى أمر دينهم وعبادتهم .

وإذا ما شب الأبناء على ذلك فربما كانت عودتهم إلى الدين وآدابه شيئا أكثر صعوبة ، وإن تحليل هذه الصعوبة وردها إلى أسبابها لن يعدو فى الغالب أن يكون قد أنس إلى ذلك فى طفولته .

ويدخل فى هذا الذى تقع عليه حواس الطفل ، تلك الكلمات التى تتداول فى كثير

من بيوت المسلمين كمناداة الطفل أباه وأمه وأخاه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته بكلمات غير عربية بدعوى أن هذا أدخل فى اللياقة وأدل على الرقى الاجتماعى ، وتلك حجج واهية ، لايقبلها من يعتز بدينه ولغته وقوميته .

والمسلم ينبغى أن يشب معتزا بكيانه وأمته وشخصيته ، أما كيانه فهو أنه يؤمن بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، وأما أمته فهى الأمة الإسلامية ، فأما شخصيته فتعنى تراث الإقليم الذى يعيش ، وكل أقاليم العالم الإسلامى جنسيتها الإسلام ولغة عبادتها لربها هى العربية ،بهذا يكون الاعتزاز ، إن المسلم التركى أو الفارسى أو الهندى خير له وحفاظ منه على شخصية أبنائه أن لا يجعلهم يتحدثون غير لغة الإسلام العربية أو لغتهم القومية تركية أو فارسية أو أردية .... إلخ

أما ترطن ألسنة أبنائنا منذ نعومة أظفارهم لغات أعدائنا الذين يكيدون لنا فهذا ما يدل على غفلة وسذاجة وسوء انتماء .

ولقد رطنت أجيال من أبناء المسلمين فى بلدان عديدة بهذه الكلمات ثم بلغة غير لغتهم ففقدت هذه الأجيال من شخصيتها وانتمائها للإسلام ما فقدت ، ثم كانت هذه الأجيال بعد أن كبرت حربا على كثير من قيم الإسلام وآدابه وأخلاقه .

فمنهم من نادى بسفور المرأة وهتك ما أمر الله من حجاب .

ومنهم من نادى باختلاط النساء بالرجال فى المدارس والجامعات .

ومنهم من نادى باختلاط النساء بالرجال فى المصانع والمكاتب.

ومنهم من نادى بحرية الرجل والمرأة فى اتخاذ الأخدان .

ومنهم من نادى بأن الدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه ، وأن التعبد بأخلاق الإسلام فى المجتمع لا لزوم له .

ومنه من أطلق العنان باسم الحرية الشخصية لشرب الخمر والزنا .

ومنهم ..... ومنهم .....

ومن المؤكد أن كل هؤلاء المنادين بهذه الانحرافات ينتمون إلى الغرب وإلى ثقافته وإلى مبادئه وقيمه ، وإن كانت أسماؤهم عربية إسلامية ، وليست مصر وحدها لوجود قاسم أمين وأضرابه وإنما جميع بلدان العالم الإسلامى كان فيها « قاسم أمين

وأضرابه »[196] .

ونؤكد ـ كذلك ـ أن اللغة وعاء الفكر وأن العبث بها عبث بالفكر نفسه فى هذه السن الصغيرة ، كما أن تصورنا أن لغات غيرنا أهم من لغتنا انتكاس قومى إسلامى بكل معيار من معايير وزن الانتكاس .

ز ـ وأن تحرص الأم الداعية على أن تكون مصادر ثقافة أبنائها نقية لا يشوبها شىء من الترهات والأباطيل أو المغالطات ، وذلك بأن تجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ أساسا لمصادر هذه الثقافة ، وأن تضيف إلى ذلك الكتب المختارة المبسطة الملائمة لأبنائها فى شرح هذه المصادر الأساسية .

إن الأبناء الذين يشبون على أن تكون هذه مصادر ثقافتهم يشبون واعين جادين مدركين لوظائفهم فى الحياة ، حريصين على أداء واجبات هذه الوظائف ، كما أن ذلك يعلمهم منذ طفولتهم أن الحياة حقوق وواجبات وأنهم بقدر ما يأخذون عليهم أن يعطوا ، وتلك هى وسائل النجاح فى الدنيا والآخرة .

ح ـ وأن تحرص الأم الداعية إلى الله على أن تزود أبناءها بالإجابات الصحيحة عن كل سؤال يطرحونه فى طفولتهم ، وبخاصة فى فترات معينة من سنى أعمارهم ، وهى سنوات التطلعات إلى ما حولهم ومحاولة إيجاد علاقات بين الموجودات ، ومحاولة الاستفسار عما يحدث لبعض أجزاء أجسادهم من نمو .

إن الأم التى تترك ذلك دون إجابة عند أولادها ، إنما تترك للأخيلة أن تكون عندهم المعارف والمعلومات ، أو تتركها لقرناء السوء أو لمن يجهلون ، وكل ذلك خطأ فادح فى تربية الأبناء .

وما لنا نخجل مما لا ينبغى الخجل منه ؟

ومالنا نخفى عن أبنائنا مالابد أن يبدو ويظهر ؟

أنخجل من الحديث عن فطرة الله التى فطر الناس عليها ؟

نعم : ربما كان من الحكمة أن تترك الأم بعض الإجابات عن بعض أسئلة البنين

---

(١٩٦) للتوسع فى هذا الموضوع المسمى بالفرنجة أو التغرب الفرئى : للمرحوم محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، ولمصطفى صادق الرافعى : وحى القلم ، وتحت راية القرآن .

لآبائهم ، وأن يفعل الأب نفس الشيء مع بناته .

إن سؤال الأبناء عن هذه الأمور له صلة وثيقة بالطهارة والغسل واستباحة الصلاة وقراءة القرآن ومس المصحف ، وكل ذلك من الدين والأصل الذى يعرفه كل المسلمين والمسلمات : أنه لا حياء فى الدين .

وقد روى البخارى بسنده قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يستحى من الحق .. » (١٩٧) .

ط ـ كما أن على الأم الداعية أن تختار صديقات بناتها وفق معايير الإسلام وأخلاقه وآدابه ، وأن تتابع هذه الصداقات وتحيطها دائما بالرعاية والاهتمام ، وأن تحرص على أن تستمر هذه الصداقة فى مجراها الطبيعى المشروع لاتتجاوزه إلى غيره ، مما يتهامس به المراهقات .

إن وعى الأم الداعية لهذه الأمور يجنب بناتها كثيرا من المشكلات التى قد يتعرضن لها ، إذا كان لهن صديقات غير ملتزمات بأخلاق الإسلام وآدابه .

وعلى الأب أن يشمل أصدقاء أبنائه بنفس الرعاية والاهتمام ، وأن يعيش هموم الشباب من أبنائه ، ويشاركهم فيها ما وسعه الوقت وواتاه الجهد ، فإن ذلك أفضل ما يحافظ به على أبنائه من أن ينحرفوا ، كما يحافظ بذلك على أبناء المسلمين فيؤجر على ذلك .

إن الإهمال فى هذا الواجب بالنسبة للأم أو للأب يؤدى إلى أن يقع الأبناء فريسة فى أيدى المنحرفات من البنات والمنحرفين من البنين ، وعندئذ يكون الندم .

وإن المنحرفات والمنحرفين عن الدين والخلق الإسلامى كُثُر فى المجتمع ، ونحن نعلم جميعا أن الصحة لاتعدى كما يعدى المرض .

ى ـ وأن تخصص الأم الداعية لأبنائها وقتا بعينه فى يوم من أيام الأسبوع ، تجلس إليهم ولا تنشغل بسواهم من الناس أو الأمور ، وأن تقيم علاقتها بهم على أساس من الود والاحترام ، وأن تتعرف من خلال هذه الجلسات على مشكلاتهم وما فى أنفسهم من متاعب أو مسائل لايجدون لها حلا ، إنها إن لم تفعل وإن لم تنتظم فى ذلك سمحت لهذه المشكلات والمتاعب والمسائل أن تنمو فى غير الاتجاه الصحيح ، وقد تصل فى بعض

---

(١٩٧) البخارى : صحيحه : باب العلم ، وأبو داود : سننه ١/١٠٣ ط التجارية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

الأحيان إلى حد الأزمة أو المشكلة المستعصية على الحل .

وتستطيع الأم أن تخصص هذا الوقت أحيانا لاصطحاب أبنائها فى نزهة خلوية ترفيهية ، ويا حبذا لو شارك الأب فيها وكان لديه متسع من الوقت ـ وإن لديه لمتسعا من الوقت إذا هو التزم بما اقترحنا من توزيع للعمل على أيام الأسبوع فيما سبق من هذا الكتاب (١٩٨) .

وإذا كان هذا واجب الأم الداعية إلى الله ، فإنه كذلك واجب الأب ، فمهما يكن وقته مملوءا بالعمل والسعى على الرزق ، فإنه لابد أن يلزم نفسه بأن يفرغ لأبنائه نصف يوم من كل أسبوع على الأقل ، ولن يعجزه ذلك وفق تحديد أوقات الدعوة والعمل فى اليوم والليلة .

إن الأب الذى يجالس أبناءه ويتحدث إليهم فى أمورهم ومايعانونه من مسائل ومشاكل ، يجنب أبناءه كثيرا من الزلل ، ويجنب نفسه كثيرا من الندم فيما لو زل بعض أبنائه نتيجة لتخليه عنهم أو انشغاله دونهم .

٢ ــ عملها مع قريباتها وصديقاتها وجاراتها :

على الداعية إلى الله واجبات عديدة نحو قريباتها وصديقاتها وجاراتها ، صغارا أو كبارا ، لأن الداعية إلى الله مادامت قد هديت إلى الحق فإنها مطالبة دائما بأن تعمل على هداية غيرها إليه ، إن ذلك واجبها داعية إلى الله تعرف واجبية الدعوة وآدابها .

وإنما قدمنا عملها مع قريباتها على عملها مع صديقاتها وجاراتها ؛ لأنهن ألصق بها وأقدر على رؤية ما هى عليه من هدى وسعادة ، وهى أقدر على رؤية ما يحيط بهن رؤية دقيقة ، كما أن تلك سنة من سنن الدعوة إلى الحق ، يبدأ الإنسان بنفسه ثم ببيته ثم بعشيرته ثم بسائر الناس الأقرب فالأقرب .

فلقد أمر الله سبحانه نبيه سيد الدعاة إلى الله فهداه بما أوحى إليه ثم أمره بهداية غيره ، فأنزل عليه من أوائل ما أنزل من القرآن الكريم : ﴿ **يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر** ﴾ (١٩٩) .

ثم وسع الله أمامه دائرة الدعوة ، فأمره أن ينذر عشيرته الأقربين فقال سبحانه : ﴿ **فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين . وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض**

---

(١٩٨) انظر الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب .

(١٩٩) سورة المدثر : ١ ــ ٧ .

جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ (٢٠٠) .

ثم اتسع نطاق الدعوة إلى الله حتى شمل البشرية كلها ، كما وردت بذلك آيات القرآن الكريم ، فى قوله سبحانه وتعالى : **﴿ قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾** (٢٠١) .

هكذا رتب الله الدعوة إليه فى تدرج منطقى ، جدير بأن يحظى بالإجابة من المدعوين .

إن الداعية إلى الله عليها أن تتأسى بذلك وهى تمارس الدعوة إلى الله ، فإذا كانت قد بدأت بنفسها ثم ببيتها ، فإن التالى لذلك أن تبدأ بقريباتها ، فصديقاتها ، فجاراتها .

فماذا تفعل مع هؤلاء القريبات والصديقات والجارات ؟

وذلك ما نذكر بعضه فى النقاط التالية :

أ ـ عليها أن تنشئ بهن علاقات طيبة تقوم على المودة والمجاملة عموما ، وعلى التودد إليهن والتلطف بهن خصوصا ، فليس مثل ذلك شيء يفتح مغاليق القلوب .

فإن كن يكبرنها سنا فلهن عليها الاحترام والتقدير والتوقير الذى أمر به الشارع الحكيم .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن رصيد الداعية إلى الله ـ بعد تقوى الله والتزود بالعلم والعمل الصالح ـ هو أن تكون محببة إلى من تدعوهن ، وهناك سقنا الحديث الشريف : « المؤمن مَأْلف ولا خير فيمن لا يألَف ولا يُؤلَف » (٢٠٢) .

فإذا كن أصغر منها سنا كان عليها أن تعاملهن بالرقة والرحمة ، وأن تشعرهن بأهميتهن فى العمل ، وأهميتهن بالنسبة للدعوة وبالنسبة للداعية نفسها .

وعليها أن توضح لهن أن المستقبل المشرق للإسلام سوف يكون بجهودهن وبمدى إقبالهن على الحق ودعوتهن غيرهن إليه .

كما أن الداعية مطالبة بأن تؤكد لكل من تتعامل معه من النساء ، أن العائلة والمجتمع

---

(٢٠٠) سورة الشعراء : ٢١٣ ـ ٢١٦ .
(٢٠١) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٢٠٢) الإمام أحمد : مسنده : ٤٠٠/٣ .

المحلى والمجتمع المسلم كله ينتظر منهن عطاء كثيرا فى أى مجال يكن فيه ، وأن تفسح صدرها دائما لتقبل الأسئلة والمناقشة وأن تتبع فى ذلك أدب الحوار فى الإسلام .

ب ـ وأن تحسن الداعية إلى الله اختيار الموضوعات والقضايا والمسائل والمشكلات التى تصلح أن تكون موضوعا للحوار والمناقشة ، بحيث لا تكون من الموضوعات التى تثير الجدل وتولد البغضاء كالموضوعات الخلافية ، أو التى تحمل هجوما على طائفة من المسلمات .

ونستطيع أن نشير هنا إلي بعض النماذج من هذه الموضوعات التى نراها ـ بحكم التجارب التى مرت بنا ـ صالحة لذلك وهى :

١ ـ مكانة المرأة فى الإسلام مقارنة بمكانتها فى ظل الحضارات والنظم الأخرى وبخاصة من حيث حقوقها وواجباتها .

٢ ـ وتعليم المرأة وضرورة أخذها حظها من الثقافة والعلم المتخصص ، ووسائل الحصول على ذلك ومدى ملاءمة هذه الوسائل للمرأة المسلمة .

٣ ـ واختلاط المرأة بالرجل فى التعليم بمختلف مراحله وبخاصة الجامعى ، واختلاطها به فى العمل ، ومدى ما يتركه هذا الاختلاط من آثار أخلاقية واجتماعية فى الرجل والمرأة على السواء .

٤ ـ والملابس التى ترتديها المرأة المسلمة ، وموقف الإسلام من تحديد هذه الملابس ، وتوضيح ما يجب أن تستره من جسم المرأة ، ومالهذه الملابس من أثر أخلاقى واجتماعى على الرجال والنساء ، وإلى أى حد يسهم الزى غير الملتزم بالإسلام فى الجرائم الخلقية التى تبدأ بالنظر إلى جسم المرأة شبه العارى فى العصر الحديث .

٥ ـ وموقف المرأة المسلمة من موجات التحلل والانحراف عن أخلاق الإسلام ، وتأثير وسائل الإعلام فى التشجيع على هذه الموجة ، وبخاصة الأفلام الهابطة والمسرحيات الماجنة المستهترة والقصص الجنسى الهابط وشعراء الخمر والنساء والمراقص ، ومخرجو الظواهر الاجتماعية الهابطة أخلاقيا وتخصص بعضهم فيها ، ومؤلفو الأغانى الخادشة للحياء ، ومصممو الرقصات النسائية المثيرة للغرائز وغيرها .

إن مثل هذه الموضوعات بحاجة إلى أن تكون موضع بحث ودراسة ، وحوار ونقاش بين النساء ليعرفن وجه الحق فيها ، ولتعرف كل امرأة موقف الإسلام من ذلك وموقفها هى وموقف كل امرأة يعنيها أمرها .

جـ ـ وأن تحاول الداعية إلى الله بلباقة وهدوء وعقلانية أن تذكر هؤلاء النساء بواجباتهن نحو الله سبحانه ، وموقفهن مما أمر به ونهى عنه .

وموقفها من نفسها من حيث ضرورة اهتمامها بالثقافة العامة والثقافة الإسلامية وتوسيع دائرة المعرفة لديها ، والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل .

وأن تذكرهن بواجبهن نحو أزواجهن وبيوتهن وأبنائهن وأخواتهن ، وأن توضح لهن ما وضعه الإسلام لهذه العلاقات من نظم وآداب ، وما أوجبه على المسلمة من اعتزاز بدينها وبالانتماء إليه ، وأن تفسر لهن ما يترتب على فقد هذا الاعتزاز وهذا الانتماء .

د ـ وأن تبذل الداعية إلى الله جهدا معقولا فى عقد صداقات بين قريباتها وعدد من الداعيات إلى الله الملتزمات بمنهج الإسلام فى حياتهن المتمسكات بقيمه وآدابه ، وذلك أن هذه الصداقات سوف تحقق مصلحة مزدوجة للداعية وللمدعوة على السواء .

أما الداعية فسوف تستفيد سرعة استجابة من تدعوهن لتأثرهن فى تلك الصداقة بهؤلاء الداعيات ، فيكون النجاح من حظ الداعية إلى الله .

وأما المدعوات فسوف يستفدن قربا من هؤلاء الداعيات الصالحات ، فيزددن حبا للخير وإيثارا للحق ، لأن الصداقة والعلاقة أقوى وآكد من أى كلام أو وعظ حسن أو جدال بالتى هى أحسن ، وفى الحديث الشريف : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[٢٠٣] .

فأى كسب أحرزته هذه المدعوة إذا هى صادقت هؤلاء الداعيات إلى الله الصالحات ؟

إن هذا لكسب لايقادر قدره ، إنه كسب للدنيا وللآخرة .

هـ ـ وأن تبذل الداعية إلى الله جهدها المستطاع كله فى أن تحبب إلى قريباتها وصديقاتها وجاراتها أداء بعض فروض الصلوات فى المسجد ، فإن ذلك بإذن الله يفتح العين والعقل والقلب على الحق والخير والهدى ، ويدع روح المسجد تتغلغل فى العقل والقلب فتكون الاستقامة ويكون حب الخير لكل الناس .

---

(٢٠٣) أبو داود : سننه : ٣٥٩/٤ ،ط السابقة .

وبحسب أى امرأة مسلمة أن تتردد على المسجد مرة أو مرتين فى اليوم ملتزمة بأدب الإسلام فى الذهاب إلى المسجد ، ليتحقق لها من التردد على المسجد مالا تتصور من الخير فى الدنيا والآخرة .

وإذا استطاعت الداعية إلى الله أن تجعل لهؤلاء النساء دروسا فى المسجد يتعلمن فيها تلاوة القرآن الكريم ، ويستمعن فيها إلى بعض الدروس الدينية فى التفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية ، فإن ذلك يكون من علامات توفيق الله سبحانه وتعالى للداعية إلى الله فى عملها .

وإن ذلك كذلك ليحقق فائدة مزدوجة للداعية والمدعوة على السواء .

أما الداعية فبشراها قول الرسول ﷺ : « لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »[٢٠٤] فقد تسببت فى هداية واحدة من النساء إلى الحق فجزاؤها عند الله عظيم .

وأما المدعوة فبشراها أنها انتقلت من الضلال إلى الهدى ، ومن ذل المعصية إلى عز طاعة الله ، وأنها أدركت ما لها وما عليها فى هذه الحياة الدنيا .

و ـ وأن تحاول الداعية إلى الله تعويد هؤلاء المدعوات على التعاون فى سبيل الخير ، لأن بث روح التعاون أو غرسها فى النفوس هو خير ما يتعلمه الإنسان المسلم ، وخير ما يعود عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه بالخير فى الدنيا والآخرة .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين والمسلمات جميعا بالتعاون على البر والتقوى ، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾[٢٠٥] .

ومن أبواب التعاون المشكورة المأجورة بإذن الله تعالى التعاون على العناية بالمسجد ، وعلى رعاية مرافقه وبخاصة مكتبته ، ونظافته وترتيبه والاهتمام بكل ما فيه .

ثم التعاون على فعل الخير وإسدائه لكل من يحتاج إليه من المسلمات ، والتعاون على رعاية الأرامل واليتامى والعاجزات عن العمل والكسب .

إن ذلك هو صلب الإسلام وجوهره ، والدليل الأكيد على أن المسلمة ليست منسوبة إلى الإسلام لمجرد اسمها وكنيتها ، وإنما هى منسوبة إليه بعملها وبما تحب من خير لأخواتها المسلمات .

---

(٢٠٤) البخارى : صحيحه : ٥/٢٣ ، ط الشعب السابقة .

(٢٠٥) سورة المائدة : ٢ .

ز ـ وأن تبذل الداعية إلى الله ما تستطيع من جهد فى سبيل أن تقدم لهؤلاء المدعوات بعض الهدايا العينية المعبرة عن المحبة والتآلف ، والتى تزيد العلاقة بين المسلمات وثاقة وقوة وتذهب ما يمكن أن يكون من وَحَر الصدور .

وإن هدية تتمثل فى مصحف شريف على هامشه تفسير وجيز مبسط ، أو كتابا وجيزا من كتب السنة النبوية أو السيرة النبوية ، أو أى كتاب ترى الداعية فيه فائدة عامة للمسلمة وللإسلام ـ إن هذه الهدايا ليست بسيطة وليست هينة فى تحبيب المدعوة فى الإسلام وفى فعل الخير ، وفى الوقت نفسه هى أسلوب فى توثيق المودة ، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تهادوا ، فإن الهدية تذهب وَحَر الصدر » (٢٠٦) .

وبعد : فإن كل ما ذكرنا مما رأينا واجبا على الداعية إلى الله فى التعامل به مع قريباتها وصديقاتها وجاراتها ، هو الأصل الذى بمقتضى الأخذ به تنجح الداعية فى عملها .

وليس كالإسلام دين حث على رعاية العلاقات الطيبة بين الناس ، أقرباء وأصدقاء وجيران .

والصديقة هى تلك المرأة التى تعقد الداعية إلى الله معها أخوة فى الله ، وقد جاء فى السنة النبوية الشريفة الحث على التآخى فى الله ، بين الرجال ، والتآخى فى الله بين النساء كذلك ؛ لأن ما كلف به الرجال من أخلاق وآداب كلفت به النساء كذلك .

* روى ابن أبى الدنيا « فى كتاب الإخوان » بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لاينالها بشىء من عمله » .

* وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء » فقالوا : يا رسول الله ، صفهم لنا ، فقال : « هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله » .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ

---

(٢٠٦) الترمذى : سننه : ٢٩٨/٣ ، ط الكتبى القاهرة دون تاريخ . والوحر أو الوغر فى الصدر : غيظه .

يرفعه إلى ربه عز وجل : « حقت محبتى للمتحابين فىّ ، وحقت محبتى للمتزاورين فى وحقت محبتى للمتباذلين فىّ ، وحقت محبتى للمتواصلين فىّ » .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ فقال : « أى عرى الإسلام أوسط ؟ » ـ أى أوثق ـ قالوا : الصلاة ، قال : « حسنة وما هى بها » ، قالوا : الزكاة ، قال : « حسنة وما هى بها » ، قالوا : صيام رمضان ، قال : « حسنة وما هو به » ، قالوا : الجهاد ، قال : « حسن وما هو به » ، قال : « إن أوسط عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله » .

* وروى أحمد بسنده عن الطفيل عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام ، فلما جاوزهم قال رجل منهم : والله إنى لأبغض هذا فى الله ، فقال أهل المجلس : فبئس والله ما قلت ، أما والله لتنبئنه ، قم يا فلان ـ رجل منهم ـ فأخبره ، قال : فأدركه رسولهم فأخبره بما قال ، فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان فسلمت عليهم فردوا السلام ، فلما جاوزتهم أدركنى رجل منهم فأخبرنى أن فلانا قال : والله إنى لأبغض هذا الرجل فى الله ، فادعه فسله على ما يبغضنى ؟ فدعاه رسول الله ﷺ فسأله عما أخبره الرجل ، فاعترف بذلك وقال : قد قلت له ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « فلم تبغضه ؟ » قال : أنا جاره وأنا به خابر ، والله ما رأيته يصلى صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التى يصليها البر والفاجر .

قال الرجل : سله يا رسول الله ، هل رآنى قط أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها ؟ أو أسأت الركوع والسجود فيها ؟ فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : لا .

ثم قال : والله ما رأيته يصوم قط إلا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر ، قال : فسله يا رسول الله ، هل رآنى قط أفطرت فيه أو انتقصت من حقه شيئا ؟ فسأله رسول الله ﷺ ، فقال : لا .

ثم قال : والله ما رأيته يعطى سائلا قط ولا رأيته ينفق من ماله شيئا فى شىء من سبيل الله بخير إلا هذه الصدقة التى يؤديها البر والفاجر ، قال : فسله يا رسول الله ، هل كتمت من الزكاة شيئا قط أو مَاكستُ فيها طالبها ؟ قال : فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : لا ، فقال له رسول الله ﷺ : « قُم إن أدرى ـ ما أدرى ـ لعله خير منك »[٢٠٧] .

---

(٢٠٧) الإمام أحمد : مسنده : ١٥٥/١٩ ـ شرح وتحقيق أحمد عبد الرحمن البنا .

* وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحبَّ عبدٌ عبداً لله عز وجل إلا أكرم ربه عز وجل » (٢٠٨) .

« وإكرام الله تعالى يعنى امتثال أوامره واجتناب نواهيه .

والحب فى الله من الأمور التى حث عليها الشارع فمن أحب إنسانا لله عز وجل فقد امتثل أمره وبهذا الاعتبار يكون قد أكرم ربه » (٢٠٩) .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » ، ويقول : « والذى نفس محمد بيده ، ما توادّ اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما » ، وكان يقول : « للمرء المسلم على أخيه ست :

يشمته إذا عطس ،

ويعوده إذا مرض ،

وينصحه إذا غاب ،

ويشهده ويسلم عليه إذا لقيه ،

ويجيبه إذا دعاه ،

ويتبعه إذا مات » (٢١٠) .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زار المسلم أخاه فى الله أو عاده قال الله عز وجل : طبت وتبوأت من الجنة منزلا » وفى رواية زاد : « وطاب ممشاك » بعد قوله : « طبتَ » .

وبعد : فلعلنى بذلك أكون قد أوضحت عمل المرأة المسلمة الداعية إلى الله مع قريباتها وصديقاتها وجاراتها ، ولعلى بذلك أكون قد أكدت أن عليها واجبا نحو كل امرأة تحيط بها وتتصل بحياتها من قريب أو بعيد ، لتؤدى بذلك واجب الدعوة إلى الله .

---

(٢٠٨) السابق : ١٥٦/١٩ .

(٢٠٩) هذا الشرح للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا فى التعليق على الحديث النبوى السابق .

(٢١٠) السابق : ١٥٩/١٩ .

٣ ـ عملها في المسجد القريب من بيتها :

المسجد بالنسبة للداعية المسلمة أهم مكان تلتقى فيه بصالحات المسلمات ، وتوثق بهن رابطة الحب فى الله والتآخى فيه .

وإذا كانت المسلمة الصالحة ممن يترددن على المسجد فهذا فضل من الله عظيم ، وهو شهادة لها بالإيمان ، وهى بهذه الصفة أصلح من سواها لتقبل الدعوة إلى الله والالتزام بأدب الإسلام وخلقه .

وإن الداعية إلى الله لتجد فى المسجد فرصا عديدة للعمل المثمر الذى يقربها من المدعوات ويقرب المدعوات منها ، ويمكنها من أن تحقق فى مجال الدعوة إلى الله نجاحا وتوفيقا.

وإن عمل الداعية فى المسجد يتنوع إلى أنواع كثيرة نُذكِّر منها بما يلى :

أ ــ الأنشطة التى تقوى روابط الأخوة بين المسلمات .

ب ــ والأنشطة الثقافية التى تعرف المدعوات بالإسلام .

جـ ــ والأنشطة العملية التى تطبع المسلمات على العمل بعد العلم .

ولكل نوع من هذه الأنواع فروع أو مفردات نتحدث عنها على النحو التالى :

أ ــ الأنشطة التى تقوى روابط الأخوة بين المسلمات :

سبق أن قلنا إن التآخى بين المسلمات مطلب شرعى ، والداعية إلى الله تجد فى المسجد مجال لتقوية هذه الرابطة إذا هى قامت بعمل الآتى :

١ ــ التعارف على النساء اللاتى يترددن على المسجد من تلقاء أنفسهن ، وتشجيع من لا تتردد منهن على المسجد على أن تتردد عليه ، وهذا التعارف هو بداية الحب فى الله ، وهو مطلب شرعى جاء فيه قوله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[٢١١] .

فهذا التعارف يؤكد الأخوة ويزكيها ويعرف بحقوقها وواجباتها ، وهذا فى حد

(٢١١) سورة الحجرات : ١٣ .

ذاته كسب كبير للعمل الإسلامى .

إن المسلمات إذا تآخين فى الله كان ذلك أدعى إلى أن يقمن بأعمال كثيرة من أجل الإسلام تعود عليهن بالنفع والفائدة فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ والتفاهم بين الداعية إلى الله وبين المسلمات فى المسجد ، وليس التفاهم هنا يعنى التفاهم على قضية من القضايا أو على وجهة نظر بعينها حول موضوع بعينه ، وإنما هو أعمق من ذلك وأثرى ، إنه إيجاد نوع من التآلف الفكرى والتقارب فى الميول والاتجاهات بالنسبة للعمل الإسلامى ، التفاهم على العمل وعلى أولويات هذا العمل ، والتنسيق فيما بينهن بحيث تقوم كل واحدة بالعمل الذى تستطعيه .

٣ ـ والتعاون فيما بينهن والتناصر والتواصى بالحق والصبر على متاعب التمسك به ، التعاون الذى يصل إلى حد أن تعرف الداعية الظروف المحيطة بالمدعوات ، وأن تشجعهن على التعاون فى جلب المصالح وفى دفع المضار .

إن هذا التعاون إن مشى فى طريقه الصحيحة أوصل المتعاونين إلى التكافل فيما بينهن وهذا هو الإسلام فى صورته العملية المطلوبة .

ب ـ الأنشطة الثقافية فى المسجد :

وهذه الأنشطة الثقافية ليس الهدف منها فقط حشد المعلومات فى عقول المدعوات ، وإنما ينبغى أن يتسع مفهوم الثقافة حتى يتناول مع الثقافة الخبرة العملية الميدانية .

ومن أنواع هذه الأنشطة ما يلى :

١ ـ تنظيم دروس لتعليم أحكام تلاوة القرآن والتدرب على التلاوة والتأكيد على الدقة فى النطق والصحة فى مخارج الحروف .

إن تلاوة القرآن يجب أن تكون وردا يوميا للمسلمة لا تتخلى عنه إلا لضرورة ، إن تلاوة القرآن ومصاحبته تترك أحسن الأثر فى نفس من تتلو ، وتطبع الخلق على الفضائل وتقرب بينه وبين الله تبارك وتعالى .

٢ ـ وتنظيم دروس فى شرح آيات من القرآن الكريم وبخاصة تلك السور أو الآيات التى تتضمن الحياة الاجتماعية وما يجب أن يسودها من قيم ، وتتضمن حديثا عن حقوق المرأة وواجباتها وما يتصل بها من أحكام وآداب .

وذلك مثل : سورة النور ، وسورة الأحزاب ، وسورة النساء ، وسورة التحريم ، وسورة الطلاق ، وسورة المجادلة ، وغيرها من الآيات والسور الكريمة .

وليس هدف هذه الدروس هو استظهار ما يقال فيها وإنما ممارسته عمليا في الحياة ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفظ سورة البقرة وحدها في سنتين ونصف سنة ، فلما سئل عن السبب في طول هذه المدة ـ وهو رجل مشهور بالحفظ ـ قال : كنا لا ندع آية حتى نعمل بما فيها .

٣ ـ وتنظيم دروس في الحديث النبوى وشرحها وأخذ العظة منها ، ولعل كتابى : « الترغيب والترهيب » للمنذرى ، و « رياض الصالحين » للنووى ، من أفضل الكتب في هذا المجال .

٤ ـ وتنظيم دروس في الفقه الإسلامى عبادات ومعاملات مع التركيز على فقه العبادات ، وبخاصة ما يتصل بأبواب الطهارة وأبواب الحيض والنفاس والاستحاضة ، فإن في ذلك فائدة وأى فائدة للمرأة المسلمة لتعرف الحلال والحرام في هذه الأمور الحيوية في حياتها ، فتعبد الله عبادة صحيحة وفق ما شرع سبحانه وتعالى .

٥ ـ وتنظيم دروس في العقيدة بشرح كتاب ميسر فيها ككتاب الشيخ حسن البنا المسمى « العقائد » و « كتاب التوحيد » للشيخ العدوى ، ثم كتاب « رسالة التوحيد » للشيخ محمد عبده .

إن المسلمة عليها أن تعرف من أمور العقيدة مالابد منه لتسلم عقيدتها من أى شبهة وليصح عندها توحيد الله سبحانه ، توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية .

إن ذلك هو الذى يزرع اليقين في القلوب .

٦ ـ وتنظيم دروس في السيرة النبوية المطهرة إذ هى السنة العملية .

ولتكن هذه الدروس من كتاب ميسر في السيرة مثل كتاب : « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » للشيخ الخضرى أو كتاب « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى .

جـ ـ والأنشطة التى تقوى في المسلمات الرغبة في العمل بعد العلم :

وهذه الأنشطة العملية هى الترجمة الحقيقية للإسلام وهى النتاج الحقيقى للداعية إلى الله ، وهى كغيرها أنواع كثيرة يمكن أن نشير إلى مفرداتها فيما يلى :

١ ـ تكوين جماعة من المسلمات فى المسجد للإشراف على مكتبته وتزويدها بالمصاحف والكتب النافعة ، ككتب الحديث والسيرة والكتب الإسلامية أو الثقافية الجيدة .

وتستطيع هذه الجماعة أن تشرف على نظافة المسجد ونظامه ، بغض النظر عما يقوم به خدم المسجد إن وجدوا .

٢ ـ وتكوين جماعة لتفقد أحوال اليتامى والأرامل فى دائرة المسجد ، لمدّ يد العون إليهن بما يدفع عنهن هذه الحاجة .

ولابد لى هنا من أرد على تساؤل قد يرد على أذهان بعض الناس وهو : إذا كانت المسلمات يقمن بهذا العمل فماذا تركن لمؤسسات الدولة التى هى مسئولة عن ذلك ؟

والجواب : أن فعل الخير ودفع الحاجة عن المحتاجات أجره عند الله عظيم ، ولن تستطيع الدولة أن تقوم بكل شيء ، ولايليق بالمسلمين والمسلمات أن يقفوا من هذه الظواهر الاجتماعية المؤلفة موقف من ينتظر أن تقوم الحكومة بواجبها .

٣ ـ وتكوين جماعة للتزاور بين النساء فى الحى الذى يقع فيه المسجد ، إحياءً لسنة الزيارة فى الله ، وتأكيدا للتعارف والتآلف الذى يجب أن يكون بين المسلمات .

إن هذا التزاور إذا تم وفق آداب الإسلام وأخلاقه كفيل بأن يقضى على كثير من المتاعب والمشكلات بتدارس أسبابها فى هذه الزيارات والعمل على إيجاد الحلول لها .

٤ ـ والعمل على تكوين جماعة من النساء للعناية بالأطفال الذين تصطحبهم أمهاتهم إلى المسجد ، لتوجيه هؤلاء الأطفال توجيهًا يبصرهم بحرمة المسجد وآدابه وآداب من يدخلونه للصلاة أو للتعلم أو الجلوس فيه بنية الاعتكاف ، وآداب الحديث فيه .

٥ ـ وتكوين جماعة من النساء لديهن خبرة لتعليم أخواتهن بعض الحرف البسيطة أو الأشغال الفنية النافعة مثل :

ـ أشغال الإبرة ،

ـ والتطريز ،

ـ والحياكة .

ـ والتفصيل ،

ـ وتنسيق الزهور ،

ـ والأشغال الفنية النافعة التى لا إثم فى عملها مثل : المكرميات ، واللوحات وغيرها ويكون هذا فى مكان ملحق بالمسجد لافى المسجد نفسه حتى لا يعوق عن الصلاة ، فإذا لم يوجد هذا المكان ففى الشرفة الخاصة بصلاة النساء بعد عزل جزء منها مناسب لأداء الصلاة .

٦ ـ وتكوين جماعة للإشراف على الأنشطة الاجتماعية فى المسجد ، ومن أمثلة هذه الأنشطة ما يلى :

ـ عقد اجتماع عام لسيدات الحى فى المسجد فى وقت ملائم يستهدف التعارف فيما بينهن ، وحبذا لو وزعت فيه بعض الحلوى أو المشروبات مع كلمة توضح الهدف من هذا اللقاء .

ـ وإعداد معارض لبعض المنتجات البسيطة من المأكولات والملبوسات ، بحيث تباع بسعر التكلفة أو بربح بسيط إذا كانت المنتجة فى حاجة إلى ذلك ، أو عرض بعض الملابس التى استغنى عنها أصحابها بأسعار رمزية .

ـ وإعداد طعام لإفطار الصائمات فى شهر رمضان المعظم أو الاتفاق على صيام يوم نفلا وتناول الإفطار معا ، ويا حبذا لو كان الإفطار فى شهر رمضان يضم عددا من الفقيرات فى الحى .

ـ وعقد لقاءات فى المناسبات الإسلامية فى المسجد مثل :

ـ يوم عاشوراء ،

ـ وليلة الإسراء والمعراج ،

ـ وليلة النصف من شعبان ،

ـ وليالى شهر رمضان ،

ـ وليلة القدر التى تلتمس فى الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان ،

ـ وليلة ويوم عيد الفطر ،

ـ وذكرى بعض غزوات الرسول ﷺ .

* وإحيـاء كل هـذه المناسبات بالعبادة والذكـر والتقرب إلى الله بالصدقة والإحسان ، ولا بأس من إلقاء بعض الكلمات المناسبة .

وبعد : فإن هذه الأنشطة العملية المفيدة للمسلمات هى من صميم الدعوة ، ويخطئ كثيرا من يتصور أن الدعوة إلى الله كلمات تقال أو خطب تنمق أو محاضرات تعد ويكتفى بهذا .

كما يخطئ كذلك من يتصور أن المساجد تغلق دون المسلمين والمسلمات عن أداء هذه الأعمال وتلك الأنشطة ، فالمساجد بيوت الله ولا ينبغى لأحد أن يصد عباد الله عن بيوت الله بإغلاق أبوابها معظم النهار وكل الليل كما يحدث فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، إن المسلمين بهذا الخطأ فى التصور يخسرون كثيرا مما يمكن أن يؤديه المسجد للمجتمع من خدمات .

ومنـذ أكثر من عشرين سنـة ألفت كتابا عن المسـجد وأثـره فى المجتمـع الإسلامى [٢١٢] تناولت فيه الحديث عن وظيفة المسجد فى حياة الرسول ﷺ لنستهدى بها فى فهم وظائف المسجد فى المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون اليوم .

٤ ـ عمل الداعية إلى الله فى تنمية الحى الذى تعيش فيه :

الإنسان المسلم رجلا كان أو امرأة مشغولا بالدعوة إلى الله مؤديا واجبه نحوها أو ذاهلا عن هذا الواجب ، ينبغى أن يكون مصدر خير ونفع لنفسه ولغيره فى أى مكان يعيش فيه .

وليس بناج من الإثم ذلك المسلم أو المسلمة الذى يستطيع أن ينفع نفسه أو غيره ثم يمتنع عن ذلك ، وسواء أكان هذا النفع يسيرا أم كبيرا ، مباشرا أم غير مباشر ، فى الدنيا أم فى الدنيا والدين ، فإن المسلم أو المسلمة مطالب بذلك من خلال نصوص إسلامية كثيرة نذكر منها :

قـول الله تعالى : ﴿ **وتعـاونوا علـى الـبر والتقـوى ولا تعـاونوا علـى الإثم**

---

(٢١٢) طبع هذا الكتاب طبعته الأولى والثانية فى دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م والثالثة فى دار المنار بالقاهرة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

والعدوان ﴾ [٢١٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [٢١٤] .

وقوله عز وجل : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ [٢١٥] .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » [٢١٦] .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ـ الصالحة ـ سبعا : هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مُفْنِداً ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » [٢١٧] .

إن المسلم مسئول عن المكان الذى يعيش فيه ، بيته أو الشارع الذى يقع فيه بيته أو الحى أو المحلة التى يعيش فيها ، مسئول عنها بحيث تكون نظيفة منظمة لاتنقصها خدمة تحقق للمسلمين مصلحة أو تدفع عنهم مفسدة فى دينهم أو دنياهم فى حدود طاقته وما أعطاه الله منها .

وليس فى هذا الكلام شىء من المبالغة ، فقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يقُمون المسجد ـ أى يكنسونه وينظفونه ـ ولم يكن يتأفف من ذلك أحد منهم ، لأن فقههم لدين الله فقه صحيح ، والدين نظام ونظافة ، والمسجد والشارع والحى الذى يعيش فيه المسلم أو المسلمة مرفق من مرافق المسلمين تجب العناية به ـ ولا وجه للقول بأن ذلك من واجب الدولة فقد فندنا هذه المقولة من قبل وحسبنا أن نقوم نحن بواجبنا الذى سوف نسأل عنه ، وللدولة مسئولون سوف يسألون عما قصروا فيه .

فماذا على المرأة الداعية إلى الله أن تعمله فى مجال تنمية المجتمع أو الحى الذى تعيش فيه ؟ .

---

(٢١٣) سورة المائدة : ٢ .

(٢١٤) سورة الحج : ٧٧ .

(٢١٥) سورة المزمل : ٢٠ .

(٢١٦) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإيمان .

(٢١٧) الإمام الترمذى : صحيحه : باب الفتن .

إن عليها نوعين من الواجبات للإسهام فى تنمية الحى الذى تعيش فيه :

النوع الأول : واجبها الذاتى الذى ينمى المجتمع .

والثانى : واجبها نحو أبنائها الذى ينمى المجتمع كذلك .

أما النوع الأول : الذاتى : فيمكن أن نشير إلى مفردات منه على النحو التالى :

أ ـ أن تسهم فى تنظيم كل ماتستطيع تنظيمه مما يحيط بها فى الحى ، وفى نظافته ، ويكون ذلك بحرصها على عدم إلقاء نفايات فى الشارع ونصح من يفعل ذلك من النساء ، لأن المسلمة لا يجوز لها أن تؤذى غيرها ولا تتسبب فى تقذير مكان هى فيه أو فيه غيرها من الناس ، بل لا يجوز لها أن تقذر أى مكان ولو فى الصحراء .

هذا هو ديننا وتلك هى آدابه .

وقد يكون فى الحى حديقة عامة أو حديقة للأطفال بها ملاعب لهم ، وعمل المرأة المسلمة أن تحافظ على ذلك فإنه فى الحقيقة ملكية عامة يجب المحافظة عليها فى كل حال ، وليس ملكا للحكومة أو الدولة .

ب ـ وأن تسهم فى تجميل أى مكان عام فى الحى كالمسجد والنادى والشارع والميدان ، وأن تدعم ذلك بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية مادامت تستطيع ذلك .

جـ ـ وأن تسهم على قدر استطاعتها فى إزالة أى سبب من أسباب إلحاق الضرر بالمسلمين فى الحى ، وقد يكون ذلك فى أشجار أو زهور تحتاج ماء وهى خارج بيتها وقد يكون فى صنبور مياه تالف فى مسجد أو ناد ، وقد يكون فى بعض الأحجار الملقاة أمام بيتها مما يعطل الطريق ، إنها يجب أن تسهم فى ذلك وأن تشجع عليه سواها من المسلمات انطلاقا من أن ديننا يأمرنا بإماطة الأذى عن الطريق ويأمرنا بجلب المصلحة ودَرْءِ المَفْسَدة .

وليس فى أخلاق المسلمين والمسلمات الاستنكاف عن القيام بشىء من ذلك ، لأنه شعبة من شعب الإيمان ، كما جاء ذلك فى السنة النبوية المطهرة .

د ـ وقد يكون فى الحى أرملة أو يتيم أو عاجزة عن العمل والكسب ، فتكون رعاية هذه الحالة من أقرب القربات إلى الله تعالى ، وهى فى الوقت نفسه من صميم عمل المرأة المسلمة مع أختها المسلمة ، وقد تكون المواساة بالكلمة الطيبة أفضل

كثيرا من المواساة المادية ، فإن جمعت هـذه إلى تلك فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، كما قد يكون البحث لهذه السيدة عن عمل مناسب تقتات منه أجدى عليها وعلى المجتمع من الصدقات .

هـ ـ وقد تكون عيادة مريضة ومعاونتها فيما هى فيه ، من أهم مفاتيح القلوب وحفزها على التأدب بأدب الإسلام ، والالتزام بأخلاقه .

ولن تجد الداعية إلى الله فرصة كهذه تمارس فيها زرع الخير فى القلوب ، وهى أمور لايستطيع أن يقوم بها الرجال إلا مع الرجال ، فكيف نحرم النساء من إحياء شعيرة إسلامية وحق للمسلمة على أختها المسلمة وهى عيادتها إذا مرضت ؟

و ـ وعلى الداعية أن تكون متيقظة فى الحى الذى تعيش فيه لكل أرملة أو يتيم أو عاجزة عن العمل تحاول ما استطاعت أن تدفع عنهن شر الحاجة بنفسها أو بمعونة غيرها من الداعيات إلى الله .

إن هذا العمل هو التنمية الحقيقية للمشاعر الطيبة فى نفوس المحتاجات أولا وفى نفوس المجتمع كله من بعد ذلك .

ولن يستطيع قانون أو حكومة أن تفعل ذلك أو تجبر عليه أحدا مهما أوتيت من قوة السلطان بل القهر ، لأن ذلك إنما ينبع من داخل الراغب فى عمل الخير المتقرب بذلك إلى الله سبحانه .

وليس أجدر بذلك من المسلمة الداعية إلى الله .

ز ـ وعلى الداعية إلى الله كلما سمعت بوفاة أحد فى الحى أن تقوم بواجب العزاء لأخواتها من المسلمات مواساة لها ووقوفا إلى جوارها فى مصيبة الموت ، بحيث تخفف عنها وقع ما هى فيه .

وإن تقديم مجاملة مادية فى هذه الظروف كإعداد طعام لأهل الميت عمل إنسانى جليل أمر به النبى ﷺ ، فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد أتاهم أمرٌ شغلهم » [(٢١٨)] .

وإن تقديم عون مالى ـ ولو على سبيل القرض ـ فى هذه الظروف لتملأ

---

(٢١٨) الترمذى : صحيحه : كتاب الجنائز .

نفوس المصابات بمصيبة الموت بكثير من الرضى والإحساس بالأمن ، ويقوى الأخوة الإيمانية بين النساء ، وإذا فقد المجتمع هذه اللمسات الإسلامية الحانية فإنه يفقد المعين الذى لا ينضب من الخير .

إن كل الأسر فى الحى معرضة لمثل هذه الظروف الطارئة ، فليكن خلق الإسلام هو السائد فى التعاون والتراحم والتكافل دون انتظار لما تقدمه الحكومة أو الجهات المسئولة عن هذا .

ما أحسن أن تتكاتف المسلمات فيما بينهن لمثل هذه الأمور انطلاقا مما أوجبه الإسلام على المنتمين إليه ، ولتترك للحكومة أعمالا أكبر وأضخم يعجز عنها الأفراد .

إنه لن يعفى الحكومة من هذه الأمور ـ التى تقصر فيها غالبا ـ إلا أن يتكاتف الناس إزاء مصيبة الموث ، إن ذلك هو التعاون على البر والتقوى .

وإن المرأة مع المرأة تستطيع أن تصنع أكثر مما تصنعه الحكومة نفسها .

إن مجتمعنا الإسلامى بهذه الإخلاق هو المجتمع الراشد القادر على ممارسة أرقى ألوان الحياة .

وإن الواجبات لكثيرة وإن المرأة المسلمة الداعية إلى الله صاحبة نصيب كبير من هذه الواجبات إذ كلها بر ، وهى مطالبة شرعا بالتعاون على البر والتقوى .

وأما النوع الثانى من واجبات المرأة المسلمة الداعية إلى الله : فهو واجبها نحو أبنائها وبناتها من أجل تنمية المجتمع كذلك ، وإن واجب المرأة المسلمة نحو أبنائها وبناتها بالنسبة للحى الذى يعيشون فيه ، لمتعدد كذلك ، ونستطيع أن نذكر منه نماذج لنفتح بها على الذين لا يهتدون إليها على النحو التالى :

أ ــ على الداعية المسلمة أن تربى أبناءها جميعا على الإيجابية والمشاركة فى العمل النافع فى البيت وفى المسجد وفى الحى الذى يعيشون فيه ، فإذا غرست فيهم هذه الإيجابية منذ صغرهم ، فإنهم يشبون مسلمين يعملون الصالحات ، وهذا أمل التربية الإسلامية فى عمومها ، وتربية الأم لأبنائها وبناتها على وجه الخصوص .

ب ــ وإن على الداعية إلى الله أن تشعر أبناءها بأن الحى الذى يعيشون فيه يجب أن

يكون له فى نفوسهم وفى أعمالهم من الاهتمام مثل ما للبيت ، بل مثل ما للمسجد بيت الله ، مما يوجب عليهم مزيدا من الرعاية والاهتمام .

إن الطفل الذى ينشأ فى بيته على حب النظام والنظافة والاهتمام بكل ما يحيط به من ناس وأشياء ، هو الذى يأخذ بالإسلام العملى التطبيقى فى الحياة ، بل إن هذا الطفل هو الذى سوف يصبح نافعا ، لنفسه ووطنه ودينه .

كم من الأطفال الذين لا ينشأون هذه النشأة الإسلامية يعبثون بل يفسدون أشياء كثيرة من مرافق الحى الذى يعيشون فيه ، ويتلفون ما تقوم به الدولة من تشجير وتجميل !!!

كم من الأطفال الذين أهملت تربيتهم إسلاميا لايلقون بالا لصنبور مياه مفتوح بغير حاجة إلى فتحه فى حديقة أو مسجد أو ربما فى بيوتهم أنفسها !!!

إن الطفل الذى يربى تربية إسلامية فى بيته ـ قبل أن يذهب إلى المسجد أو إلى المدرسة ـ هو اللبنة الصالحة لبناء المجتمع المسلم الراشد ، وهو الإنسان الصالح للتعامل مع الحياة والأحياء .

جـ ـ وإن الأم الحكيمة الداعية إلى الله هى التى تعود أبناءها تحمل المسئولية فى البيت منذ وعيهم على ذلك وقدرتهم عليه ، إن الطفل إذا شارك فى ذلك منذ صغره فأدى ما يستطيع أداءه فإن ذلك مما يساعد على صحته النفسية وعلى كفاءته الاجتماعية ، بل على حسن توجيهه لبيته عندما يكون صاحب بيت فيما بعد .

إنه لا يعيب الطفل ولا الأم أن يشارك فى الواجبات المنزلية كل قادر عليها من الأبناء ، إن تلك هى التربية الإسلامية الصحيحة ، تربية على التمتع بالحقوق وأداء الواجبات .

ولو كان البدء بإلزام القادر من الأطفال فى البيت على ألا يدع مكانه أو فى غرفته شيئا يحتاج إلى ترتيب أو تنظيف ثم نمت عنده هذه الحاسة الجمالية ، فإنه لقادر بإذن الله على أن يسهم فى تنمية الحى الذى يعيش فيه أو المجتمع الذى ينتسب إليه .

إنه الذى أهل فعلا للمحافظة على المسجد عندما يذهب إليه وأهل للمحافظة على المدرسة عندما يذهب إليها وأهل للمحافظة على الحى الذى يعيش فيه .

وإن رضا والديه عنه يجب أن يترتب على قيامه بهذه الواجبات ، لأن رضا الله سبحانه وتعالى متوقف على أداء كل إنسان لواجبه .

٥ ـ عمل الداعية إلى الله في اصطفاء مجموعة من النساء لتفقههن في الدين :

إن على الداعية إلى الله وهي تقوم بعملها في المجالات الأربعة السابقة أن تضع في حسبانها أن تصطفي ـ من بين مَن تعرفت عليهن من النساء خلال صلاتها العديدة ـ مجموعة من النساء تكوّن معهن علاقة خاصة أكثر وثاقة ، لتستثمر هذه العلاقة في تفقيههن لأمور الدين بصورة أكثر عمقا ، وأكثر تخصصا ، لأن ذلك هو ثمرة كل هذه الجهود على مستوى الدعوة إلى الله ، وعلى مستوى الحركة الإسلامية في كل مكان من العالم .

وإن على الداعية ـ وهي تصطفي هذه المجموعة ـ أن تراعي ما بين أفرادها من تقارب في الأمور التالية :

ـ تقارب في السن ،

ـ وتقارب في المستوى الثقافي ،

ـ وتقارب في الانفعالات وردود الأفعال ،

ـ وتقارب في الوضع الاجتماعي ،

ـ وتقارب في الرغبة في العمل للإسلام ،

ـ وتقارب في الاستعداد للتضحية بالوقت والجهد والمال ،

ـ وتقارب في المساكن .

ومراعاة هذه الأمور السبعة تكفل بعون الله للداعية أن يصبح عملها مع هؤلاء المختارات أيسر وأقرب إلى النجاح والتوفيق .

وإن على الداعية إلى الله أن تضع لهؤلاء المختارات منهجا يشتمل على دراسة للإسلام أكثر عمقا وأوسع مدى .

وسوف أشير هنا إلى الحد الأدنى لهذا البرنامج ومن زادت عليه ـ لأن من معها فيهن استعداد لذلك ـ فهو فضل من الله يؤتيه من يشاء ، لكن أقل مما أقترح سوف لا يحقق

الأمل المنشود وهو التفقه فى الدين علما وعملا .

وهذا الحد الأدنى المقترح هو :

أ ـ حفظ جزء من القرآن الكريم ، ولتكن البداية بجزء « عم » مع تفسير ميسر ومبسط له ، ومع ضرورة التأكيد على جودة التلاوة وخضوعها لأحكام علم التجويد .

ب ـ وحفظ عدد من الأحاديث النبوية مثل كتاب : « شرح الأربعين النووية » لابن دقيق العيد ، وقد جمعها الإمام النووى من الأحاديث الصحيحة .

جـ ـ وقراءة واعية للسيرة النبوية وبخاصة ما كان منها فى المرحلة المكية حيث نزول الوحى والجهر بالدعوة وتحمل الأذى فى سبيلها والهجرة إلى الحبشة والهجرة النبوية إلى المدينة المنورة وما أحاط بها من أحداث ، وليكن ذلك فى كتاب مبسط ككتاب « نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » للشيخ الخضرى .

د ـ وقراءة ودراسة فى العقيدة ، دون دخول فى مصطلحات العلماء فى علم التوحيد مثلا ، والكتاب المناسب فى ذلك كتاب : « عقيدة المسلم » للشيخ محمد الغزالى .

هـ ـ وقراءة فى كتاب : « الغارة على العالم الإسلامى » الذى ألفه : شاتليه وترجمه إلى العربية مساعد اليافى ، وآخر .

و ـ وقراءة فى كتاب : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للشيخ أبى الحسن على الحسنى النَّدْوى .

ز ـ وقراءة فى كتاب : « الإسلام والحضارة الغربية » لمحمد محمد حسين ، عليه رحمة الله .

ولكى تستطيع الداعية إلى الله أن تقوم بمساعدة هذه المجموعة المختارة من النساء ، وأن تزودها بالمعلومات والمعارف والخبرات ، فإن على الداعية أن تضع لنفسها برنامجا علميا تربويا يكثف حصيلتها الثقافية ويعمق معلوماتها ومعارفها عن الإسلام .

وقد أشرنا فيما مضى من هذا الباب إلى الثقافة التى تؤهل الداعية إلى الله للعمل فى مجال الدعوة إلى الله .

ونؤكد هنا أن على الداعية فى مجال اصطفاء مجموعة من النساء لتفقيههن فى الدين أن تدرك تماما حاجتها إلى مزيد من الزاد الثقافى العميق ، والقراءة الهادفة الجادة فى

أصول الدين وقواعده ، كما أنها بحاجة إلى مدارسة مستأنية فى بعض كتب الفقه الإسلامية ، وإلى مصاحبة لبعض كتب التفسير ، وإلى بعض شروح لبعض كتب السنة النبوية المطهرة .

كما أنها فى مسيس الحاجة إلى تعمق فى دراسة السيرة النبوية وتاريخ الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وبخاصة إلى مدارسة جادة لبعض كتب التاريخ الإسلامى ، وتاريخ الحركات الإصلاحية الإسلامية القديمة والمعاصرة .

وهى بحاجة كذلك إلى معرفة جيدة بتاريخ الأديان ، والفرق الإسلامية والملل والنحل .

كما أنها لاتستطيع أن تقوم بمهمتها هذه بوعى وإجادة إلا إذا كان لديها معرفة بحاضر العالم الإسلامى على مستوى دوله وتوزيعها الجغرافى وعلى مستوى الأقليات المسلمة وما هى فى حاجة إليه .

ولكى لا ندع هذه الاحتياجات فى دائرة الأمانى ، أو نعطى لبعض الداعيات فرصة لتقول وماذا نقرأ لنغطى هذه الاحتياجات ، فلابد لنا أن نشير هنا إلى بعض الكتب النافعة لتغطية هذه الاحتياجات وهذه الكتب التى أرشحها للداعية هى :

١ ـ فى مجال العقيدة :

أ ـ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لعلى بن على بن أبى العز الحنفى ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .

ب ـ الملل والنحل للشهرستانى .

جـ ـ تاريخ الفرق الإسلامية للبغدادى .

د ـ اليهودية لأحمد شلبى .

هـ ـ المسيحية لأحمد شلبى .

٢ ـ فى تفسير القرآن الكريم :

أ ـ مختصر تفسير ابن كثير للصابونى .

ب ـ التفسير الواضح للشيخ محمود حجازى .

جـ - تفسير سورة النور لأبى الأعلى المودودى .

د - تفسير جزء « عمَّ ... » للشيخ محمد عبده .

٣ - فى الحديث النبوى الشريف :

أ - الترغيب والترهيب للمنذرى .

ب - رياض الصالحين للنووى .

جـ - التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية لعلى عبد الحليم محمود .

٤ - فى السيرة النبوية المطهرة :

أ - إمتاع الأسماع للمقريزى .

ب - تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون .

جـ - فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .

٥ - فى تاريخ الصحابة والتابعين :

أ - أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزى .

ب - حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى .

جـ - حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى .

٦ - فى التاريخ الإسلامى قديمه ومعاصره :

أ - تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى .

ب - تاريخ الإسلام السياسى لحسن إبراهيم حسن .

جـ - حاضر العالم الإسلامى للثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب أرسلان .

د - جغرافية العالم الإسلامى لمجموعة من المؤلفين نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

هـ - الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام لعلى عبد الحليم محمود .

وقد يتصور البعض أن هذه الكتب المقترحة للداعية إلى الله فوق قدرتها لأنها مثقلة بواجباتها المنزلية والزوجية وواجبات الأمومة إن كانت أما .

ولست مع هؤلاء ، لأن من يتصدى للدعوة إلى الله من رجل أو امرأة يجب أن يكون على بصيرة ـ كما أسلفنا ـ بما يدعو إليه ، ولأن الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة ، فلابد من البصيرة للقيام بالدعوة ، وهذه البصيرة تتطلب الإلمام بل الإحاطة بهذا الذى ذكرت من كتب .

والداعية المسلمة وهى تتصدى لتفقيه عدد من النساء اصطفتهن من بين من تعرف من النساء ، فإن حاجتها إلى هذه الثقافة التى تعمق البصيرة تصبح من الضرورات.

وإن قراءة هذه الكتب ودراسة بعضها بعمق ليس بالعمل المستحيل ولا الصعب ، مادامت قد صحت العزيمة ، وتجردت النية فيه إلى إرضاء الله سبحانه وتعالى .

وكلما أتيح لها وقت قرأت ودرست وتدارست مع غيرها من الداعيات إلى الله ، والله المستعان .

على أننى أؤكد أن التقصير فى تحصيل هذه الثقافة المتنوعة سوف ينعكس على الداعية إلى الله بتقصير مماثل فى نجاحها وتوفيقها فى عملها .

بل لا أبالغ إن قلت : إن الزيادة على ما ذكرت أدعى إلى أن تتمكن الداعية من أداء عملها بثقة وأن تحقق أهدافها الآتية والمستقبلة بنجاح وتوفيق .

المبحث الثانى

أنشطة الداعية وهى تمارس عملا عاما فى المجتمع

فى البداية ، لست مع أولئك الذين يمنعون المرأة المسلمة من ممارسة العمل فى المجتمع ؛ لأن كثيرا من الأعمال ينبغى أن تقوم به المرأة المسلمة فى ظروف سانحة وملائمة ، وعلى سبيل المثال فإن فروع الطب كلها ، وأمراض النساء ، والتوليد على وجه الخصوص مما يحسن أن تقوم به المرأة للمرأة ، لما فى ذلك من المحافظة على الحياء بالنسبة للمسلمة التى يطلع عليها ـ وربما على ما خفى من جسمها ـ رجل مهما كان تقيا أو ورعا ، مادام فى الإمكان أن تقوم بذلك امرأة مثلها .

هذا بالنسبة للطب والتطبيب .

وكذلك الأمر بالنسبة للتعلم والتعليم ، فإن الأفضل أن تعلم البنت المسلمة مدرسة لامدرس ، مادامت المدرسة مؤهلة لذلك ، فهى بغير شك أقدر على فهم طبيعة البنت وأقدر على الإجابة عن كثير من أسئلتها التى قد لايجرؤ المدرس على الإجابة عنها فى بعض الأحيان .

وهناك أعمال أخرى من المستحسن أن تقوم بها المرأة المسلمة لأختها المسلمة ، كالتمريض والعلاج الطبيعى وغير ذلك ، مما يقتضى تكريم المرأة وصيانتها فيه عن أن يقوم لها بهذا العمل رجل .

ومن أجل هذا فإن المجتمع المسلم الواعى ، وإن أولياء الأمور ، عليهم أن يوجهوا البنات فى آخر مرحلة التعليم الثانوى إلى الاتجاه إلى الكليات التى تخرج من تعمل فى هذه المجالات التى تحتاجها المرأة ، فإن ذلك كما يجلب مصلحة للمجتمع كله بصيانة المرأة ، فإنه يدفع مفسدة ويسد ثغرة قد ينفذ منها الشيطان إلى نفس المرأة أو الرجل عندما يطلع الرجل منها على ما خفى من جسمها .

وجلب المصلحة العامة كدفع المفسدة العامة واجب ؛ كما تؤكد ذلك الشريعة الإسلامية.

المرأة المسلمة إذن لاحرج من جهة الشريعة أن تعمل عملا عاما فى المجتمع مادام ذلك مستحسنا ، فضلا عن أن تدعو إليه ضرورة .

والمرأة المسلمة داعية إلى الله بحكم إسلامها ، ومادامت تعمل فإن عليها واجب الدعوة إلى الله فى مجال عملها ؛ لأن واجب الدعوة لافكاك منه فى البيت أو فى المسجد أو فى الحى الذى تعيش فيه أو فى العمل الذى تقوم به فى أى قطاع من قطاعات العمل .

تلك مُسَلَّمة ربما لاتقبل جدلا أو مراجعة ، فضلا عن شك فى صحتها أو تردد فى قبولها .

فالمرأة المسلمة العاملة فى مجالات العمل عليها واجب نحو دعوتها لابد أن تؤديه نحو زميلاتها فى العمل ، ومادام واجبا فلا فكاك منه ، إذ التقصير فيه تقصير فيما أوجب الله .

وعلينا الآن أن نفصل لها هذا الواجب إلى مفردات تعينها على أن تعرفها فتقوم بها خير قيام إذا شاء الله .

*** أول مفردات هذا الواجب هو :**

أن تكون داعية إلى الخير مشجعة عليه ، وعلى العمل الصالح كله .

أمّا دعوتها إلى الخير العام :

فذلك أن جو العمل فى معظم المجتمعات تتعرض فيه الزمالة لهزات تسىء إلى أخلاقياتها ، وقد تكون أسباب ذلك روح التنافس فى العمل التى تدفع بعض الغافلات إلى التقرب إلى الرؤساء على حساب أخلاقيات العمل وآدابه ، أو يكون من أسبابها سوء الظن بالزميلات وقدراتهن على أداء العمل ، أو يكون الحسد لكل ناجحة من العاملات ، أو يكون الحصول على كسب مادى أو معنوى ، وكل هذه الأسباب وغيرها مما يسىء إلى العلاقة بين الزميلات إنما مرده إلى فقد تقوى الله وإلى تنكب منهج الإسلام فى التعامل مع الناس .

والداعية إلى الله وسط هذا الجو غير النقى عليها أن تدعو جميع الزميلات إلى الخير أى إلى مراعاة حقوق الزمالة والخوف من الله عند إلحاق ضرر بإحدى الزميلات ، والتأكد

على أن خلق الإسلام وأدبه فى التعامل مع الزميلات من واجباته التعاون والتناصح والحب والمودة . إن روح الوئام والتعاون والتناصح بين الزميلات هى التى تزيل المعوقات من أمام الأعمال وتزيد من الإنتاج كما ونوعا . وهذا هدف رئيسى للداعية إلى الله .

ولاتستطيع الداعية أن تمارس الدعوة إلى الخير إلا إذا كانت هى على درجة رفيعة من الخلق ومن حب الخير وممارسته ، فذاك هو زادها الحقيقى .

فقد روى ابن ماجه بسنده قال : قال أسامة بن شريك : قلنا : يا رسول الله ، ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال : « خلق حسن » .

ولقد سأل أبو هريرة رضى الله عنه ـ عندما قال له رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق » ـ فقال أبو هريرة رضى الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : « تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك » .

والداعية إلى الله لاتجد دعوتها إلى الخير آذانا صاغية وقلوبا واعية إلا إذا كانت هى محبوبة بين زميلاتها محبة لهن ، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف الذي أخرجه الطبراني بسنده عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أقربكم منى مجلسا أحَاسِنكم أخلاقا الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » .

وأمّا تشجيع الداعية زميلاتها فى العمل على العمل الصالح ، فيجب أن يأخذ أبعادا عديدة :

ـ فعليها أن تشجع غيرها على العمل الصالح فى ذات المدعوة وسلوكها ، فذلك هو الذى يكسبها رضا الله ثم رضا الناس تبعا لرضا الله ، لأن من رضى الله عنه أرضى عنه الناس ، فلو نجحت الداعية إلى الله فى ذلك لكانت قد قطعت أكبر قدر من المسافة فى الطريق إلى الحق والهدى . وهذا هو البعد الأول فى التشجيع على العمل الصالح .

ـ ثم تشجيع غيرها من الزميلات على العمل الصالح فى مجال أسرتها التى تنتمى إليها ، بحيث تكون هذه المدعوة مصدر راحة ورضا بالنسبة لكل فرد من أفراد أسرتها ، وبخاصة أبواها ثم من كانوا فى حكم الأبوين فى شريعة الإسلام وهم الجدود والأعمام والأخوال والعمات والخالات ، ثم الأخوات والإخوة ، ثم الأقرب فالأقرب من النساء . إن حب العمل الصالح فى هذا المجال هو الرصيد الضخم لكل مسلمة ، يجب أن تنفق منه قدر ما تستطيع ، إذ هو الذى يوثق العلاقات العائلية ويزيدها وثاقة ، ويقف حائلا قويا بين

هذه الأسرة والمشكلات التى تتولد نتيجة للإهمال أو الإساءة أو ترك المجاملة ، ثم تنعكس هذه المشكلات التى على أفراد هذه الأسرة فيزدادون تباعدا وجفاء ، وقد تفضى فى النهاية إلى بعض الأمراض النفسية المعاصرة كالشعور بالضيق وعدم الرضا عن النفس والاكتئاب ـ كما يقولون ـ وعديد من الأمراض النفسية ـ وأحب أن أنبه هنا إلى أن كثيرا من الأمراض النفسية لاينبغى أن تعرف إلى المسلمة أو المسلم طريقا ؛ لأن معظم هذه الأمراض ينتج عن السخط والندم والتبرم بالقضاء والقدر ، وليس كالمسلمة إنسان يرضى بقضاء الله وقدره بل تسعد به وتراه اختبارا وابتلاء ، تنال على الصبر عليه أجزل الثواب . وهذا هو البعد الثانى من أبعاد التشجيع على العمل الصالح .

ـ أما البعد الثالث له فهو أن تشجع غيرها على العمل الصالح فى مجال العمل الذى تقوم به ، بمعنى أن يترجم هذا العمل إلى تجويد وإتقان وإخلاص ؛ لأن الله تبارك وتعالى قد كتب الإحسان على كل شىء ، ولأنه سبحانه يجزى المحسنين أحسن الجزاء وأوفاه .

ولو أحسن العاملون والعاملات عملهن وأجادوه وأخلصوا فيه لاستطاعت الأمة الإسلامية أن تأخذ مكانها اللائق بها وبتاريخها وحضارتها بين الأمم ، ولتخلصت تماما من مرض وبيل يهدد حاضرها ومستقبلها وهو سوء الإنتاج أو قلته ، الأمر الذى أصبح ـ بسبب عوامل كثيرة ـ علامة بارزة فى تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر .

وأعود فأكرر أن جودة الإنتاج أو وفرة الإنتاج لن تكون أبدا بسن القوانين المحفزة أو الرادعة أو برهبة السلطان ، وإنما تكون بالرغبة النابعة من الفرد فى أن يرضى الله ويتقرب إليه بإجادة عمله وصلاحه . وهذا البعد يكاد يكون أهم الأبعاد وأقدرها على حل كثير من مشكلات العالم الإسلامى فى الاقتصاد ثم فى السياسة .

* **وثانى مفردات هذا الواجب هو :**

أن تُكوّن مع زميلاتها صداقات ومودة فى الله ، وأن توظف هذه الصداقات لصالح الإسلام والعمل الإسلامى .

أمّا الصداقة فتعنى فى المفهوم الإسلامى صدق الاعتقاد فى المودة وذلك مختص بالإنسان دون غيره قال الله تعالى : ﴿ **فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم** ﴾ (٢١٩) .

والصداقة بين المسلمات عندما تأخذ وضعها الصحيح تتحول إلى أخوة فى الله ـ

---

(٢١٩) سورة الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١ .

وهى قمة العلاقة الطيبة بين المؤمنات ـ وهى أخوة تدعو إلى الحب فى الله والتزاور والتباذل والتناصر والتكافل .

ولو وصل الناس إلى هذا المستوى لعاشوا حياة إنسانية كريمة هى التى تليق بتكريم الله للإنسان .

روى الإمام أحمد بسنده عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول : « حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى » وحسب الناس سعادة فى الدنيا والآخرة أن تكون قد حقت لهم محبة الله سبحانه وتعالى .

وإن الأخوة فى الله تتطلب حقوقا وواجبات كثيرة ، ما إن يأخذ بها الناس حتى يكونوا على أحسن حال فى دنياهم وآخرتهم .

وأمّا توظيف هذه الصداقة التى آلت إلى أخوة فى الله ، لصالح الإسلام والعمل الإسلامى ، فإنها كتلك مهمة جليلة ، جزيلة الأجر والثواب عند الله .

فكيف توظف الداعية إلى الله هذه الصداقة لخدمة الإسلام ؟ إن توظيفها يعنى تسخيرها لتحقيق أهداف الإسلام فى هذه الحياة الدنيا أملا فى نيل ثواب الآخرة .

وإن أهداف الإسلام فى الحياة الدنيا توجز فى عبارة واحدة هى :

أن يعبد الناس الله وحده لاشريك له ، وأن يؤمنوا به وبكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وأن يتبعوا منهج الإسلام فى عباداتهم ومعاملاتهم كلها ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فى ظل نظم الإسلام وأن يجاهدوا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا .

يفعلون ذلك ليكونوا أولياء الله وأحباءه فيجزيهم أحسن الجزاء ويرضى عنهم ؛ لأنهم بهذه الأوصاف هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾ (٢٢٠) .

---

(٢٢٠) سورة البيّنة : ٧ ، ٨ .

إن توظيف هذه الصداقات أو الأخوة الإيمانية للإسلام هو العمل والتعاون على تحقيق هذه الأهداف كل فى حدود استطاعته .

وإن الداعية إلى الله وهى توظف هذه الطاقات وتلك الأخوة فى الله بين زميلاتها فى العمل لتقدم للإسلام خيراً كبيراً يعود بالنفع على دنيا الناس وأخراهم على السواء .

وما لم تَجْن الداعية إلى الله من عملها ثمرة هى تلك الأخوة فى الله بين المسلمات ، وهذا التوظيف لتلك الأخوة فى تحقيق أهداف الإسلام ، فإن ذهابها للعمل لايعدو أن يكون مشاركة فى عمل رتيب جامد بل ميت لانفع فيه للإسلام ولا للعاملة نفسها إلا بما يغله لها من قدر من المال قد يدفع عنها حاجة من حاجات الدنيا فحسب .

وإن أعداء الإسلام يحاولون دائما صرف المسلمين والمسلمات عن ممارسة الدعوة إلى الله فى مجالات أعمالهم بحجة أن الدعوة إلى الله من أعمال العلماء الذين تخصصوا فى علوم الإسلام ، وهى حجة واهية سبق أن ناقشناها وبينا فيها ما تتضمنه من مغالطة وسوء فهم .

إن على الدعاة إلى الله أن يستعصوا على الوقوع فى هذه الأحبولة وأن يدركوا أن كل من اتبع محمدا ﷺ فهو داعية إلى الله ، بشرط أن يكون على بصيرة بما يدعو إليه ، وأن هذه الدعوة تلازمه وتطالبه بواجباتها حتى يلقى الله .

*** وثالث مفردات هذا الواجب فى العمل :**

أن تختار الداعية إلى الله واحدة أو أكثر من زميلاتها لتوثق بهن علاقتها وتستعين بهذه العلاقة الوثيقة على مزيد من الفقه بالإسلام .

وفى هذه المفردة فرعان :

اختيار واحدة أو أكثر وفق معايير معينة .

والعمل معهن ليزددن فقها فى الإسلام .

أمّا هذا الاختيار وذاك الاصطفاء فيجب أن يتم وفق معايير معينة تضعها الداعية فى حسبانها ، وأبرز هذه المعايير ما يلى :

أ ــ أن تكون هذه المصطفاة لديها قابلية أكثر من غيرها لحب الخير وحب الأخريات كدفع الحاجة عن المحتاجات ... إلخ ،

ب ـ وأن تكون أكثر ممارسة للعمل الصالح الذى يحقق المصالح العامة للأخريات ،

جـ ـ وأن تكون أكثر استجابة وتقبلا لواجبات الأخوة فى الله ،

د ـ وأن تكون أكثر التزاما بأخلاق الإسلام وآدابه ،

هـ ـ وأن تكون أكثر رغبة فى تحقيق أهداف الإسلام العامة ،

و ـ وأن تكون لديها قدر من الرغبة فى الطاعة والامتثال ،

ز ـ وأن تكون ذات رصيد معقول من الثقافة الإسلامية التى يمكن أن تكون مرتكزا أو منطلقا لمزيد من الفقه فى الدين .

وإن اختيار واحدة أو أكثر من زميلات العمل لتفقيههن فى الدين دون مراعاة هذه المعايير قل أن يحقق نجاحا .

وبعد هذا الاختيار ، على الداعية إلى الله أن تعد برنامجا لتزيد من خلاله فقه أولئك المصطفيات .

وإن هذا البرنامج لكى يؤدى وظيفته يجب أن يتناول أربعة ألوان من النشاط فى حده الأدنى :

نشاط ثقافى ،

ونشاط اجتماعى ،

ونشاط ترفيهى ،

ونشاط عبادى روحى . .

أما النشاط الثقافى فيمكن التوصل إليه فى الصور التالية :

أ ـ تلاوة القرآن الكريم والتعرف على أحكام التلاوة ، مع شرح مبسط للآيات الكريمة التى تتلى .

ب ـ ومدارسة فى الأحاديث النبوية الشريفة من كتاب مبسط ووجيز ، ويكفى فى هذا المجال كتاب « شرح الأربعين حديثا النووية » لابن دقيق العيد .

جـ ـ ومدارسة لبعض المسائل الفقهية التى تهم المسلمة بشكل مباشر فى أمور

دينهن كالطهارة وأحكامها ، والحيض والنفاس والاستحاضة وأحكامها ، والصوم والزكاة من أى كتاب من كتب الفقه الميسرة كفقه السنة للشيخ سيد سابق ، مع الابتعاد عما ورد فيه من آراء واختلافات فقهية فى موضوع ما .

د – ومدارسة لبعض مواقف السيرة النبوية المطهرة بهدف أخذ الإسلام فى صورته العملية ، والتأمل فيما فى هذه المواقف من عبر وعظات ، وأرشح كتاب : « نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » للشيخ الخضرى .

هـ – ومدارسة لحياة بعض الشخصيات من المسلمات السابقات اللاتى أبلين بلاء حسنا من أجل الإسلام فى العلم والعمل والدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله .

ومن الواضح أن هذه اللقاءات وإن كانت ثقافية إلا أنها تدعم التواصى بالخير والتعاون عليه ، والالتقاء على الأعمال الفاضلة النبيلة .

وأمّا النشاط الاجتماعى فيمكن التوصل إليه فيما يلى :

أ – القيام بزيارات لبعض المساجد البعيدة نسبيا عن الحى والتعرف على ما فيها من أنشطة وما تقدمه المسلمات فيها من خدمات للمسجد أو للمترددات عليه أو للفقيرات فى الحى .

ب – والقيام بزيارة بعض المسلمات صاحبات الفكر والثقافة الخاصة مثل أستاذات الجامعة ومن فى مستواهن ، على أن تكون هذه الزيارة بموعد سابق ، وياحبذا لو أعدت أسئلة بعينها لتطرح على الشخصيات العلمية التى يزرنها .

جـ – والقيام بزيارات لبعض الصالحات من السيدات اللاتى لهن سابقة فى العمل الإسلامى ، بموعد سابق كذلك وبأسئلة معدة مسبقا .

د – والقيام بزيارة بعض الأماكن التى تمارس فيها أنشطة لخدمة المرأة أو خدمة الطفل ، والاستفادة من الخبرة المكتسبة فى هذا المجال حتى يمكن الاستعانة بها عند تنفيذ شيء مماثل فى الحى .

إن مثل هذه الزيارات جد مفيدة فى تناقل الخبرات ، وفى طرح عدد من القضايا الهامة لأخذ رأى من هن أكثر تجربة وخبرة ، وبخاصة إذا طرحت هذه القضايا ليتوصل

من خلالها إلى رؤية إسلامية لما تحمله من إشكاليات .

وأمّا النشاط الترفيهى فيمكن تحقيقه فى المجالات التالية :

أ - إعداد رحلات فى أماكن خلوية خضراء بعيدة نسبيا من مزاحمة الرجال ، ووضع برنامج لمثل هذه الرحلات يتناول الكلمة الطيبة والمسامرة الهادفة والقصة الواعظة ، والنشاط الرياضى إذا كان المكان يسمح بذلك ، وليس فى ممارسة هذه الرياضة خروج عن أداب الإسلام وخلقه ؛ لأن الترفيه لايجوز أن يكون على حساب الآداب الإسلامية وإنما ينبغى أن يكون مؤكدا لها ، ولو شارك أطفال هؤلاء النساء فى هذه الرحلات فهو خير ، لكن ينبغى أن يوضع للأطفال برنامج خاص بهم .

ب - وإعداد برامج لأماكن هامة من أماكن السياحة التى يجب أن يتعرف عليها المسلمات من الناحية الدينية أو التاريخية بحيث يجمع فى مثل هذه الرحلة بين الترفيه والثقافة .

والعبرة فى نجاح أى رحلة أن تحقق أهدافها ، وإنما يكون تحقيق الأهداف إذا أجيد وضع البرنامج لها بحيث يكون ملائما لظروف المشاركات ، وملائما للوقت المختار للرحلة ، وملائما للمكان الذى اختير وملائما لقدرة المشرفة على الرحلة .

ولا أبالغ إن قلت : إن بداية الفشل فى أى رحلة هو إساءة وضع البرنامج لها ، سواء أكانت هذه الإساءة مقصودة أم غير مقصودة .

إن كل عمل لايسبقه تخطيط ووضع برنامج وتحديد أهداف ووسائل فإن مصيره إلى الفشل فى أغلب الأحيان ، والإسلام علمنا أن كل شىء فى حياتنا خاضع لخطة وبرنامج من العبادات إلى المعاملات إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وأمًّا النشاط الروحى فيمكن أن تتوصل إليه الداعية إلى الله بإحدى الوسائل التالية :

أ - الاتفاق المسبق مع هؤلاء المختارات على صيام تطوع فى يوم اثنين أو خميس ، ثم الالتقاء على تناول الإفطار جماعة عند واحدة من الصائمات ، لديها متسع من المكان والظروف ، مع الحرص على ألا تكلّف هذه المضيفة بأعباء مالية أو مادية وإنما يكون العبء مقسما على المدعوات جميعا ، وليكن هذا مبدأ فى كل عمل يتطلب تكاليف مالية أو مادية .

والأصل هو التقيد بالسنة عند الإفطار أى تناول ماء أو تمر للإفطار ، ثم أداء فريضة المغرب ثم تناول طعام الإفطار .

ويجب أن يعقب الإفطار برنامج عبادى يجلو الروح مما يكون عالقًا بها من صدأ ، كقراءة ورد قرآنى أو قراءة الأدعية المأثورة عن النبى ﷺ .

ويا حبذا لو كانت هناك كلمة خفيفة مناسبة فى هذا المجال .

ب ـ ويمكن دعوة هؤلاء المختارات على لقاء يقوم على التنفل بالصلوات وقراءة الأوراد الخاصة ، مع التفكر فيما يقرأ وفيما يتعبد به .

ويمكن أن يكون ذلك اللقاء فى مسجد قريب من مساكن المدعوات ، ويمكن أن يكون فى بيت من البيوت .

ومثل هذه اللقاءات لاتؤتى ثمارها إلا إذا نجحت فى تحقيق الأهداف التالية عند كل مدعوة وهى :

ـ الإحساس بوجود الله سبحانه إحساسًا قويا ،

ـ والإحساس بمراقبته تعالى لنا فى أقوالنا وأفعالنا ،

ـ والإحساس بحبه والتقرب إليه بعبادته وفق ما شرع ،

ـ والإحساس بالرضا بقضائه وقدره على كل حال .

وأعود فأؤكد أن عقد هذا اللقاء فى المسجد أفضل إن كان متاحا ؛ لأن المسجد نستفيد منه ثواب الاعتكاف إذا دخلناه بهذه النية وليس من شرط الاعتكاف أن يكون مدة طويلة أياما وليالى مثلا ، وإنما أجازت الشريعة الاعتكاف ولو ساعة مادامت النية معقودة على ذلك .

المبحث الثالث

أنشطتها فى مجال طلب العلم

طالبة ألعلم المسلمة داعية إلى الله بحكم كونها مسلمة تتبع رسول الله ﷺ ، هذا ما أكدناه أكثر من مرة ، وأصلناه شرعا فى أكثر من مجال ، واستدللنا عليه بقول الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ..** ﴾ (٢٢١) .

لهذا فإن طالبة العلم فى الجامعة أو فى مرحلة التعليم الثانوى مطالبة بواجبات عديدة من أجل الدعوة إلى الله ، وربما كان عبء الطالبة الجامعية أكبر وأهم لأهمية المرحلة التعليمية التى تنتسب إليها .

ولتعدد هذه الواجبات فسوف نفصل الحديث فيها على النحو الذى نراه كافيا لتوضيح أبعاده ، سائلين الله التوفيق .

واجبات طالبة العلم الداعية إلى الله :

* **أول هذه الواجبات : التفوق الدراسى :**

وذلك أن التفوق فى الدراسة إتقان وإحسان وهى مطالبة بذلك شرعا ؛ لأن الله كتب الإحسان على كل شىء ، ومالم تتفوق فى دراستها فإنها تتناقض مع ما تدعو إليه ، إذ هى تدعو إلى الإسلام والإسلام هو المنهج الذى فرض الإحسان على كل مؤمن به .

إن الداعية إلى الله لاتملك أن تكون مقصرة فى أداء عملها أو مهملة فيه أو فاترة أو متراخية ، لاتملك هذا ؛ لأن الدين الذى تدعو إليه لايعطيها هذه الفرصة إلا لضرورة ، ولا تملك أن تكون كذلك ؛ لأن الأخريات ينظرن إليها على أنها أنموذج لما تدعو إليه ، فلو قصّرت لاهتز هذا الأنموذج ، وبالتالى يهتز ما تدعو إليه أمام المدعوات .

ولسنا نبالغ فى أهمية التفوق الدراسى بالنسبة للداعية ؛ لأن أسباب وجوبه كثيرة نذكر منها :

---

(٢٢١) سورة يوسف : ١٠٨ .

أ - أن الله تبارك وتعالى طالب كل مسلم بأن يجوّد أى عمل يقوم به وأن يحسّن أداءه ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فنادى على المسلمين جميعا بقول الرسول ﷺ فيما رواه أئمة الحديث بأسانيدهم : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ... » الحديث (٢٢٢) .

ب - وأن هذا التفوق الدراسى يمكن للعمل الإسلامى كله ، إذ هو يقرب هؤلاء المتفوقات من المواقع ذات المكانة العلمية فى المجتمع ، والعمل الإسلامى بحاجة ملحة إلى أن تكون له هذه الأماكن ، فمن خلالها يستطيع أن يحقق كثيرا من أهدافه وكل تقصير فى التفوق الدراسى إنما هو تضحية بمكان مرموق يعود على الإسلام والمسلمين بأعظم النفع .

جـ - وهذا التفوق الدراسى اختصار لبعض مراحل الطريق فى العمل الإسلامى عموما فى مجال الدعوة إلى الله على وجه الخصوص ، فكلمة الحق والخير حين توجه إلى الناس تكون أكثر تأثيرا إذا صدرت ممن يتوسد مكانه علمية مرموقة ، بل تكون أحسن وقعا فى نفس من يسمع وأدنى إلى الاستجابة لها ، لأن من قالتها أنموذج يحتذى لفهم الإسلام والعمل بما جاء به .

إن الكلمة دائما تأخذ جانبا من أهميتها من شخصية من يتحدث بها ، فكلما كان ذا مكانة كانت كلمته كذلك .

إن التضحية بالتفوق الدراسى لأى سبب من الأسباب ـ مادام من يدرس قادرا عليه ـ تضحية بالعمل الإسلامى كله أو وضع للعراقيل فى طريقه ، ومنعه من تحقيق أهدافه .

*** وثانى هذه الواجبات : تكوين علاقات طيبة بالزميلات :**

وإنما تقوم هذه العلاقة الطيبة على دعائم من أهمها :

أ - حسن الظن بالزميلات وحسن التعامل معهن أى تقوى الله فيهن ،

ب - وحب الزميلات حب أخوة فى الله ،

---

(٢٢٢) رواه الإمام مسلم فى باب الصيد ، ورواه أبو داود فى الأضاحى ، ورواه الترمذى فى الديات ، ورواه النسائى فى الضحايا ، ورواه ابن ماجة فى الذبائح ، ورواه الدارمى فى الأضاحى .

جـ ـ وتقديم العون والخدمة لهن .

وذلك أن المسلمة الداعية إلى الله لاتنجح فى عملها فى مجال الدعوة إلا إذا اتقت الله فى كل عملها وأحسنت الظن بالزميلات وأحسنت التعامل معهن ؛ لأن هذا هو الذى يجعلها مألوفة محبوبة لدى من تدعوهن ، فإذا أضافت إلى ذلك التودد إليهن والتحبب فإنها تجمع طرفى النجاح فى الدعوة « تألف وتؤلف » ، فإذا أضافت إلى ذلك فتح طريقها إلى قلوب المدعوات وعقولهن بتقديم العون والخدمة فإنها سوف تكون قد قطعت إليهن معظم الطريق الذى يوصلهن إلى الحق والخير ورضا الله سبحانه وتعالى .

وإن تكوين العلاقات الطيبة بالزميلات أمر يستوجبه الإسلام ـ كما أوضحنا فى حديثنا عن الأخوة التى يجب أن تكون بين المسلمات ـ ثم هو كما أشرنا آنفا أمر تستوجبه الدعوة إلى الله لأنه يزيد الإقبال على الداعية إلى الله ويزيد من تقبل المدعوات لما تدعوهن إليه .

فما هى الوسائل التى تستطيع بها الداعية المسلمة أن تعقد هذه العلاقة الطيبة مع زميلاتها فى ميدان طلب العلم ؟

هذا مانشير إليه فيما يلى :

١ ـ إن كلمة طيبة أو إلقاء تحية الإسلام على إحدى الزميلات قد تفتح قلبها وعقلها لتقبل من ألقى عليها هذه التحية فيكون فى ذلك الخير .

٢ ـ وإن حسن مظهر الداعية إلى الله وبساطتها وحسن حديثها وحسن اختيارها لكلماتها قد تكون سببا فى أن تقبل الزميلات عليها ، وهذه هى نقطة البداية للداعية إلى الله .

٣ ـ وإن التفوق الدراسى للداعية إلى الله سوف يجذب إليها عددا من الزميلات ـ لحب الناس عادة لكل متفوق ـ وبخاصة إذا كانت المتفوقة لاتتعالى على الزميلات بهذا التفوق ولا يجعلها مغرورة بما هى فيه .

٤ ـ وإن الثقافة العامة للداعية والإلمام بكثير من القضايا والمسائل الفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية والرياضية وغيرها لمن شأنها أن تجذب الزميلات إلى الداعية إعجابا بها .

٥ - وإن عمق الثقافة الإسلامية والإحاطة بكثير من قضايا الفكر الإسلامى والعمل الإسلامى ، والمعرفة الجيدة بواقع العالم الإسلامى وأهم مشكلاته وقضاياه ، ليجذب نظر الزميلات إلى الداعية كشأن كل صاحب ثقافة واسعة مستوعبة لأغلب ما يحيط به من قضايا .

٦ - وإن نشاط الداعية إلى الله وسرعة تحركها من موقع فى العمل الإسلامى إلى موقع ، ومن موضوع إلى موضوع مع الالتزام بإحداث أثر جيد فى كل مجال تعمل فيه ، إن ذلك ليجذب إليها الزميلات إعجابا بها كذلك .

٧ - وإن اختيار الداعية لموضوع من الموضوعات الهامة فى مجال العلم والتعليم ، والتفكير فيه وطرحه أمام بعض الزميلات بلغة جيدة ، وعلاج جيد مما يجعل الزميلات مقبلات على هذه الداعية إلى الله .

٨ - وإن اختيار موضوع من موضوعات الأنشطة الطلابية ـ وما أكثرها كما سنوضح فيما بعد ـ وتناول هذا الموضوع بعمق وعرضه بأسلوب جيد ، هو رصيد للداعية إلى الله يحبب فيها غيرها من الزميلات .

٩ - وإن الدخول مع بعض الزميلات فى حوار حول إحدى الظواهر الجامعية لتبادل الرأى فيها ، وإعطاء أى زميلة من الراغبات فى المشاركة فى الحوار فرصة للتعبير عن رأيها والصبر عليها وعدم التهوين من شأن رأيها ، لمما يغرس فى نفسها ونفس غيرها حبا للداعية وإعجابا .

١٠ - وإن مشاركة إحدى الزميلات فى عمل ، ومعاونتها فيه دون أن تطلب ، لمبادرة جيدةإلى تحسين العلاقة بهذة الزميلة وتُعَد مفتاحا لقلبها نحو الداعية إلى الله .

١١ - وإن رعاية الداعية إلى الله لإحدى الزميلات من الناحية الاجتماعية دون مَنٍّ أو أذى ودون إشعارها بأنها اليد الدنيا ، لعمل خير يرضى الله تبارك وتعالى ويفتح الطريق إلى القلوب أمام الداعية إلى الله .

١٢ - وإن زيارة الداعية لإحدى الزميلات ، بعد التعرف عليها فى بيتها أو فى المدينة الجامعية إن كانت من سكانها ، قد تؤكد هذه العلاقة الطيبة وتزيدها وثاقة وتجعل الداعية أكثر تقبلا لدى هذه الزميلة .

• وثالث هذه الواجبات : الأنشطة الطلابية ومدى مشاركة الداعية فيها :

إن واجب الداعية إلى الله أن تشارك فى هذه الأنشطة الطلابية بكل ما أوتيت من قدرة وحماس ؛ لأن هذه الأنشطة من الأعمال المتممة للأداء العملى فى مجال التعليم .

ولكن الداعية إلى الله محكومة فى ممارستها هذا النشاط بآداب وأخلاق وقيم إسلامية ، فعلى سبيل المثال :

- لاتستطيع الداعية إلى الله أن تشارك فى نشاط يصرفها عن عملها الأساسى وهو طلب العلم والتفوق فيه ، وإنما عليها أن تنسق بين هذا وذاك .
- كما أنها لاتستطيع أن تجعل من مشاركتها فى النشاط مجالا لتنافس غير أخلاقى مع غيرها من الزميلات كما يحدث هذا فى بعض الأحيان من بعض المنشغلات بالنشاط الطلابى .
- كما أنها لاتستطيع أن تشارك فى نشاط يخرج بها عن أدب الإسلام فيما يجب على المسلمة أن تتقيد به من عمل .

وهذه الأنشطة الطلابية نوعان : عام وخاص ، وكل منهما ضرورى للداعية لاتستطيع أن تتخلى عنه ، وإلا فقدت موقعها فى العمل الجامعى كله .

وسوف نتعرض لهذين النوعين من النشاط على النحو التالى :

أولا : الأنشطة العامة :

وهذه الأنشطة فى تصورى كثيرة وإن كان أبرزها نشاط اتحادات الطلاب – وهو نشاط سنوليه عناية وتفصيلا بعد قليل – ومن هذه الأنشطة ما يلى :

١ – اتحاد الطلاب ،

٢ – والجمعيات العلمية ،

٣ – والمعارض وما فيها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ،

٤ – والأسر الجامعية ،

٥ – والمحاضرات العامة والخاصة ،

٦ ـ والرحلات الجامعية ،

٧ ـ والعمل المسجدى فى الكلية ،

٨ ـ والدعوة إلى الله فى المدينة الجامعية ،

٩ ـ وإعداد حفلات التعارف وحفلات التخرج وحفلات المناسبات الدينية والقومية ،

١٠ ـ وتكوين الروابط بين الطالبات على مستوى القسم أو السنة الدراسية أو الكلية ،

١١ ـ وعقد الصلات الطيبة بعُضوات هيئات التدريس فى الكلية ،

١٢ ـ وعقد علاقة طيبة بإدارة الكلية والعاملات فيها ،

١٣ ـ وعقد علاقة طيبة بالشخصيات البارزة من النساء فى الكلية ،

١٤ ـ وتشجيع التفوق الدراسى ،

١٥ ـ والمشاركة فى المسابقات العلمية والأدبية والدينية ،

١٦ ـ والتعاون المثمر مع الجماعات والروابط الخاصة بالطالبات .

وكل واحد من هذه الأنشطة العامة يجب أن تشارك فيه الداعية إلى الله ، وأن تثبت فى هذه المشاركة وجودها فى ظل ما قدمنا من تقيد بأدب الإسلام وقيمه وأخلاقه .

ثانيا : الأنشطة الخاصة :

وهى أنشطة تربوية كان لجماعة الإخوان المسلمين فيها قصب السبق ، وهى فى إجمال شديد ـ حيث توسعنا فى ذلك فى كتاب لنا [٢٢٣] بما لايسمح لنا هنا أن نعيده ـ سبع وسائل.

وتلك الوسائل هى :

١ ـ الأسرة ، وتستهدف بناء شخصية المسلم روحيا وعقليا وبدنيا وحركيا ،

٢ ـ والكتيبة ، وتركز على البناء الروحى للفرد ،

٣ ـ والرحلة ، وتركز على البناء البدنى للفرد ،

---

(٢٢٣) لنا فى ذلك مؤلف باسم : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ـ دراسة تحليلية تاريخية .

٤ ـ والدورة ، وتستهدف تكثيف العلم والثقافة بموضوع معين ،

٥ ـ والندوة ، وتستهدف تعريف الفرد على وجهات نظر متعددة حول الموضوع الواحد ،

٦ ـ والمخيم ، ويستهدف تدريب المشاركين فيه على ممارسة الإسلام فى صورته العملية طوال اليوم والليلة ،

٧ ـ والمؤتمر ، ويستهدف طرح موضوع من الموضوعات التى تهم العمل الإسلامى على مستوى العالم الإسلامى كله ، ليتحاور فيه أكبر عدد ممكن من العلماء والمتخصصين للخروج برؤية إسلامية لهذا الموضوع .

وكل هذه الوسائل لها فى تاريخ الجماعة مكان ومكانة ، ولكل منها فى فقه الجماعة التربوى أركان وشروط وآداب وبرامج ووسائل وإدارة ومُربّون أو قُوّاد لكل هذه الوسائل ، وقد أوضحنا ذلك فى كتابنا ذاك.

وتستطيع الداعية أن تمارس من هذه الوسائل فى كليتها ومع عدد من زميلاتها ما تراه ملائما لظروف الوقت والمكان والمدعوات بغير أدنى حرج ؛ لأن هذه الوسائل جميعا نابعة من أسلوب الإسلام فى تربية الأفراد وسوف نفصل هذا بعض التفصيل بإذن الله .

وبعد : فإلى الحديث عن تفصيل الكلام فى اتحاد الطلاب فى الجامعات الذى وعدنا به آنفا ، فإذا فرغنا منه بحول الله فصلنا بعض التفصيل فى الأنشطة الخاصة بالعمل الإسلامى فى الكلية .

تفصيل الأنشطة العامة « الاتحاد الخاص بالطلاب »

المفروض فى اتحادات الطلاب أن يدرب الاشتراك فيها الطلاب على ممارسة التعبير عن الرأى ، وممارسة الشورى ، وممارسة التفكير فى مختلف القضايا والأمور التى تهم الطلاب وتحقق مصالحهم فى النواحى العلمية والفنية والاجتماعية والرياضية فى أثناء دراستهن.

وأغلب اتحادات الطلاب فى الجامعات فى عديد من البلدان الإسلامية عربية وغير عربية ، تكاد تجمع على أن تكون هذه الاتحادات ينبغى أن تكون كما تنص اللوائح على النحو التالى :

تتكون الاتحادات الطلابية من طلاب الجامعات والكليات والمعاهد العليا النظاميين المقيدين بها لنيل درجة « الليسانس أو البكالوريس » .

وتعتبر هذه الاتحادات هي التنظيمات الشرعية التي تتولى قيادة الطلاب ، وتمثيلهم أمام الجهات المعنية ، ورعاية مصالحهم وتنظيم وكفالة ممارسة كافة الأنشطة الطلابية الاجتماعية والثقافية والسياسية والرياضية والفنية .

كما نصت معظم هذه اللوائح على أهداف هذه الاتحادات وعلى تكوين اللجان وتحديد عمل كل لجنة منها .

وهذا ما سنبينه على النحو التالي :

١ ـ تعميق القيم والمفاهيم الدينية عند الطلاب وتدعيمها بالأساليب الدينية المختلفة .

٢ ـ وتدعيم حق الطلاب في التعبير عن آرائهم وإثبات ذاتيتهم ضمن نطاق اختصاصات الاتحاد .

٣ ـ وتوجيه اتجاه الشباب نحو قيم أخلاقية رفيعة تكون عماداً لهم في عملهم لمستقبل وطنهم ، كما تكون واقيا لهم من نزعات الانحراف الدخيلة على الوطن وعلى تقاليده ، ومبادئ الأخلاق القويمة .

٤ ـ وتزويد الطلاب بالمقومات الأساسية التي من شأنها دعم شخصياتهم والقدرة على التفكير الحر الناضج وتقوية روح تقدير الواجبات فيهم وتحمل المسئولية نحو مواطنهم ، ومساهمتهم في دفع عجلة التقدم في بلادهم .

٥ ـ وتنمية الروح الجامعية السليمة بين الطلاب ، وتوثيق العلاقات الطيبة بينهم وبين أساتذتهم والعاملين بكلياتهم ومعاهدهم .

٦ ـ والعمل على رفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية للطلاب .

٧ ـ والعمل على حل مشكلات الطلاب بتوفير أسباب الراحة ووسائل المعيشة لهم داخل الجامعة وخارجها .

٨ ـ وتنظيم الاستفادة من نشاطهم في أوقات فراغهم بما يعود عليهم وعلى أوطانهم بالنفع .

لجان اتحاد الطلاب :

١ ـ لجنة الخدمات العامة ،

٢ ـ ولجنة النشاط الكشفى ،

٣ ـ واللجنة الثقافية ،

٤ ـ واللجنة السياسية ،

٥ ـ ولجنة النشاط الاجتماعى ،

٦ ـ ولجنة النشاط الرياضى ،

٧ ـ ولجنة النشاط الفنى ،

٨ ـ ولجنة الرحلات ،

٩ ـ ولجنة الأسر ،

١٠ـ ولجنة الجمعيات والنوادى .

ولكل لجنة من هذه اللجان أنشطة تمارسها ، نذكر منها ما تسمح به ظروف هذا الكتاب ، ونحيل الراغبة فى الازدياد على لوائح اتحادات الطلاب فى أى بلد عربى أو إسلامى يمارس فيه الطلاب أنشطتهم عن طريق الاتحاد .

أهم أعمال اللجان :

* **لجنة الخدمات العامة** ، وأهم أعمالها مايلى :

١ ـ وضع برنامج أو برامج لخدمة البيئة ، مما يسهم فى تنمية المجتمع وعلاج السلبيات التى فيه .

٢ ـ ووضع برنامج للخدمة العامة على مستوى الجامعة أو على مستوى المدينة التى فيها الجامعة أو على مستوى الوطن كله .

٣ ـ ووضع برنامج للإسهام فى أى مشروعات قومية تعود بالنفع على الوطن كله .

* **ولجنة النشاط الكشفى** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ تكوين فرق الجوالة أو الكشافة ،

٢ ـ وتنظيم إقامة المعسكرات والمخيمات ،

٣ ـ والتدريب على الأعمال النافعة كالتعاون فى إقامة مخيم ووضع خطة لإقامته ووضع برنامج له وتحديد المسئوليات فيه وتوزيعها على المسئولين .

* و**اللجنة الثقافية** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ عقد الندوات والدورات والمؤتمرات ذات الموضوعات الهامة كالتيارات الموالية أو المعادية للوطن أو للإسلام ،

٢ ـ والعمل على نشر المبادئ والقيم الأخلاقية السامية ودعم القيم الإسلامية ،

٣ ـ والعمل على مقاومة الانحرافات السلوكية فى الشباب ، ومقاومة الأفكار والفلسفات والمبادئ الهدامة التى تعادى الدين والقيم الإسلامية السائدة فى المجتمع ،

٤ ـ وإقامة المعارض ،

٥ ـ وعقد المسابقات ،

٦ ـ وإصدار المجلات والنشرات ،

* و**اللجنة السياسية** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ تنمية الوعى السياسى بين الطلاب بالنسبة للوطن فى العالمين العربى والإسلامى،

٢ ـ وتعريف الطلاب بسياسة وطنهم الداخلية وتدريبهم على ممارسة العمل السياسى والمشاركة فى قضايا الوطن السياسية ،

٣ ـ وتنمية الولاء للوطن ، والولاء للأمة العربية ، والولاء للأمة الإسلامية .

* و**لجنة النشاط الاجتماعى** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ العمل على تنمية الروابط الاجتماعية بين الطلاب بغرس روح الأخوة والتعاون والمودة فيما بينهم ،

٢ ـ وتقديم الخدمات الاجتماعية للطلاب ، ودراسة مشكلاتهم والعمل على إيجاد حلول لها ،

٣ ـ والعمل على إيجاد علاقة طيبة بين الطلاب وأساتذتهم و « الطالبات وأستاذاتهم » .

* ولجنة **النشاط الرياضى** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ بث الروح الرياضية بين الشباب وتوضيح أن الرياضة البدنية وسيلة لاغاية ، وسيلة لتقوية الجسم وصولا بذلك إلى قوة العقل والروح .

٢ ـ والعمل على تنمية المواهب والاستعدادات الرياضية لدى الشباب .

٣ ـ وتنظيم النشاط الرياضى على أساس التنافس الشريف بإعداد المسابقات والمباريات والمهرجانات الرياضية التى يجب أن تسودها الأخلاق الفاضلة .

* ولجنة **النشاط الفنى** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ تنمية المهارات والقدرات الفنية ورعايتها وتوظيفها لصالح الوطن ، والعالم العربى والعالم الإسلامى .

٢ ـ والإشراف من خلال الموهوبين فنيا على الرسوم التى تظهر فى مجلات الحائط والنشرات وسائر الإصدارات الإعلامية .

٣ ـ والإسهام فى تجميل الكلية أو الجامعة باللوحات أو الزهور أو التنسيق والتنظيم والطلاء وغيرها .

* ولجنة **الرحلات** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ تنظيم الرحلات العلمية التى تعمق خبرة الطلاب العلمية وتؤكد معلوماتهم .

٢ ـ وتنظيم الرحلات الاجتماعية التى تزيد من معرفة الطلاب بأوطانهم ، وببعض بلدان العالمين العربى والإسلامى .

٣ ـ وتنظيم رحلات تبادلية مع طلاب جامعات أخرى من الوطن نفسه لدعم الروابط بين الطلاب .

* ولجنة **الأسر** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ العمل على تكوين أسر فى الكلية تحمل أسماء مشاهير العلماء من المسلمين ، أو مشاهير الشخصيات التاريخية ، أو مشاهير المواقع التاريخية للوطن ، أو مشاهير المواقع الإسلامية .

٢ ـ ووضع برنامج لكل أسرة تُحدد فيه أهداف الأسرة ووسائل تحقيق هذه الأهداف .

٣ ـ وتشجيع روح التنافس بين الأسر عموما ، وبين أفراد الأسرة الواحدة فى نوع معين من النشاط .

* **ولجنة الجمعيات والنوادى** ، وأهم أعمالها ما يلى :

١ ـ تكوين الجمعيات والنوادى الأدبية والعلمية من طلاب فرقة من فرق الدراسة أو من طلاب الكلية كلها .

٢ ـ ووضع برنامج لكل جمعية أو ناد ، يوضح الأهداف والوسائل والسياسات التى يقوم عليها العمل فى الجمعية أو النادى .

٣ ـ ورصد الجوائز للمسابقات بين الأندية والجمعيات التى نجحت فى تحقيق أهدافها .

إن على الداعية المسلمة أن تشارك فى كل هذه الأنشطة مشاركة لايترتب عليها اختلاط بالرجال ولا مخالفة لشىء من آداب الإسلام وأخلاقه .

تفصيل الأنشطة الخاصة بالعمل التربوى

أشرنا إلى وسائل التربية آنفا إشارة خاطفة وأحلنا على الكتاب الموسع فى هذا الموضوع .

ولكننا حرصا على ألا يفوت الداعية المسلمة ما يجب أن تعرفه إجمالا عن تلك الوسائل التربوية ، أردنا أن نشير إلى كل وسيلة منها فى سطور قليلة على النحو التالى :

١ ـ الأسرة :

وهى تجمّع صغير العدد ، يستهدف معاونة الأفراد على تكوين شخصياتهم تكوينا إسلاميا متكاملا من النواحى الروحية والعقلية والبدنية .

ولهذه الأسرة مسئولة عن أفرادها يشترط فيها أن تكون أكثر خبرة ودراية من أفراد الأسرة فى مجال العمل الإسلامى ، وعليها أن تحاول ما وسعها تربية هؤلاء الأفراد تربية إسلامية ، تساعدهن على تكوين هذه الشخصية الإسلامية المتكاملة .

٢ ـ والكتيبة :

وهى تجمع أكبر من الأسرة فى عدد الأفراد ، يستهدف تربية الروح وجلاءها من

الصدأ وحسن وصلها بالله سبحانه عن طريق العبادة والأذكار والأوراد وقيام الليل والتهجد ، بحيث يشعر من يشارك فى الكتيبة بمراقبة الله له ويتولد لديه حب لله ورغبة فى التقرب إليه ورضا بقضائه وقدره .

٣ ـ والرحلة :

وهى تجمع من الأفراد أكبر من الكتيبة ، ويكون للطالبات وحدهن ـ أو للطلاب وحدهم ـ وتستهدف هذه الرحلة تقوية الأبدان ، وتعويد أصحابها على الصبر وبذل المجهود .

وأحيانا تكون الرحلة للترفيه أو للتثقيف ، وفى كل الأحوال فإن للرحلة مسئولة عنها تتولى أمرها وتضع لها بمعاونة بعض المشاركات فيها برنامجها الملائم للمشاركات فيها .

٤ ـ والدورة :

وهى دراسة ثقافية مكثفة لموضوع معين من الموضوعات الإسلامية التى تشغل بال الشباب ، بحيث يدرس هذا الموضوع بعمق على يد عالم محنك من علماء المسلمين فى التخصص الملائم للموضوع .

على أن يعقب هذه الدورة مناقشة وحوار ، تستهدف تحرير المعلومات من الترهات والأباطيل ، وتثبيت ما اتفق عليه الرأى فى نفوس الشباب وعقولهم ، والدعوة إلى تبنى الأفكار التى انتهت إليها الدورة .

على أن الدورة مجال خصيب لممارسة الشورى وفرصة لتعلم احترام الرأى الآخر وتقديره .

٥ ـ والندوة :

وهى محاولة لعرض موضوع واحد له أهمية عند المسلمات من خلال وجهات نظر متعددة ، وتستهدف الندوة توسيع الآفاق العقلية والتأكد من أن كثيرا من الموضوعات تحتمل وجوها عدة وتقبل وجهات نظر عديدة ، وأن على المثقف أن يتقبل هذه الوجهات وأن يناقشها بموضوعية وحياد ، حتى يتبين له الرأى الذى يراه أقرب إلى الصواب وأدنى إلى الحق ، فيقتنع به ويدعو إليه ، وفى ذلك تعويد له على مرونة الفكر وسعة الصدر ورحابة الأفق ، وبخاصة إذا أُحسن اختيار المشاركين فى الندوة من أهل العلم والتخصص

والسابقة فى العمل الإسلامى .

٦ ـ والمخيم :

وهو تجمع أكبر من الأفراد ، يستهدف طبع سلوك المشاركين فيه بطابع الإسلام فى الحياة اليومية والليلية كلها فى النوم واليقظة والسكون والحركة والطعام والشراب والعمل والراحة .

وللمخيم مسئولة تضع له برامجه الملائمة بالتعاون مع بعض المشاركات فيه ، وله نظام دقيق يجب أن تلتزم به كل مشاركة فيه .

والمخيم فرصة تكشف عن معادن الناس ومدى ما لديهم من قدرة على الانضباط والطاعة وحب النظام .

٧ ـ والمؤتمر :

وهو حشد عدد من العلماء والمفكرين ليطرحوا مالديهن من رؤى حول موضوع معين من الموضوعات التى تهم العالم الإسلامى ، وحشد أكبر عدد من الأفراد الذين يسمعون ويناقشون ما يدور فيه ، وللمؤتمر لجانه والقائمون على هذه اللجان ، ثم له توصياته ومقرراته ، وليس كالمؤتمر فرصة لتعرف الشباب على قضاياهم الإسلامية المعاصرة من خلال تلك الدراسات العلمية الجادة الهادفة .

وفى تصورى أن الإسلام يعلمنا أن هذه المؤتمرات ضرورية لنا ، بما شرعه لنا من صلاة الجمعة وخطبتها ، وصلاة العيدين وخطبتهما ، إذ الأصل فى هذه الخطب أن تتناول موعظة للمسلمين ولا موعظة أبلغ من حديث الناس عما يعنيهم وتوضيح موقف الإسلام من قضاياهم .

ففى كل أسبوع قضية تعرض فى خطبة الجمعة ، وفى كل سنة قضيتان كبيرتان تعرضان فى عيد الفطر وفى عيد الأضحى .

والمؤتمر عمل جليل النفع ، ينبغى أن تستنفر له الطاقات ، وأن تعد له العدة ، وأن تختار له القضايا ، وأن يختار له من يطرحون هذه القضايا .

ورابع هذه الواجبات :

أن تختار الداعية إلى الله زميلة أو أكثر لتساعدهن على التفقه فى الدين ، وإن هذا

الواجب يستدعيها أن تضع لذلك برنامجا خاصا وأن تشرف هى بنفسها على تنفيذ هذا البرنامج معهن .

وربما كان الحديث عن تصور تقريبى لهذا البرنامج هو أهم ما فى هذا الواجب الرابع على الداعية المسلمة .

وهذا البرنامج يمكن أن يكون أكثر عمقا من البرنامج الذى قدمناه آنفا عند حديثنا عن اصطفاء ربة البيت لعدد من جاراتها ومساعدتهن فى التفقه فى الدين ؛ لأن هذا البرنامج لجامعيات يمارسن الحياة العلمية ، فمن المناسب أن يكون أعمق نسبيا من ذلك .

وهذا تصور تقريبى له :

أولا : القرآن الكريم ، ويتناول البرنامج بالنسبة له ما يلى :

١ ـ حفظ جزء من أجزائه على الأقل ، مع معرفة أحكام التلاوة والتدرب على التلاوة الصحيحة .

٢ ـ ودراسة تفسير هذا الجزء المحفوظ فى كتاب من كتب التفسير الحديثة مثل :

« فى ظلال القرآن » للمرحوم الشهيد سيد قطب .

ثانيا : السنة النبوية ، ويتناول البرنامج منها ما يلى :

١ ـ حفظ عدد من الأحاديث النبوية من اختيارات النووى فى كتابه : « رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين » .

٢ ـ ومعرفة شرح هذه الأحاديث التى حفظت من نفس الكتاب السابق .

٣ ـ ودراسة موجزة لمصطلح الحديث النبوى .

ثالثا : السيرة النبوية المطهرة ، ويتناول البرنامج منها ما يلى :

١ ـ دراسة فى كتاب « إمتاع الأسماع » للمقريزى .

٢ ـ ودراسة فى « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى .

رابعا : الفقه الإسلامى ، ويتناول البرنامج منه ما يلى :

يدرس فيه من كتاب « فقه السنة » للشيخ سيد سابق .

خامسا : الثقافة الإسلامية العامة ، ويتناول البرنامج فيها مايلى :

دراسة فى الكتب التالية :

١ ـ « حاضر العالم الإسلامى » للثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض وتعليق الأمير شكيب أرسلان .

٢ ـ « الدعوة إلى الإسلام » لأرنولدوتوماس وترجمة د . حسن إبراهيم حسن .

٣ ـ « نحن والحضارة الغربية » لمحمد محمد حسين .

٤ ـ « عالمية الدعوة الإسلامية » للمؤلف .

٥ ـ « الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى » لمحمد البهى .

٦ ـ « حجاب المرأة المسلمة » لمحمد ناصر الدين الألبانى .

وهذا تصور نفتح به على الداعية إلى الله ، وتستطيع أن تزيد عليه وأن تنقص منه على حسب ما ترى من كفاءة هذه المجموعة التى معها وقدراتهن .

والمدى الزمنى ـ الذى أقترحه لهذا البرنامج ـ سنتان تقريبا .

ويا حبذا لو أجريت مسابقات حول بعض فقرات البرنامج ورصدت لها جوائز أدبية أو مادية ـ حسب ما يتاح ـ فإن ذلك يشجع على هضم البرنامج فى مدة زمنية معقولة .

سادسا : الأنشطة العملية لهذه المجموعة المختارة :

١ ـ القيام برحلة إلى مكان مناسب ، مع ضرورة وضع برنامج لهذه الرحلة قبل القيام ، وإعداد كل ما يحتاج إليه القيام بها .

٢ ـ والاتفاق على صيام يو م تطوع ، وتناول الإفطار معا وقراءة بعض الأدعية والأوراد المأثورة عن النبى ﷺ .

٣ ـ والقيام بأنشطة مسجدية ، كتلاوة القرآن الكريم ، وتلقى بعض الدروس ، والإشراف على نظافة المسجد وتنظيم مكتبته ، وتفقد أثاثه وفرشه .

٤ ـ وإعداد معرض لعرض بعض الأشياء التى أنتجتها هذه المجموعة وبيعها بسعر التكلفة لبعض الفقيرات فى الحى ـ على أن يكون العرض والبيع فى غير مكان الصلاة .

٥ ـ والقيام بإعداد يوم إسلامى مفتوح .

٦ ـ وجمع بعض الفقيرات فى الحى وتقديم طعام لهن فى المسجد ـ مع ضرورة المحافظة على هيبة المسجد واحترامه .

٧ ـ والقيام بزيارة بعض الصالحات من رائدات العمل الإسلامى بعد تحديد موعد مسبق .

إلى غير ذلك من الأنشطة التى تراها الداعية ملائمة ولا نستطيع أن نفيض فى الحديث عنها ، لظروف الكتاب من جانب ولوضوحها من جانب آخر .

الباب الرابع

قضايا المسلمة المعاصرة وموقف الإسلام منها

ويتنــاول :

التمهــيد :

الفصــل الأول : قضيتا التعليم والعمل .

والفصــل الثاني : قضيا الزواج والطلاق وتعدد الزوجات .

والفصل الثالث : قضية الحجاب .

التمهيد ...

في التمهيد لهذا الباب نحب أن نقول : إن هذه القضايا التى خصصنا لها هذا الباب هي قضايا ولدت فى الظروف السيئة التى عاشها العالم الإسلامى ، بعد تغلب أعدائه عليه واستيلائهم على بلاده وعباده فى هذا القرن الأخير ، حيث استطاع أعداء الإسلام من الغرب أن يحتلوا معظم بلدان العالم الإسلامى بتسميات مغلوطة كالانتداب والوصاية والحماية والاستعمار .

إن هؤلاء الأعداء قد حولوا العالم الإسلامى معظمه إلى أتباع خاضعين مقهورين غلبوا على أمرهم وتراجعوا عن حضارتهم ، ليفرضوا عليهم قيمهم وحضارتهم ، وليعيروهم ويوبخوهم إن أخذوا من الحضارة الإسلامية شيئا .

ولقد أصابت حضارة الغرب بعض المسلمين بدهشة وانبهار ، لما فيها من بهارج وعناوين ربما تخلوعن المحتوى فى كثير من الأحيان ، وذلك بأن ربطوا فى أذهان كثير من المسلمين بين التقدم والرقى والحضارة الغربية ، كما ربطوا لهم بين التقهقر والرجعية والحضارة الإسلامية..

ومن المعروف بل المسلم به أن المغلوب تخدعه أخلاق الغالب وأعماله ومفردات حضارته ، وكثيرا مايتعلق المغلوب بتقليد الغالب والنسج على منواله .

ومن المؤسف أن كثيرا من متعلمى المسلمين ومن زعمائهم فى الفكر والثقافة والسياسة فهموا ــ وهم يحاولون الإصلاح ــ أن سبيل قيام المسلمين من كبوتهم وتبوأهم مكانتهم هو محاكاة الحضارة الغربية في كل ما جاءت إليهم به ــ وهم واهمون مخطئون فى هذا الفهم ــ فعندما جاءت الحضارة الغربية بالإلحاد والمادية والكفر بما وراء الحواس وجدنا فى المسلمين من يقبل هذا الإلحاد والمادية ؛ لأنه جاء من الغرب وكفى .

وعندما جاءت الحضارة الغربية بأن يستبيح الإنسان ما يحقق له نفعا أو لذة ، وجدنا في مجتمعات المسلمين من يشربون الخمر ويلعبون الميسر ويتعاطون المخدرات والمفترات .

وعندما جاءت الحضارة الغربية بقوانين وضعها البشر للتحاكم بها بين الناس ، وجدنا

من المسلمين من يعطل شريعة الله ليستبدل بها القوانين الوضعية .

وعندما جاءت الحضارة الغربية بنسائها كاسيات عاريات عاملات فى المصانع مخالطات للرجال دون حياء ، متخليات عن العفة دون حرج ، وجدنا فى المجتمعات الإسلامية من ينادى بتحرر المرأة من أى قيود ، وبضرورة اختلاطها بالرجال ، ووجدنا من القوانين ما لا يعاقب على جريمة الزنا : إذا تمت بالرضى بين الطرفين الآثمين .

ولقد كان ومايزال أعداء الإسلام ينظرون إلى الإسلام نظرة حقد وشك واتهام ، ولذلك أوسعوا الإسلام تهما ومفتريات عن جهل به أو سوء قصد مع العلم .

وكان من الطبيعى أن يتصدى المسلمون المغلوبون على أمورهم للرد على هذه الشبهات والأباطيل ، فكيف ردُّوا ؟

إنهم ردوا الردود التى لا تغضب سادتهم ومتبوعيهم ، فإذا اتهموا الإسلام بأن الجهاد فيه وحشية وضراوة ونشر للإسلام بالسيف ، انبرى هؤلاء المقهورون يقولون مخطئين : إن الجهاد ماشرع إلا لرد العدوان فقط ، وإن الذين نشروا الإسلام مستعملين السيف أخطأوا .

وعندما قال هؤلاء الأعداء إن الإسلام أقر الرق واعترف به انبرى هؤلاء المقهورون يقولون : إن الإسلام حرم الرق .

وعندما قال هؤلاء الأعداء إن الإسلام خال من الديموقراطية والاشتراكية انبرى هؤلاء المساكين المقهورون يقولون : ديموقراطية الإسلام واشتراكية الإسلام ، بل إن بعضهم زعم شيوعية الإسلام .

وعندما قالوا .. وعندما قالوا ... وما أكثر الباطل الذى قالوا ... انبرى هؤلاء يردون ردود الضعفاء الذين إن أحسنا بهم الظن قلنا إنهم يجهلون ، وإن أنصفناهم قلنا يغالطون .

ومن أبرز ما يعنينا ـ بالنسبة لموضوع هذا الكتاب ـ ماجاء على ألسنة أعداء الإسلام من اتهامات وأباطيل فيما يتصل بالمرأة ، لا لنرد عليهم حسب مايرضيهم ، وإنما لنرد عليهم بالحق الذى يغيظهم ويرد كيدهم إلى نحورهم .

وأهم هذه القضايا :

قضية تعليم المرأة ،

وقضية عملها ،

وقضية الزواج ،

وقضية الطلاق ،

وقضية تعدد الأزواج .،

وقضية الحجاب .

محاولين أن نبين فيها موقف الإسلام بموضوعية وحياد ، سواء أرضى عنه الأعداء أم غضبوا عليه وعلينا ، وسواء أقبله بعض المسلمين الغافلين من الأولياء أم رفضوه ، لأنه حق من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ، وهو بهذا أحق أن يتبع ، فإن لم يتبع اليوم فسوف يتبع غدا ، وإن لم يجد أنصارا اليوم فسوف يجدهم فى الغد ، بل الغد القريب بإذن الله تعالى .

إننا سنحاول في هذا الباب الأخير من الكتاب أن نتحدث عن أبرز قضايا المرأة المعاصرة فى المجتمعات الإسلامية ؛ لأن أعداء الإسلام بذلوا جهودا ضخمة فى محاولة جر المرأة المسلمة إلى « اللادينية » التى وصلت إليها المرأة فى ظل الحضارة الغربية المعاصرة على الرغم من يهودية المرأة هناك أو مسيحيتها .

ولقد كان هدفهم من ذلك و مايزال وسوف يظل هو صرف المرأة المسلمة عن إسلامها إلى أى شىء يشغلها ويلهيها عن صالح دينها ودنياها ، ويحول بينها وبين أن ترعى بيتا مسلما أو تربى أبناء مسلمين وبنات مسلمات .

وليس المجال هنا ملائما لبسط القول فى الأسباب التى جعلت الأعداء يحاولون هدم الأسرة المسلمة بهدم أخلاقيات المرأة ، وإن كان من المحتم علينا أن نشير إلى بعض هذه الأسباب إشارات عابرة تاركين التفصيل لكتاب آخر نعده الآن (٢٢٤) ، فنقول سائلين الله التوفيق :

إن لهؤلاء الأعداء أسبابا كثيرة تحركهم للكيد للإسلام عموما ، ولضربه من خلال المرأة فى مقتل على وجه خاص .

أما أنهم يكيدون للإسلام عموما فلهم فى ذلك أسباب تاريخية بعيدة الأغوار ، أبرزها أن الإسلام جاء ليحرر البشرية من ظلم الجبارين ومن ضلال الهدف ، ومن عبادة

---

(٢٢٤) هو بعنوان : التحديات الموجهة للإسلام والرد عليها .

غير الله ، وكل هؤلاء الأعداء إما ظلمة أهل جور ، وإما أصحاب عقائد فاسدة ونحل وملل محرفة ، وإما ممن يرغبون فى أن يستعبدوا الناس باسم الأديان المنحرفة ليحولوهم عن عبادة الله .

ولأن الإسلام يقف لكل هذا بكل مرصد كانت عداوة هؤلاء للإسلام ظاهرة حينا تأخذ شكل الحروب ، وباطنة حينا تغير نوع السلاح والحرب قائمة .

فأما أعداء الإسلام الذين خاضوا ضد المسلمين حروبا واضحة صريحة فإنهم ووجهوا بجهاد فى سبيل الله استطاع به المسلمون أن يهزموهم فى أشهر هذه الحروب ـ وهى الحروب الصليبية التى استمرت قرنين من االزمان ، من ٤٩٢هـ إلى ٦٩١ هـ ـ فهؤلاء لا تزال تحركهم الأحقاد وتثير ضغائنهم على الإسلام والمسلمين .

وإن فترات التقدم والرقى الحضارى التى عاشها المسلمون قرونا عديدة ، وكان فيها هؤلاء الأعداء عالة على الحضارة الإسلامية فى الفكر والعلم والتقنية ، فأخذوا من هذه الحضارة العلمية الإسلامية مابنوا عليه حضارتهم أو نهضتهم العلمية ـ لهى من الأسباب التى تملأ قلوبهم وصدورهم بالحقد على الإسلام والمسلمين .

وإن قدرة بعض الدول الإسلامية على أن تبسط نفوذها على مايقرب من نصف أوربا لأكثر من ثلاثة قرون لمحرك آخر للأحقاد والضغائن على الإسلام والمسلمين ، وإن هذا بالذات ليكاد يكون أهم الأسباب التى جعلت دول أوربا كلها تتكاتف وتتحالف لتقضى على دولة الخلافة الإسلامية فى تركيا ، مستغلين فى ذلك بعض الخونة من المسلمين كمصطفى كمال مشئوم تركيا ومن كانوا معه ممن باعوا دينهم بدنياهم واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فاستوردوا الحضارة الغربية وغاصوا فى مستنقعها الأخلاقى إلى الأذنين .

وإن اعتقاد أعداء الإسلام من الغربيين بأنهم جنس متميز « آرى » وأن المسلمين فى معظمهم جنس أقل « سامى » ـ لما أرث هذه العداوة جيلا بعد جيل وأذكى نارها .

ولسنا بحاجة إلى أن نذكر بما قام به عدد ضخم من المستشرقين من الكيد للإسلام والافتئات على فكره وثقافته وعلى مصدريه الأصليين الكتاب والسنة ، فهو معروف لا ينكره إلا معاند أو تابع للغرب فى فكره وثقافته .

والعجب الذى لا ينتهى منه عجب أن بعض المستشرقين يعترفون بذلك صراحة فى

بعض كتاباتهم ، وأن الغافلين اللاهين من أبناء المسلمين يدافعون عن المستشرقين وعن موضوعيتهم وحيادهم فى البحث العلمى !!!

كما أننا لسنا بحاجة إلى التذكير بما قامت به المؤسسات الصليبية من كيد للإسلام والمسلمين ومحاولة نقلهم من الإسلام إلى المسيحية كما اعترفوا هم بذلك فى كتاب مثل : الغارة على العالم الإسلامي لشاتليه ، ثم نجد من يصف هذه المؤسسات بالتسامح ويرمى المسلمين بالتعصب !!!

ولسنا بحاجة إلى أن نوضح أن من عدائهم للإسلام والمسلمين أن زرعوا فى قلب العالم العربى الإسلامى دولة إسرائيل لتمثل رأس حربة فى العدوان الدائم على العالم الإسلامي ، تضرب فى الدول التى تحيط بها وقت ما تشاء ، وتمد يدها لتنال بلدا لا تحيط بها كتونس مثلا ، وتجد التأييد الكامل من أعداء الإسلام والمسلمين فى أمريكا وروسيا وأوربا كلها ، بل تجد المشاركة من هذه الدول بالأسلحة المتطورة والجيوش فى بعض الأحيان .

ولسنا بحاجة إلى أن ننبه إلى أن ضرب الصحوة الإسلامية وكل حركة إسلامية فى العالمين العربى والإسلامى من ورائها أعداء الإسلام الذين يخططون ويساندون وينفقون ، ويشجعون دولا عربية أو إسلامية على ضرب هذه الحركات الإسلامية والحيلولة بينها وبين ممارسة أبسط حقوق المواطنة وهو التعبير عن الرأى .

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن اصطناع الحروب بين بلدان العالم الإسلامى وغرس الخلافات بين المسلمين فى الشرق والغرب من ورائها خطط بعيدة الأهداف ، فحرب الخليج وحرب أفغانستان وحرب الصحراء الغربية وحرب تشاد ومأساة لبنان ، كل ذلك من ورائه عدو لا يهدأ ولا ينى ، يؤرث الخلاف ويذكى ويدفع بالسلاح والعتاد عن طريق القروض والديون ، وبالغفلة الغافلين (٢٢٥) .

ومن نافلة القول أن نؤكد أن العداء لكل شعب مسلم على وجه الأرض هدف يتحالف من أجل الوصول إليه زعماء الغرب والشرق ، ولطالما انخدع بعض قادة العرب بصداقة الاتحاد السوفيتى ، فلما قامت حركة « البروسترويكا » عومل المسلمون فى الاتحاد السوفيتى فى أذربيجان وغيرها بما لم يعامل به سواهم من غير المسلمين فى دولة إعادة البناء !!!

---

(٢٢٥) ذكرت إحدى الدراسات الإحصائية العسكرية أن حرب إيران والعراق تكلفت ماديا « ماليا » أكثر عشرات المرات من ثمن هذه الجزر الثلاث التى اندلعت الحرب بسببها ، لو أن هذه الجزر بيعت بأبهظ الأثمان .

وهذا غيض من فيض وقطرات من سيل والحديث ذو شجون.

وأما كيدهم للإسلام من خلال المرأة ، وما تقوم به المرأة المسلمة من عمل جليل فى تربية الأسرة المسلمة ، فإنه كان أضرى وأنكى ، وقد جندوا له الطاقات المادية والمعنوية ، وأعدوا له الدعاة من المسلمين وغير المسلمين ، بل من النساء المسلمات أحيانا ، واستطاعوا أن يجدوا من المسلمين أنصارا لهم يهاجمون المرأة المسلمة فى عقر دارها فى زيها وشكلها وما أمرها الله من تستر ، حتى تندر بها بعض الزعماء بأنها جنازة متحركة أو خيمة سوداء ، بل وجدوا من النساء المسلمات أنفسهن من تنادى بالتحرر من الحجاب وبممارسة الحرية الأخلاقية وتعددت الاتهامات فى قضايا تعليم المرأة المسلمة وعملها وزواجها وطلاقها وحجابها ، مما سوف نناقشه فى هذا الباب بإذن الله سبحانه وتعالى .

الفصل الأول

قضيتا التعليم والعمل بالنسبة للمرأة المسلمة

أولا : قضية تعليم المرأة وموقف الإسلام منه

تعليم المرأة حق أساسي كفله لها الإسلام ، وطالب به وليها ، بل ألزمه به ، فقد ورد في سنة رسول الله ﷺ مارواه أبو نعيم بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ » .

وكلمة الولد تعني المولود من ذكر وأنثى ، لا يشك في ذلك من له أدنى معرفة بلغة القرآن الكريم .

وكما فرض الإسلام طلب العلم على المسلم فرضه على المسلمة ، إذ من المعروف لدى من يعرفون الإسلام ، أن هذا الدين لا يفرق بين الذكر والأنثى في التكاليف والحقوق والواجبات والآداب ، وبالتالي فلا فرق بينهما من حيث العلم والتعلم ، مادام الإسلام قد طلب التعلم من كل مسلم ومسلمة وأوجب على الوالد أن يعلم ولده الكتابة .

فقد صح عن النبي ﷺ قوله :« طلب العلم فريضة على كل مسلم » وكلمة مسلم تعني الذكر والأنثى .

كما أن الإسلام لم يفرق بين الذكر والأنثى في ثواب أو عقاب ، فقد صرحت بذلك آيات القرآن الكريم ، قال الله تعالى :﴿ **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾ (٢٢٦) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ (٢٢٧) .

وإنما يعتبر الإسلام الفروق بين الذكر والأنثى في أمور محدودة كسقوط فريضة الصلاة عن الحائض بغير قضاء وكذلك النفساء ، وكسقوط فريضة الصوم عنهما مع القضاء بعد الطهر ، وكشهادة امرأتين في مقابل شهادة رجل واحد ، وغير ذلك من الأمور المحدودة .

---

(٢٢٦) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٢٢٧) سورة النحل : ٩٧ .

ولكى نوضح الصورة فى أن الإسلام لم يفرق بين المرأة والرجل فى التعليم ، ولا فى الدعوة إلى الله ، نورد بعض النصوص الإسلامية الدالة على ذلك المؤكدة له :

١ - أكد دين الإسلام فيما أوحى الله إلى محمد ﷺ من القرآن الكريم ، أن الرسول ﷺ جاء إلى البشرية كلها :

داعيـــا ،

ومعلمـــا ،

ورســـولا ،

وهاديـــا ،

وسراجـــا ،

وبشيـــرا ،

ونذيـــرا ،

ومزكيا للبشرية كلها .

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (٢٢٨) .

وقال عز وجل : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون** ﴾ (٢٢٩) .

وفى هذين النصين القرآنيين ما يحدد عمل الرسول ﷺ وعمل الذين آمنوا من رجال ونساء - إذ لا تخصيص للرجال دون النساء .

وهذا العمل كما تدل عليه الآيتان الكريمتان عمل تعليمى تربوى متنوع إلى مايلى :

أ - تلاوة آيات الله قراءة وعملا وتنفيذا ، وهذا عمل تعليمى .

ب - وتزكية النفس أو الغير أى تطهيرها من وساوس الشيطان وتنميتها ، وهذا داخل فى العملية التعليمية بغير شك .

---

(٢٢٨) سورة الجمعة : ٢ .

(٢٢٩) سورة البقرة : ١٥١ .

جـ ـ وتعليم الناس الكتاب ـ أى القرآن الكريم ، وهذا عمل تعليمى مباشر .

د ـ وتعليم الناس الحكمة ، سواء أكانت هى السنة النبوية المطهرة أم كانت بمعناها العام ، وهو وضع كل أمر فى موضعه وكل شخص فى موضعه ، فذلك أيضاعمل تعليمى.

هـ ـ وتعليم الناس مالم يكونوا يعلمون من قبل ، وهو رسم خطوط عامة للمستقبل بالإيمان والعلم .

٢ ـ وكل مسلم يتبع الرسول ﷺ يجب عليه مايجب على الرسول ﷺ وقد وجب عليه التعليم والتزكية ودليل ذلك الواجب قوله تعالى على لسان محمد ﷺ : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ (٢٣٠) .

فكل مسلم ومسلمة ممن اتبعوا محمدا ﷺ يجب عليه أن يدعو إلى الله ، بشرط أن تكون له بصيرة بما يدعو إليه ، والبصيرة علم يتعلم .

٣ ـ والدعوة الإسلامية بما تشتمل عليه من علم وتعليم عامة عمومية لم تسبق إليها فى أى دعوة من الدعوات السابقة عليها زمنيا ، فالإسلام دعا إلى أن يقوم المسلمون رجالا ونساء بالدعوة إلى الله فى عمومية لا تعرف جيلا بعينه ولا قوما بأعيانهم ، بل لاتعرف أن تكون الدعوة إلى الله من عمل الرجال وحدهم دون النساء ، أو أن يقوم بها العرب دون غيرهم من المسلمين ، أو الوجهاء أو الأغنياء دون من هم أقل وجاهة أو أكثر فقرا أو أقل غنى ، وإنما هى عامة تتناول البشرية كلها من كل جنس أو لون ، كما ورد ذلك على لسان محمد ﷺ فى قوله : « بعثت لكل أحمر وأسود » ، وكما خاطبه الله سبحانه وتعالى ليوضح له أبعاد الدعوة فى الزمان والمكان ، حيث ربطها بالناس عموم الناس ، طالما كان على الأرض ناس فى قولـه وتعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للنـاس بشيرا ونذيرا** ﴾ (٢٣١) .

٤ ـ وأن الدعوة الإسلامية بما تشتمل عليه من علم وتعليم وتعلم عالمية لا تعرف الحدود المكانية أو الجغرافية لكى تقف عند بعضها وتقول : حسبى لقد بلغت ، وإنما هى لكل مكان ، علمها وتعليمها يخترق الحاضر إلى المستقبل ويجتاز حدود المكان ، فقد أوضح الله تبارك وتعالى هذا فى قوله : ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده**

---

(٢٣٠) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٢٣١) سورة سبأ : ٢٨ .

ليكون للعالمين نذيرا ﴾ (٢٣٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (٢٣٣) ، وقال جل شأنه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٢٣٤) ، وقال سبحانه : ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (٢٣٥) .

وخلاصة ماذكرنا أن الإسلام يمزج بين الدعوة إلى الله وتعليم الآخرين ، فكل مدعويمارس معه الداعى نوعاً من التعليم ، وأن الإسلام يساوى فى ضرورة التعلم والتعليم بين الرجل والمرأة ، فكما يوجب على الرجل أن يتعلم ليدعو إلى الله ويعلم غيره يوجب على المرأة نفس العمل أن تتعلم وتعلم غيرها من النساء .

ما جادل فى هذه الحقائق على مر التاريخ الإسلامى إلا جاهل بالإسلام أو حاقد عليه ، سواء أكان من أوليائه أم أعدائه .

٥ ـ وهناك تلازم بين الدعوة إلى الله الواجبة على كل فرد ذكر أو أنثى وبين التعلم والتعليم ، وهذا التلازم نابع من أن الدعوة إلى الله لا تكون بغير تعليم المدعوين ، ولا يستطيع أن يعلم إلا من تعلم قبل ذلك .

وإذا كانت المرأة مطالبة بأن تدعو إلى الله على بصيرة فكيف تحقق هذه البصيرة بغير تعلم ؟

وكيف تمارس الدعوة فى غيرها دون أن تعلّم ؟

وبعد : فإذا كانت تلك هى الأصول الثابتة فى تعلّم المرأة المسلمة وتعليمها لتمارس حياتها وواجبها فى الدعوة إلى الله ، وهذا هو موقف الإسلام من تعلم المرأة وتعليمها ـ فمن أين جاءت تلك التهمة أو الفرية التى تزعم أن المرأة المسلمة غارقة فى الجهل والتخلف ؟ ومن أين جاءت المفتريات التى تزعم أن الإسلام قد حرم المرأة المسلمة من التعلم والتعليم ، ومنعها من الخروج من البيت لتعلم أو لغيره ؟

إن هذه الفرية رددها الحاقدون على الإسلام من بعض المستشرقين والمبشرين والمستعمرين ، على أمل أن تنطلى الخدعة على المسلمين فتظل المرأة جاهلة غير متعلمة لكى يحرموا الأسرة المسلمة من أم متعلمة واعية واسعة الثقافة ، تحسن تربية أبنائها وتنشئهم على القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة .

---

(٢٣٢) سورة الفرقان : ١ .
(٢٣٣) سورة يوسف : ١٠٤ .
(٢٣٤) سورة الأنبياء : ٧١ .
(٢٣٥) سورة ص : ٨٧ .

إن هؤلاء الأعداء نظروا إلى المرأة المسلمة فى فترة كان العالم الإسلامى فيها فى أسوأ حالاته مقهورا بأعدائه ، متراجعا عن حضارته ، متخليا عن أخلاق دينه وآدابه ، محكوما بمنهج فرضه عليه عدوه فكان لابد أن يصيب المرأة المسلمة من هذا نصيب ، كما كان لابد أن يحال بينها وبين التعليم والتعلم بسبب سياسة الأعداء للإسلام والمسلمين ، فلما حدث هذا بسببهم قالوا : إن المرأة المسلمة جاهلة وغير متحضرة وأن هذا الجهل وذلك التراجع الحضارى راجع إلى أسباب دينية وتقاليد إسلامية !!!

إن مقولتهم تلك من أكذب الكذب على الإسلام ؛ لأنه دين العلم والثقافة والمعرفة ، الدين الذى كان أول مانزل من كتابه على الرسول الخاتم ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ (٢٣٦).

أى دين مجّد القراءة والكتابة والعلم والتعلم والثقافة كهذا الدين ؟ أى دين جعل طلب العلم أو التعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر والمقارن يخطر بالذهن عند خطور مقارنه ، فإننا نقول:

إن المرأة الأوربية هى التى كانت غارقة فى الجهل لافى العصور الوسطى ـ عندهم ـ وحدها ، ولكن إلى وقت قريب لايزيد عن قرن ونصف قرن إلى الوراء من وقتنا هذا ـ والعصور الوسطى عندهم عصور الظلام والتخلف كما وصفوها هم ، توازى عندنا معشر المسلمين عصور التقدم والرقى العلمى والفنى ، والتفوق فى مختلف مجالات الحضارة الإنسانية.

إن الحضارة الأوربية فى تلك القرون كانت تعتبر المرأة جزءا من المتاع الذى يتلهى به الرجال عندما يريدون ، دون زواج مشروع ودون حقوق في كثير من الأحيان .

إن المرأة الأوربية حرمت فى ظل هذه الحضارة من كثير من حقوقها ، حيث لم تكن ترث ولا تملك ولا تحتفظ باسم أبيها وعائلتها وإنما تحمل اسم زوجها ، وكانت عند الزوج كالأمة ، حتى إنه كان يأمرها فلا تملك غير الطاعة حتى فى الأمور التى لا تقبلها الفطرة السوية.

---

(٢٣٦) سورة العلق : ١ ـ ٥ .

ولم يكن هذا مكان المرأة ولا تلك مكانتها فى عصورهم الوسطى فحسب ، ولكنه استمر إلى وقت قريب إلى قرن ونصف قرن من زماننا هذا ـ العقد الأخير من القرن العشرين ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر :

فإن « الإنجليز كانوا يعتبرون تعليم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال . فلما كانت« اليصابات بلاكويل » تتعلم فى جامعة چنيف سنة ١٨٤٩م ـ وهى أول طبيبة فى العالم ـ كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ، ويزوين ذيولهن عن طريقها احتقارا لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مسَّها .

وإن الأمريكان عندما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب فى مدينة « فلادلفيا » الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل أن يعلم بهذا المعهد ، وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء » (٢٣٧) .

وإن الألمان هم الذين تنسب إليهم الكلمة التالية : « إن خزائن ملابس المرأة هى مكتبتها » .

وأن الفرنسيين هم أصحاب فكرة أن المرأة يجب أن تحبس بين جدران أربعة .

وقد ذكرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب طرفا من تعامل أصحاب الحضارات المختلفة قديمها وحديثها مع المرأة .

أما تاريخ مكانة المرأة المسلمة فى ظل الحضارة الإسلامية وقبل أن يقع العالم الإسلامى فى براثن أعدائه من شرق وغرب ، فقد كان تاريخا مشرفا فى العلم والتعلم والتعليم .

إن المرأة المسلمة برزت في مجالات العلم وبخاصة العلوم الإسلامية حتى بلغ بعضهن فى تلك العلوم شأوا بعيدا .

إن الإسلام لم يكتف بأن يجيز للمرأة أن تتعلم ماشاءت من علوم الدين والدنيا ، بل أوجب عليها ذلك كما أوجبه على الرجل .

وقد كان النساء على عهد النبى ﷺ يتعلمن كالرجال ، بل كان الرسول ﷺ قد حدد لهن موعدا يحضرن فيه للعلم والتعلم ، كما ورد ذلك فى سنة النبى ﷺ وسيرته .

---

(٢٣٧) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن الكريم : ١٦٩ ، ط بيروت .

وكان بعض أزواجه ﷺ كأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها يؤخذ عنها العلم ، وكانت بذلك تعلم عدد من الرجال الذين كانوا يتوجهون إليها بالسؤال عن حال رسول الله ﷺ وهديه ، كما كانت تعلم عددا لابأس به من النساء ، وكان لبعض زوجات النبى ﷺ معرفة بكثير من قضايا التفسير لبعض آيات القرآن الكريم ، وكثير من مسائل الفقه .

إن الإسلام حرض النساء على طلب العلم والتعلم كما أسلفنا ، وبعد عهد الرسول ﷺ كان لبعض النساء المسلمات قدم راسخة فى العلم ،ولم يكن عددهن قليلا فى أى قرن من القرون التى كانت الحضارة الإسلامية فيها مزدهرة .

وسوف أدلل على هذا بما يلى :

١ ــ ذكر الحافظ ابن عساكر ٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ المؤرخ المحدث الرحالة أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعا وثمانين امرأة ، فهل كان هؤلاء هن المتعلمات وحدهن ؟

وله معجم سماه « معجم النسوان » .

٢ــ وذكر الحافظ الذهبى ٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ المؤرخ المحدث المحقق ، وله مؤلفات عديدة فى رواة الحديث النبوى [٢٣٨] وقد قال عن روايات الحديث من النساء : « وما علمت من النساء من اتهمتْ ولا من تركوها » أى لم يتهم أحد من المحدثين الذين رووا عن النساء إحداهن بما يطعن فى روايتها ،ولم يتركوا الرواية عن واحدة منهن ، لفقدها شروط حمل الحديث وروايته .

وقد روى الإمام البخارى عددا من الأحاديث النبوية فى صحيحه عن بعض النساء من روايات الحديث .

وكان ممن عَلَّم الإمام الشافعى وابن خلكان وأبا حيان بعضُ النساء ، كما حكى هؤلاء الأعلام ذلك بأنفسهم .

---

(٢٣٨) من مؤلفاته تلك :

الكاشف فى تراجم رجال الحديث (مخطوط) .

وتهذيب تهذيب الكمال فى رجال الحديث (مخطوط) .

وميزان الاعتدال فى نقد الرجال (مطبوع) .

ومعجم شيوخه (مخطوط) .

والمغنى في رجال الحديث (مخطوط) .

والرواة الثقات (مطبوع) .

فقد ذكر ابن خلكان أن أستاذته أم المؤيد زينب بنت الشعرى أخَذتْ العلم عن كبار العلماء وروته عنهم ، وقد منحوها إجازة علمية فى ذلك ، ثم يقول ابن خلكان بعد ذلك : « إنها منحته إجازة علمية كتبتها له سنة ٦١٠هـ » .

وكان من النساء المسلمات من اشتغلن بالفقه والقضاء والتدريس ، ومنهن من اشتغلن بالطب والسياسة والاجتماع ، والكثرة الكاثرة منهن اشتغلن بالتدريس ، وكان عدد لا بأس به منهن قد انقطعن لتدريس العلوم الدينية .

وقد اشتهر عدد كبير منهن في معظم مجالات العلم ، يلتمس فى كتب الطبقات مثل : طبقات المحدثين وطبقات الأدباء ، وغيرها ، كما يلتمس فى الكتب الموسعة ، ولا نستطيع هنا أن نذكر مسردا بأسمائهن حتى لا نخرج عن سمت الكتاب .

ولم تكن مشاركة النساء فى العلم نتيجة مباشرة لاتساع رقعة العالم الإسلامى واختلاطه بأهل الحضارات غير الإسلامية مثل حضارتى الفرس والروم ، و إنما كانت تلك المشاركة عملا أصيلا عندهن ، بدأ هذا العمل منذ عهد النبى ﷺ ، فقد ذكر أكثر من مؤرخ أن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار - وهو سائر إلى غزوة خيبر - فقلن : يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : « على بركة الله » .

ورووا كذلك أن الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذ قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، فنسقى القوم ونخدمهم ونداوى الجرحى ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .

وكتب السنة النبوية معظمها تتحدث عن عدد من النساء اللاتى شاركن فى الغزو أثناء الفتوحات الإسلامية ، بل منهن من غزت فى سبيل الله راكبة البحر - كما أسلفنا فى حديثنا عن السابقات .

وقد أذن رسول الله ﷺ للنساء فى شهود العيد ، وأمرهن أن يخرجن العواتق وذوات الخدور ، وأمر الحائض أن تعتزل مصلى الناس ، وقال : « يشهدون الخير ودعوة المسلمين » .

وتلك دعوة من رسول الله ﷺ للمسلمين جميعا إلى تعليم النساء كل خير يعود عليهن بالنفع فى الدنيا والآخرة .

وما حدث فى تاريخ الإسلام والمسلمين أن أحد الأئمة أو العلماء أو القادة المصلحين

رفض أن تتعلم المرأة المسلمة مايعود عليها بالنفع فى دينها ودنياها .

بل إن الزمن الباكر للمسلمين شهد تعلم البنات كتعلم البنين ، حتى إن سحنون عبد السلام بن سعيد ١٦٠هـ ــ ٢٤٠هـ ، والد محمد المشهور فى مجال التربية الإسلامية - سحنون هذا كان يحذر المعلم أن يخلط البنات الصغيرات مع الأولاد وهو يعلمهن ، فقد قال : « أكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان ؛ لأن ذلك فساد لهم » . إذن فقد كان هناك تعليم للبنات الصغيرات وكانت هناك كتاتيب أو مدارس ، وكانت الخشية من الاختلاط فى هذه السن الصغيرة .

وسأسرد هنا أسماء عدد من علماء المسلمين الذين اهتموا بالتربية ولهم فيها مؤلفات ودراسات جيدة ، وما منع أحد منهم تعليم البنت أو حرمها من هذا الحق الذى كفله لها الإسلام ، وإنما وضعوا لتعليمها بعض التحفظات مثل منع الاختلاط مع البنين ومنع تعليمها ما يضرها أو لا يعود عليها بالنفع فى دينها ودنياها .

وهؤلاء العلماء التربويون في تاريخ الإسلام هم :

١ ــ سحنون عبد السلام بن سعيد ١٦٠ - ٢٤٠ هـ القاضى الفقيه الذى انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب ، وله « المدونة » وهي مرجع هام في الفقه المالكى .

٢ ــ والجاحظ عمرو بن بحر ١٦٣ - ٢٥٥ هـ فى رسالته الشهيرة « رسالة المعلمين » ، وهى مخطوطة فى المتحف البريطانى برقم ٣١٣٨ .

٣ ــ وابن سحنون محمد بن عبد السلام ٢٠٢ - ٢٥٦ هـ ، وله كتاب مطبوع بعنوان : « آداب المعلمين » .

٤ ــ والقابسى على بن محمد ٣٢٤-٤٠٣ هـ ، وله كتاب مطبوع هو : « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » .

٥ ــ وابن مسكويه أحمد بن محمد المتوفى ٤٢١ هـ ، وله كتاب مطبوع هو : « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » .

٦ ــ والماوردى على بن محمد ٣٦٤ - ٤٥٠ هـ ، وله كتاب ذائع الصيت هو : « أدب الدنيا والدين » وفيه فصول أدب المتعلم والعالم .

٧ ــ وابن سينا الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ، وله

كتاب : « السياسة » الذى تحدث فيه عن التأديب والتعليم .

٨ ـ وابن عبد البر النمرى القرطبى ٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ فى كتابه المطبوع : « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » .

٩ ـ والإمام الغزالى أبو حامد ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ فى عدد من كتبه المطبوعة التى تحدث فيها عن التعليم مثل : « إحياء علوم الدين » و « ميزان العمل » و « الرسالة اللدنية » .

١٠ ـ والزرنوجى برهان الدين المتوفى سنة ٥٩١هـ فى كتابه : « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

١١ ـ وابن شداد محمد بن على ٦١٣ ـ ٦٨٤ هـ فى كتابه المطبوع : « الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة » .

١٢ ـ وابن خلدون ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ فى كتابه الذائع الصيت المطبوع : « المقدمة » وهو مقدمة كتابه الضخم فى التاريخ المسمى « العِبَر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » .

وغير هؤلاء العلماء كثير مما يضيق المجال من سرد أسمائهم ، وكل هؤلاء ليس فيهم من منع تعليم البنات ولاقلل من شأنه وفائدته لها فى دينها ودنياها ، بل كان لكثير منهم منهج فى تعليم البنت وترتيب أولويات فيما تتعلمه ، وكان بينهم مايشبه الإجماع على أن يكون بدء تعلم البنات بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفسيرا ، ولعلهم فى هذا قد طبقوا حديث رسول الله ﷺ الذى رواه النسائى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهذ الحديث من رواية عثمان بن عفان ذى النورين رضى الله عنه ، وليس فيه تخصيص للرجال دون النساء .

وكذلك ماروواه الإمام مالك بسنده أن النبى ﷺ قال : « إن لله أهلين من الناس » قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : « هم حملة القرآن ، هم أهل الله وخاصته » ، وهذا الحديث كسابقه ليس فيه تخصيص للرجال دون النساء في تعلم القرآن واعتبار حامليه من أهل الله وخاصته .

وكما نقلنا كلمة سحنون في التعليم الخاص بالبنات وأنه لا يجيز أن تختلط مع الغلمان ـ والغلام هو الصبى من يوم يولد إلى أن يشب ـ فلا نحب أن يفوتنا أن ننقل نصا له دلالته من كتاب : « الرسالة المفصلة » للقابسى ٣٢٤-٤٠٣ هـ ، يقول فيه : « وأما

تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها ، فأما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبه فهو مخوف عليها ، وإنما تعلم مايرجى لها صلاحه ويؤمن عليها فتنته ... ولما أذن النبي ﷺ للنساء في شهود العيد أمرهن أن يخرجن العواتق وذوات الخدور ، وأمر الحائض أن تعتزل مصلى الناس ، وقال : « يشهدون الخير ودعوة المسلمين » فعلى مثل هذا يقبل فى تعليمهن الخير الذى يؤمن عليهن فيه ، وما خيف عليهن منه فصرفه عنهن أفضل لهن ، وأوجبُ على متولى أمرهن ، فافهم ما بينت لك واستهد الله يهدك وكفى به هاديا ونصيرا .

ويعلم أن الله جل وعز قد أخذ على المؤمنات فيما عليهن ، كما أخذ على المؤمنين فيما عليهم ، وذلك فى قوله جل وعز: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ (٢٣٩) ، وقوله : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ (٢٤٠) وجمعهما فى حسن الجوار فى غير آية من كتابه فى قوله تعالى : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ (٢٤١) وأمر أزواج نبيه عليه السلام أن يذكرن ماسمعنه منه ﷺ فقال : ﴿ **واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ (٢٤٢) .

فكيف لا يُعلّمن الخير ومايعين عليه ؟ ويصرف عنهن القائم عليهن مايحذر عليهن منه ، إذ هو الداعى فيهن المسئول عنهن ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» انتهى كلام القابسى .

وبعد : فإذا كان ذلك مقررا ومعروفا منذ القرن الأول من تاريخ المسلمين ، فكيف يدعى اليوم فى القرن الخامس عشر الهجرى حاقد أو جاهل أن الإسلام منع المرأة من التعليم ، بل وصمها بالتخلف ، إنها المفتريات والأباطيل التى تزعم أن الإسلام لم يهتم بتربية الأطفال عموما بنين أو بنات ، متعامين عن أول مانزل من القرآن الكريم على رسوله الخاتم ﷺ وهو : ﴿ **اقرأ ....** ﴾ كما أسلفنا ، وعمى هذا الحاقد أو تعامى عن أن رسول

---

(٢٣٩) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢٤٠) سورة التوبة : ٧١ .

(٢٤١) سورة التوبة : ٧٢ .

(٢٤٢) سورة الأحزاب : ٣٤ .

الله ﷺ جعل من فداء أسرى المشركين فى معركة بدر أن يعلم الأسير عشرة من صبية المسلمين القراءة والكتابة ، كما تجاهلوا أن النبى ﷺ أمر الشفَّاء أن تعلم زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أم المؤمنين الكتابة .

إنه الحقد والمغالطة والغرور ، وإذهال المسلمين عن تاريخهم وحضارتهم وحاضرهم ومستقبلهم .

إن المرأة المسلمة لها أن تتعلم كل علم يعود عليها بالنفع فى دينها أو دنياها ، لايستثنى مما ينفع شيء .

فهى تتعلم من علوم الإسلام ماشاء الله لها دون أدنى حرج ، وتتعلم من العلوم الأخرى مايغطى احتياجات المرأة المسلمة في كل مجال من مجالات العلم ، وعلى سبيل المثال فإنها تتعلم وتحصل على أرقى المؤهلات فى المجالات التالية :

١ ـ مجال الدراسات الطبية كلها ، لتسد احتياج أختها المسلمة ، وتحول بينها وبين أن تتكشف على رجل فى هذه المجالات ، بل توقع عليها الكشف الطبى فى فرع من فروع الطب امرأة مثلها .

٢ ـ ومجال الدراسات الخاصة بالخدمات الطبية كلها كالأشعة والتحاليل وغيرها .

٣ ـ ومجال الدراسة الخاصة بالتمريض على كل مستوى من مستوياته ، بحيث تمرض المرأة المسلمة امرأة مثلها .

٤ ـ ومجال الدراسات الخاصة بالعلاج الطبيعى وغيره .

٥ ـ ومجال الدراسات الخاصة بإعداد المعلمات لمختلف مراحل التعليم ، بحيث لا يدرس للبنت إلا مدرسة .

مع الرفض الشديد لما يزعمه الزاعمون من أهل الغفلة من أن اختلاط المتعلمين بنين وبنات فى السن الصغيرة لا ضرر منه ، ومع المقولة الأشد خطرا التى تزعم أن اختلاط البنين والبنات في المرحلة الجامعية لاخطر منه ؛ لأن حججهم التى يسوقونها واهية ؛ ولأن الواقع المشاهد والواقعات التى حدثت كذبت كل دعاواهم ومزاعمهم .

ولابد لنا معشر المسلمين من التمسك بالشريعة فى هذا الموضوع الشائك

موضوع الاختلاط فى معاهد التعليم ، وإذا رغبت بعض المجتمعات الغربية أو الشرقية من غير المسلمين أن تحبذ الاختلاط وتسوق له من الأدلة والبراهين ماتشاء ، فلهم دينهم ولنا ديننا .

٦ ـ ومجال الدراسات الخاصة بإعداد الداعيات إلى الله المتفقهات فى الدين ، حتى يقمن بواجب الدعوة في المساجد وبواجب الإفتاء للمسلمات فى أمور الدين وبخاصة مايتصل من ذلك بظروف المرأة .

٧ ـ ومجال الدراسات التى تعد المرأة المسلمة للقيام على أى مرفق من مرافق الحياة التى تحتاج فيه المسلمة إلى التعامل مع مسلمة أخرى ، أى مرفق على هذا الإطلاق .

ولا نحب أن ننهى الحديث فى تعليم المسلمة قبل أن نشير إلى أن الأصل فى ديننا ألا تختلط النساء بالرجال لافى التعليم ولا فى غيره ، فيجب أن تنفصل مراحل التعليم كلها لتصبح قسمين ، أحدهما للبنين والآخر للبنات .

وعلى الذين يمارون في الحق بعد ما تبين أن ينظروا إلى التجارب التعليمية التالية التى فصلت بين البنين والبنات :

١ ـ تجربة الأزهر ، معاهده وكلياته ، وإن كان ينقصها حتى الآن أن تكون هيئة التدريس للبنين من الرجال وللبنات من النساء ، ولا عذر لهم فى أن يدرس الرجل للمرأة أو المرأة للرجل .

٢ ـ تجربة المملكة العربية السعودية فى الفصل الكامل فى التعليم بمختلف مراحله بين البنين والبنات ، حتى فى الإدارة ، إذ لتعليم البنات رئاسة خاصة لها سلطات الوزارة ولا أدرى لماذا لم تسم وزارة تعليم البنات ؟ .

ونسأل الله أن تستمر كذلك ولايهمس فى أذن المسئولين خبيث مرتكب من أعداء الإسلام والمسلمين ، فيزين لهم الاختلاط كما حدث فى بعض دول الخليج العربى .

وما دمنا نقول ـ كما ترى شريعة الإسلام ـ برفض اختلاط البنين والبنات فى مختلف مراحل التعليم ، وبالإصرار على ألا تدرس للبنت إلا امرأة مثلها ، فإن هذا يوجب على المرأة المسلمة أن تتعلم فى كل مجال من مجالات المعرفة الإنسانية ، وأن تتعمق فى البحث

ما استطاعت ، وأن تحصل فيه على أرقى المؤهلات ، وكيف لا وهى ستتولى التدريس فى الجامعة الخاصة للبنات ؟ .

وأعود فأقول للذين يزعمون أن الإسلام حرم المرأة من التعلم - حقدا أو جهلا - طهروا قلوبكم من الحقد قبل أن تموتوا غما ، ونقوا عقولكم من الجهل قبل أن يجرفكم الحق ، واعلموا أن الإسلام قد أعطى المرأة كل هذه الحقوق فى العلم والتعلم والتعليم ، بل جعل طلبها للعلم فريضة عليها .

هذا عن قضية تعليم المرأة وما يثار فيها من شبهات ومفتريات ، وعن موقف الإسلام منها .

ثانيا : قضية عمل المرأة وموقف الإسلام منه

عمل المرأة المسلمة حق من حقوقها الكثيرة التى كفلها الإسلام لها من بين ماكفل ، كحقوقها الطبيعية والإنسانية وحقوقها فى الثواب والجزاء وحقوقها فيما تقتضيه طبيعتها الأنثوية .

فقد سمح الإسلام للمرأة بأن تمارس العمل كما سمح للرجل ، وكما دلت على ذلك نصوص إسلامية عديدة نذكر منها قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (٢٤٣) .

وقوله سبحانه فى هذه الآية يفتح باب العمل بعد الإيمان أمام كل البشر يهوديهم ونصرانيهم وصابئتهم وأهل كل ملة أو نحلة ، هؤلاء جميعا لهم حق العمل وأمنهم على جزائهم فثوابهم عند الله ، ماداموا قد بنوا هذا العمل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

وقوله سبحانه : ﴿ **يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد** ﴾ (٢٤٤) .

وقوله عز وجل : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ (٢٤٥) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** ﴾ (٢٤٦) .

فهذه الآيات القرآنية الكريمة وغيرها كثير ، تؤكد حق الإنسان في العمل وحق المؤمن في العمل ، وكلها تجمع على أن العمل لافرق فيه بين ذكر وأنثى .

ولايكلف الإسلام أحدا من الناس رجلا أو امرأة من العمل بما لا يطيق ؛ لأنه سبحانه كتب على نفسه ذلك وأخبر نا به فقال سبحانه : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ .

(٢٤٣) سورة البقرة : ٦٢ .
(٢٤٤) سورة آل عمران : ٣٠ .
(٢٤٥) سورة التوبة : ١٠٥ .
(٢٤٦) سورة الملك : ١ ، ٢ .

وقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ **لله مافى السموات ومافي الأرض وإن تبدو مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** ﴾ [٢٤٧] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا : أى رسول الله ، كُلفنا من الأعمال مانطيق : الصلاة والجهاد والصيام والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها .

قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ قال : « نعم » ، ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ قال : « نعم » ، ﴿ **ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به** ﴾ قال : « نعم » ، ﴿ **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ قال : « نعم » .

والإسلام يندب المسلمين والمسلمات إلى العمل الصالح ويعدهم عليه بأحسن الجزاء ، وينهاهم عن أى عمل غير صالح ويتوعد من عمله بحساب وعقاب . فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابى النمار [٢٤٨] أو العباء متقلدى السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر ، فتمعر [٢٤٩] وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال : « ﴿ **يأيها الناس**

---

(٢٤٧) سورة البقرة : ٢٨٤ .

(٢٤٨) أى لابسى ملابس صوف مخططة خرقوها فى رؤوسهم .

(٢٤٩) تمعر أى تغير .

اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة .. ﴾ ـ إلى آخر الآية [٢٥٠] والآية الأخرى فى آخر الحشر ـ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد** ﴾ [٢٥١] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره » حتى قال : « ولو بشق تمرة » فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت .

ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة .

فقال رسول الله ﷺ : « من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

وإذن فقد سمح الإسلام للمرأة بالعمل ولكن وضع له شروطا وآدابا وألزمها بها ، ومن هذه الشروط والآداب مايلى :

١ ـ أن يكون العمل الذى تمارسه المرأة مما يرضى الله ؛ لأنه أباحه وليس فيه معصية له سبحانه ،

٢ ـ وأن يكون بإذن وليها ،

٣ ـ وأن يكون ملائما لفطرتها وطبيعتها ،

٤ ـ وأن لا يترتب عليه أن تخلو بأحد من الرجال ،

٥ ـ وأن لا تكون فى عملها كاشفة لشىء من مواضع زينتها التى حرم الله كشفها على غير محارمها ،

٦ ـ وأن لا تتشبه بالرجال فى زيها ،

٧ ـ وأن لا تكون مثار انتباه للرجال أو فتنة لهم فى زيها أو فى تعطرها .

كان هذا شأن المرأة المسلمة مع العمل فى الماضى وفي الحاضر وفي كل زمان ومكان يسود فيه خلق الإسلام وأدبه ، وسيظل موقف الإسلام من عمل المرأة هكذا إلى

---

(٢٥٠) وباقى الآية : ﴿ **وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ النساء : ١.

(٢٥١) وباقى الآية : ﴿ **واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ الحشر : ١٨.

أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولابد أن نؤكد أن الأصل فى عمل المرأة المسلمة والأفضل لها من بين أنواع العمل هو عملها فى بيتها مع زوجها وأبنائها ومن يعايشونها فى ذلك البيت ، فإن هذا العمل أحسن لها ولبيتها وللمجتمع المسلم الذى يعتبر بيتها لبنة من لبناته .

غير أن ذلك ليس معناه ألا تعمل المسلمة خارج بيتها . إذ كفل لها الإسلام العمل خارج البيت فى ظل الظروف التى ذكرناها آنفا ، وفى مجالات العمل التى تحدثنا عنها ونحن نتحدث عن التعليم الوظيفى الذى يجب أن تتعلمه المسلمة .

وسوف نناقش قضية عمل المرأة المسلمة من خلال عدد من النقاط نراها هامة فى هذه القضية .

هذه النقاط هى :

١ ــ مدى حاجة المرأة المسلمة للعمل ،

٢ ــ وأولويات عمل المرأة المسلمة ،

٣ ــ وأنواع عملها ،

٤ ــ وضرورة استمرار الدعوة إلى الله فى كل عمل تقوم به .

١ ــ حاجة المرأة المسلمة إلى العمل :

قد تحتاج المرأة المسلمة إلى العمل إذا لم يكن لها من أوليائها من يعولونها ، أو كان أولياؤها فى ضيق من العيش ، وكانت هى قادرة على العمل ، لكن بحيث تتوفر الشروط التى فرضها الإسلام لعمل المرأة ، الشروط التى أشرنا إليها آنفا .

وقد تكون بحاجة إلى العمل لأنها تزوجت برجل ضيق عليه فى الرزق ولا مخرج له من هذا الضيق إلا بأن تعمل ، فى ظل الظروف والاحتياجات التى أوجبتها الشريعة كذلك .

وقد تحتاج إلى العمل لأنها ترملت وتحتاج من النفقة مالا تفى به ظروف الأقارب الذين تجب عليهم النفقة ، أولا أقارب لها ولا لأولادها ، فتمارس العمل الذى يوفر لها هذه الاحتياجات فى ظل الشروط والآداب الإسلامية .

وقد تحتاج إلى العمل بسبب ظروف أخرى كثيرة غير ماذكرت ، وفى هذه الحال

فإنها وحدها القادرة على تحديد مدى احتياجها للعمل محتكمة في ذلك إلى دينها وخلقها .

وكل هذه الاحتياجات إنما تظهر إذا لم تكن هناك دولة إسلامية تفرض لها عطاء يسد حاجتها ويوفر لها كرامتها وكريم عيشها ، فإن وجدت هذه الدولة فلا عمل للمرأة ولا احتياج إليه.

أما أن تعمل المرأة وهى قد كفيت هذه الاحتياجات ، وتخرج من أجل هذا من بيتها التى أمرت أن تستقر فيه ، جريا وراء أهداف صغيرة كتحسين الدخل والحصول على بعض الكماليات ، فذلك مالا يجوز لها إذا كانت تخاف الله وترجو رحمته ، وسواء فى ذلك البنت أو المتزوجة أو الأرملة .

إنها إذا عملت لتحقق هذه الأهداف الصغيرة ، فسوف تجد نفسها راضية بذلك أو كارهة له واقعة فى الإخلال بالأولويات التى يوجبها الإسلام ، ويرى الأول منها ضرورى والذى يليه يأتى بعده في الضرورة وهكذا .

إن عملها إذا لم تكن لها إليه ضرورة سوف يوقعها فى الجرى وراء الكماليات والتكالب على متاع الحياة على حساب ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ ، وسوف يحولها إلى منهومة مال لا تشبع منه مهما استكثرت ، ومنهوم المال كمنهوم العلم لايشبع أبدا .

نعم من حق المسلمة أن يكون لها بيت حسن وملبس حسن ومطعم حسن ، ولكن هذا الحسن المطلوب مشروط فى الإسلام بأن يكون من غير إسراف ولا مخيلة ، أما أن يكون الحصول على ذلك فى مقابل التضحية بواجب الزوج والبيت والأولاد فهذا مالايجوز لامرأة مسلمة أن تفعله .

وفى مجتمعاتنا المعاصرة ، لابد أن نطرح عددا من التساؤلات هى :

ماذا جنت المرأة من اقتحامها ميادين العمل دون اختيار أو ضرورة ؟

وما المقابل الذى خسرته وهى تعمل ؟

ـ قد تكون جنت بعض المال وهذا صحيح ، ولكن فى أى مقابل جنته ؟

ـ وقد تكون جنت بعض التسلية والترفيه ، ولكن فى أى مقابل أيضا ؟

ـ وقد تكون جنت بعض التخفف من أعباء البيت والأبناء ، ولكن فى أى مقابل كذلك ؟

ـ وقد تكون جنت بعض الوجاهة الاجتماعية ، ولكن فى أى مقابل أيضا ؟

إنه لكى توضع النقاط فوق الحروف ـ أى يعجم المهمل ويستبين ـ لا بد أن نحدد المقابل الذى تخسره المرأة وهى تكسب أيا من المال أو الترفيه أو التخفف من بعض القيود أو الوجاهة الاجتماعية .

إن المرأة عندما تعمل لتجنى ذاك دون الضرورة التى حددها الإسلام ، تخسر الاستقرار فى البيت وهو نعمة كبيرة من نعم الله على من منحها إياه .

إنها تخسر الراحة النفسية والجسدية ، إذ هى تعود بعد العمل منهكة بالعمل ومطالبه ومشقة الوصول إلى مكانه ، والعودة إلى البيت لتجد أمامها واجبات منزلية تحتاج جهد إنسان متفرغ لها .

من الذى يعد لها ولأهل بيتها الطعام ؟

ومن الذى يرتب البيت وينظفه ؟

ومن الذى يرعى الأولاد ويقوم على مايصلحهم ؟

قد يتصور بعض النساء أن فى الخدم غناء وكفاية ، ولكن من الذى يجد الخدم الآن ؟ وإذا وجدوا فمن الذى يزعم أن أداءهم للعمل سيكون على نحو ما تؤدى ربة البيت ؟ ولماذا القبول بانخفاض مستوى الأداء ؟ ثم كم يكون أجر هذه الخادم ؟ لقد زاد هذا الأجر اليوم فى هذا العقد الأول من القرن الهجرى الخامس عشر في كثير من بلدان المسلمين على أجر معظم الموظفين والعاملين فى دواوين الحكومات وبعض الشركات !!!

فلو طرحت المرأة العاملة لغير ضرورة القضية من وجهة نظر اقتصادية لكانت النتيجة فى غير صالحها .

فإذا كانت العاملة راغبة فى التسلى والترفيه بالعمل ، وكسر كآبة البقاء فى البيت ـ كما تقول بعضهن ـ فإنها تخدع نفسها عن الحق ولا ترفه بالعمل من نفسها بمقدار ماتجلب به من أسباب الكآبة ، ففى العمل متاعبه وصراعاته مع الزميلات ومع العمل نفسه وبذلك تفقد سريعا عنصر التسلية أو الترفيه .

ومن جانب آخر من قال إن البقاء فى البيت مدعاة للضيق أو الرتابة المملة ، إن تلك المقالة لا تصح إلا من امرأة لا تعرف ماذا تفعل فى بيتها أو حولها حشد من الخدم والحشم يقومون عنها بما يحتاجه البيت من عمل ، وما أظن وقتنا هذا يسمح بحشد من الخدم بل ولا بخادم واحد فى كثير من الأحيان .

وإن المرأة الواعية التى تتحرك فى بيتها فتضفى على كل ركن من أركانه لمسة من الجمال ـ نظافة وترتيبا وتنسيقا ـ فسوف تعرف تماما ماذا تفعل فى بيتها ، وإن الزوجة أو الأم التي تفكر فى الأمور التى توفر الراحة لزوجها وأبنائها فى البيت سوف يضيق بها الوقت ولن تجد متسعا فيه يشعرها بالملل أو السآمة .

فالطرح الترفيهى للقضية ليس فى صالح المرأة العاملة كذلك .

إن المرأة المسلمة تستطيع أن تعمل فى بيتها وتجد فى هذا العمل مزيدا من المتعة والتسلية لو عملت وفق برنامج وتلتزم به .

ثم إن المرأة المسلمة داعية إلى الله بحكم أنها مؤمنة مسلمة ، فهى تمارس الدعوة فى بيتها ومع أبنائها وجاراتها وقريباتها وصديقاتها ـ على النحو الذى فصلناه آنفا ـ والدعوة إلى الله مجالات عديدة وأنشطة لاتكاد تحصى ـ كما أسلفنا فى الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا الكتاب .

إن الذى دأبنا على الاستماع إليه ممن يمارسن الدعوة إلى الله هو الشكوى من ضيق الوقت ، وإن الواجبات دائما أكثر من الأوقات ، فكيف تشعر بالملل أو السآمة من كانت واجباتها أكثر من أوقاتها ؟ .

إنها لغفلة من كل من يزعم أنه يجد متسعا من الوقت لايعرف بماذا يملؤه !!!

إن من يراجع عشرات الأنشطة التي يجب أن يقوم بها لأنه يدعو إلى الله سوف لا يجد وقتا يكفى لذلك ، وعندئذ سوف يقول لنفسه : ﴿ **لايكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ فلأ سدِّد ولأقارب ، فأين الملل والرتابة والسآمة ؟ .

فإذا كانت المرأة تخرج إلى العمل متجاوبة فى ذلك مع الفرية الذائعة الشائعة التى تقول : إن في العمل ممارسة للحرية والتحرر من قيود البقاء فى البيت ، فلتعلم أن تلك الفرية همزة شيطان ، عليها أن تستعيذ بالله منها ، ولتعلم أن حرية المرأة وتحررها من البقاء فى البيت دعوى مغلوطة عقلا ومنطقا ، إذ يقيمون دعواهم على مقدمة خاطئة هى أن المرأة المسلمة ليست حرة وليست متحررة ، والحق أن المسلمة قد كفل لها منهج الإسلام مزيدا من الحرية الحقة و التحرر الصحيح من أى قيود غير إنسانية تفرض عليها ، إن لها حرية الفكر وحرية التعلم والتعليم وحرية العمل إن دعت إليه ضرورة شخصية أو اجتماعية وأوسع أبواب العمل الدعوة إلى الله ، ولها حرية التعبير عن فكرها وفق أدب

الإسلام ونظامه .

والمرأة المسلمة قد حررها الإسلام من القيود الصارمة التى فرضتها عليها الأنظمة البشرية والحضارات البعيدة عن الإسلام قديما وحديثا ـ على نحو مابينا فى الباب الأول من هذا الكتاب .

إن ادعاء أن المرأة غير حرة وغير متحررة يمكن أن يصدق على المرأة في الغرب أو فى الشرق أو فى ظل أى حضارة ؛ لأن المرأة كانت هناك ترسف فى قيود وأغلال جعلت منها أمة تباع وشيئا يقامر عليه الأزواج وهم يمارسون الميسر ، وجزءاً من عبيد الأرض تشتريه الكنيسة أو بعض الأمراء عندما تشترى الأرض ومن عليها من بشر .

إن المرأة المعاصرة فى الغرب أو الشرق تعانى ـ وبخاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ١٩١٤ م و١٩٣٩ م ـ من ظروف ضاغطة زادتها إحساسا بفقد الحرية ، فقد التهمت الحرب الرجال فكان على المرأة أن تعمل فى المصانع والمناجم أو تموت جوعا . وقد اضطرت كذلك أن تعمل فى الترفية عن الجنود لتجد أجرا من هذا الزنا تعيش به ، ولم يكن ذلك مسيئا إلى القيم الفاضلة ولا إلى العفة ؛ لأن الحضارة الغربية تنظر إلى موضوع العفة على أنه أثر من آثار الماضى الردىء ، بل إن هذه الحضارة تتندر بالعفة وأصحابها ، وتسن لذلك القوانين التى تبيح المخالة والمخادنة دون عقد نكاح ، بل تبيح اللواط ، وتحمى العهر والرذيلة وتعتبر ذلك هو الحرية التى يجب أن تمارسها المرأة والرجل على السواء .

وهذا أمر مشاهد فى الغرب كله حتى يومنا هذا ، لايغفل عنه أحد زار الغرب أو قرأ عنه ، وإن عدوى هذا الوباء قد انتقلت إلى بعض بلدان المسلمين .

نعم إن دعاة تحرير المرأة من تلك القيود التي ترسف فيها فى ظل حضارتهم الغربية يدعون إلى قضية تخصهم وتتناسب مع موقفهم من العفة والدين وسائر القيم الخلقية ، ولابد أن يجدوا لهذه الدعوة صدى فى نفوس المقهورات الراسفات فى الانحلال .

أما عندنا فى مجتمعات المسلمين فإن هذه الدعوة لا تقوم على أساس ولا تستند إلى دليل ، فليست المرأة فى ظل الحضارة الإسلامية مستعبدة لإقطاع ، ولا هى أمة لرجال الدين ولا هى تباع ولاهى تدفع في مقابل خسارة على مائدة ميسر ،ولم تكره على أن ترفه عن الجنود حتى فى أقسى الحروب التى خاضها المسلمون ، فهى لا يسمح لها أن

تتقاضى عن فقد العفة ثمنا ، بل إن الزنا له عقوبة من أشد العقوبات وهى القتل رجما لمن كانت محصنة ، ولا يمكن أن يسمح لها أن تعيش مع رجل بغير عقد نكاح .

وإن الإسلام لم يعرف أن يملك أحد الناس الأرض ومن عليها من البشر ، وليس فى الإسلام نظام رجال الدين أو مجالس « الأكليروس » أو أى مجالس أو هيئات تنتقص شيئا أدنى شيء من حرية الإنسان عموما والمرأة على وجه الخصوص .

إن الإسلام يكرم المرأة ويجعلها فى ولاية أبيها أو أخيها أو زوجها تتمتع بكل أسباب التكريم ، والإسلام ـ كما أوضحنا آنفا ـ يلزم الزوج أن يدفع لزوجته مهرا ويلزمه بأن ينفق عليها ويوفر لها المسكن والملبس والمطعم ، بل عليه أن يوفر لها الخادم إن كان من أهل اليسار ، كلفه الإسلام أن يوفر لها هذا بنفسه ، حتى إن بعض الفقهاء ذهبوا إلى أنه يجب عليه أن يقدم لها الطعام مطهيا ؛ لأن عقد النكاح ليس عقد استخدام .

فمن أى عبودية تتحرر المرأة المسلمة ؟

أتتحرر من الحجاب وقد أمر الله به ؟

أم تتحرر من الاستقرار فى البيت وهو أمر الله كذلك ؟

أم تتحرر من العفة وقد صانها الله أبلغ صيانة ؟

وقد يقول بعض المتحذلقين المغالطين الذين يريدون أن يلبسوا الحق بالباطل :

ولكن الأولياء والأزواج لا يكفلون للمرأة كل هذا ومع ذلك يحبسونها فى البيت ، وينقصون من حريتها وتحررها .

وهى مقولة باطلة بنيت على مشاهدات لايجيزها الإسلام .

فإن وجد من الأولياء أو الأزواج من فقد النخوة والشهامة فوصلوا إلى هذا الحد المهين لولايتهم ورجولتهم فهم قلة نادرة لايقاس عليها ، ومنهج الإسلام يلزم القادر منهم على الإنفاق إلزاما ، ومع قلتهم ومع ضرورة إلزامهم وفق شرع الله فإنهم لن يكونوا سببا فى أن تنحرف المرأة المسلمة عن الطريق التى ألزمها الله بها .

إن العقول المأفونة والنفوس المريضة والذين لايفهمون هم الذين يتصورون أن حجاب المرأة ردة وعودة إلى الوراء ، أو أن عفتها قيد على حريتها ، أو أن المرأة الغربية مثل يحتذى .

إن هؤلاء مفتونون بمظاهر الحياة في الغرب ، عميت أبصارهم وبصائرهم عن حقيقة

الحياة وجوهرها هناك ، وكلهم أو جلهم ممن ملأ أعداء الإسلام نفوسهم وقلوبهم بمفاهيم خاطئة عن الإسلام وعن الغرب وحضارته ، وملأوا نفوسهم بهذا الباطل عن طريق مناهج التعليم التى فرضوها على المجتمعات الإسلامية فى فترة سيطرتهم على تلك المجتمعات ، وعن طريق اجتذاب بعضهم إلى الدراسة فى الغرب وعلى أيدى أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين والصليبيين والصهاينة .

وعلى سبيل المثال :

فقد كانت انجلترا تشترط على بعض الحكام في البلاد الإسلامية ـ يوم كانت مسيطرة عليها ـ أن يعلموا أبناءهم فى انجلترا ، بحجة أن التعليم عندهم أجود وأحسن وهى حجة ظاهرية ، وإنما الحقيقة أنهم يريدون أن يصنعوا من هؤلاء الشباب الذين سوف يصبحون حكاما عندما يخلفون آباءهم أعداء للحضارة الإسلامية وللمنهج الإسلامى للحياة ؛ لأنهم ربوهم على ذلك وسدوا دونهم منافذ الثقافة الإسلامية ، وحولوا ولاءهم إلى الحضارة الغربية المعادية للإسلام .

ثم يعود هؤلاء المتعلمون من أبناء الحكام وممن يقلدونهم من القادرين وممن توفدهم الحكومات ، وممن يحصلون على منح للتعلم فى الغرب ، يعود هؤلاء جميعا ليجدوا أماكن التصدر والريادة والرياسة فى انتظارهم ، فيصبحون قادة وأصحاب نفوذ فى الثقافة والفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، فيفرضون على المجتمع وبيدهم السلطة وآلاتها العسكرية والإعلامية هذه العادات والتقاليد الغربية ، وينادون بأن المرأة يجب أن تتحرر أى أن تكون على نمط المرأة الغربية فى زيها وعاداتها وتخلصها من الدين والعفة والزواج !!! .

فهل هذا هو تحرر المرأة المسلمة من قيود بيتها التى يزعمون ؟

وهل التحرر أن تكون المرأة المسلمة على نسق المرأة الغربية ، فى حين أصبح العقلاء والعاقلات فى الغرب ينادون اليوم إلى أن تعود المرأة إلى بيتها وأن تعود للزواج ، حتى تشعر البيوت والمجتمعات بدفء الأسرة وحنانها ، بعد أن فقدت ذلك كله ؟

وبعد : فذلك حديثنا عن احتياج المرأة المسلمة للعمل ، طرحناها وكلنا رغبة في أن نحفظ على المسلمة بيتها ، وأن نحافظ لها على دينها وأخلاقها وحريتها الحقيقية لا الزائفة ، وأن نحررها من الضلال والضياع وتسول الأزواج كما هى الحال فى معظم بلاد الغرب .

ولنتحدث عن أولويات هذا العمل بالنسبة للمرأة المسلمة والله المستعان .

٢ ـ أولويات عمل المرأة المسلمة :

كل أمور حياتنا يجب أن تخضع لترتيب وتنسيق يحدد به أولها فى العمل وتاليها ؛ لأن تلك فضلا عن أنها علامة رشد عقلى فإن الإسلام لقنها لنا فى كل عمل نقوم به .

إن التأمل فى كل عمل كلفنا به الإسلام خاضع لأولويات يجب أن تلتزم وإلا ضاع العمل بالفساد أو البطلان ، فالصلاة مثلا أكثر أركان الإسلام تكررا في اليوم والليلة ، علمنا الإسلام أنها لا تؤدى إلا وفق أولويات .

فالرسول ﷺ يقول : « لا صلاة لمن لا وضوء له »(٢٥٢) فهنا يعلمنا أن الوضوء أولا لمن أراد أن يصلى .

وفى حديث آخر يقول : « لاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » (٢٥٣) فيعلمنا أن تسمية الله على الوضوء أولا .

فإذا قمنا إلى الصلاة وجب استقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن والمكان ، وكل تلك أولويات ترتب على أساسها صحة الصلاة ، يسميها فقهاؤنا شروط صحة .

والمرأة المسلمة فى مجال العمل لابد أن يكون لعملها ـ عندما تكون فى حاجة إلى العمل ـ أولويات ترتب عملها على أساسها .

والذى أتصوره ويساندنى فيه فهمى للإسلام وتجربتى في حياة امتدت إلى أكثر من ستين عاما وامتلأت بالمعاناة فى أنواع عديدة من العمل ، أن أولويات عمل المرأة المسلمة يجب أن ترتب على النحو التالى :

أ ـ عملها فى طلب العلم ـ وهى بنت ـ بحيث تتعلم من أمور دينها مالا يسع مسلمة أن تجهله (٢٥٤) ، وأن تتعلم من العلوم الأخرى مايناسب وظيفتها فى الحياة على النحو الذى بيناه آنفا ، حيث ينبغى أن توظف قدراتها العلمية فى تعلم ما يعود عليها بالخير فى دينها ودنياها ، وما يمكنها من أن تمارس الدعوة إلى الله ، فقد أوضحنا أنها واجبة على كل مسلمة بنص قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ (٢٥٥) .

---

(٢٥٢) أبو داود : سننه : باب الطهارة .
(٢٥٣) السابق : باب الطهارة .
(٢٥٤) انظر : ثقافة المرأة المسلمة ـ فى الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب .
(٢٥٥) سورة يوسف : ١٠٨ .

ب ـ عملها في بيتها زوجة وأمًا ، وهو عمل واسع بعيد المدى عميق الأغوار ، له من الأهداف ماهو قريب وما هو بعيد ، إذا كانت قادرة على ذلك ولم يكن زوجها قادرا على أن يوفر لها من يعينها فى عمل بيتها ، وهذا العمل فى البيت يخضع لأولويات كذلك نرتبها على النحو التالى :

١ ـ تربية الأولاد :

وهى أهم عمل تقوم به الأم فى البيت ، ولايجوز لها أن تشرك معها فى ذلك خدم أوسواهم ، وإنما هو عملها وحدها أو بمعونة الأب .

*** فكيف تكون تربية الأولاد فى داخل البيت ؟**

سوف نشير إلى ذلك فى إشارات خاطفة ـ تاركين التفصيل إلى مجاله (٢٥٦) ـ :

إن حضانة الأولاد فى البيت فى الفترة التى تسبق ذهابهم إلى المدرسة أى حوالى ست سنوات ، تستوجب على المرأة المسلمة أن تعمل ماوسعها لتعد أبناءها نفسيا وعقليا وبدنيا للإقبال على مكانين خارج البيت هما :

المسجد ،

والمدرسة .

أى إعدادهم لتلقى العبادة فى المسجد وتلقى العلم فى المدرسة ، ولابد لهذا وذاك من تمهيد تقوم به الأم فى البيت بوصفها ملازمة لهم فى البيت أكثر من الأب ، وبوصفها داعية إلى الله .

*** فكيف تعد الأم أبناءها للعبادة فى المسجد ؟**

ـ إن عليها أن تلقنهم من أول مايستطيعون الكلام : لا اله إلا الله محمد رسول الله ـ الله ربى ـ الإسلام دينى ـ محمد ﷺ نبى ورسولى ـ الله أكبر ـ الحمد لله ـ بسم الله إلى آخر هذه الكلمات ، وأن تحفظهم قدرا من القرآن الكريم عندما تستقيم ألسنتهم فى نطق لغة القرآن .

ـ وأن تكون بالنسبة لهم قدوة فى أداء الصلوات على مواقيتها ووفق أركانها وشروطها وسننها ومستحباتها .

(٢٥٦) لنا كتاب فى هذا الموضوع هو : الناشئ المسلم « لم يطبع بعد » ونسأل الله تيسير طبعه .

ـ وأن تلتزم أخلاق الإسلام فى كل ماتقول أو تعمل ، وأن يسود ذلك الخلق علاقتها بهم وبزوجها وبكل من يحيط بها من قريبات وصديقات وجارات ، فإن الأبناء فى هذه السن يحسنون تماما النقل عن الأم والتأسى بها ، وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية فما ينبغى أن تغفل عنه الأمهات .

ـ وأن تلزم نفسها بألا تقع أعين أبنائها على أى شىء أو أمر مخالف لآداب الإسلام وأخلاقه ، فإن الأولاد إذا شبوا على رؤية ذلك تأصل فى نفوسهم وظنوا أنه مما أباح الله ، وقد تكون صورة أو تمثال فى البيت مما تتهاون بشأنه الأم ولكن خلعها من فكر الأبناء فيما بعد يكون من أشق الأمور.

ـ وأن تلزم نفسها بألا تقع على آذان أبنائها مسموعات من أى نوع لايجيز الإسلام الاستماع إليها ، وأولى هذه المسموعات الممنوعة الأصوات المرتفعة والصياح وبعض الأغانى ، وبعض الكلمات التى تضر سمع الطفل المسلم وتسىء إلى حاضره ومستقبله .

ـ وأن تلزم نفسها الدقة والانضباط فى أى عمل تقوم به وأن تلتزم النظام والترتيب فى كل أمرها حتى فى الأمور العادية البسيطة كطهو الطعام ، فإن عيون الأبناء ناقدة وحبهم لتقليد الأبوين أصيل ، فما بالنا بترتيب غرف النوم وغيرها ، وإن عليها أن تدرب أبناءها على معاونتها فى عملها ، وأن تعودهم بمجرد أن يستطيعوا أن يرتب كل منهم سريره وملابسه وكل متعلقاته .

ـ وعليها أن تعلم أبناءها الوضوء والطهارة بمجرد أن يقدروا على ذلك ، وأن تعودهم الصلاة معها وأن تؤمهم وتعلمهم موقف المأموم من الإمام ـ وهذا إذا لم يكن فيهم ولد بلغ الحلم ـ وما أحسن أن تخصص من بيتها مكانا للصلاة ـ إذا سمحت ظروفها بذلك ـ وتسمى ذلك مسجدها وتحيطه بمزيد من الرعاية والاهتمام والنظافة ؛ ليعتاد الأبناء ذلك عند ذهابهم للمسجد عندما يصحبون الأب أوالأم إليه وهم في سن الرابعة أو الخامسة .

ـ وعليها أن تحفظ أبناءها فاتحة الكتاب وبعض قصار السور ، والتشهد والتكبيرات والتحميدات وجميع الألفاظ التى لابد منها فى الصلاة ، ولتتدرج معهم فى ذلك حتى يهضموا مايحفظون .

إن الأم المسلمة إذا لم تفعل ذلك فقد قصرت فى تهيئة أبنائها للذهاب إلى المسجد ، والمسجد روح التدين وبيت الله الذى تهفوا إليه قلوب المؤمنين ولا يتعلق به إلا كل مؤمن

صالح ، وهو المدرسة الأولى للمسلمين صغيرهم وكبيرهم ، فليذهب الطفل إليه وهو مهيأ له ولن يهيئه لذلك أحد كأمه .

هذا عمل الأم الجليل الذى يسهم فى بناء البيت المسلم فالمجتمع المسلم فالأمة المسلمة ، وهو عمل له أولوية على كل عمل تقوم به فى بيتها .

* **وكيف تعد الأم أبناءها للمدرسة ؟** (٢٥٧) .

ـ إن الطفل الذى لم تهيئه أمه للمدرسة نفسيا وعقليا وبدنيا كذلك ، سوف لايرحب بالذهاب إلى المدرسة مهما تكن المدرسة مهيأة بكل إمكانات الجمال والنظام والنظافة والرفق بالأطفال .

ـ وإن الطفل الذى يذهب إلى المدرسة وقد تهيأت نفسه لذلك ببعض القصص والحكايات التى ترويها له أمه عن المدرسة وما فيها ومن فيها وعن الأم نفسها يوم ذهبت إلى المدرسة ، إن ذلك سوف يهيئ الطفل لتقبل هذه النقلة الصعبة عليه من أمه إلى المدرسة ومن إخوته إلى الزملاء ، ومن بيته إلى المدرسة .

ـ وإن زيارة الأم إلى المدرسة ومعها طفلها قبل أن يلتحق بالمدرسة ، ليحدث له أنسا بها وعدم رهبة من جوها وإذهابا للوحشة التى يشعر بها الأطفال فى أول يوم يذهبون فيه إلى المدرسة .

ـ وإن الطفل الذى لم تهيئه أمه للمدرسة فتحفظه قدرا من القرآن الكريم وقدرا من الأناشيد الجيدة ، لن تسعفه قدراته الصغيرة ليحفظ مايجب عليه حفظه فى المدرسة .

ـ وإن الطفل الذى لم يتدرب فى البيت على كتابة بعض الحروف وبعض الأرقام وحفظ ذلك ، سوف يصاب بإحساس شديد بالغربة عن المدرسة ومن فيها وما فيها .

ـ وإن وجود مكتبة للطفل فى البيت وترتيب هذه المكتبة وتعهدها بالتنظيم والتنظيف ، وحسن اختيار محتوياتها بحيث تلائم أعمار الأطفال ، إن ذلك ليعود التلميذ على أن يهرع إلى المكتبة ، وأن يمضى فيها أمتع أوقاته ، ويحافظ عليها ما وسعه .

إن كل ذلك من صميم عمل المسلمة فى بيتها بوصفها أمًّا ، تقدم لأبنائها كل ماهم فى حاجة إليه من أمور تنفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكل مايحقق لهم الصحة النفسية والعقلية والبدنية .

---

(٢٥٧) توسعنا فى الكتابة فى ذلك فى كتابنا « الناشئ المسلم » .

وإذا كان هذا عمل الأم في البيت فما هو عملها زوجة في هذا البيت ؟

٢ ـ عملها كزوجة :

إن على الزوجة أن تقوم بعمل جليل القدر في بيتها بوصفها زوجة يوجب الإسلام عليها حسن التَّبَعُّل (٢٥٨) أي حسن قيامها بواجبات الزوجية ، وهومطلب رئيسى من مطالب الإسلام بالنسبة لكل زوجة ، والتقصير فيه إثم ومعصية عند الله وجنوح بالبيت المسلم عن الجادة التي يجب أن يمشى فيها من جانب آخر .

إن واجبات الزوجة نحو زوجها هي حقوق الزوج نحوها ـ وقد أوسعنا هذا الموضوع في الباب الثاني كله من هذا الكتاب .

ولكننا هنا نذكر والذكرى تنفع المؤمنين .

إن الحديث عن حقوق الزوجين في الإسلام معروفة لكل مسلم ومسلمة ، وإن المسلمين لايختلفون عليها من حيث هي ، وإنما تختلف بعض النساء محاولات مطل هذه الحقوق ، ويختلف بعض الرجال محاولين مطلها كذلك ، ولو اتقى الله كل منهما مامطل حقا أقره الله ولا تراخى عن واجب أمر الله به .

ولو التزم كل من الزوجين نحو الطرف الآخر فمارس حقوقه وقام بواجباته ، لاستمرت الحياة الزوجية في البيوت متقدمة من حسن إلى أحسن .

وما على المرأة المسلمة لكى تحسن التبعل إلا أن تطيع زوجها في غير معصية لله ، وأن ترعى حقوقه وأبناءه وماله وعرضه ، وأن تجتهد ماوسعها أن يجد زوجها في البيت راحة وسكنا ، ولن يكون ذلك كذلك بغير الالتزام بأدب الإسلام في كل الأمور .

وأن الزوج الفاهم لدينه المتقى لربه ليخف دائما إلى مساعدة زوجه في شئون البيت مقتديا في ذلك برسول الله ﷺ فقد كان في خدمة أهله ، فإذا حانت الصلاة قام إلى الصلاة ، كما أجابت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن ذلك .

إن الزوج المسلم مطالب هو كذلك بأن يكون حسن القوامة على زوجته ، لا يقصر في شيء من حقوقها التي هي واجباته الأصلية وهو تأمين السكن والنفقة من غير إسراف ولا مخيلة ، وأن يعطى أهله وولده من وقته وجهده ماتنصلح به حالهم ، وأن يهيئ لهم

---

(٢٥٨) التَّبَعُّل : تعبير نبوى شريف ، يعنى القيام بحق البعل وهو الزوج ، وقد ورد في قول الرسول ﷺ : « إن جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها ... » كنز العمال ١٦/٢٤١ .

فى البيت من وسائل الراحة مايكون فى حاجة إليه من غير إسراف ولا مخيلة كذلك .

وإن إسراف المرأة أو تقتيرها فى البيت لمما يعيب حسن تبعلها ويعود بالضرر عليها وعلى زوجها وبيتها وأولادها .

وإن تقصيرها فى تنظيم البيت وتجميله ونظافته ـ إذا كانت قادرة على ذلك ولم تقم به ـ مما يعود بأسوأ الأثر على البيت وعلى العلاقة بين أفراده جميعا ، ومع تأكيدنا على أن قيام المرأة بذلك التنظيم والتجميل والنظافة جهد تتبرع هى به إن لم يكن زوجها من أهل أو جهد فى الإشراف على من يقوم به من الخدم إن كان لديها خدم ، لأن عقد الزواج ليس عقد استخدام كما قلنا آنفا .

فإذا تبرعت بهذا الجهد فهو أجدر أن تلقى من زوجها كل تكريم وتقدير وامتنان . ألا ليت بعض الأزواج يفيقون من غاشية أن الزوجة خادمة فى بيت الزوجية .

وإن الجهامة التى تقابل بها بعض الزوجات أهل الزوج وتقليل الترحيب بهم فى الوقت الذى ترحب بأهلها هى ، لمما يترك فى نفس الزوج أثراسيئا ، ومما يسىء إلى التبعل نفسه لا إلى حسن التبعل ، وإن كثيرا من النساء لتقع فى ذلك وهى لا تدرى ، وإن الزوج لأول من يحس بهذه التفرقة فى المعاملة ، فإن سكت فإنما يسكت على مضض وإن تكلم فقد حدث الشقاق والنزاع ، وإن تسامح مرة فقلما مايستطيع أن يتسامح دائما إلا فى القليل النادر من صالحى الرجال ، فعلى الزوجة أن تعى ذلك وتتنبه له .

وإن الإلحاح على الزوج بمطالب ليس فى قدرته أن يلبيها ، لخرق وحماقة من الزوجة التى هى أعرف الناس بإمكانات زوجها ، وما من مسلمة ترجو الله وتخشى عقابه تضع زوجها فى هذا المأزق وتعرضه لهذا الحرج ، فإن فعلت فقد تنكرت لأبسط وأوضح واجباتها نحو زوجها ، وجحدت أبسط وأوضح حقوقه عليها .

وهكذا ، فإن الزوجة المسلمة الصالحة تجعل ـ وهى تلتزم بسلوك الإسلام فى تعاملها مع زوجها وحسن تبعلها له ـ بيتها جنة وارفة الظلال يفىء إليها الزوج من لفح مطالب الحياة ووهجها ورهجها .

وإن ذلك لعمل جليل ، طولبت به المسلمة من قبل ربها ودينها ، من قبل أن تطالب به من قبل زوجها أو المجتمع المسلم الذى تعيش فيه ، ولابد أن نتساءل قائلين : كم يكلف حسن التبعل الزوجة المسلمة من جهد ووقت ؟ وهل تقوم به ثم تجد عندها فراغ لتمارس به عملا فى خارج البيت ؟

ولن أستطيع أن أنهى حديثى عن واجب المرأة المسلمة فى البيت دون أن أذكر بواجبها فى الدعوة إلى الله فى البيت ، وقد فصلت ذلك فى الحديث عن الأنشطة التى يمكن أن تقوم بها ربة البيت (٢٥٩) .

جـ ـ عمل المرأة المسلمة فى المجالات التى تغنى فيها عن الرجل : وتلك هى ثالثة الأولويات بعد طلب العلم وأداء واجب الأمومة وأداء واجب الزوجية .

وقد أوضحنا فيما سلف من الكتاب أن المجالات التى يجب أن تسد فيها المرأة مسد الرجل ، حفاظا على حياء أختها المسلمة من أن يطلع على جسمها رجل ، هى :

١ ـ تطبيب النساء .

٢ ـ والخدمات الطبية لهن .

٣ ـ والتمريض لهن .

٤ ـ والعلاج الطبيعى كذلك .

وقلنا : إن مجالات العمل التى يجب أن تسد فيها المرأة مسد الرجل خشية الفتنة والاختلاط والخلوة ومد البصر هى :

١ ـ التدريس للبنات في مختلف مراحل التعليم من الرياض إلى الجامعة .

٢ ـ والقيام على المرافق التى تتردد عليها النساء وتتعامل معها .

إن المسلمة العاملة فى واحد من هذه المجالات نسأل الله لها العفو والعافية فى الدين والدنيا ، وندعوه لها بالتوفيق والسداد ، لأنها في الحق تضحى بأغلى مايضحى به الإنسان وهو بيته ، لأن واجب هذا العمل لابد أن يقتطع منها شيئا من واجبات بيتها ، حيث إن الجمع بين واجبات العمل خارج البيت وواجبات البيت يحتاج إلى مزيد من الجهد والعطاء في المجالين وإلى مزيد من التوفيق بين الواجبين والتنسيق والانضباط ، ومهما تعاون الزوج مع زوجته في البيت فى هذه الحالة فلن يسد مسدها أن يغنى عن لمساتها فى بيتها ، فهو رجل وهى امرأة وكل ميسر لما خلق له .

إن المرأة التى تمارس عملا من هذه الأعمال فى المجتمع سواء أكانت لديها حاجة إلى

---

(٢٥٩) الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا الكتاب .

هذا العمل أم كانت منبعثة فى قيامها به من إحساسها بما أوجبه الله عليها من الإسهام فى إغناء المرأة المسلمة عن أن يطلع عليها رجل أو يعلمها رجل ، يجب أن نخصها هنا ، بحديث ينصفها وينصف منها ، فنقول وبالله التوفيق :

إن المرأة المسلمة لن تستطيع أن تجمع بين هذين الواجبين ، واجب العمل وواجب البيت ، إلا أن تتضافر معها جهود مخلصة من المجتمع أولا ومن الزوج ثانيا ، ومن الأبناء أخيرا .

ولتوضيح ذلك نقول :

أولا : واجب المجتمع :

إن على المجتمع المسلم أن يقدم لهذه المرأة التى تقوم بهذين العملين الجليلين هذه الامتيازات أو الخدمات التالية :

١ ـ أن يمنحها أجرا أعلى كفاء ماتقوم به من جهد مزدوج .

٢ ـ وأن يمنحها أجازات أكثر براتب كامل .

٣ ـ وأن يعطيها الأولوية فى قبول أبنائها فى دور الحضانة ومراحل التعليم المختلفة.

٤ ـ وأن ييسر تفرغها لبيتها إذا رزقت بثلاثة أولاد أو أكثر ، لتحل محلها أخرى من غير المتزوجات أو اللاتى ليس لديها هذا العدد من الأبناء .

ثانيا : واجب الزوج :

وإن على الزوج أن يقدر قيام زوجته بهذا الجهد المزدوج وأن يوجب على نفسه نحوها مايلى :

١ ـ أن يعاونها في أعمال البيت ماوجد إلى ذلك سبيلا .

٢ ـ وأن يمتنع عن القيام بأى عمل إضافى فوق عمله الأصلى ، ليسد بذلك جزءا من الفراغ الذى تركته امرأته في البيت .

٣ ـ وألا يرهقها بمطالب خاصة فى البيت كاستضافة عدد كبير من الضيوف ، فإن كان مضطرا فليساعدها فى ذلك ، وليقلل عدد مرات الاستضافة ما استطاع .

٤ ـ وأن يوفر لها ـ إذا استطاع ـ من يساعدها فى البيت من الخدم ، حتى لايتدنى مستوى البيت من حيث نظامه ونظافته وما يجب أن يؤديه من وظائف لمن يعيشون فيه .

ثالثا : واجب الأبناء :

وإن على الأبناء بنين وبنات ـ مادامت أمهم تعمل خارج البيت ـ أن يبذلوا مااستطاعوا من جهد لكى يخففوا عن أمهم بعض أعبائها ، فعليهم أن يقوموا بما يلى :

١ ـ ألا يتسبب أحد منهم فى إحداث فوضى فى البيت تتطلب عملا وتنظيفاً وجهدا ، بل يبادر كل منهم إلى أن يجعل البيت نظيفا مرتبا منظما .

٢ ـ وأن يعاون فيما يستطيع القيام به من عمل فى البيت ، ابتداء من التنظيف والترتيب ووصولا إلى الطهى فى بعض الأحيان .

٣ ـ وأن يريح والديه من عناء متابعته في دروسه وعمله ، لأن المتابعة جهد غير يسير ، فإذا انصرف هو إلى أداء واجبه من نفسه دون رقابة أو متابعة فقد أراح أمه من هذا العمل ، وعاونها فى الوقت نفسه على أن تنفق هذا الجهد والوقت فيما يعود عليهم جميعا بالنفع .

وبعد : فتلك صورة مجملة عن أولويات العمل بالنسبة للمرأة المسلمة، تحدثنا عنها من خلال التجربة التى عشناها متجولين فى معظم بلدان العالم الإسلامى متفقدين لأحوال المسلمين فيها ، فضلا عما عرفناه من ظروف المرأة المسلمة فى دول الغرب أوربا وأمريكا ، وما قدمناه لها من نصائح .

ونأمل أن نكون قد وفقنا فى ذلك إلى مايرضى الله تبارك وتعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذه أولويات العمل بالنسبة للمرأة المسلمة الداعية إلى الله ، فما هى أنواع هذا العمل ؟

ذلك مانستعين الله عليه فى الصفحات التالية من الكتاب .

٣ ـ أنواع العمل أمام المرأة المسلمة :

يتنوع العمل أمام المرأة المسلمة حسب احتياجات المجتمع المسلم التى يجب أن تسهم المرأة المسلمة فى تغطيتها ، هذه الأنواع من العمل لابد أن نحددها ونوضح أهميتها على النحو التالى :

أولا : العمل الذى تتطلبه الدعوة إلى الله :

وهو عمل ملازم للمرأة بنتا وزوجة وأمّا ، ولا تستطيع أن تتخلى عنه ، ولا أن تفضل غيره عليه إذ هو الواجب الأول عليها ، وقد سبق أن أوضحنا أن واجب الداعية أن تكون على بصيرة بما تدعو إليه .

وهذه البصيرة تتطلب من المسلمة أن تحصل على الثقافة التى تمكنها من الدعوة إلى الله ، وقد تحدثنا عن هذه الثقافة فى الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب .

وهذه الدعوة إلى الله ليست كلمات تقال وتوجيهات تلقى إلى المسلمات فحسب ، وإنما هى مجموعة من الأنشطة المتكاملة التى يجب أن تقوم بها الداعية إلى الله فى كل موقع من مواقعها .

وهذا النوع من العمل له أهميته وفاعليته وقدرته على أن يغير المجتمع إلى الأحسن ، وأى صوارف تحول بين الداعية إلى الله والقيام بواجب الدعوة ، إنما تعتبر نكوصا وتراجعا عن المضى فى الصراط المستقيم صراط الله الواجب الاتباع .

وما تأخرت المجتمعات الإسلامية إلا يوم قامت فى وجه الناس صوارف صرفتهم عن الدعوة إلى الله ، سواء أكانت هذه الصوارف نابعة من نفس الداعية إلى الله ومنتمية إلى الضعف والتراجع ، أم كانت مفروضة على الداعية من الخارج أو المجتمع أو النظام ، فإن الاستجابة لهذه الصوارف الخارجية تمثل تبعية لمن ليس جديرا أن يكون متبوعا كما تمثل انهزاما لا يليق بمسلمة تؤمن بالله ولا تخشى أحدا إلا الله ولا ترجو سواه .

إن الحقيقة الكبرى التى لايسع أحدا من المسلمين أن ينكرها هى : أن المسلمين ماضعفوا ولا استكانوا ولا صاروا إلى هذه الشرذمة والتمزق والشتات إلا بسبب انصرافهم عن واجب الدعوة إلى الله ، وليس فى كلامنا هذا مبالغة فالدعوة كلمة وعمل يتنامى حتى يصل إلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ولن تضعف أمة مجاهدة إلا أن تختل معايير العقل والمنطق وتضطرب سنن الله سبحانه .

إن الدعوة إلى الله تتطلب أعمالا عديدة ، وتحتاج إلى أساليب متعددة ووسائل كثيرة ، وإن الداعية إلى الله عليها أن تمارس الدعوة بكل أسلوب وبكل وسيلة مادام ذلك مما شرع الله وأباح .

وقد أفضنا فى الحديث عن الأساليب والوسائل فى كتابنا « فقه الدعوة إلى

الله » [٢٦٠] فليرجع إليه من أراد التوسع فى ذلك .

لكننا هنا نشير إلى مجمل هذه الأساليب والوسائل حتى لا تفوت الفائدة من لم يرجع إلى ذاك الكتاب .

أما أساليب الدعوة إلى الله فقد حصرناها فى سبعة أساليب هى :

١ ــ أسلوب الشرح والتفسير لأصول الدين ونصوصه ،

٢ ــ وأسلوب المقارنة بين دعوة الحق « دعوة الله » والدعوات الأخرى ،

٣ ــ وأسلوب الرد على الشباب والمفتريات الموجهة إلى الإسلام ،

٤ ــ وأسلوب تعهد الناس وتربيتهم وإعدادهم وفق منهج الإسلام فى التربية والإعداد ،

٥ ــ وأسلوب تجميع الناس وتصنيفهم وتوظيف طاقاتهم ،

٦ ــ وأسلوب الترغيب فى الخير والتبشير به ،

٧ ــ وأسلوب الترهيب من الشر وتهديد الأشرار .

ولكل أسلوب من هذه الأساليب شرح وتفصيل .

وأما وسائل الدعوة إلى الله فقد حصرناها هناك فى ثلاث وسائل عامة يتفرع عن كل منها وسائل عديدة وتلك الوسائل العامة هى :

١ ــ وسيلة الدعوة إلى الله بالكلمة منطوقة أو مكتوبة أو مشاهدة ،

٢ ــ ووسيلة الدعوة إلى الله بالعمل كإنشاء المؤسسات وغيرها ،

٣ ــ ووسيلة الدعوة إلى الله بالقدوة بحيث تكون الداعية إلى الله أنموذجا لما تدعو إليـه .

وعلى الداعية إلى الله أن تتعامل مع كل هذه الوسائل مادام ذلك فى إمكانها .

والدعوة إلى الله تستوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ظل الضوابط الشرعية لهما ، على اعتبار أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم مايحقق مصالح المسلمين ويدفع عنهم المفاسد [٢٦١].

---

(٢٦٠) انظر الفصلين الرابع والسادس من الباب الأول من الكتاب .

(٢٦١) للتوسع : انظر فقه الدعوة إلى الله ، الباب الأول ، الفصل الرابع .

ثانيا : الجهاد في سبيل الله :

وهو من أهم الأعمال التي يجب أن تقوم بها الداعية إلى الله ، فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ، وليس الجهاد حرب الأعداء في معارك مباشرة ، وإنما الجهاد أنواع :

جهاد بالنفس ، والمال ،

وجهاد باللسان ،

وجهاد للنفس ،

وجهاد للعدو (٢٦٢) .

إن الجهاد في سبيل الله عمل رئيسى أمام المرأة المسلمة وهى مطالبة به على سبيل فرض الكفاية إن كانت من أهل الاستطاعة ، وعلى سبيل فرض العين إذا كان أعداء المسلمين قد اغتصبوا جزءا من بلادهم .

والمرأة المسلمة تستطيع أن تمارس من أنواع الجهاد التى أشرنا إليها آنفا ، مايتيسر لها ، ولا ينبغى أن يتصور مسلم أو مسلمة أن الجهاد في سبيل الله ليس بواجب عليه على سبيل فرض الكفاية أوفرض العين ؛ لأن الأمة الإسلامية كلها أمة جهاد .

وللجهاد في سبيل الله درجات معروفة هى :

جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد العدو ، وليس لأحد أن يستغرقه جهاد النفس أو جهاد الشيطان فيقعده عن جهاد العدو ، مادام من أهل القدرة على ذلك .

ثالثا : عمل البيت :

وهو كما أوضحنا آنفا من أجلّ الأعمال وأعظمها فائدة ، وحسب المرأة المسلمة في هذا العمل أنها تبنى بيتا مسلما ، وتنشئ أطفالا مسلمين ، وتربى فيهم الاعتزاز بالإسلام وأخلاقه والانتماء إليه ، وذلك من أجلّ أعمال المرأة على الإطلاق ، فإذا أضيف إليه مايجب على المرأة المسلمة نحو بيتها مما بيناه آنفا ، تبين لنا أن هذا النوع من العمل لا يدانيه عمل آخر .

ومن أجل خطورة هذا العمل وأهميته فى بناء البيت المسلم فالمجتمع المسلم فالأمة المسلمة فالحكومة المسلمة ، فإن أعداء الأمة الإسلامية يبذلون جهودا فائقة فى صرف

(٢٦٢) للتوسع : انظر السابق الفصل الرابع ، الباب الأول . نشر دار الوفاء عام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

المرأة المسلمة عن بيتها ، حتى لا تكون أسرة مسلمة منتمية للإسلام بأقوالها وأفعالها لا بأسمائها وكناها ، إنهم يستعملون فى سبيل صرف المرأة المسلمة عن بيتها كل وسيلة من الوسائل مهما كانت باهظة التكاليف والأعباء .

إنهم بهذا يضربون الأسرة المسلمة فى مقتل ، ووسيلتهم فى ذلك أحد عملين :

الأول : صرف الأم المسلمة عن عنايتها بأسرتها وبيتها بالعمل خارج البيت لمواجهة ضغط الحياة وظروفها الاقتصادية الصعبة التى صنعوها هم ، وحولوا بها العالم الإسلامى كله إلى مايعرف بالعالم الثالث أو العالم النامى أو العالم الأشد فقرا ، أو العالم الغارق فى الديون العاجز عن الوفاء ـ بفوائد الديون لا الديون نفسها ـ وما من بلد من بلدان العالم الإسلامى إلا وهى مصنفة فى بلدان العالم الثالث حتى الدول الإسلامية التى تنتج من البترول أكثر مما تنتج سواها !!!

والثانى : خداع الأسرة المسلمة بتحديد النسل أو تنظيمه لإنقاص عدد المسلمين وتقليص كثافتهم البشرية فى المستقبل القريب على حين يشجعون هم النسل وزيادة السكان فى بلادهم ويقدمون المعونات لكل أسرة تنجب أكثر من ثلاثة أبناء ـ كما تفعل فرنسا وغيرها من البلاد الغربية .

وإن نظرة واعية إلى العالم اليوم لتؤكد من خلال الإحصاءات المتاحة أن اليهود فى زيادة عددية ملحوظة وأن المسيحيين كذلك فى ازدياد.

أما المسلمون فتشن عليهم الحملات لتحديد النسل وتنفق أمريكا على مراكز تحديد النسل فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ألوف الملايين على سبيل الهبة لا القرض ، وتقيم هذه المراكز وتنفق عليها بصفة مستمرة .

ولابد لنا أن نتساءل قائلين : لماذا كان التركيز على تحديد النسل فى بلدان العالم الإسلامى بصورة أساسية ؟

إننا ـ على مر تاريخنا الإسلامى ـ أربعة عشر قرنا من الزمان لم نسمع عن الدعوة إلى تحديد النسل بهذا السعار ، إلا بعد أن وقعت معظم بلدان العالم الإسلامى فى قبضة أعدائنا غزوا عسكريا واحتلالا أو وصاية أو انتدابا أو حماية أو تبعية سياسية أو اقتصادية أو غزوا فكريا .

ولقد أوصى المجلس العالمى للسكان ، بل ناشد المصريين بضرورة تنظيم الأسرة والاكتفاء بطفل واحد لكل أسرة خلال الثلاثين سنة القادمة ـ نشرت ذلك إحدى صحف القاهرة الكبرى (٢٦٣) .

ولنا أن نتساءل قائلين :

لماذا توجه الدعوة إلى مصر بالذات ؟

وماذا يتوقع لو انكمش عدد سكان مصر خلال الثلاثين عاما القادمة ؟

وماذا تكون عليه إسرائيل من حال بعد هذه المدة وهي تشجع على زيادة السكان بالميلاد أو بالهجرة إليها ؟

إن الذى أحب أن أنتهى إليه في هذه القضية هو أن أقول :

مالهم يتجاهلون أن البشر هم أهم عوامل الإنتاج ؟ بمقاييسهم هم التى يقيسون بها ؟

أمَّا ماوراء ذلك من أدلة وبراهين مردها الدين ونصوصه الكريمة ، فهى معروفة لا تحتاج مني إلى بيان ، والمسلمون معظمهم يعرفونها كما يعرفون أنفسهم ، أما الداعون إلى تحديد النسل أو تنظيمه فلا يحبون أن يستمعوا إلى هذه الأدلة فضلا عن أن يعرفوها ، ولكن ليسمعوا وهم كارهون أن الإسلام لايرى في تحديد النسل إلا عملا لا تبيحه إلا ضرورة تتعلق بصحة الأم بعد أن يخبرها بذلك الطبيب المسلم الثقة .

رابعا : عمل المسلمة فى المجالات التى يحتاج فيها إلى امرأة :

ولهذا العمل أهميته على النحو الذى أوضحنا آنفا سواء أكان ضرورة شخصية أم ضرورة اجتماعية ، وفى الحالين فإن على المرأة المسلمة أن تنسق بين هذا العمل وبيتها وواجباتها في الدعوة إلى الله ، وعلى المجتمع والزوج والأبناء أن يعينوها كما أسلفنا أيضا .

وبعد : فتلك أنواع العمل التى تتاح للمرأة المسلمة أن تمارسها ، وكلها تسهم فى بناء الأمة الإسلامية إذا أديت بإخلاص وكانت خاضعة للأولويات التى ذكرنا .

وإن كل هذه الأنواع ماينبغى أن تصرف المرأة المسلمة عن الدعوة إلى الله ، كما سنوضح فى النقطة التالية من هذا الفصل .

---

(٢٦٣) صحيفة الأخبار ، العدد الصادر فى ٥ من شهر رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ١٩٩٠/٤/١ م .

٤ ـ ضرورة استمرار الدعوة إلى الله في كل نوع من أنواع العمل:

هذه نقطة فى موضوع عمل المرأة المسلمة لها بالغ الأهمية ، إذ قد تتصور إحدى المسلمات أنها تمارس عملها ربة بيت أو عاملة في مجال من مجالات العمل التى تتطلبها حاجات المجتمع الإسلامى ، ثم تتوقف بهذا عن الدعوة إلى الله بحجة انشغالها بهذا العمل أو ذاك ، وهذا تصور خاطئ ، إذ قد أوجبت الشريعة الإسلامية على المرأة فى موقع من مواقعها أن تستمر في الدعوة إلى الله بعد أن تستكمل البصيرة بما تدعو إليه .

ولكى أزيد الأمور وضوحا في هذا التشابك بين العمل والدعوة إلى الله وتصور أن يغنى أحدهما عن الآخر ، أؤكد أن الدعوة إلى الله عمل مستمر مصاحب لكل عمل تقوم به المسلمة فى حياتها بل ملازم لكل مرحلة من مراحل عمرها ، وعلىّ من أجل هذا التوضيح إن أذكر ماذا تفعل فى مراحل عمرها وهى تدعو إلى الله ، على النحو التالى :

أولا : مرحلة مابعد الطفولة :

أى المرحلة التى تسبق البلوغ ، ابتداء من ست سنوات إلى اثنتى عشرة سنة تقريبا ـ وهى مرحلة التعليم الابتدائى ـ فى معظم بلدان العالم الإسلامى .

إنها فى هذه المرحلة تستطيع أن تقوم بعمل في مجال الدعوة إلى الله مهما بدا محدودا فإنه يحسب للدعوة ، وهذا العمل تشجعها عليه أمها وأبوها ومدرستها .

ويمكن أن تتصور العمل الذى تقوم به فى هذه الفترة من حياتها على أنه التزام بالإسلام فى أخلاقها وسلوكها ، والتواصى مع غيرها بهذا الالتزام ، خشية من الله سبحانه واعتزازا بالإسلام .

وهذا الالتزام يتناول أمورا عديدة منها .

١ ـ الالتزام بأدب الإسلام وخلقه فى الملبس وبخاصة الحجاب ، إذ هى قريبا ماتبلغ مبلغ النساء وعليها أن تتعود على مايجب أن تكون عليه فى مستقبلها القريب ، والتواصى مع الأخريات بذلك ، فتلك هي البداية الطبيعية للالتزام فى الزى والملبس ، والأم الداعية هى التى تهيئ ابنتها لهذا الالتزام قبل أن تكبر .

٢ ـ والالتزام بالتحلى بأخلاق الإسلام كفضائل : الصدق والأمانة والوفاء والعفة والجد والإتقان لكل عمل تقوم به ، والنظافة والنظام ، والتعاون وحب الخير والمحافظة على المدرسة وكل مافيها ، واحترام المدرسات والعاملات فى المدرسة .

وأن تكون فى أغلب أحيانها على وضوء : لأن الوضوء سلاح المؤمن ، وأن تواظب على الصلاة فى جماعة فى المدرسة أو البيت أو المسجد .

وأن تشارك في الأنشطة الثقافية والاجتماعية والدينية فى المدرسة ، وأن تحرص على التفوق والاشتراك فى المسابقات الدينية والعلمية والأدبية وغيرها ، وأن توصى بذلك زميلاتها ،

٣ ـ والالتزام بالتخلى عن الرذائل والصغائر التى نهى عنها الإسلام مثل : الكذب والخيانة والغدر وعدم الوفاء ، والهزل والإهمال وسوء النظام وترك النظافة والنفور من التعاون وكراهية الخير ، والتراخى والكسل .

والعبث بأى شيء في المدرسة أو إفساده ولوكان بسيطا وحب العزلة والانطواء ، وترك المشاركة فى أنشطة المدرسة والإهمال فى الدروس الذى يؤدى دائما إلى التعثر الدراسى .

وإضمار الشر للأخريات أو حبه لهن ، والغيبة والنميمة والحسد والحقد ، وإهمال ماكلفت به من واجب .

والقعود عن الاشتراك فى المسابقات بمختلف أنواعها ، أو القعود عن المشاركة فى الأنشطة المدرسية ، وعليها أن توصى غيرها بالتخلى عن كل ذلك .

٤ ـ والاهتمام بحفظ قدر من القرآن الكريم وقدر من الأحاديث النبوية ، وياحبذا لو كان ذلك فوق ماتكلف به المدرسة وتشجيع غيرها من الزميلات على ذلك .

وفي الحق : إن الأم الواعية الداعية إلى الله يجب أن تكون وراء ذلك كله ، فتلك أبرز مهماتها فى تلك المرحلة من حياة ابنتها .

ثانيا : مرحلة مادون الجامعة :

وهى مرحلة مابعد بلوغها مبلغ النساء ، ولنتصور أنها من الثالثة عشرة إلى العشرين تقريبا ، وهى مرحلة التعليم الإعدادى والثانوى تقريبا .

والبنت في هذه المرحلة من مراحل عمرها تعيش فترة تفتح الملكات والمواهب ، ونضوج القدرات والمهارات ، وعليها فى مجال الدعوة إلى الله واجب أكبر من سابقه .

فإذا كانت فى المرحلة السابقة قد التزمت فى زيها وأخلاقها بأداب الإسلام ، ودعت غيرها إلى ذلك ، فإنها فى هذه المرحلة تستطيع أن تزيد عليه فى مجال الدعوة إلى الله مايلى :

١ ـ أن تكوّن صداقات مع زميلاتها فى المدرسة أو البيت ، بحيث تقوم هذه الصداقات على التآخى فى الله والتحاب فيه ، والالتزام بحقوق هذه الأخوة الإيمانية ، ولتتوسع فى هذه المؤاخاة ما استطاعت ، فإنها فى هذه الحالة تبذر حبا فى أرض واسعة المدى سريعا ماتنبت وسريعا ماتجنى من وراء ذلك الخير كل الخير للإسلام ، إذ تنتقى من هذه الكثرة من كانت أكثر تقبلا للإسلام وأكثر التزاما لأخلاقه .

٢ ـ وأن تمارس من الأنشطة الثقافية في المدرسة مايجعلها أعمق فكرا وأثرى ثقافة ، ويجذب إليها الانتباه عندما تتكلم أو تكتب بحثا أو تتفوق فى مسابقة.

إن ذلك من أهم مايحبب فيها زميلاتها ، فإذا ما أقبلن عليها لتلك الميزات فيها فقد اجتازت به مرحلة التحبب إلى الزميلات أى أصبحت مألفا ، وعليها حينئذ أن تستثمر هذه العلاقة للدعوة إلى الله ، وعليها أن تنتقى من هؤلاء من هن أصلح وأقدر على القيام بواجبات الدعوة إلى الله والعمل من أجل هذا الدين العظيم .

٣ ـ وأن تواظب تماما على أداء فريضة الظهر فى المدرسة أى فى مسجد المدرسة ، فإن لم يكن بالمدرسة مسجد تعاونت مع غيرها من الزميلات وتلطفت فى طلب ذلك من مديرة المدرسة أوتشفعت بإحدى المدرسات التى تربطها بها علاقة وثيقة .

ويمكنها أن تستثمر وقت تواجد البنات في المسجد للصلاة وأن تلقى كلمة فى دقيقتين أو ثلاث فى أى موضوع يهم الطالبات بعد استئذان المدرسة المسئولة عن المسجد ، وحبذا لو تناوب على هذه الكلمة عدد من الطالبات الملتزمات ، الراغبات فى العمل للإسلام .

٤ ـ وأن ترتب هى وزميلاتها لقاءات أو ندوات حول موضوع إسلامى يهم البنت المسلمة ، ياحبذا لو كان على هيئة اقتراح يقدم إلى مدرسة التربية الإسلامية أو مدرسة اللغة العربية أو غيرهما ، ممن يتوسم منهن الإجابة والعمل الخيّر من أجل الإسلام .

ومن خلال هذا اللقاء تستطيع الطالبة أن تتعرف على عدد من الطالبات النابهات اللاتى يغشين هذه المجالس ، لتتعاون معهن على مزيد من المدارسة حول موضوعات إسلامية أخرى ، وبهذا يزيد عدد الراغبات فى العمل الإسلامى .

٥ ـ وأن تسهم فى الأنشطة المدرسية الفنية وأن تحاول التفوق فى ذلك وأن تكون دائما فى موضع الرضى والتقدير ممن تشرف على هذا النشاط ، وأن تمد يد المساعدة لكل من كانت محتاجة إليها من الزميلات ، وأن تتوسم فيمن تساعدهن الرغبة فى الالتزام بالإسلام وحب العمل من أجل الدعوة إلى الله.

٦ ـ وأن تشارك فى النشاط الاجتماعى أو الكشفى فى المدرسة فتسهم فى الرحلات خارج المدرسة ، وعليها أن تقترح على المسئولة هذه الرحلات إن لم تكن فى برنامج المدرسة.

ومن خلال مشاركتها فى الرحلة يمكن أن تتوثق علاقاتها بزميلاتها ، وأن تستثمر هذه العلاقة لصالح الإسلام وصالح الدعوة إليه .

٧ ـ وأن تشارك فى اتحادات الطالبات مرشحة ومنتخبة ، وأن تعمل على توعية البنات بضرورة المشاركة فى انتخاب المرشحات الصالحات الملتزمات بالإسلام ، وأن ترشح نفسها وأن تزكى غيرها للترشيح إن كانت ترى فيها خيرا للإسلام وللعمل من أجله والدعوة إليه .

ومن خلال هذا الاتحاد تستطيع أن تقدم كثيرا من الخدمات للإسلام وبخاصة فى مجال الدعوة إلى الله .

ثالثا : مرحلة التعليم الجامعى :

وقد تحدثنا عنها وعن الأنشطة التى تمارس فيها فيما سلف من هذا الكتاب بتوسع وتفصيل [٢٦٤] .

ونضيف هنا أن الداعية المسلمة عليها أن توظف كل نشاط تقوم به لصالح الإسلام والدعوة إليه ، وعليها أن تعتبر نفسها داعية الى الله فى كل عمل تمارسه داخل كليتها أو معهدها .

رابعا : فى مجال عملها ربة بيت :

وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى هذا الكتاب [٢٦٥] ، وقررنا هناك أن الأصل فى المرأة المسلمة ربة البيت أن تكون داعية إلى الله ، لا تفارقها هذه الصفة فى بيتها ومع

(٢٦٤) كان ذلك فى المبحث الثالث من القسم الثانى من الفصل الثانى من الباب الثالث .

(٢٦٥) كان ذلك فى المبحث الأول من القسم الثانى من الفصل الثانى من الباب الثالث .

أبنائها وقريباتها وصديقاتها وجاراتها على نحو مافصلناه هناك ؛ لأن الدعوة إلى الله عمل مستمر مع المرأة المسلمة فى كل مرحلة من مراحل حياتها وفى كل عمل تمارسه ، هذا هو الفقه الصحيح للدعوة إلى الله .

خامسا : فى مجال عملها ، أيا كان مجال عملها :

وقد أوضحنا ذلك بما يحتاج إليه من تفصيل ، وحددنا أولويات العمل وأنواعه (٢٦٦) .

وقلنا ولا نزال نقول : إن المرأة المسلمة داعية إلى الله فى كل مجال وعلى كل حال ، بل إن المسلمة الداعية إلى الله إذا كانت تعمل فى مجال من مجالات العمل التى ذكرنا ، فإنها ذات حظ عظيم من التوفيق بإذن الله ، وذلك أن المدعوات يحضرن إليها ولا تذهب هى إليهن وبخاصة من كانت تعمل فى حقل التعليم على كل مستوياته .

---

(٢٦٦) كان ذلك فى الفصل الأول من الباب الرابع من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

قضايا الزواج والطلاق وتعدد الزوجات

١ ـ زواج المرأة وموقف الإسلام منه

ليس من المبالغة أو التميز ؛ القولُ بأن نظام الزواج فى شريعة الإسلام لم يسبقه نظام ـ فى تكامله وتساويه مع مقتضيات الفطرة ومصالح المجتمع ـ يوازيه فضلا عن أن يتفوق عليه ، ولا يستطيع نظام فى الحاضر أو المستقبل أن يوازيه أو يتفوق عليه ، بسبب أن شريعة الإسلام التى جاءت به هى آخر الشرائع السماوية من عند الله إلى الناس ، وأتمها وأكملها فى عموم ما جاءت به من منهج للحياة كلها وفى خصوص ما جاءت به من منهج للزواج .

تشهد بذلك أى مقارنة تعقد بين نظام الزواج فى شريعة الإسلام ونظامه فى أى شريعة أخرى أو حضارة أخرى .

ولولا أن نستطرد لعقدنا مقارنات عديدة فى ذلك من لدن عرفت الأديان والحضارات نظما للزواج ، وحتى يوم الناس هذا ، ولكن ذلك من شأن كتاب خاص بنظام الزواج فى الإسلام وليس من شأن كتاب خاص بالمرأة المسلمة الداعية إلى الله وهو كتابنا هذا .

فإذا كان الهدف من نظام الزواج هو تنظيم العلاقة الجنسية الفطرية بين الرجل والمرأة بعيدا عن الفوضى والإباحية وماتجلبه من أمراض نفسية وجسدية وأدوار اجتماعية ، فإن نظام الزواج فى شريعة الإسلام يضبط هذه العلاقة بضوابط تعلى من شأن الغريزة نفسها وتجعل من ممارستها عملا يرضى الله بالإعفاف للطرفين ، فى ظل علاقة نظيفة بعيدة تماما عن المخادنة والمخالة فضلا عن الفوضى والإباحية المعروفة التى تمارسها كثير من شعوب العالم التى تزعم أنها متحضرة بل وفى قمة التحضر !!!

وإذا كان الهدف من نظام الزواج هو بناء أسرة من زوجين وأبناء ، لتظل تنمو محاطة بالمودة والرحمة والحصانة والعفة ، فإن هذه الأسرة فى مستقبلها الحافل بالبنين والبنات سوف تجد فى نظام شريعة الإسلام للزواج مايوفر لها الأمن والسكن والحب والمودة

والقدرة على عطاء المجتمعماينميه ويزيده قدرة على تحقيق مستوى معيشى كريم يليق بتكريم الله سبحانه للإنسان .

ولنفصل القول فى ذلك بعض التفصيل :

إن المتفق عليه بين العقلاء من البشر أن أرقى أنظمة الزواج فى الإنسانية كلها هى التى تلزم بالعفة وتحمى الخلق ، وتحدد للغريزة الجنسية مسارها فى التعبير عن نفسها بالزواج ، وتوصد كل باب آخر من أبواب التعبير عن هذه الغريزة مثل الزنا واللواط والسحاق وسائر أنواع الشذوذ أو الانحراف فى التعبير عن هذه الغريزة .

مادام ذلك كذلك فإن نظام الزواج فى شريعة الإسلام قد تكفل بهذا فى صورة قاطعة ، جعلت من الزواج إحصانا لكلا الزوجين عن الوقوع فى أى خطأ من أخطاء التعبير عن الغريزة الجنسية ، بل اعتبر هذا الخطأ خطيئة لاعلاج لها إلا بقتل مرتكبها والتخلص منه نهائيا ، للتأكد من فساده وإفساده بعدما أحصنه الزواج الذى أحله الله ، ولكنه لم يعف بل ولغ فى رذيلة اجتماعية شديدة الخطر على بناء المجتمع وتماسكه .

ومن المتفق عليه كذلك بين العقلاء من البشر أن أرقى أنظمة الزواج هى التى تتيح بناء أسرة من أبوين وأبناء ، تستطيع أن تسهم فى بناء المجتمع النظيف الآمن القادر على ممارسة الحقوق وأداء الواجبات ، ليعيش الناس تلك الحياة الكريمة اللائقة بتكريم الله للإنسان وتفضيله إياه على كثير ممن خلق .

ومادام الأمر كذلك فإن تنظيم الشريعة الإسلامية للزواج هو الذى مكن من إقامة هذه الأسرة ، بأن أوجب على الرجل القوامة على هذه الأسرة بتوفير كل ما يلزمها من أسباب العيش فى حدود مايستطيع ، إذ جعل له الولاية على كل أفراد الأسرة وألزمه بالنفقة عليها ، وتعليم الأبناء وتربيتهم وتزويج من بلغ منهم سن الزواج ، كما أوجب على الأم أن ترعى الأسرة وأن تحوطها بكل ماتستطيع من رعاية وحنان ومودة مصدرها الأمومة ، وأن تحسن فى ذلك ماوسعها الإحسان ؛ لأن الله استرعاها وهو سائلها عما استرعاها .

كل هذا واجب من خلال نصوص شرعية لاسبيل إلى الفكاك منها ولا سعادة للبشرية إلا بالتمسك بها ، وقد تحدثنا عن ذلك آنفا أثناء حديثنا عن واجبات الزوجين وحقوقهما[٢٦٧] .

---

(٢٦٧) كان ذلك فى الفصل الأول من الباب الثانى من هذا الكتاب .

ولقد عرفت البشرية قبل الإسلام أنظمة للزواج انطوت على كثير من العنت الذى يقع على الزوجة حينا ، كنظام تعدد الأزواج، سواء أكان هؤلاء الأزواج إخوة ـ لهم حقوق متساوية مع الزوجة أو لأكبرهم تميز خاص عندها ، أو لأحدهم أولوية فى الحقوق لديها ـ أم كانوا ليسوا من الإخوة .

أو كان العنت واقعا على الزواج كنظام التزوج من داخل الأسرة أو العشيرة وتحريم غيره بغض النظر عن رغبة الزوج فى هذا الزواج أو نفوره منه .

أو كان العنت واقعا على الأسرة كلها والأبناء منها بوجه خاص ، كزواج عدد من الرجال بعدد من الزوجات ، كل الرجال يعاشرون كل النساء كما كان ذلك فى المجتمعات الممعنة فى القدم ، والأبناء فى هذا الزواج هم الضحايا لفقدهم الانتماء إلى أب بعينه .

أو كان العنت واقعا على الزوجين بشكل مباشر وعلى الأبناء تبعا لذلك ، كنظام الزواج الذى لا يقبل الفك أو الطلاق مهما كان قدر النفور بين الزوجين .

كل هذه الأنواع من الزواج عرفتها البشرية ومارستها ولايزال بعضها يمارس حتى الآن ، ولاتزال البشرية تعانى منها حتى يوم الناس هذا .

ثم كان نظام الزواج فى شريعة الإسلام ، فتلافى كل هذه العيوب ، ورفع هذا العنت عن كواهل المعنتين ، فأقام نظام الزواج على أسس قوية محققة لصالح الفرد والمجتمع وأبرز هذه الأسس مايلى :

١ ـ يقوم نظام الزواج فى الشريعة الإسلامية على مبدأ حرية الاختيار لكل من الزوجين ، فالرجل يختار ويخضع فى اختياره لمعايير حددتها الشريعة ، وليس لأحد أن يكره رجلا على الزواج من امرأة ؛ لأن الإكراه فى الإسلام مرفوض كله ؛ إذ هو عدوان على حرية الإرادة .

وللمرأة أن تختار ممن يتقدم لها فترفض أو تقبل خاضعة فى ذلك لمعايير إسلامية كذلك ، وليس لأحد أن يكرهها على القبول أو الرفض حتى لو كان وليها .

٢ ـ ويقوم كذلك على شروط وآداب لا بد منها ، إذ لابد فيه من مهر يدفعه الزوج وعقد نكاح وإشهاد عليه ، ولابد من إشهار لهذا الزواج وإعلام يصل إلى حد قرع الدفوف ، ولا بد من الكفاءة بين الزوجين ، ولابد من إذن الولى ، مع الاحتفاظ

للمرأة بحق القبول أو الرفض ؛ لأنها تستأمر أو تستأذن فى الزواج أيّماً كانت أو بكرا .

٣ ـ ويقوم كذلك على المودة والرحمة بين الزوجين ، حتى إن فقد هذه الصفة قد يعطى الزوجة الحق فى طلب الطلاق وقد يعطى الرجل الحق فى الطلاق ـ وإن كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله .

٤ ـ ويقوم كذلك على جعل القوامه للرجل على المرأة وعلى الأسرة كلها : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ...** ﴾ [(٢٦٨)] .

٥ ـ ويقوم على إلزام الرجل بالنفقة على زوجته وعلى أبنائه ، بحيث يوفر لهم السكن والمطعم والملبس ، وكل مايلزمهم فى حياتهم من غير إسراف ولاتقتير .

إلى غير ذلك من الأسس الركينة التى لا يمكن الاستغناء عنها بحال .

٦ ـ كما يقوم على الترغيب فى الزواج ورفض العزوبة لما يترتب عليها من أضرار ، حيث اعتبر الإسلام الزواج سنة لايجوز لأحد أن يشذ عن نهجها إلا لعذر مبيح .

* روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

* وروى أبو داود أيضا بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أحببت امرأة ذا حسب وجمال وإنها لاتلد أفأتزوجها ؟ قال : « لا » ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال : « تزوجوا الودود الولود ؛ فإنى مكاثر بكم الأمم » . إن الزواج فى الإسلام مكمل للدين وإن الأبناء مقصد هام من مقاصد الزواج ، كما يؤكد ذلك هذان الحديثان الشريفان .

ولأن الزواج فى الإسلام هو الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى كله ، لذلك أحاطه الإسلام بكل الضمانات الأخلاقية والاجتماعية والدينية التى تمكنه من أداء وظيفته الرئيسية وهى استقرار المجتمع .

---

(٢٦٨) سورة النساء : ٣٤ .

وإن العلاقة الزوجية حينما تحاط بكل الضمانات فتستقر حياة المجتمع على الحق والعدل والمودة والرحمة ، فإن هذا الجو هو الذى يستطيع أن ينبت أبناء أسوياء يحبون دينهم ، ويحبون وطنهم ، ويحبون أن يعملوا وينتجوا من أجل حاضرهم ومستقبلهم .

إن نظام الزواج فى الإسلام يجعل أداء الحقوق والقيام بالواجبات قربة إلى الله تعالى وإرضاء له ؛ لأنه الآمر بذلك كله ، المشرع لكل هذه التفاصيل والدقائق .

على أن أداء الحقوق والقيام بالواجبات في محيط البيت المسلم إنما هو دعم حقيقى لبناء المجتمع المسلم ، وللأمة المسلمة ، حيث ييسر ذلك تطبيق منهج الله فى الحياة .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لكل مسلم ومسلمة يرتبطان بحياة زوجية فى ظل شريعة الإسلام ــ فإن المرأة المسلمة الداعية إلى الله تكون أولى النساء بالالتزام الدقيق بكل مايوجبه نظام الإسلام فى الزواج ، من أبسط الأمور وأيسرها إلى أعقد الأمور وأصعبها ، أى ابتداء من قيامها بالواجبات التى تجد فيها رضا النفس وراحتها إلى القيام بالواجبات التى تجد فيها حربا للنفس الهوى وتحديا لوسوسات الشياطين ، شياطين الجن والإنس المثبطين عما يرضى الله .

وإن أعداء الإسلام لا يضربون المسلمين فى مقتل بمثل مايوجهون من ضرباتهم إلى نظام الزواج فى الشريعة الإسلامية ، وإلى الأسرة فى ظل هذا الزواج .

إنهم يوجهون ضربة إلى نظام الزواج من حيث جعله القوامة للرجل على المرأة ، ويرون فى ذلك تسلطا واعتسافا ، ويطالبون بأن تتساوى المرأة بالرجل فى المسئولية عن البيت ، بل لا يمانعون فى أن تكون لها القوامة على البيت والرجل ، وحجتهم التى يزعمون ويرددها من ورائهم دعاتهم وأبواقهم ، أن المرأة مخلوق رقيق لا يحتمل التسلط والاعتساف ، وتحلو هذه الحجة لدى كثير من النساء والغافلات عن سنن الحياة الاجتماعية .

وفى إيجاز شديد نقول لهؤلاء :

إن القوامة للزوج على زوجته فى ظل نظام الزواج الإسلامى ليست تسلطا ولا اعتسافا ، وإنما هى أسلوب رشيد فى الإدارة والتوجيه ، ولو تجاوز أحد الأزواج هذا الأسلوب فتسلط واعتسف لكان مخالفا لمنهج الإسلام ومفتاتا على حق الزوجة وعاصيا لله سبحانه ، إذ لا يحق له أن يظلم أو يجور ؛ لأن الله سبحانه حرم ذلك على الناس

جميعا كما حرمه على نفسه .

وهذا رد أراه مفحما لكل ناعق بمثل هذا القول .

وهناك رد آخر هو أن الأسرة وهى الوحدة الأساسية فى بناء المجتمع ، وهى فى الوقت نفسه مكونة من أكثر من فرد ، وعملها الذى تقوم به فى دعم المجتمع وقيمه وآدابه يقوم به أكثر من واحد ـ الزوج والزوجة والأبناء ـ فلا بد من إدارة لهذه الأسرة تكون مقاليدها فى يد أحد أفراد هذه الأسرة ، لا فى يد واحد من خارجها .

فَبِيَد مَن تكون هذه الإدارة أو القوامة ؟

أتكون لمن هيأه الله وفطره على أن يقوم بأعباء هذه القوامة وهو الرجل ؟

أم تكون لغير من هيّئ وفطر على ذلك وهى المرأة ؟

إن الفروق الحادة بين الرجل والمرأة فى هذا المجال لاتنقص من قدر المرأة وإنما هى حكمة الله وبالغ حكمتـه ، وإلا لاعتبرنا أن تهيئة المرأة للحمل والولادة ينقص من قدر الرجل لأنه لا يستطيع ذلك ، ولاقائل بذلك من العقلاء .

والمقياس الدقيق فى ذلك والتعليل المقبول لهذه القوامة التى أعطاها للرجل على زوجته هو ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ...** ﴾ .

وهذا التفضيل داخل فى قوانين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فقد فطر الرجال والنساء على أن يميل كل جنس منهما إلى الجنس الآخر ، وجعل هذا الميل المنتهى أخيراً بالزواج الشرعى سببا فى العمران وإنشاء التمدن ونمو الحياة ، وإن البداية الصحيحة لذلك هى تكوين الأسرة ومايجب أن يحاط به الأطفال من حب وحنان وحضانة .

وإن من قوانيـن الفاطـر سبحانـه وتعالى ـ لكى يحفظ لكل طرف حقـه ويلزمـه بواجبه ـ أن جعل القوامة للرجل على المرأة وأعد جسده وعقله وقدراته كلها على أن تحمل أعباء تأمين احتياجات الحياة لأسرته ، فى حين لم تفطر المرأة على ذلك ، بل هى تتعرض لحالة مرضية فى كل شهر تمتد من ثلاثة أيام إلى خمسة عشر يوما ، تصيبها ـ كما يرى علماء الأحياء ـ بتبلد فى الحس وتكاسل فى الأعضاء وتراجع لقوة التركيز ونقص فى الذكاء وضعف فى الأعصاب ، وإذا كان هذا فى فترة الحيض فما بالنا بفترة الحمل

والولادة والإرضاع ؟

هل يمكن مع هذه الفطرة أن تكون القوامة لها على البيت ؟

فقانون الفطرة هو الذى أعطى للرجل القوامة ، قبل أن يعطيها له قانون الزواج فى الإسلام .

ولقد زعم بعضهم بأن أمور البيت يجب أن تكون قسمة بين الزوج والزوجة على السواء ، وهو كذلك زعم باطل يعترض عليه بقانون الفطرة الذى فضل الله فيه الرجال بما يهيئهم له من تحمل أعباء القوامة ، ومن الذى يزعم أن إدارة البيت توضع فى يد مديرين ؟ أحدهما صالح لهذا العمل والآخر أقل صلاحية ؟

نعم يوافق الإسلام على أن يتقاسم الرجل مع المرأة مايستطيع أن يقوم به من عمل فى البيت ، معاونة منه لأهله وتأدبا بأدب الإسلام الذى أوضح لنا أن رسولنا وقدوتنا ﷺ كان فى خدمة أهله .

ذلك هو المفهوم الصحيح للقوامة أن يحمل الرجل أعباء البيت من الخارج سعيا وكدا ، وأن يعين فى أعبائه الداخلية تعاونا وخدمة ، وكل ماعدا هذا الفهم مما قد يشاهد عند بعض الأزواج إنما هو انحراف عن المنهج ومعصية لله ورسوله ﷺ وقعود عن واجب ، أو استبداد بسلطة قد تؤدى إلى أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق .

وإن من نافلة القول التأكيد على أن أعداء الإسلام يخلطون عامدين بين المنهج والناس المنفذين له ، ويحسبون أخطاء الناس على المنهج نفسه ، وهو قياس فاسد المقدمات فاسد النتائج ، ممعن فى المغالطة والتضليل .

إن المنادين بنزع القوامة من الرجل ، إنما ينادون بتخريب المجتمع تخريبا كاملا ، موهمين أنفسهم وغيرهم من الناس أنهم أرحم بالمرأة وأعدل معها ممن خلقها سبحانه وتعالى وفطرها على مافطرها عليه .

وإن محاولة تغيير نظام الزواج الذى جاءت به شريعة الإسلام إلى نظام آخر ، تحمل من الظلم للزوجة والأولاد والمجتمع نفسه ما لايقادر قدره ، إنه هدم للقيم الفاضلة التى يجب أن تسود المجتمع والتى يجب أن ينشأ عليها الناس ، ولولا الإطالة لتوسعنا فى الحديث عن النتائج بتفصيل شديد .

وإن الزعم بأن المرأة فى الغرب تنعم بنظام زواج حسن يمكن أن يحاكى ، زعم باطل شجع عليه رؤية الانحناءات أمام المرأة وتقبيل يدها من الأجانب عنها ، وتلك قشرة رقيقة تخفى تحتها من امتهان المرأة مالا يعرفه إلا الذين عاشوا هناك ورأوا مفردات الحياة الزوجية عن قرب ، وعرفوا ما تحت القشرة .

إن امتهان المرأة هناك على الرغم من تلك القشرة اللامعة الخالية بلغ حد إلزامها بالعمل فى المصانع والمناجم أو تموت جوعا ، وبلغ أن الزوج ليس مطالبا بالإنفاق على زوجته وأولاده ، بل إن الزوجين إذا تناولا الطعام خارج البيت ــ وكثيرا ما يفعلان ــ دفع كل منهما ثمن طعامه من حسابه الخاص !!!

ولقد أشرنا فيما سبق من هذا الكتاب(٢٦٩) إلى مكانة المرأة فى ظل الحضارة الغربية المعاصرة ، وعرفنا هناك كيف تعانى وكيف تندم على ما هى فيه باسم الحرية والتحرر ، وكيف خسر المجتمع الاستقرار واستنبات القيم الفاضلة من جو الأسرة المشحون دائما بعواطف الأبوة والأمومة وما أودع الله فيهما من رحمة وحنان .

إن بعض النساء الغربيات يطالبن اليوم بالتخلى عما حصلت عليه المرأة من مميزات لتعود إلى بيتها تجد رجلا قواما على زوجه وبيته لتتفرغ هى لتربية أبنائها والعناية بهم .

ألا ما أسوأ ما تعيش فى ظله الزوجة الغربية من مهانة وضياع !!! ولن أبالغ ولكنى أقول كما عرفت وكما قرأت وكما كتب بعض كتابهم وكاتباتهم :

أرأيتَ امرأة تعاشر رجلا معاشرة الأزواج وتحت سقف بيت واحد دون أن يكون بينهما عقد نكاح ولا مهر ولا إشهاد ولا إذن ولى ؟ بدعوى أن يجرب كل منهما الطرف الآخر فإن شاء بعد ذلك تابع العيش معه أو رفاقه ، مع غض النظر تماما عما يكون لهذه العلاقة من ثمرات بشرية تجد مكانها فى الملاجئ ودور الحضانة التى تعدها الحكومات فى الغرب لهذا النتاج ؟

أرأيت كيف تعيش المرأة قلقا بالغا خشية أن يهجرها عشيقها ؟

وهل تعلم كم يبتز الرجل عشيقته ليمكث معها دون زواج ؟

وهل تتصور كم تدفع المسكينة لتتكلل هذه العلاقة الآثمة بالزواج ؟

إن هذا هو ما تعيش فى ظله المرأة الغربية .

---

(٢٦٩) الفصل الثانى من الباب الأول من هذا الكتاب .

أرأيت زواجا لا يؤدى إلى عفة ولا إلى إحصان ؟

إن الزواج إذا تم فى الغرب بصورته الشرعية التى تقرها الكنيسة ، فإنه لا يعصم زوجا ولا زوجة من أن يصطحب كل منهما إلى بيت الزوجية خليلة أو خليلا ليشارك فى هذه الحياة الزوجية بين الزوجين ؟ إن من يرفض مثل هذه العلاقة رجعى متأخر غير مؤمن بالديموقراطية والحرية الشخصية !!!

إن المنخدعين بما آلت إليه أمور الزوجة أو المرأة عموما فى الغرب ، يجهلون أو يتجاهلون حقيقة ما وصلت إليه المرأة هناك من هوان وضياع وفقد حقيقى للأمن والاطمئنان .

إن نظام الزواج فى الغرب له تاريخ حافل بالأخطاء التي مارستها الكنيسة حقبة غير قصيرة من الزمن ، وملىء بأخطاء الذين سنوا القوانين ليتمردوا بها على أنظمة الكنيسة ، أو طلبا لنظام أحسن .

وليس هنا مجال الحديث عن هذه الأخطاء فنحن لا نكتب فى تاريخ نظام الزواج عند الغربيين ، ولكننا نكتفى بأن نقول :

إن علامة فشل هذا النظام الغربى فى الزواج هى :

- شيوع الفاحشة وإقرار الزنا بالقانون مادام برضا الطرفين .
- وتدهور العلاقة الزوجية إلى حد أن يكون الجسم للزوج والقلب والحب لرجل آخر ، بل الجسم كذلك لرجلين أو أكثر .
- وتخلص الرجل من واجبات النفقة على الزوجة والبيت .
- وإهدار حقوق الزوجة المادية والمعنوية كما أوضحنا ذلك من قبل .
- وما أصاب الأبناء من قلق واضطراب .
- وما أصاب المجتمع من تدهور أخلاقى خطير .
- وانعكاسات ذلك كله على بقاء كثرة غالبة من غير زواج .

٢ ـ طلاق المرأة وموقف الإسلام منه

تميزت الشريعة الإسلامية وهى تسن للطلاق نظاما ، بأن تقيم هذا النظام على الاعتراف بطبائع الناس وفطرتهم ـ رجالا كانوا أو نساء ـ وقد أدى هذا الاعتراف بتلك الطبائع إلى تجنب التشديد الذى لايجدى لتعارضه مع الطبيعة البشرية ، كما تجنبت التهوين الذى لا يجدى مع هذه الطبيعة كذلك .

إن الشريعة الإسلامية نظرت إلى الطلاق على أنه قضية دينية دنيوية فى وقت واحد كشأن معظم التشريعات ، وما دامت كذلك فلا بد من تناولها فى إطار مالايغضب الله تبارك وتعالى وما يفوت مصلحة من مصالح الدينا .

إن الزواج ، وآدابه فى الإسلام يستهدف تحقيق الأمن الاجتماعى للزوجين والأبناء والمجتمع كله ، ولذلك جاء الطلاق فى الإسلام وهو قاطع لهذا الأمن الاجتماعى ومبدد له من أبغض الحلال إلى الله ، ولكنه قد يكون علاجا لمشكلة لا حل لها إلا به ، ولكن بعد استنفاد سائر الجهود من الزوجين ومن الحكمين لإزالة أسباب الطلاق .

إن الإسلام أوجب على الرجل إذا أحس بالنفور من زوجته وفكر فى طلاقها أن يصبر وأن يفكر فى العواقب ، وأن يقدر أن بقائها معه قد يكون فيه خير غير منظور الآن ولكنه كائن فى علم الله ، كما أن عليه أن يضع بجانب أسباب النفور أسباب الألفة ، فلو ساءه منها خلق ربما أرضاه منها خلق آخر .

كل ذلك أوضحته الآية القرآنية الكريمة التى تقول : ﴿ **فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ (٢٧٠) .

فإذا لم يستطع الزوج أن يدفع أسباب النفور فعليه أن يمارس الطلاق فى أضيق حدوده وهو الطلاق الرجعى لعل أن يزيل ما بنفسه من أسباب النفور ، فيعود إلى زوجته ولا تنفصم العلاقة ، ولعل المرأة فى هذه المدة تراجع نفسها فتلين بعد شدة وتتروى بعد غضب وعنف .

فإذا لم يستطع الزوج ولا الزوجة بعد هذا الطلاق أن يعيدا المياه إلى مجاريها ، فليلجأ الزوج إلى أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق ، فيطلق الطلاق البائن ، هذا الطلاق الذى يجب أن يتم على وجه السنة ولا يترتب عليه أدنى تحيف لحق الزوجة فى النفقة ومؤخر الصداق ، ولا يستطيع المسلم أن يمطلها شيئا من حقها الذى شرعه لها الله سبحانه .

---

(٢٧٠) سورة النساء : ١٩ .

وعلى قدر ما حرص نظام الإسلام فى الزواج على إحاطة العلاقة الزوجية بمزيد من الرعاية والاهتمام من خلال إلزام كل من الزوجين بقائمة الحقوق والواجبات ، فإنه كذلك أحاط نظام الطلاق بأحكام وآداب تجعل اللجوء إليه آخر الدواء أو أبغضه إلى الله .

* روى أبو داود بسنده عن محارب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق » .

* وروى أيضا بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

وفى آية من آيات القرآن الكريم تأكيد على أن الأصل فى معاشرة الزوجة هو الإحسان والمعروف ، فإن استحالت هذه المعاشرة فالمفارقة والطلاق ، يقول الله تعالى فى هذه الآية : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ (٢٧١) .

وكما أعطى الإسلام الرجل الحق فى الطلاق فى ظل الظروف الموجبة له ، أعطى المرأة كذلك حقا مساويا فى الانفصال من الزوج ، إذا كانت عشرته غير محتملة ولم تجد معه المحاولات ولا تدخل الأطراف الذين يبغون الخير ،وذلك هو حق الخلع من الزوج دون مقابل إذا قبل الزوج أو فى مقابل إذا لم يقبل .

وكما وصف الإسلام الطلاق بأنه أبغض الحلال إلى الله فإنه وصف الخلع ومن طلبته من النساء دون سبب مقبول بأسوأ مايوصف به إنسان ، وهو استحقاق لعنة الله سبحانه والملائكة والناس أجمعين ، كما ورد فى الحديث : « أيما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٢٧٢) .

* وروى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير مابأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

* وروى الترمذى بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « المختلعات هن المنافقات » .

والخلع قد يكون بأن ترد الزوجة كل ماأخذت من الزوج من مهر أو هدايا ، وقد يكون بأن تعطيه أكثر مما أخذت ، وقد يكون بأن يتصالحا على أسلوب الخلع ومايقدم فيه .

---

(٢٧١) سورة النساء : ١٩ .

(٢٧٢) أبو الأعلى المودودى : حقوق الزوجين .

والأصل الشرعى الذى أباح الخلع هو قول الله تعالى : ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ [٢٧٣] .

وقد حكم رسول الله ﷺ على ثابت بن قيس أن يقبل خلع زوجته ويخالعها بعد أن ترد عليه حديقته ، فقد روى الإمام مالك فى الموطأ ، كما رواه أبو داود بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها فكسر يدها ، فأتت رسول الله ﷺ بعد الصبح فاشتكته ، فدعا النبى ﷺ ثابتا فقال : « خذ بعض مالها وفارقها » فقال : ويصلح ذلك يارسول الله ؟ قال : « نعم » ، قال : فإنى أصدقتها حديقتين وهما بيدها ، فقال النبى ﷺ : « خذهما ففارقها » ففعل .

وفى السنة النبوية أكثر من حديث فى الخلع ، وحقيقته ــ كما قدمنا ــ إعطاء المرأة الحق فى أن تفارق زوجها إذا كان هناك مبرر شرعى مقبول لهذه المفارقة .

والطلاق ــ وهو حق الزوج .

والخلع ــ وهو حق الزوجة .

وسيلة مثلى وعادلة لكل واحد من الزوجين أن يفك عقدة النكاح إذا استحالت العشرة ، مع مراعاة تقوى الله من المطلق والمختلعة ، وهذا من عظمة الإسلام وقدرة تشريعه على الاستجابة لكل مشكلات الحياة .

ومن حكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن عرضت عليه قضية امرأة تريد أن تخالع زوجها ، فنصحها بالبقاء معه وتحمله فلم تقبل ، فحبسها فى مكان قذر ثلاثة أيام ثم أخرجها فسألها عن حال بقائها فى هذا المكان فقالت له : لقد كان ذلك أروح لى من مصاحبة زوجى ، فأمر عمر رضى الله عنه زوجها أن يخلعها قائلا له : « اخلعها ولو من قرطها » أى ولو كان ما تخالعك عليه وتفتدى به نفسها قرطها فقط[٢٧٤] .

وبعد : فهذه نبذة وجيزة عن الخلع وهو الطلاق الذى تمارسه المرأة ، فماذا عن الطلاق الذى يمارسه الرجل فى ظل ظروف بعينها أهمها أنه أبغض الحلال إلى الله ؟

فقد ورد فى التحذير من الطلاق أحاديث نبوية كثيرة منها :

---

(٢٧٣) سورة البقرة : ٢٢٩ .

(٢٧٤) عز الدين محمد بن أحمد المكى المتوفى ٨٥٥ هـ : كشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة .

* ماروواه الديلمى بسنده عـن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يبغض الطلاق ويحب العتاق »[٢٧٥] .

* وروى الطبرانى بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات » أى الذين يسرعون إلى الزواج والطلاق من الرجال والنساء[٢٧٦] .

* وروى الطبرانى بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يحب الذواقين والذواقات »[٢٧٧] .

* وروى الطبرانى بسنـده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تطلق النساء إلا من ريبة ، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات »[٢٧٨] .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن جـابر رضى الله عنـه قال : قال رسـول اللـه ﷺ : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجىء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ماصنعت شيئا ، ويجىء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، فيدنيه منه ويقول : نعم أنت » وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه[٢٧٩] .

وهكذا يضع الإسلام الطلاق فى ميزانه الصحيح ، ويحرص كل الحرص على ألا يلجأ إليه أحد إلا عند الضرورة ، لأنه فصم لعروة ، الأصلُ فيها أن تتوثق وأن تظل بظلها البيت والبنين والبنات .

وهكذا رأينا نفس الموقف فى الخلع وتهديد المختلعة بغير موجب .

وفى نفس الوقت فإن الطلاق والخلع كلاهما قد يكونان هما الحل لمشكلة مستعصية فى الحياة الزوجية .

وإن كل تحايل أو رفض للطلاق أو الخلع عند وجود مايبرره شرعا ، إنما يكون على حساب الأسرة وعلى حساب المجتمع ، بل على حساب العفة والإحصان .

كما أن سلب الرجل حق الطلاق عدوان على حق أصيل له قررته له شريعة الإسلام ،

---

(٢٧٥) الديلمى : مسند الفردوس .

(٢٧٦) الطبرانى : المعجم الكبير .

(٢٧٧) السابق .

(٢٧٨) السابق .

(٢٧٩) الإمام المسلم : صحيحه : باب تحريش الشيطان .

فى ظل الشروط والآداب التى لا تسمح له بالاعتساف فى ممارسة هذا الحق وإلا استحق عقاب الله .

ومثل ذلك حرمان المرأة من حق الخلع عدوان على حق أصيل لها يوم تجد استمرار الحياة مع زوجها مستحيلا لأسباب تقرها شريعة الإسلام ، ولكنه حق محاط كذلك بشروطه وآدابه ، وليس لصاحبته أن تستعمله بغير موجب شرعى وإلا استحقت عقاب الله .

إن أولئك الذين يضعون ـ بأنظمتهم الوضعية ـ قيودا على هذه الحقوق الشرعية للزوجين فى الطلاق والخلع ، إنما يفتاتون على الله وعلى منهج الإسلام فى تنظيم العلاقة الزوجية أو فكها ، ومهما ادعوا فلن يكونوا أرحم بالناس من رب الناس .

وإن شنشنة بدت فى هذا العصر الذى نعيشه يزعم أصحابها أنهم يضعون من القوانين مايصونون به حق المرأة ، وقد أخطأوا فى دعواهم أنهم يحسنون حفظ حقوقها بأكثر مما حفظها لها منهج الإسلام ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

إن ما نادى به من أسموا أنفسهم أنصار المرأة وطالبوا لها بالحرية والتحرر والمساواة بالرجل ، إن ذلك سوف يؤدى بالمرأة إلى ضرر بالغ فى حاضرها ومستقبلها ، بل يضر بالأسرة كلها .

ونحن بهذا لا نحجر على اجتهاد ، وإنما نذكر بأنه لا اجتهاد مع النص ، وأن نذكر بأن هذه الدعاوى قد ترتب عليها أن تترجل المرأة وأن تجمع على نفسها بهذه المساواة المغلوطة أعباء جساما ، فهى قد أضافت ـ بغفلة منها وغفلة من دعاة مساواتها بالرجل ـ إلى أعبائها عبء العمل والكد فى الحياة بالإضافة إلى عبء الزوجية والأمومة .

بل إن العمل الذى تساوت به المرأة مع الرجل كان أشد إجحافا بها من العمل الذى يقوم به الرجل ، فقد زج بها فى المصانع ووقفت أمام الآلات وتعاملت مع ضجيجها وضوضائها وهى لم تهيأ لذلك ، كما عملت فى مهنة « سكرتيرة » ، عليها أن توزع الابتسامات والإيماءات بعد أن تزين شكلها بكل ما توجبه هذه المهنة على العملاء والزبائن الذين يكونون دائما على حق ـ كما يزعمون ـ كما عملت خادمة فى الطائرة والفندق والمقهى تقدم خدماتها وابتساماتها للرجال ، وويل لها من رؤسائها إن لم تفعل ، وعملت سائقة لسيارات الأجرة والنقل ، بل عملت فى المناجم والمحاجر فى كثير من البلدان .

ولا أدرى ماذا ربحت من وراء ذلك العناء إلا التعاسة وخيبة الرجال فى الرجل القادر على حمل أعباء الحياة .

إن المرأة خسرت بذلك كثيرا من أنوثتها وهى تقوم بأعمال لم تهيأ لها ، فحملت من الأعباء فوق ماتستطيع ، وتخفف الرجل بمكر ودهاء من كثير من الأعمال التى هيأه الله لها وفطره عليها .

إن نتائج هذه المساواة قد انعكست آثارها السيئة بضرر كبير على المرأة وعلى الأسرة وعلى الزوج نفسه ، وكل ذلك أدى إلى خلل فى طبيعة العلاقة الزوجية ، واضطراب فى ممارسة كل من الزوجين لحقوقه وواجباته ، وأضر كثيرا بالزوجية التى أحاطها الإسلام بكل ضمانات السعادة والاستمرار .

فلقد كثر الطلاق واعتسف الناس فى استعماله ، وأطلت على العالم الإسلامى بدعة أن يكون حق الطلاق للمرأة ، فسمعنا عن عقود نكاح تكون فيها العصمة ـ أى حق طلب الطلاق دون إبداء الأسباب ـ فى يد المرأة !!! إن ذلك قلب للأوضاع الأسرية وإهدار للقوامة التى أعطاها الله للرجل لتستقر حياة الأسرة وتسهم فى بناء المجتمع .

٣ ـ تعدد الزوجات وموقف الإسلام منه

قام نظام الزواج فى الإسلام على أساس أن حفظ النوع الإنسانى ، وما يتطلبه هذا الحفظ من نظم اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ـ هو أهم أهداف الحياة الإنسانية ؛ لهذا جاء نظام الزواج على أكمل صورة من صور الزواج التى عرفتها البشرية كلها .

وعلى الرغم من هذا الكمال الذى يشهد به التاريخ ويشهد به الواقع الملموس ، فإن الراغبين فى العيب على نظام الزواج فى الإسلام يوجهون نقدهم أو اتهامهم له فى موضوع تعدد الزوجات وإباحة الإسلام له .

وهؤلاء الناقدون أو المتَّهمون يغفلون أو يتغافلون عن أن تعدد الزوجات ليس من ابتكار الإسلام ولا هو أول من أباحه ، ولا كان المسلمون أول من عدد الزوجات .

لقد سبق الإسلام ـ فى الأخذ بنظام تعدد الزوجات ـ أديان ونظم ، فأغلب النظم التى سبقت الأديان المشهورة كانت تبيح تعدد الزوجات كما كانت تبيح اقتناء السرارى بغير تحديد لعدد أى منهن ، وبغير شروط توجبها على الرجل الذى يعدد الزوجات .

ولقد استمر الأمر على ذلك فى أنظمة الزواج ، سواء منه ماكان ممعنا فى البداوة أو قريبا من زمن الأديان المشهورة .

إن كل ما كان يوجبه العرف فى هذا التعدد هو أن يلتزم الرجل بمئونة زوجاته وسراريه وأن يدبر المأوى لهن ، بل إن هذا الالتزام كان يحدث فيه الإهمال والتقصير .

ولما كانت الأديان المشهورة كاليهودية والمسيحية قبل الإسلام ظل تعدد الزوجات على ما كان عليه ، وأخذ هذان الدينان بمبدأ تعدد الزوجات على مابين الدينين من اختلاف فى النظر إلى الزواج وغايته الروحية .

وإن نظرة إلى العهد القديم لتؤكد لنا هذا التعدد أو تؤكد لنا إباحته عند اليهود ، فلقد تزوج داود وسليمان عليهما السلام بأكثر من زوجة ، بل بأكثر من مائة زوجة كما تتحدث بذلك نصوص هذا العهد القديم .

فقد نسب العهد القديم إلى نبى الله داود عليه السلام أنه تزوج من امرأة قائد جيشه « أوريا » بعد تعريضه للقتل على الرغم من كثرة عدد زوجاته ، ففى الإصحاح الثانى عشر من سفر صمويل الثانى جاء مانصه ، فى قول النبى ناثان لداود : « أنا مسحتك ملكا على

إسرائيل وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك .. لما أخذت امرأة « أوريا » لك امرأة ؟ » .

وجاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول عن سليمان :« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه » .

ويقول نيوفلد E . NEUFLVD مؤلف كتاب الزواج عند العبرانيين الأقدمين : « إن التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه ، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات ، وإن قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التى اختلط بنو إسرائيل بها كانوا جميعا على مثل هذه الشريعة فى اتخاذ الزوجات والإماء » .

وفى الديانة المسيحية ظل تعدد الزوجات نظاما معمولا به ومباحا تماما إلى القرن السادس عشر الميلادى ــ أى منذما يقرب من أربعة قرون فقط من وقتنا هذا .

يقول : وستر مارك ١٨٦٢ ــ ١٩٣٩ م WESTER MARCH† فى كتابه : « تاريخ الزواج عند الإنسان » :

« إن ديارمات ملك إيرلندة كان له زوجتان وسريتان ، وتعددت زوجات الملوك والميروفنجيين غير مرة فى القرون الوسطى .

وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السرارى ، ويظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم .

وبعد ذلك بزمن كان ڤيليب أوف هيس ، وفريدريك وليام الثانى يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

وأقر مارتن لوثر نفسه تصرف الأول منهما كما أقره ملانكتون . وكان لوثر يتكلم فى شتى المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض فإنه لم يحرم بأمر من الله ، ولم يكن إبراهيم ــ وهو مثل المسيحى الصادق ــ يحجم عنه إذ كان له زوجتان ، نعم إن الله أذن بذلك لأناس من رجال العهد القديم فى ظروف خاصة ، ولكن المسيحى الذى يريد أن يقتدى بهم يحق له أن يفعل ذلك متى تيقن أن ظروفه تشبه تلك الظروف ، فإن تعدد

الزوجات أفضل على كل حال من الطلاق .

وفى سنة ١٥٣١م نادى اللامعمدانيون فى مونستر صراحةً بأن المسيحى حق المسيحى ينبغى أن تكون له عدة زوجات .

ويعتبر المورمون ـ كما هو معلوم ـ أن تعدد الزوجات نظام إلهى مقدس .

وفى سنة ١٩٥٠ م بعد صلح وستفاليا أصدر مجلس الفرنكيين بنورمبرج قرارا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين ، بل ذهبت بعض طوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات » .

ويرى الدكتور ليبون † LEBONأن القوانين الأوربية سوف تجيز التعدد .

ويذهب الأستاذ أهرنفيل †EHRENFELإلى حد القول بأن التعدد ضرورى للمحافظة على بقاء السلالة الآرية .†

وإذن فلم يكن الإسلام هو الذى ابتكر نظام تعدد الزوجات ، فعلام اللوم والنقد والتجريح والتجديف بغير علم ؟

على أن الإسلام لم يوجب تعدد الزوجات بل لم يتحسنه ولم يندب إليه ، وإنما تركه مباحا لمن كانت لديه أسباب التعدد ، أو عندما تدعو ظروف المجتمع إلى التعدد ، وجعل الإسلام تعدد الزوجات مفضلا على تعطيل وظيفة الزواج وهى الإنجاب ، ومفضلا على العزوبة وماينجم عنها من مساوئ ، بل جعله حلا للعزوبة التى تفرض على بعض النساء عند اختلال النسبة العددية بين الذكور والإناث لأى سبب من الأسباب .

وقد اشترط الإسلام العدل بين الزوجات فى حالة التعدد ، وحصر هذا التعدد فى أربع نساء ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾(٢٨٠) .

وتعولوا : أى تجوروا .

فالتعدد رخصة وليس أمرا .

وفى السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على أن الصحابة رضى الله عنهم قبل نزول هذه الآية كان منهم من يمسك أكثر من أربع نسوة فى عصمته ، وكان أمر الرسول ﷺ

---

(٢٨٠) سورة النساء : ٣ .

لهم أن يمسك أربعا ويفارق من زاد على ذلك .

ولا بد لنا أن نتساءل قائلين : لماذا أباح الإسلام هذا التعدد ؟

ونستطيع أن نجيب على هذا التساؤل إجمالا بأن هذه الإباحة إنما هى لعلاج بعض المشكلات التى يمكن أن توجد فى المجتمع .

ويمكن أن نشير إلى طرف من هذه المشكلات فيما يلى :

أولا : قد يزيد عدد النساء فى المجتمع عن عدد الرجال لظروف حرب أو غيرها ، وعندئذ يكون التعدد علاجا لمشكلة نساء بلا زواج ، وحسماً للآثار السيئة التى قد تترتب على وجود امرأة بلا زواج ، ثم هو علاج لتخاطف النساء للرجال إذا قل عدد الرجال ، وما يترتب على هذا التخاطف من قلق واضطراب للأسرة .

وهو علاج لامرأة لا تعرف الرجل ولا يعرفها رجل ، مع أن الله سبحانه قد هيأها وفطرها على هذه المعرفة .

ثانيا : وقد تكون رغبة الرجل فى التعبير عن طاقته الجنسية ملحة ، وقد تكون زوجته الواحدة غير قادرة على ذلك ولا راغبة فيه ، وعندها يكون التعدد بديلا عن الانحراف والوقوع فى جريمة الزنا .

وقد تكون هذه الزوجة التى لا تستطيع مجاراة زوجها فى التعبير عن الطاقة الجنسية راغبة فى أن تستمر عشرتها له ، فيكون التعدد بديلا عن الطلاق .

ثالثا : ومن المعروف أن فترة الإخصاب عند الرجل تمتد إلى سبعين عاما أو ما فوقها ، بينما هى عند المرأة فى غالب الأحيان تقف عند سن الخمسين أو قريبا منها ، وتلك فطرة الله التى فطر عليها كلا من الذكر والأنثى .

وما دام عمران الأرض يقوم على التكاثر ، فإن تضييع عشرين سنة من عمر الإخصاب لدى الرجل معوق من معوقات الإعمار للأرض ، فيكون التعدد هو الحل لتلك المشكلة أو القضية ، وهو حل اقتصادى فيما أتصور لمشكلة العمران ، أخذا بمبدأ أن المواليد طاقات بشرية منتجة .

رابعا : وقد تكون الزوجة الأولى غير مهيأة للحمل والولادة أصلا لعيب فيها لم يتبين إلا بعد الزواج ، ومن الصحة النفسية للرجل ـ أى رجل ـ بل والمرأة أن يكون

لديهما أولاد لإشباع غريزة الأبوة والأمومة وهى غرائز أساسية فى الإنسان ، وعندئذ يكون تعدد الزوجات حلا لهذه المشكلة بالنسبة للرجل ، بل يكون كذلك حلا للزوجة العقيم إذ تجد فى أبناء زوجها أطفالا إذا رعتهم أشبعوا فيها الإحساس بالأمومة ، وخصوصا إذا كان البيت تحكمه آداب الإسلام وأخلاقه من حسن التعامل مع كل من فى البيت .

وهذا كله عندما تكون الزوجة الأولى راغبة فى البقاء مع زوجها ؛ لأنها واجدة فى هذه العشرة إشباعا لأمور كثيرة غير الحمل والولادة .

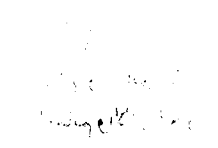
خامسا : وقد يكون فى التعدد كفالة لامرأة صالحة لا كافل لها وحماية لها من ضغوط الحاجة وما قد تجر إليه من متاعب ، وفى هذه الكفالة مواساة للمرأة الصالحة وإعفاف لها وخدمة جليلة تؤدى إلى المجتمع كله .

سادسا : وقد يكون فى التعدد صيانة لزوجة شهيد من شهداء الإسلام ورعاية لأبنائه وكفالة لهم ، وهو عمل جليل وصريح وأفضل كثيرا من أن يقدم إلى هذه المرأة وأبنائها إحسان أو صدقة تحيطها الشبهات وتنسج من حولها الحكايات .

سابعا : وقد يكون فى العدد رعاية ليتامى فى حجر أم لاتملك أن ترعاهم ، وكفالة اليتيم فى الإسلام تعنى صحبة للنبى ﷺ فى الجنة كما جاء هذا فى أكثر من حديث نبوى شريف .

وبعد : فإن الإسلام وهو يبيح تعدد الزوجات إنما يتجاوب مع الواقع الذى يعيشه الناس فى الحياة ويواجهه بالحلول الواقعية كذلك .

وإن الذين يرفضون التعدد على إطلاقه عندما تقوم أمامهم إحدى المشكلات أو الأسباب التى ذكرنا ، إنما يقعون فى أخطاء كبيرة تبدأ بالتخلى عن موقف مروءة وشهامة ومواساة ، وغالبا ما تنتهى ـ والعياذ بالله ـ بالزنا أو المسافحة والمخادنة ، وتبنى أبناء الغير وكل ذلك فوق أنه مخالف للفطرة فإنه مناقض للقيم الأخلاقية والاجتماعية في كل مجتمع بشرى كائنا مايكون دينه أو نظامه .



الفصل الثالث

قضية الحجاب

١ ــ دعاة السفور ومن وراءهم

السفور مقترن دائما بتبرج المرأة ، وتبرج المرأة مدعاة للفسق والفجور ، وإشاعة الخنا وما يغضب الله، مما يجر إليه التبرج من آفات وأضرار .

والتبرج ــ كما أسلفنا ــ هو إظهار المرأة لمواضع الزينة منها ، أو المشى أو الكلام بطريقة مثيرة وداعية إلى الفسق ، وكل ذلك قد منعه الإسلام لذاته ولما يجر إليه من معاص .

وما تغاضى قوم فى قديم تاريخ الإنسان وحديثه فتبرجت فيهم النساء ، إلا شاعت فيهم الفتنة وكثر الفساد وضاعت العفة .

والتبرج الذى تقترفه بعض النساء ليس وليد هذا العصر ولا دعاته من أبناء هذا العصر وحده ، وإنما هو أعمق فى تاريخ البشرية من زمن إنزال القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، ودعاته كثرة كاثرة فى كل عصر ومصر ، تحركهم إلى الدعوة إليه شياطينهم وحبهم لإشاعة الخنا والفساد .

هذا التبرج كان معروفا فى مختلف بقاع الأرض ، ولكن خطره اشتد وشره تفاقم فى الدولة الرومية قديما ، مما حمل الدولة على أن تمنعه بقانون فترة غير قصيرة من الزمان .

ثم عادت هذه الدولة نفسها تتغاضى عن كثير من مظاهر الفتن وأتاحت للناس من ممارسة الملذات والشهوات ما عجل بأيام الدولة وأدى إلى سقوطها ، فقد أطلق هذا التبرج نزوات الجسد من عنانها فى تلك الدولة حتى فاقت كل حد وتجاوزت كل معقول ، حتى سقطت الدولة صريعة فقد القيم الأخلاقية الفاضلة .

وهذا التبرج أو السفور هو الذى مارسته نساء اليهود حقبة طويلة من الزمان ، فقد وصف هذا التبرج أشعيا فى السفر المنسوب إليه فى العهد القديم ونبه إلى خطره وإلى انتقام الرب من أجله .

فقد جاء في الإصحاح الثالث من هذا السفر قوله : « وقال الرب : من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن ، وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن ، ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع ، والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائى والقمصان والعمائم والأزر فيكون عوض الطيب عفونة .

وعوض المنطقة حبل ،

وعوض الجوائل قرعة ،

وعوض الديباج زنار مسح ،

وعوض الجمال كى ..

رجالك يسقطوا بالسيف وأبطالك في الحرب فئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض .

فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات : نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا ، ليدع فقط امسك علينا انزع عارنا » (٢٨١) .

فلما كانت أوربا المسيحية اضطربت النظرة إلى المرأة وحاق بها من الجور مالا يقبله عقل ولا يرضاه منطق ؛ فمن صيانة للمرأة وتحفظ شديد عليها وسد لكل أبواب الفحشاء التى كانت سائدة من قبل وقضاء على العرى والتبرج واستئصال للدعارة وحمل المومسات والراقصات والمغنيات على التوبة إلى درجة اعتبار المرأة نفسها ـ في رأى بعض الآباء المسيحيين ـ ينبوع المعاصى وأصل الفجور ، وهى للرجل باب من أبواب جهنم ، وقول قائلهم عنها : هى شر لابد منه ، ووسوسة جِبِلّيةٌ ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ورزء مطلى مموه .

واعتبارعلاقة الرجل بالمرأة نجسًا ولو كانت عن طريق نكاح مشروع .

وبناء على هذه النظرة إلى المرأة انحطت منزلتها وضاق الناس بحياة الزوجية ،

---

(٢٨١) العهد القديم : سفر أشعياء ، الإصحاح الثالث : ٩٩٦ ط جمعية التوراة الأمريكية المصورة سنة ١٩٥٠ م .

وسلبت المرأة كل حقوقها ووضعت فى يد الرجل ، وحرم الطلاق والخلع مهما بلغ البغض والنفور بين الزوجين ، وحرم على كل من الزوجين أن يتزوج بعد موت الطرف الآخر .

ثم جاء رد الفعل لهذا العنت بالمرأة الذى أقرته الكنيسة وباركته ، ضمن ما باركت وأقرت من ألوان الظلم الاجتماعى والسياسى والإرهاب الفكرى ـ مما يطول بنا الحديث فيه لو بدأناه ـ كان رد الفعل لهذا تمردا على الكنيسة ورفضا لكل ما جاءت به ، واتخاذ العلمانية (أى اللادينية) مذهبا وفلسفة ـ وهو ما تعانى منه أوربا والغرب حتى اليوم ـ وكان أن ارتفعت الأصوات تنادى بتحرر المرأة من قيود الدين والكنيسة والتبرج والخلاعة باسم الحرية الشخصية ، ونادت أصوات أخرى بمساواة النساء بالرجال فى العمل وفى الاستقلال بأسباب العيش ، وباختلاط النساء بالرجال اختلاطا مطلقا لا يحول بينه حائل ، فانفتح بذلك باب الفساد على مصراعيه ، وانهارت الأسرة وشاع الزنا وتسمى بغير اسمه وانتشرت ألوان الشذوذ الجنسى ؛ لأن الغريزة قد أطلقت من عقالها فشاع السحاق واللواط وكل ما ينحرف بالغريزة الجنسية عن هدفها .

وساعد على ذلك شيوع الأدب الفاحش والأفلام السينمائية الجنسية وانحطاط المستوى الخلقى ، فأصبح البغاء حرفة للمتزوجة وغير المتزوجة على السواء لزيادة الدخل وللحصول على اللذة المحرمة ، ولم يعترض على ذلك المجتمع وإنما شجع وسن القوانين ويسّر ذلك وأباحه ، وانتشرت فى الغرب دور البغاء ، ودور اللقاء بين طلاب المتعة الحرام .

وكل هذه دور معدة لممارسة العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء متزوجين وغير متزوجين ، ومتزوجات وغير متزوجات .

وقد جاء فى تقرير « اللجنة الأربعة عشرية » وهى لجنة تعنى بالبحث عن أماكن الفجور فى أمريكا قولها : إن كل ما يوجد فى البلاد الأمريكية من المراقص والنوادى الليلية ومحال الزينة ومحلات طلاء الأظافر وقص الشعر وتمويجه وحجرات التدليك ، قد أصبحت جلها مواطن للفجور ودورا للبغاء ، بل هى أقبح منها وأشنع لما يرتكب فيها من الرذائل .

وهكذا نجد ظاهرة تبرج النساء أى خلعهن الحجاب قد واكبت كل عصر وعايشت كل حضارة بل كل دين سابق .

وقد نهت الأديان الصحيحة كلها عن هذا التبرج وأمرت بالحجاب ، صيانة للإنسانية عن أضرار التبرج وترك الحجاب .

وعندما كرم الله الإنسانية بآخر الأديان وأتمها وأكملها ، أعلن تحريم التبرج ونهى عنه في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ، وفي أكثر من حديث من أحاديث النبي ﷺ .

ففي القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ... **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ (٢٨٢) والمقصود بالجاهلية في أصح الأقوال ما كان قبل الإسلام عموما ؛ لأنه لا جاهلية أخرى حتى تكون هناك أوعية زمنية لكل جاهلية .

قال مجاهد في شرح هذه الآية : « كان النساء يتمشين بين الرجال فذلك التبرج » .

وقال ابن عطية : « هي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة ؛ لأنهم كانو لا غيرة عندهم ، وكان أمر النساء دون حجاب » .

وقيل لعائشة رضي الله عنها : ياأم المؤمنين ، ما تقولين في الخضاب والصباغ والتمائم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثياب ؟

فقالت : « يا معشر النساء ، قصتكن قصة امرأة واحدة ، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرما » .

والآية الكريمة الجامعة في هذا الباب هي قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** .... ﴾ (٢٨٣) ، وقد تحدثنا عنها فيما مضى من الكتاب وسوف نذكرها بكمال فيما بعد بإذن الله تعالى .

ودعاة السفور في كل عصر هم دعاة إلى الشر ، وأعداء للحق والخير وراغبون في أن تفسد الأخلاق وينحسر التدين عن الناس ؛ ليعيشوا هم في هذا الجو الموبوء الفاسد الذي دعوا إليه فأدى إلى تبرج النساء وجعلهن فتنة للرجال .

وكل دعاة السفور والتبرج والخروج عما أمر الله هم كالشياطين ، يحبون أن تشيع الفاحشة في الناس ، ليلغ فيها ويرضى عنها كل شرير فاحش وإن تستر بادعاء غير ذلك .

وفي كل عصر نجد دعاة التبرج ونجد لهم قوة ولدعوتهم استجابة ؛ لأن الشر أقرب إلى هوى النفس وأدخل في ممارستها للملذات ، وأدعى إلى تخلص الإنسان من قيود الدين والتزاماته .

وهم جميعا ـ سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم ـ يشتركون في صفة واحدة

---

(٢٨٢) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢٨٣) سورة النور : ٣١ .

وهى أنهم يعيشون على هدم الأخلاق الفاضلة وحرب ماجاء به الإسلام ، وإخراج الإنسان من تكريم الله له إلى جعله أقرب ما يكون من الحيوان .

وإن مجتمعات المسلمين قد تأثرت بهذه الدعوة الخبيثة بصورة أسوأ مما تأثرت مجتمعات الغرب ، وذلك أن المسلمة المتبرجة أو السافرة تعصى ربها فتستحق عقابه ، وتسهم فى إفساد المجتمع الذى تعيش فيه اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا ، وتحمل وزر ذلك كله ؛ لأنها تسببت بتبرجها فيه ، ويشاركها فى ذلك كل داع إلى هذا الشر وكل راض عنه أو قادر على منعه بما له من ولاية شرعية على إحدى النساء ثم لم يمنعها .

وإن المرأة المتبرجة لتعطى أسوأ المثل لأبنائها أو أخواتها أو صديقاتها ، وتشجعهن بعملها على معصية الله ورسوله واستحقاق عقاب الله سبحانه .

وإن كل امرأة تستجيب للسفور أو التبرج تهدم نفسها ومجتمعها وتحطم القيم الإسلامية فيه وتعين بنفسها على نفسها ؛ لأنها سريعا ما تقع فى أسر الخوف من الذئاب البشرية ، المفتونة بجسد المرأة وما ظهر منه ، والتى تتربص بهؤلاء النساء لتنطلق فى ممارسة شهواتها ونزواتها لا تلوى على شىء ، فذلك هو اللحم العارى وتلك هى الذئاب الجائعة ، إن المرأة المتبرجة عندئذ تفقد الإحساس بالأمن فى حياتها سواء أكانت متزوجة أم غير ذات زوج .

وإن المرأة المتبرجة المخالفة لما أمر الله به تعود بنفسها وببنات جنسها إلى عهد الرقيق ، يوم كانت المرأة تعرض مفاتنها على من يدفع أكثر من الرجال ؛ لأن المرأة مطلب للرجل بحكم الفطرة ، وقد أحل الله له أن يطلبها فى إطار من الشرعية النظيفة ، فإذا تبرجت المرأة أعطت الرجل طريقا آخر يطلبها منها ، ليست شرعية ولا نظيفة ، فمن الضحية ؟ الرجل أم المرأة ؟

إن غفلة ما مثلها غفلة أن تستجيب المرأة لدعاة التبرج ، سواء أكان هؤلاء الدعاة رجالا أم نساء ؛ لأنها تستجيب لمن يدعوها إلى الإضرار بنفسها أبلغ الضرر ، إنها تستجيب لمن يدعوها إلى الضياع فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

ولابد لنا أن نعرف دعاة السفور ومن وراءهم بصفاتهم لا بأسمائهم ؛ لتحذرهم كل مسلمة وكل مسلم ، وليحذرهم المخدوعون من غير المسلمين ؛ لأن الأديان كلها حرمت التبرج والسفور قبل أن يدخلها التحريف والتزوير .

* إنهم دياثية العصر إن سمحوا بهذا التبرج لنسائهم ومن هن فى ولايتهم - والديُّوث من لا غيرة عنده - وإنهن الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللاتى ينتظرن عقاب الله ووعيده .

* إنهم أولئك الذين واللاتى خدعتهم مظاهر الحياة فى الغرب وبهرهم تبرج المرأة الأوربية وسفورها ، فخيل إليهم وإليهن أن تلك هى الحياة الحرة المتحررة من القيود الدينية والأخلاقية ، ووجدوا فى أنفسهم وأنفسهن هوى لذلك ، فتجاهلوا الفرق الحاد بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الأوربية فى الدين والخلق وسائر نظم الاجتماع ، فانطلقوا وراء أهوائهم ، وهم لا يعلمون أن العقلاء فى الغرب لا يضيقون بشىء مثل ما يضيقون لما آل إليه أمر الأخلاق وأمر المرأة وما أدى إليه ذلك من موبقات - ونذكر هنا بما سبق أن ذكرنا ه ما جاء فى تقرير « اللجنة الأربعة عشرية فى أمريكا » .

* وإن الذين يقفون وراء هؤلاء الدعاة والداعيات للسفور والتبرج ويهيئون لهم وسائل الإعلام المتعددة ، معروفون بصفاتهم بل بوجوههم بل بلحن قولهم ، وهم أعداء الإسلام والمسلمين الذين يكيدون له ولهم ، ويحاربون المتمسكين بإسلامهم بكل وسيلة ويقعدون لهم بكل مرصد .

إنهم بصفاتهم هم اليهود والصهاينة الذين أقيمت لهم دولة فى قلب بلاد المسلمين تتوسع يوما بعد يوم ، بدأت بموطئ قدم ثم كانت حرب فقرار من المجتمع الدولى الظالم بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، ثم بعدوان استولى على كامل أرض فلسطين ، ثم بعدوان يعد الآن ، وتستقدم له الخبرات والكفاءات من الاتحاد السوفيتى فى هجرة ظالمة إلى بلاد أخذوها بالعدوان ليصلوا بذلك إلى إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل .

إن اليهود والصهاينة لم يستحوا أن يكتبوا ذلك كله وعلى رأسه تحطيم الأخلاق والأديان فى « بروتوكولات حكماء صهيون » . هم الأعداء الحقيقيون للإسلام والمسلمين من يوم ظهر الإسلام وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين تصديقا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾(٢٨٤) .

هؤلاء من أهم من يحركون دعاة التبرج والسفور فى العالم الإسلامى .

* وإن وراء دعاة السفور أعداء الإسلام من صليبيى الغرب ، الذين لا يزالون يشنون

---

(٢٨٤) سورة المائدة : ٨٢ .

على المسلمين حروبا صليبية تستهدف الدين والخلق قبل المكاسب السياسية والاقتصادية ، فهم أصحاب ثارات قديمة ضد الإسلام والمسلمين وهم الذين خاضوا ضد المسلمين حربا عدوانية سموها حربا مقدسة استمرت قرنين من الزمان من ٤٩٢ هـ إلى ٦٩١ هـ ، ولا يزالون يشنون هذه الحرب وإن اختلفت آلتها ووسائلها وأساليبها ، إن هؤلاء يدعمون دعاة السفور والتبرج ويقربون بذلك بين المسافات فى تحقيق أهدافهم ، إن هؤلاء الصليبيين المحدثين هم أحفاد الصليبيين القدامى الذين غزوا بلاد المسلمين بجيوشهم وبنسائهم السافرات العاريات اللاتى أشعن الفاحشة فى الذين آمنوا فى ذلك الزمان (٢٨٥) .

* وممن يعرفون بصفاتهم ممن يدعمون دعاة التبرج والسفور أعداء الإسلام والمسلمين من الملحدين الذين ينكرون الخالق ، ويرون المخلوقات إنما جاءت بالصدفة ، ويسمون أنفسهم شيوعيين حينا واشتراكيين حينا ، وقد استطاعوا أن يحتلوا عديدا من بلدان المسلمين وأن يحرموا عليهم ممارسة العبادة وهدموا المساجد ومنعوا تداول المصاحف .

إن هؤلاء لا يرضيهم شيء قبل ما يرضيهم التبرج والسفور ؛ لما فيه من عصيان للرب المجحود ، ولما فيه من إشاعة الفساد والتنكر للدين الذى يعدونه مخدرا للشعوب ، وكيف يقبلون الدين بقيوده فى الزواج وهم أطلقوا الرجال على النساء فى شيوعية مثالية مأمولة ؟

* وممن وراء دعاة التبرج والسفور أصحاب المذاهب الهدامة والفلسفات المتنكرة لقيود الدين والأخلاق وهم كثيرون من وجوديين إلى فوضويين ، إلى عراة ، إلى خنافس إلى غيرهم ...

هؤلاء جميعا وراء دعاة التبرج والسفور فى بلاد المسلمين ، و نلمس ذلك ونشعر به عندما يكتب هؤلاء الداعون إلى النار ، فيستشهدون فيما يكتبون بما هو شائع فى تلك الفلسفات أو المدارس من تبرير لتبرج المرأة وسفورها وإعلان الحرب على الدين والخلق .

* ومن هؤلاء الذين يدعمون دعاة التبرج والسفور أولئك الذين ينادون بعزل الدين عن الحياة ؛ لأن الأخذ بآداب الدين رجعية ونكوص وعودة بالناس إلى قرون التخلف ـ كما يزعمون ـ هؤلاء هم الذين يوصفون اليوم بأنهم « علمانيون » أى لادينيون ، لا يرون للدين علاقة بالحياة .

إن هؤلاء يشجعون تماما كل دعوة إلى إفساد المرأة وتبرجها وسفورها ؛ لما يشتمل

---

(٢٨٥) للمؤلف : الغزو الصليبى والعالم الإسلامى . ط ٢ دار عكاظ ١٤٠٢ هـ .

عليه ذلك من تحد للدين الذى يكرهون ، وتجاوب مع الفاحشة والفساد والخنا التى يسمونها حرية شخصية ، ولهؤلاء من الإمكانات ما يقدمونه دعما لدعاة التبرج .

* وآخر هؤلاء فى تصنيفنا لهم فى مجتمعاتنا نحن المسلمين نعرفهم بأسمائهم ونمسك عن ذكرها ، وقد كان منهم المسلم والمسلمة وغير المسلمين والمسلمات ، وما ينتهى العجب فى مجتمع مسلم من امرأة مسلمة تدعو إلى التبرج والسفور والتباهى بخلع الحجاب وعرض مفاتنها ـ إن كان فيها مفاتن ـ وجسدها وما أمر الله بستره على الناس ينظرون ويشتهون ويتخيلون ، وتدعى أن تلك حرية شخصية وتقدم ورقى وتحضر ، وليس هو فى الواقع إلا ردة إلى جاهلية معروفة لكل مثقف فى المجتمعات المسلمة ، يوم كانت المرأة ضائعة ـ قبل الإسلام ـ تلبس الدرع المشقوق من جانبيه ليكشف عن جسدها ثم تماشى الرجال وتعرض نفسها عليهم ، فهل هذه حرية شخصية أم عبودية للشهوات ؟

ولقد يقول شيطان من شياطين الإنس : إن العلاقة الجنسية كلها وليس التبرج والسفور فحسب ، يجب ألا تخضع لقيود كما هو الحادث فى الغرب الآن ، فإن المعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة فى غير زواج أو عقد هى الأصل السائد فى تلك المجتمعات ، وأن الذين يسعون هناك إلى الكنيسة لتزوجهم ندرة آخذة فى الانقراض فما بالنا لانمشى معهم فى ذات الطريق ؟

قد يقال هذا وقد يخدع بعض الغافلين والغافلات ، ولكن قبوله فى مجتمعات إسلامية أمر ترفضه أخلاق الإسلام وترفضه الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها .

وما التبرج والسفور إلا مقدمة للوصول إلى هذا المستوى فى العلاقة بين الرجل والمرأة فى الغرب ، ونعوذ بالله من أن يصل المسلمون إلى ذلك .

٢ ـ حدود الحجاب وأبعاده الشرعية

الحجاب ـ فى مجال الحديث عن المرأة المسلمة ـ هو أن تستر المرأة ما أمر الله بستره من جسمها ، وجسمها كله يجب ستره ما عدا وجهها وكفيها عند جمهور العلماء ، وهذا الستر عن كل أجنبى عنها ـ أى يصح له أن يتزوجها ـ أما محارمها ـ أى الذين لا يصح لأحد منهم أن يتزوج بها ـ فقد عفى لها بالنسبة إليهم عن الشعر والساعدين والقدمين عند جمهور العلماء كذلك .

وما وراء الوجه والكفين يجب على المرأة المسلمة أن تستره دفعا للفتنة وصيانة للمرأة وللمجتمع ، واستجابة لما أمر به الخالق سبحانه وتعالى .

وهذا الحجاب لا يعوق المرأة عن ممارسة حياتها العادية .

ومن العجب أن الحاقدين على الإسلام رأوا فى هذا الحجاب حبسا للمرأة وحجرا عليها ومهانة لها ، وحرمانا من الحرية ، كأنهم يرون عرى المرأة وتبرجها هو الأصلح لها وهو الملائم لكرامتها وإنسانيتها !!!

ولقد غامت عليهم الرؤية فيما يرون ، وضل ضلالهم فيما يزعمون ، فليس أكرم للمرأة ولا أصون لحريتها ومكانتها الاجتماعية فى المجتمعات النظيفة من هذا الحجاب الذى لا يقبلون .

ثم أشاعوا أن الإسلام وحده هو الذى جاء بالحجاب ، ولولا أن إشاعتهم هذه يكذبها التاريخ لكان فيها ما يحسب للإسلام لا ما يحسب عليه ، ومن أجل هذه المغالطة كان لابد لنا أن نذكر طرفا من ظروف الحجاب وتقيد بعض النساء به قبل الإسلام فى كثير من الحضارات والأنظمة .

فلقد كان الحجاب نظاما معروفا فى كل حضارة أصابت حظا من رقى فى نظمها الاجتماعية والسياسية .

ولذلك فسوف نتكلم فى حدود الحجاب وأبعاده الشرعية عن نقاط أربعة ، تاريخ الحجاب ، وغض البصر ، وخروج المرأة من بيتها ، وكلامها مع الرجال ، لنعالج فى هذه النقاط تلك الحدود والأبعاد الشرعية بإذن الله تعالى :

أولا : تاريخ الحجاب :

إن التاريخ نفسه هو الذي حدثنا عن أن التساهل فى الحجاب فى كل دين سبق إنما

كان فسوقا عن أمر الدين ، وأن التخلى عنه فى كل حضارة إنما كان إيذانا بانهيار تلك الحضارة وضياعها .

وليس أدل على جهل الزاعمين بأن الحجاب فرضه الإسلام وحده من هذا الوهم الذى وقعوا فيه .

إن كل قارئ للتاريخ ، فضلا عن أن يكون منقبا فى صفحاته ، ليعلم أن حجاب المرأة كان معروفا قبل الإسلام بقرون عديدة .

كان معروفا قبل عهد أبينا إبراهيم عليه السلام ، وظل معروفا فى كل دين ، إلى أن كان دين المسيح عليه السلام .

ففى العهد القديم « التوراة » والعهد الجديد « الأناجيل » وردت كلمة البرقع ـ وهو غطاء الوجه للنساء .

ففى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين جاء فيه : « ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحق فنزلت عن الجمل ، وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا ، فقال العبد : هو سيدى ، فأخذت البرقع وتغطت ... » .

وفى الإصحاح الثامن والثلاثين من نفس السفر : « .... فخلعت عنها ثياب ترملها ، وتغطت ببرقع وتلففت .... » أى أن المرأة كانت عند العبرانيين تضع البرقع على وجهها وتلفف حين تلقى الغرباء ، وتخلعه حين تنفرد فى الدار بلباس الحداد .

والخلاصة : أن الأديان التى سبقت الإسلام فى الظهور عرفت البرقع وهو أكثر مما أمر به الإسلام من الحجاب إذ هو غطاء للوجه نفسه ، بينما الحجاب فى الإسلام لا يقتضى غطاء الوجه إلا فى ضرورات بعينها .

وفى الحضارة اليونانية قبل انهيارها كان الحجاب معروفا للمرأة ، وكان عفاف المرأة وتصونها من أغلى ما يعتز به المجتمع اليونانى قبل أن تنهار حضارته .

وكان حجاب المرأة شائعا فى البيوتات العالية ، بل كانوا يبنون بيوتهم على أساس الفصل التام بين الرجال والنساء ، لكل بيت ما يخصه .

ولما أخذت هذه الحضارة فى الانهيار كان من بين أسباب انهيارها أن التقيد بالحجاب لم يعد معمولا به ، وإنما حل محله التبرج والفسوق حتى أصبحت العاهرات فى مكانة

مرموقة ، وأصبحت بيوت العاهرات تقصد من سائر طبقات المجتمع ، بل إن المومسات أصبحن خوادم للمعابد وسمى بغاؤهن بالبغاء المقدس .

وكان الرومان فى بعض فترات حضارتهم يسنون القوانين التى تحرم على المرأة الظهور بالزينة فى الطرقات ، بل كان من قوانينهم قانون أوبيا الذى يحرم على المرأة المغالاة فى الزينة حتى ولو كانت فى البيت .

ثم تساهلت هذه الحضارة فى حجاب المرأة وتركت للمرأة حبل التبرج على غاربه فكان الفسق والفجور ، وكان ذلك إيذانا بانهيار الحضارة فانهارت .

وفى الإصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : « هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاة أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم أن الرجل إن كان يرخى شعره فهو عيب ، وأما المرأة إن كانت ترخى شعرها فهو مجد لها ؛ لأن الشعر قد أعطى لها عوض برقع ... » .

وكذلك عرفت أوربا المسيحية لونا من ألوان صيانة المرأة وحجابها على فترات غير قصيرة من تاريخها ، قبل أن تستبد الكنيسة فيها بكل شىء ، ثم كان ما كان في أوربا مما تحدثنا عنه آنفا ونحن نتحدث عن التبرج والسفور .

وإذن فقد جاء الإسلام بالحجاب والبشرية تعرفه وتتمسك به فى فترات غير قصيرة من تاريخها ، فأصلح الإسلام من أمر الحجاب ما أصلح وجعله فى الصورة التى تلائم الحياة الإنسانية المستمرة ، وفق منهج الإسلام ونظامه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة فى صيانة المسلمة بالحجاب وصيانة الرجل كذلك عن النظر إلى من تهاونت فى حجابها ، ومطالبة الرجل والمرأة كليهما بغض البصر ، والإلزام بعدم التبرج وغض الصوت ومنع الحديث عما يكون بين الرجل وزوجته لأحد ، وترك الطيب عند مغادرة المنزل ، ومنع الخلوة واللمس ووضع آداب عظيمة لكل ما يصدر عن المرأة من أعمال .

ثانيـــا : غـض البصر للرجل والمـرأة علـى السـواء :

أمر الله الرجال والنساء بغض البصر مما يورث فتنة أو يؤدى إلى فاحشة ، وذلك إجراء وقائى للأخلاق وللمجتمع المسلم حتى لا يقع فى محظور حظره الله سبحانه .

والآية الكريمة الجامعة فى ذلك هى قوله تعالى : ﴿ **قـل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**

ويحفظو فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .. ﴾ (٢٨٦) .

والآية الثانية فى هذا المجال هى قوله سبحانه وتعالى : **﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾** (٢٨٧) .

والمقصود من غض النظر فى الآية هو الامتناع عن النظر الفاحص المتأمل المثير للشهوات غالبًا أو الذى يشعر فيه الناظر برغبة ومتعة ؛ لأن ذلك كله يؤدى إلى الفاحشة وليس المقصود به النظرة العجلى أو غير الفاحصة ؛ لأن تلك يصعب تجنبها ، وتلك النظرة الأولى التى تعتبر للناظر بينما تكون عليه الثانية المتأملة .

* روى أبوداود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل ابن آدم حظه من الزنا ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والأذنان زناهما الاستماع ، واليدان تزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان فزناهما المشى ، والفم يزنى فزناه القبل » .

* وروى الترمذى بسنده عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « ياعلى ، لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة » .

* وروى الطبرانى بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان : « يكره للنساء أن ينظرن إلى الرجال ، كما يكره للرجال أن ينظروا إلى النساء » .

* وروى الترمذى بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة ـ وفى رواية عائشة ـ رضى الله عنها قالت : فبينما نحن عنده إذ أقبل ابن أم مكتوم رضى الله عنه فدخل عليه ، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(٢٨٦) سورةالنور : ٣٠ ، ٣١ .

(٢٨٧) سورة الأحزاب : ٥٩ .

« احتجبا منه » ، فقلت : يارسول الله ، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال : « أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » .

ولا تعارض بين هذا الحديث الذى رواه الترمذى وأمر رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس بقضاء عدتها فى بيت ابن أم مكتوم ، بعد أن كان أمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ، ثم قال لها : « إن تلك امرأة يغشاها أصحابى ، اعتدى فى بيت ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى ، تضعين ثيابك » .

لأن المقصود بذلك هو التقليل ما أمكن من مظانّ الفتنة ، فمنعها من بيت أم شريك وأمرها ببيت ابن أم مكتوم .

ثالثا : خروج المرأة المسلمة من بيتها :

من المعروف أن خروج المرأة المسلمة من بيتها لحاجة من حوائج حياتها كالعمل ـ إن كانت تعمل فى مجال يلائم المرأة المسلمة ـ أو لقضاء حاجة أخرى كالشراء ونحوه ، أو زيارة أو غيرها ، ليس ممنوعا ولا محرما ، ولا يتنافى مع مطالبة الإسلام للمرأة بالاستقرار فى البيت .

وإنما الخروج الممنوع المحرم الذى يصحبه تبرج ، بإظهار مواضع الزينة أو المشى بطريقة ملفتة لا تليق بالمسلمة .

والخروج من البيت لحاجة من هذه الحوائج له شروط كثيرة نذكر منها :

ـ مراعاة اختيار الملابس غير المزخرفة أو الملونة التى تجذب أنظار الناس ، فضلا عن الملابس التى تشف أو تصف .

ـ مراعاة عدم لبس حلي تسمع وسوسته .

ـ وألا ترفع صوتها بقصد أن يسمعها الناس .

ـ وألا يكون فى كلامها لين وخضوع .

ـ وأن تراعى كل متطلبات الوقار والسمت اللائق بالمسلمة .

ـ وألا تتعطر .

ـ وألا تمشى بطريقة تدل على ماتخفى من زينتها .

* روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ماضرب علينا الحجاب لتقضى حاجتها وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسما لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ياسودة والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين ، فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ فى بيتى وإنه ليتعشى وفى يده عرق ، فدخلت ، فقالت : يارسول الله ، إنى خرجت .. فقال عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى إليه ثم رفع عنه وإن العرق فى يده ماوضعه ، فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » .

وقد أذن النبى ﷺ للنساء فى حضور الصلاة فى المسجد .

* فقد روى الشيخان بسنديهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها » .

* وروى أبو داود بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

وقد دعا رسول الله ﷺ النساء إلى حضور الجمعة والعيدين ، وكان يخرج بناته ونساءه فى العيدين ، كما روى ذلك ابن عباس رضى الله عنهما .

غير أن حضور النساء للمساجد مشروط بشروط أهمها :

ـ ألا يكون ذلك نهارا ، بل يشتركن فى الصلوات التى تصلى بالليل وهى العشاء والفجر .

* روى الترمذى بسنده عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد » .

* وروى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ ليصلى الصبح فينصرف النساء ملفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » .

ـ ويشترط ألا تحضر المسجد متزينة ولا متطيبة .

* روى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : بينما رسول الله ﷺ جالس فى المسجد إذ دخلت امرأة من مزينة ، تدخل فى زينة لها فى المسجد ، فقال النبى ﷺ : « يأيها الناس ، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد » .

* وروى الإمام مالك بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « إذا شهدت إحداكن العشاء ، فلا تطيب تلك الليلة » .

– ويشترط ألا تختلط النساء بالرجال في الجماعة ، ولا يسبقن إلى الصفوف الأمامية .

* روى الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ قال : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » .

– ويشترط ألا ترفع صوتها في الصلاة ، فإن وجب تنبيه في أثناء الصلاة فلها أن تصفق ، كما أن للرجل أن يسبح .

رابعا : كلام المرأة مع الرجال أو النساء :

وضع الإسلام لكل كلام صادر من المرأة أدبا ، سواء أكان هذا الكلام موجها منها للرجل أم كان موجها لامرأة مثلها .

ففي كلامها مع الرجال يجب أن يكون كلاما جادا وله مبررات وأسباب ، والمقصود بجدية الكلام ألا يكون مزاحا أو تظرفا أو أقاصيص ومسليات ، وأن تكون لهذا الكلام أسباب موجبة .

وقد طولبت المرأة المسلمة وهي تحدث رجلا أو يسمعها رجل ألا تخضع في القول ، استجابة لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا** ﴾ (٢٨٨) .

ومعنى الخضوع في القول : تليينه أو ترخيمه ، قال العلماء : أمرهن الله أن يكون كلامهن جزلا وقولهن فصلا ، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين ــ كما تكون حالة المريبات من النساء وهن يحدثن الرجال ، ذلك الكلام الذي يدخل في قلب السامع الغزل .

وذلك أن الكلام اللين الرخيم يطمع أصحاب القلوب المريضة فيعبث بهذه القلوب الشر والإثم .

كما يجب أن يكون كلامهما مع الرجل له مبررات وأسباب تقتضيه ، بمعنى أن تكون هناك مصلحة وضرورة لهذا الكلام ، وأن تفوت مصلحة لترك هذا الكلام ، أو أن

---

(٢٨٨) سورة الأحزاب : ٣٢ .

يكون سؤالا فى الدين أو طلب تفسير لأمر من أمور الدين ، فإن هذه وأمثالها أسباب ومقتضيات لكلام المرأة مع الرجل .

وفى جميع الأحوال يجب ألا تخضع فى القول حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض .

ولا يقال : إذا كان من تتحدث إليه المرأة رجلا صالحا ليس من أولئك الذين فى قلوبهم مرض الطامعين فى الشر والإثم ، فلا محل للنهى عن الخضوع فى القول إذن !!!

لا يقال هذا ولا يقبل إن قيل ؛ لأن النهى عن الخضوع فى القول عام وليس مخصصا لغير الصالحين أو غير الذين فى قلوبهم مرض ، لأن طمع من فى قلبه مرض نتيجة للخضوع فى القول وليس نتيجة لأن فى قلبه مرض . .

هذا عن كلام المرأة مع الرجل أو الرجال .

أم كلامها مع النساء مثلها فله كذلك آدابه وشروطه التى منها ما يلى :

- ألا تخوض فى حديث منهى عن الخوض فيه كالغيبة والنميمة ، وكل حديث يحرك فى النفس بواعث الشر والفتنة .
- وألا يكون حديثها هذرا تتعمد به أن تضحك السامعات .
- وألا يكون حديثها بصوت مرتفع بأكثر مما يحتاجه من يسمع .
- وألا يكون حديثا فيما يفضى به الرجل إلى زوجته أو امرأة إلى زوجها .
- وألا يكون حديثا يتضمن وصف امرأة لأحوال غيرها من النساء لزوجها أو لامرأة أخرى ـ كما أن هذا محظور على الرجل أيضا .

وكل ذلك من أدب الإسلام الرفيع .

* روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه من حديث طويل عن النبى ﷺ منه : ... ثم أقبل على الرجال فقال : « هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله ؟ » قالوا : نعم . قال : « ثم يجلس بعد ذلك فيقول : فعلت كذا وفعلت كذا ؟ » . قال : فسكتوا . قال : فأقبل على النساء فقال : « هل منكن من تحدث ؟ » فسكتن ، فجثت فتاة على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها ، فقالت : يارسول الله، إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثنه ، فقال : « هل

تدرون مامثـل ذلك ؟» فقال : « إنما مثل ذلك شيطانة لقيت شيطانا فى السكة ، فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه » [٢٨٩] .

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » [٢٩٠] .

وبعد أن استعرضنا هذه النقاط المتصلة بالحجاب ، نعود إلى الآية الكريمة التى نعتبرها أصلا في الحديث عن حدود الحجاب وأبعاده الشرعية ، وتوضيح أصناف الناس الذين يكون الحجاب دونهم سائلين الله التوفيق .

وهذه الآية الكريمة هى قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ... ﴾ .

ومن هذه الآية بكمالها نستطيع أن نفهم ما يلى :

* إخفاء هذه الزينة مطلقا هو الحجاب وهو مطلب شرعى ، ولا يستثنى منه إلا ماظهر من هذه الزينة وهو الوجه والكفان ، وإبداء هذه الزينة لا يكون إلا لواحدٍ ممن ذكرتهم الآية الكريمة وهم : الزوج والأب وأبو الزوج والابن وابن الزوج والأخ وابن الأخ وابن الأخت والنساء العفيفات الصالحات وملك اليمين من العبيد ، والخدم ، ومخنثى الرجال ، والأطفال الذين لم يظهروا بعد على عورات النساء .

* والزينة التى أتيح للمرأة المسلمة أن تظهرها أمام هؤلاء هى ما سوى العورة ، أى لبس الحلى والتجمل باللباس والتكحل وتحسين الشعر واستعمال الحناء وما يلى ذلك مما تلجأ إليه النساء فى العادة لتعبر به عن أنوثتها فى بيتها لزوجها ، فلا حرج عليها من أن يرى منها هؤلاء مواضع تلك الزينة ؛ لأن ظروف المعيشة تقتضى خلطة بهم ، والأصل فى هذه الإباحة أنها زينة تظهر أمام من يستحيل عليهم أن تثار فيهم شهوة نحوها لحرمتها عليهم حرمة مؤبدة ، أو لأنهم ليسوا من أهل شهوة النساء لصغرهم أو لعيب فيهم أو لأنهم من صنف النساء بشرط أن يكن صالحات .

* وغير هؤلاء المذكورين لا يجوز أن تظهر المرأة أمامهم شيئا من الزينة ، بل إن الآية الكريمة تختم بقوله سبحانه :

---

(٢٨٩) أبو داود : سننه : كتاب النكاح .

(٢٩٠) السابق : باب الأدب.

﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .

* ومما يدخل فيما نهى الله عنه فى هذه الآية أن لا تفعل المرأة شيئا من شأنه أن يلفت الأنظار إلى ما خفى من زينتها ، وذلك كالضرب فى الأرض بأرجلهن ليسمع صوت خلاخلهن المختفية بالثياب السابغة ، فذلك داخل فى معنى الحجاب وما يجب أن تستره المرأة عن الرجال .

* وإن تدقيق الشريعة فى هذه الأمور وحصرها فى هذا الإطار هو العلاج الصحيح والوقاية الأكيدة للمجتمع من فاحشة الزنا ومقدماتها ، إن الإسلام فى هذا التشريع يحرص على أن يقاوم الجريمة قبل أن تقع بإزالة أسبابها ؛ لأن إبداء الزينة يجر فى الكثير الغالب إلى أن تتسرب إلى المجتمع دواعى الفسق والفجور .

ولا بد هنا من كلمة واضحة صريحة تضع بعض الأمور فى نصابها الصحيح ، وترسم للمرأة المسلمة معالم فى حياتها تعد ضرورية لها :

وذلك أن الله تبارك وتعالي وهو يبيح للمرأة أن تبدى زينتها التى تظهر على الرغم منها لتمارس الحياة كالوجه والكفين ، إلا أنه يفهم من سياق الآية الكريمة ومن بعض الأحاديث النبوية الواردة فى ذلك ومن تفسير المفسرين واختلاف الصحابة رضوان الله عليهم فى هذا الموضوع ، أن المرأة المسلمة على الرغم من إباحة إظهار وجهها وكفيها لا يحل لها أن تظهرهما بصورة تستميل بها من ينظر إليها أو تلفت نظره .

* وقد نشب خلاف بين المفسّرين لقوله تعالى : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ... ﴾[٢٩١] .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : « أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق بالجلابيب » ـ والجلباب هو الثوب الواسع أو الخمار أو الرداء ـ وعلى هذا الفهم كان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم .

على أن بعض المتأخرين من المفسرين ـ وهو الشيخ طنطاوى الجوهرى فى كتابه . « تفسير الجواهر » يقول فى تفسير هذه الآية : « ... إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب فى الكف ، وكالوجه والقدمين ، ففى ستر هذه

(٢٩١) سورة الأحزاب : ٥٩ .

الأشياء حرج عظيم ، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها ، ولا سيما فى مثل تحمل الشهادة ، والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك ، وهذا كله إذا لم يخف الرجل فتنة ، فإن خافها غض بصره ... » .

وربما كان الشيخ طنطاوى الجوهرى مبالغا فى إباحة كشف المرأة لقدميها ، والأصل أن نعود فى ذلك إلى رأى جمهور الفقهاء الذى يبيح كشف الوجه والكفين فقط ـ دون القدمين ـ وبشرط ألا يكون فى كشف الوجه والكفين ما يثير فتنة أو يحرك شهوة أو يكون كشفها للفت الأنظار ، فإن تغطيتها حينئذ تصبح واجبة .

ونحب أن نوضح أن تغطية الوجه هى النقاب ، وأن كشف الوجه والكفين مع ستر سائر الجسد هو الحجاب ، وأن الحجاب أصل لا يمكن التخلى عنه ؛ لأن الله تعالى أمر به أما النقاب فله ظروفه وملابساته وهو مزيد احتياط لمن أرادت من النساء لكنه ليس بواجب إلا عند ضرورة .

ونحب أن نوضح كذلك أن النقاب محظور فى الحج بالنسبة للمرأة المحرمة ، لما رواه الإمام مالك فى موطئه ، وما رواه أئمة الحديث كالترمذى وأبى داود من أن النبى ﷺ أمر المحرمة ألا تنتقب وألا تلبس القفازين ، وأن بعض العلماء رأوا أن على المحرمة أن تنتقب كذلك أخذا بما جاء فى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا جاوزونا كشفناه » .

ولكل مسلمة أن تضع نفسها حيث تريد فى الحج والله من وراء القصد .

كلمة ختـــام :

كما بدأ هذا الكتاب بحمد الله والثناء عليه ، وشفعنا ذلك بالصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وخاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

كذلك يطيب لنا أن نجعل ختام الكتاب حمدا لله وثناء عليه وصلاة وسلاما على رسله وأنبيائه وخاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

ثبت موضوعات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الباب الثانى

المرأة فى الإسلام حقوقها وواجباتها

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع

قضايا المسلمة المعاصرة وموقف الإسلام منها

رقم الإيداع ٧١٣١ / ١٩٩٠

I . S . B . N - 977 - 15 - 0013 - 9

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هذا الكتاب

* هذا الكتاب موجه إلى المرأة المسلمة ليزيل لَبْسا ران على أذهان كثير من المسلمين ، إذ حسبوا أن المرأة المسلمة ليس عليها فى مجال الدعوة إلى الله واجب ، ناسين أن كل من اتبع محمدا ﷺ - ذكرا كان أو أنثى - إنما سبيله الدعوة إلى الله : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ .

* وقد عالج هذا الكتاب واجب المرأة المسلمة فى الدعوة إلى الله بالتفصيل على نحو لم يعالج به فى كتاب آخر .. وهو واجب يحتم عليها فقه الدعوة إلى الله ، ومعرفة مجالات عملها وأنشطتها فى تلك الدعوة ، مما تناوله هذا الكتاب ، إلى جانب إعطائها القدوة فى ذلك بذكر سير بعض السابقات المؤمنات ممن عايشن رسول الله ﷺ .

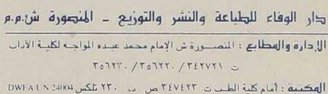
* وإذا كان الإسلام قد أوجب على المرأة المسلمة واجبات ، فإنه قد جعل لها من الحقوق مالم تحظ به امرأة فى ظل الحضارات التى سبقت الإسلام أو تلك الحضارات المعاصرة ، وهو - أيضا - مما أوضحه هذا الكتاب .

* كما تناول الكتاب عددا من قضايا المرأة المسلمة المعاصرة مثل « التعليم ، والعمل ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والحجاب » وأبدى وجه الحق والصواب فيها ، حتى لا تنشغل المرأة المسلمة بها عن واجبها فى الدعوة إلى الله والقيام بحقوق مجتمعها عليها .

* وأخيرا .. فهى دراسة علمية منهجية ، توخى فيها المؤلف أسلوب البحث العلمى ، كما أنها خبرة عملية ميدانية فى مجال الدعوة إلى الله ، صاغها المؤلف منهج عمل للمرأة المسلمة الراغبة فى أن تؤدى واجبها فى الدعوة إلى الله .

** **ودار الوفاء** إذ تقدم هذا الكتاب للمرأة المسلمة تسأل الله أن يكون نبراسا يبصرها بحقوقها ، ويعينها على أداء واجبها ، وأن يرسم لها طريق الدعوة إلى الله .

الناشر

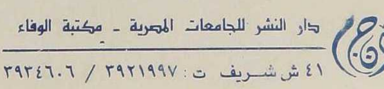


دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :


دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦